الفهرس

المقدمة والمدخل

لعل من الأهمية بمكان بدايةً ونحن نحاول طرح ومعالجة مشكلات وقضايا الأقليات في الوطن العربي[1] أن نعمل على بيان وتوضيح مسألةٍ هامة تعْتبر مقدمة المقدمات في الفكر الإنساني قاطبةً، ألا وهي شرح وبيان الفرق الكبير بين ما هو حقيقي من الأفكار والنظريات السياسية والذي يمكن أن يقوم بذاتهِ ويمتلك الحياة، وبين ما هو مفتعل لا يقوى على القيام؛ فهو يحتاج دائما ـ حتى يقوم ـ إلى المقومات.

والأمور بكليتها في الوطن العربي[2]، في هذه الآونة، تتجه إلى تكثير الأقليات

(١) في السنوات الأخيرة وبعد انتشار القنوات الفضائية وشبكات الانترنيت تبين أن في الوطن العربي أثنيات وقوميات وطوائف (عليها فوراً أن تشتغل بالانفصال عن العرب واعلان الحرب عليهم)، أليست مفارقة أن يمضي الكون والعالم آلاف السنين من حياتهم دون أن يعلموا بذلك أو يدركوه أو يدري أحدٌ به؟ فأين كانت كل هذه الإثنيات التي بدأت مؤخراً تشتغل بالانفصالات عن العروبة، فأين كانت قبل وجود إسرائيل وقبل القرار الامريكي بالاحتلال المباشر للمنطقة العربية والسيطرة عليها وإحتلال العراق؟ (أتخذ القرار الأمريكي في الثمانينيات من القرن العشرين)، الآن على المثقفين العرب (بما فيهم الأكراد والأمازيغ) عموما أن يمضوا حياتهم في التعرف على التركيبة الاجتماعية والثقافية والإثنية في بلادهم العربية، في حين أنه كان من المفروض أن يتجهوا جميعاً علمياً وتثقيفياً للعمل على تفكيك تلك العرقيات المنتهية الصلاحية والطائفيات المتخلفة والمدمرة للسيادة الوطنية، كان من الأجدر بالمثقفين العرب (بما فيهم الأكراد والأمازيغ) عموما أن يمضوا حياتهم في محاولة مواجهة الأعداء الحقيقيين لبلادهم، للوطن العربي الكبير، لان الإعلام العالمي ويتبعه الإعلام العربي (المسموع والمرئي والمقروء) يشتغل بالتجاهل الكلي للعروبة وكذلك كافة المناهج العربية إنهم يعملون على تكريس الانفصال في البلاد العربية ويشجعون عليه!

(٢) على الرغم من كل ما يجري ـ في الوقت الحالي ـ من تطبيقٍ للمخططات الاستعمارية المهودة والرامية إلى تمزيق الوطن العربي إلى دويلات شتى (تجزيء المجزأ) فإن الوطن العربي سيبقى يدلّ على كل أرضٍ سكنها أو استوطنها العرب وهو بلا ريب مركزياً سيبقى (الوطن العربي) هذه =

وتقليل الأكثريّة؛ هذه السياسات المتّبعة تحاول أن توفّق أو أن تقابِل عادةً بين الحق والباطل وبين الصح والخطأ وبين الخير والشر وبين النور والظلام وبين العلم والجهل وبين المستقيم والمعوج وبين العروبة والعجْمة، وكلها تؤكد بما لا يدع مجلا للشك بأن العربي الإنسان والعربي الوطن إنما هو ـ في هذا العصر مبْتلى ومجْتبى، فالعروبة في جميع أنحاء العالم تنتصر وحدها الآن بينما الأعراب منهزمون.

وإلا فماذا يعني أن تجد كل هذا العداء المستحكم منذ فترة من قِبلِ تلك الشعوبيات العرقية والطائفيّة(١) ومن كل هؤلاء الدول والملل والنحل

البقعة من الأرض التي تسكنها الأمة العربية بما فيهم الأكراد والأمازيغ، المسلمون والمسيحيون والتي تمتد ما بين جبال طوروس وجبال بشتكويه والخليج العربي والبحر العربي وجبال الحبشة والصحراء الكبرى والمحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، بينما العروبة تشمل الكون.

(١) إنّ الحديث عن الشيعة والسنة هدفه إثارة القلاقل من أجل جر المنطقة إلى حروب طائفية، وبعد أن فشل الاستعمار الأنجلوأمريكي في إشعال تلك الفتنة بدأ البحث عن مناطق جديدة في الوطن العربي لإثارة النعرات الفئوية، بالنسبة لأقباط مصر فهم لا يوجدون في منطقة جغرافية بعينها وليس لهم طرائق عيش مختلفة أو سمات عرقية يمكن تمييزها عن بقية السكان فالحديث عن اضطهاد الأقباط حديث خرافي أساسه فكرة الانفصال السياسي والتاريخي غير الموجود في مصر وللسياسي الكبير مكرم عبيد مقولة مازالت تتناقلها الأجيال: أنا مسيحي الدين مسلم الوطن، وإذا تحدثنا بمنطق سعد الدين إبراهيم لانقسمت بريطانيا إلى ٢٠ دويلة وكذلك أمريكا فلا يوجد في العالم بلد يعتنق كل مواطنيه دينًا واحدًا وإذا عدنا إلى قضية الأقليات في الوطن العربي، فسنجد أن الوضع في جنوب السودان الذي انفصل، مخالفٌ لدعاة مشاكل الأقليات، لأنّ جنوب السودان متعدد الأديان والأعراق مثل شماله، والغريب أن عدد المسلمين في الجنوب ٢٠٪ أي أكثر من المسيحين ١٨٪، والاستعمار الغربي وأعوانه من دعاة أو مروجي مسألة اضطهاد الأقليات إنما يهدف إلى نشر ثقافات يريد بها خلع ما يعرف (بالأقليات) من النسيج العربي لإلحاقها بسياسة الآخر الاستعماري، ففي جنوب السودان سيتم فرض اللغة الإنجليزية مع تدفق البترول، وسيتحدث الأمازيغ في الجزائر الفرنسية والسؤال هو من كان وراء محاولة تفكيك الأمة العربية والجواب أولا هو، الضعف العربي والحال الغريب وثانياً هو دولة أمريكا وتابعتها إسرائيل ودول أوربا المهودة وكل ذلك يتكشف من خلال دعوى الشرق الأوسط
=

والجماعات والأشخاص على اختلاف مشاربهم ومواقعهم واختلاف معاناتهم ومشكلاتهم للعروبة وللعرب[1]!

الكبير الذي يهدف إلى إذابة الهوية العربية وفض كل ما هو إسلامي وهذه الفكرة إسرائيلية الصنع بدأ الحديث عنها من خلال خطة "دينو" التي تعتمد على إستراتيجية شد الأطراف وتفتيت الدول العربية الكبرى إلى دويلات صغيرة، فتتحول مصر إلى ثلاث دويلات قبطية وإسلامية ونوبية وسوريا إلى خمس دويلات والعراق إلى ثلاث دويلات والسودان ينقسم إلى شمال وجنوب وهل هناك تمويل لإثارة قضايا الأقليات في الوطن العربي، نعم إنها (مؤسسة فورد) الوثيقة الصلة بالمخابرات الأمريكية وهي على علاقة قوية بمركز (ابن خلدون) منذ أواخر الثمانينيات وقد أنفقت تلك المؤسسة في الوطن العربي ١٥مليون دولار منها ٥ملايين دولار في مصر، أغلبها في الحديث عن مشاكل الأقليات، وقد اقتطع مجلس الشيوخ الأمريكي مليون دولار من المعونة الأمريكية المخصصة لمصر لمركز ابن خلدون، فيما يعد مكافأة شخصية لرئيسه سعد الدين من أجل جهوده وعناءه للديمقراطية في مصر، وهناك خطابات من أحمد الجلبي لسعد الدين إبراهيم تعود إلى عام ١٩٩٤م، وفيها كان يتم التنسيق بين الطرفين قبل مؤتمر ليماسول الخاص بمشاكل الأقليات.

(١) جزيرة (قشم) في مقابل الإمارات العربية المتحدة على الخليج العربي هذه الجزيرة العربية تابعة حالياً لدولة مجاورة لبلاد العرب؛ الناس الذين تنتهي إقامتهم في دولة الإمارات العربية وغيرها يطّرون إلى الذهاب لتلك الجزيرة في رحلة سياحية قريبة، تستغرق يوما أو يومين بانتظار إجراءات تجديد الڤيزة أو الإقامة في دولة الإمارات العربية، حدثني صديقي من العراق (مصري الجبوري) أنه لما ذهب مرغماً؛ في تلك الرحلة نزل في الفندق هناك على تلك الجزيرة ضمن فريق سياحي فأعدت لهم جولة لزيارة المعالم السياحية في تلك الجزيرة وهي مدينة تحت الأرض أثرية قديمة جداً ضمن نفق طويل مثل مدينة (غدامس) في شرق ليبيا على الحدود مع تونس، لكن صديقي يقول أن ما لفت نظره وأسماعه في رحلته إلى جزيرة (قشعم) هو أن الدليل السياحي وقتها كان يتحدث ويعيد ويكرر فيقول ولكل الدفعات من الزائرين بالحرف الواحد وبالإنكليزية: (إنّ هذه المدينة الآثارية القديمة كانت موجودة قبل أن يخلق الله العرب) سألني صديقي عن معنى كلام ذلك الدليل السياحي وعن قصده فلم أجبه ترى ماذا كان يعني بقوله أن تلك الجزيرة كانت موجودة قبل أن يخلق الله العرب ولماذا يؤكد ذلك الشرير على تلك العبارة ويعيدها في كل مرة على مسامع الزائرين لجزيرة قشعم؟ ولكنني أود تحويل هذا السؤال إلى كل عربي يسمع ويرى ليتخذ الإجراءالمناسب، وأذكر في عام ١٩٦٧ أنني وكنت في الصف السادس =

لقد غاب عن بالهم حقيقة أن الأقليّة[1] أيّ أقليّة، فإنها بانتمائها للأكثريّة ستكون فعلا أكثريّة، ولكنها بنزعة الانفصال إنما تذهب جميعها وبمحض إرادتها إلى الهلاك والفناء، فما الذي يجعل الناس الذين كانوا عرباً عبر العصور يقرِّرون، التراجع عنها والعودة إلى العجمة والعدميّة وليشتغلوا بتصنيع كيانات هزيلة، وستبقى هزيلة مقتطّعةً ومنْقطِعةٌ من الكيان الأساسي، وهي لا يمكن أن تقوم وحدها وتحتاج على الدوام إلى المساعدة، قال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾** ﴾ التوبة، وأكبر دليلٍ على ذلك أنهم كانوا جميعاً من

الابتدائي كان لدينا كتاب مدرسي بعنوان (التربية الوطنية) لا يزال في ذاكرتي من ذلك الكتاب نص رسالة موجهة من أحد الأشخاص من العراق وهو من غير العرب؛ وقد جهها إلى صديقه وكان من غير العرب أيضا ممن يعيشون في سوريا وأذكر أنه في الرسالة الآتية من العراق عتاباً شديداً وكان المرسل يأسف لصديقه في سوريا لأنه شاهد صورته وصورة أخته في مجلة عربية للأطفال، ويقول له: للأسف ما كنت أتوقع منك أن تنشر اسمك واسم أختك وصورتكما في مجلة عربية! هذه الرسالة كانت قد عثرت عليها السلطات في سوريا وقتها ونشرتها في الكتب المدرسية إيقاظاً للشعور الوطني العربي فأين ذهب الشعور الوطني العربي وكيف تبخرت المشاعر الوطنية العربية؟

(١) اشتق لفظ أقلية من مادة (قلل) وهي في لسان العرب القلة ضد الكثرة وإذا أخذنا تعريف اللجنة الفرعية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، فإن تعريف الأقلية هو "جماعات متوطِّنة وليس متواطئة" في مجتمع تتجمع فيه بتقاليد خاصة وخصائص إثنية أو دينية أو لغوية معينة تختلف بشكل واضح عن تلك الموجودة لدى بقية السكان في مجتمع الأكبر، وترغب في دوام المحافظة عليها" وتتضمن الأقليات في العالم العربي وفقا للترتيب الهجائي "الأشوريين الأرمن الإسماعيلية الأقباط الأكراد البربر التركمان الدروز الزيدية الصحراويين الطوارق العبيديين العلويين الكلدان المارونيين اليزيديين اليهود" وفي العالم كله توجد ثمانية آلاف أقلية إثنية "عرقية"، و٧٦٠٠ لغة، ويعرّف الباحث صلاح سعد الأقلية بأنها "جماعة من الناس تشكل عدديًّا أقلية بالمقارنة مع جماعة أخرى تعيش معها في وطن مشترك تشكل الأغلبية".

قبل الفتوحات الإسلاميّة يكتبون لهجاتهم العربية القديمة، مثل كل الشعوب القديمة بالحرف الأبجدي العربي، وهاهم في العصر الحديث ينقلبون إلى تصنّع وتصنيع لغةٍ من العدم... والكتابة بحرف أعجمي غير أبجدي، وغير مبين ويحاولون أن يخترعوا لها قواعد وجنحوا للرطن بألفاظٍ أعجميّة غير مبِينةٍ واستماتوا في ذلك فهم يعملون بالتالي على ما لا يريدون مع معرفتهم بما يريدون إنهم وبجميع المعايير يختارون الأسوأ! ويبقى السؤال لو كانوا يعقلون لماذا؟

اللدغ من نفس الجحر أكثر من مرة

من الجدير بالذكر أن احتمال تولّد أو احتمال وجود مشاعر العداء للعرب أو للعروبة أو لأمة العرب أو للوطن العربي، لدى بعض الأفراد أو بعض الفئات، ممن يعيشون بين العرب وهم ينزعون إلى الانفصال! ما هو موجود بالفعل لدى البعض نتيجة الفهم الخاطئ لمفهوم العروبة، إنما وضعوا أنفسهم كأقليّة (الفئات ذات النزعة الانفصالية) في خندق معادٍ للعرب (الأكثرية)(١) إن وجود مثل هذا الأمر نزعة الحقد على الآخر؛ لدى البعض والتي ليس لها مبرر، تولّدتْ وانبثقتْ أساساً عن أوضاع تاريخيّة كانت لدى الجميع متخلِّفة، وذاكرة أبداً لم تكن طبيعيّة قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾** ﴾ النجم، ولايزال من غير المفهوم عدم اندماج إصرار البعض على تقوقعهم بل يجب تجفيف منابع الحقد الطائفي.

كان هذا أدعى لفقدان الثقة بهم (بهذا البعض) فقداناً مطلقاً، من قبل الأكثرية كونهم في هذه الحالة ونظراً لفقدانهم للعدالة مع مواطنيهم؛ التعاطف والوجدان فعدالتهم والحالة هذه قد أصبحت مجروحة، وهم نتيجة انكفائهم وتقوقعهم إنما يحيون في حال مؤامرة دائمة على الأكثرية، لذلك فمن الطبيعي

---

(١) إذ هناك خشية حقيقية من أن تخلق هذه الخرائط وهذا الخطاب الكردي المتطرف شعور لدى الإنسان الكردي في سوريا بأن ما يدعى بـ (كردستان) كان جزءاً من (كيان سياسي كردي) هو اليوم (محتل ومغتصب) من قبل الدول العربية، مما سيقلل ويضعف الشعور الوطني لديه وقد يخلق عنده نزعة انفصالية في المستقبل، لهذا على جميع القوى الوطنية العربية، بمن فيها الأحزاب الكردية التي تتميز باعتدال طرحها وخطابها الوطني في الوطن العربي وخصوصاً في سوريا والعراق، أن تتنبه لمخاطر طرح مصطلح (كردستان) وتأثيراته السلبية على مسألة الحوار الوطني والهوية الوطنية في الوطن العربي.

والحال هذه، أنهم لم يعودوا أهلا لاعتماد المجتمع عليهم لتحمل أمانة الوظيفة في الحياة العربية، في أيٍ من المجالات، تربوياً وثقافياً وصناعياً واقتصادياً وصحياً وسياسياً وأمنياً؛ فليس هنالك ودودٌ وحقودٌ في الوقت نفسه.

إذ كيف ستعمل الفئات ذات النزعة الانفصالية وأمثالهم على خدمة المجتمع العربي (الأكثرية) في الأقطار العربية أو أي من الشعوب والمجتمعات العربية الإسلامية في العالم، على البناء أو للحفاظ على كيان العرب بإخلاص بالوجدان والضمير وهم ما فتئوا يناصبون العرب ألد الخصام والعداء، مشاعر سوداء تتأجج في صدورهم ضد العرب وهم يرغبون ويعملون على زوال العرب قال تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾**﴾الأعراف

ولنا أن نتأمل كيف تحكّمت هذه الشعوبيات المختلفة والمتخلفة من الذين تولدت لديهم نزعات العداء ضد العرب، والرغبة بالانفصال عن كيانهم، والذين تأججت أنفسهم بالحقد على العرب والعروبة في كل مكان، في الماضي والحاضر، لاسيما في العصر الحديث، الذين قبضوا على زمام المصير العربي وكانوا قد تحكموا بالحياة العربية، من خلال تسلمهم للوظائف والمسؤوليات والمرتبات والأعمال في كل منحى من مناحي الحياة العربية، وهم ليسوا عرباً (لا يعدون أنفسهم عرباً) وقد قلبوا بذلك للعرب ظهر المجن!

لقد أنهكوا بالخذلان، بالفعل كل محاولة للنهوض كان من الممكن أن تنشأ في المجتمع العربي، وشكّلوا على الدوام السكين التي كانت تنخر وتنخز الخاصرة

العربية،[1] قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾الأنعام

إنّ هذا الوضع لهو السبب الرئيسي في انهيار الوجود العربي، هذا الانهيار المريع منذ القدم، بالإضافة إلى عامل الضعف الذاتي الذي أصبح مزمناً لدى العرب![2] وإلا فمن الذي كان يتحكّم بالوقفْ والإفتاء في الدين الإسلامي في جميع بلاد العرب وخلال القرن العشرين؟ من الذي كبّل هذا الدين وأبعده عن حقيقته وحوّله إلى مجرد مجموعة قواعد وقوانين وأشياء شكلانية أبعد ما تكون عن الفكر والمنطق بحيث إذا طبقها الإنسان الآلي دخل الجنة؟

في حين أن الدين كان بالأساس عبارة عن : نظام يتبع وليس مجرد خضوع، ألم يقل الرسول العربي ﷺ عن سلمان الفارسي: سلمان منا آل البيت، وطبعاً هذا يعني أيضاً ـ لمن يعلم ـ أن صهيب الرومي[3] وأنّ بلالا الحبشي أيضاً منا آل البيت

---

(١) ولنا أن نتأمل كيف أنّ لكل إنسان في أنحاء العالم وطن يفتخر ويعتز به في انتمائه إليه، ويعمل إيجابياً على صيانته والدفاع عنه (بكل الظروف) وبكل وسيلة وفي كل نادي وعلى كل منحنى، حتى أولئك الذين ينتمون إلى دولٍ جديدة (الدول في أوربة) وليس لديهم تاريخ مجيد ولا حضارة تذكر (أمريكا) أصبحوا يتغنون بانتسابهم لأمريكا، وإنني لأتذكر قول الرافعي رحمه الله: «فنحن لو لم تكن لنا هذه الأمة التي نحبها ونعتز بالانتماء إليها لوجب علينا خلقها» بينما يطلب من العرب التخلي عن انتسابهم للأمة العربية.

(٢) كيف أصبح العرب في العصر الحديث يجلدون أنفسهم كيف فقد العرب في العصر الحديث الثقة بأنفسهم من الذي أوصل الأمور في الوطن العربي في العصر الحديث إلى هذا المستوى من الانحطاط في الحياة العربية، من هو المسؤول عن كل ذلك الحال بحيث أصبح أستاذ التاريخ في جامعة دمشق الدكتور المتخصص في التاريخ العربي وهو يروي لطلابه حوادث التاريخ العربي، ثم يختم بإدانة العرب والسخط عليهم ويعلن براءته منهم كيف وصلت الأمور إلى هذا المستوى، ألم يجعل الله ﷻ العروبة صفةً لقرآنه وحكمه ولسانه المبين ولأهل جنته وقد ذكر جذر العرب والأعراب في اثنين وعشرين آية في القرآن الكريم؟

(٣) الروم الأرثذكس والروم البروتستانت، تعبير يجب تبديله في البلاد العربية بـتعبير وطني عربي =

وأن كل من دخل الإسلام من جميع الأقوام والأعراق أصبح منا آل البيت، فمن الذي وعبر التاريخ كان يناوئ العرب ويعوج لهم نتيجة الحقد عليهم، كل سبيل من الداخل وينغِّص عليهم حياتهم ويستقدم على الدوام الجيوش المعادية إلى بلادهم لهدم كيانهم علما أنّ العرب يعلنون: أنّ كل من سكن الأرض العربية فهو عربي.

لقد أدّت تلك الفواجع والطامات التي ابتلي بها العرب على اختلاف مواقعهم منذ بداية القرن العشرين إلى الكوارث عدم فهم طبيعة ومعنى ومدلول العروبة كان في مطلعها اغتيال العقل والفكر والقلب العربي، حتى اختلط الحابل بالنابل ولم يعد العرب، بعد أن أصبحوا مكبلين بتلك المعتقدات السياسيّة الفاسدة لم يعد لديهم القدرة على الحركة المجْدِية، وباتوا يتحركون حركات تشدّ وتشدِّد عليهم الخناق أكثر فأكثر، ولأنّ الصدق ضد الكذب فاليقين هو الذي يتلاشى عنده كل ما هو وضعي.

وهو العرب الأرثذكس والعرب البروتستنت وقد قامت اليونان في بتبديله إلى اليونان الأرثذكس، واليونان البروتستنت.

بين الفكري والسياسي

السياسي قد يفاوض وقد يناور وقد يدور حول قضيته محاولا تأمين أو تحقيق المصالح بشتى الطرق، فيقدم ويؤخِّر؛ بينما لا يستطيع المفكر صاحب القضية وليس له أن يتنازل أو يتراجع عن الهدف (القضية) أبداً ومهما كان السبب، إنّ إنسان القضية محكومٌ بقضيته[1].

إنّ من العبث أن تنظر كل مجموعة عرقية وطائفية تحيا ضمن الأكثرية، وهي تنتظر أو تفكر في الانفصال عنها وتدخل ضدها في مؤامرة[2] قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤** ﴾ البقرة

وذلك بدل أن تفكر في الاندماج فيها ومن خلالها اندماجاً كلياً ولم لا؟ وأن تحمل بكل قبول هوية الأكثرية، وإلا فإنّ الموضوع لا ينتهي ولن ينتهي وسيستمر الضعف وجودياً! طبعاً يروِّجون للخصوصية الثقافية، مثل أختراع

(١) من حديث من المفكر والباحث الأستاذ عبد اللطيف ذياب

(٢) فهل قامت بعض الأحزاب العرقية بكشف طموحها وطرح مشروعها لإقامة ما يسمى بكردستان الكبرى والذي كان يشمل فيما يشمل من سوريا كامل الشريط الحدودي مع تركيا وكامل الجزيرة الفراتية بما فيها تدمر وحمص والساحل أما الأكراد فهم في مناطق تواجدهم مواطنون أصلاء وشركاء مسيرة ومصير لمواطنيهم العرب والإيرانيين والترك، ولطالما شاركوهم في التصدي للغزاة الأجانب ولأنهم ليسوا دخلاء على المنطقة فإن عمقهم الاستراتيجي ممتد فيها الأمر الذي يحول دون إجماعهم على موقف معاد لشعوبها، إذ تغلب عند قطاعات غير يسيرة منهم مشاعرهم الإسلامية وحتى انتماءاتهم الوطنية على نوازعهم العرقية وليس في تاريخ العراق الحديث ما يدل على أن أياً من حركات التمرد الكردية استقطبت إجماعاً كردياً، وإنما كان لكل منها من يعارضها ويقف في الصف المعادي لتواطئها مع العدو الخارجي.

قواعد وأحرف اللغة الكردية واللغة الأمازيغية وهذا حقٌ يراد منه باطل قال تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾البقرة، لأن القضية بالنسبة لمن ألقى السمع وهو بصير لا تتعلق فقط بالتاريخ السياسي ولا بإنشاء الأحزاب والتنظيمات وإنما بالثوابت الربانية الطبيعيّة ثم بالقيم والمثل الإنسانية والحضارية.

إذ كيف يضحون وبإصرار ليس له معنى بالإسلام الدين الحنيف في مقابل الفلكلور واللهجة (اللغة) الأمر المبني على الوهم الكبير ليس إلا! تحت شعار الاستقلال والحرية، معتقدين أنها دعاوى "الانفصال" لا يمكن تجاوزها أو القفز عليها قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾الأحقاف، والحل طبعاً ليس بالإقصاء والإلغاء أو بالاستبعاد لأية جهة أبداً، ولكنه يكمن في إفساح المجال للجميع في الحياة الحرة وتقديم ما ينفع الناس، إنه من المهم أن يكون هنالك تدافع بين الناس قال تعالى: ﴿ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾الرعد، وطبعاً فإن إقامة المجتمع المدني ومؤسساته وإحياء كل ما من شأنه التطوير والتقدم إلى الأمام، والعلا شيء مطلوب وسيساعد كثيراً في الوصول إلى الهدف، وهو تحقيق أقصى حالات الديمقراطية وإلغاء السلطات وإفساح المجال بحسب القاعدة التي تقول: دعه يعمل دعه يمر، ولكن بشرط أن لا يطغى فيقتلعنا كمجتمع من الجذور، بل على أساس محاورة الناس كل الناس وليس بالإملاءات، ولايمكن أن نحكم على قيم الخير والحق والعدل والسلام والصح والجيِّد والحرية والوطنية من خلال ما جرى في التاريخ المتفق على أنه انحطاطي وطارئ ومفروض من الخارج وأنه كان خارج السياق، ولم يكن ليعبر بأحداثه عن طبيعة المنطقة ونفوس أبنائها، فقد حمل وحمِّل أوزاراً مع أوزاره وبالتالي

سيؤدي من أجل أحداثٍ قام بها أو انساق إليها متخلفون من جميع الأطراف أفراداً وأحزاب وتجارب وحدوية فاشلة إلى أن نلقي بعيداً بالحقائق والقيم الإنسانية وأن نطلِّقْها ونستغني عنها؟

فهل أدت الأحداث التي نشأت في المنطقة، خارجة عن إرادة أبنائها مطلع القرن العشرين، بالناس من جميع الفئات إلى رفض العروبة والإسلام معاً وهل كان هذا الرفض صحيحاً وبالتالي إلى أين يذهب كل هؤلاء الأقليات أليس فيهم رشيد؟

وطبعاً فإنّ تفلّتْ الناس من دائرة العروبة والإسلام سوف لن يضر العروبة والإسلام شيئاً، ولكن الضرر سيلحق الناس في جميع "الفئات" كونهم تخلوا دون أن يدروا عن المثل العليا والقيم الإنسانية والدين الحنيف.

ويشار هنا إلى أن المروءة والشرف والشهامة والكرامة عناصر أساسية في شخصية الإنسان العربي المؤمن وهي التي أفردت العرب عن مجمل الأمم مقدرة وعظمة، وكانت الأريج الذي أضفى على حضارتهم مع مرور الزمن وتوالي الحقب النكهة الخاصة في التذوق المعنوي لحس البشر، والحقيقة أن العربي إذا افتقد تلك القيم الرائعة والسامية فقد أخرج نفسه من دائرة العروبة ودخل في العجمة ولو كان من قريش؛ وأن الأعجمي إذا حمل تلك القيم أصبح عربياً كائن من كان أصله، ففي وضع الطبع أن يكون الإنسان العربي كريما وشريفاً وصاحب مروءة وكرامة وشهامة من أعماق وجدانه وهو يعْتبر انكماش الذاتِ ومنع الدفقِ عندها انتقاصاً في وجودها وتلبساً في عطائها.

فهل أخفقت الأحزاب العربية، خلال القرن العشرين، في التعبير عن حقيقة العروبة والإسلام وهل أسهمت في تشويه العروبة والإسلام هل قدمتها إلى عباد الله بأشكالٍ خاطئة ومنفِّرة (خطة مارشال)[1] هل كانت هذه المهمة مقصودةً لخدمة أعداء العروبة والإسلام، أعداء الحق؟ من أين كانت تمول هذه الأحزاب العربية العلمانية والطائفيّة والعنصريّة وما هي دوافعها الأساسية وإلى ماذا توصلت هل حققت ما كانت ترمي إليه من الأهداف؟[2]

(١) خطة مارشال تبنتها السياسة الأمريكية، إبان نهاية الحرب العالمية الثانية، وتنسب إلى واضعها وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، وتقضي بدعم وتوفير الأموال للأحزاب والتنظيمات والمنظمات والشخصيات المحلية، في الدول الأخرى، من أجل تنفيذ السياسة الأمريكية وتحقيق مصالحها وأهدافها.

(٢) يؤكد الأستاذ الحكم دروزة، في كتابه المنشور في بيروت ١٩٦٨م، وكان بعنوان (الشيوعية المحلية ومعركة العرب القوميّة) بما لا يدع مجالا للشك، أن جميع الأحزاب والتنظيمات الشيوعية المحلية في الأقطار العربية، بما فيها المنظمات الشيوعية الفلسطينية كانت جميع قياداتها تستفيد من خطة مارشال الأمريكية، وأكد كذلك أن مؤسسيها جميعاً كانوا من الشعوبيين من الأقليات غير العربية أو من الأقليات والنحل الطائفية غير الحنيفية، وفي كلتا الحالتين، فإنهم كانوا من الخارجين، بل ومن الآبقين عن قوام العروبة العظيم، كانت الشيوعية تضمر للعروبة وللعرب حقداً أسود وغِلا ومقتاً شديدين مرد ذلك كله للتعبئة التي عبئت بها تلك الأقليات الشعوبية سواءٌ فيها تلك التي كانت ذات أصول واردة، غير عربية أو تلك النحل والطوائف الخارجة أو التي خرجت تاريخياً في حركات انفصالية عن سياق الدين الرباني العربي الحنيف وتقوقعت وتحولت إلى شراذم والتي أبت على الرغم من مرور الزمن وبتشدد ليس له مبرر فإنها أبت الاندماج والالتحام مع الجسم العربي الكبير ونبتْ وأصرتْ على النزوع والتنازع والنزاع فانفصلت في حالة مرضِيّة خاطئة، وكانت تعمل دائما على الإضرار بالعرب والتآمر عليهم بل وعلى حربهم كلما حانت الفرصة وكلما فسح لهم المجال لذلك كانت الشعوبية بأشكالها المختلفة قد وجدت في الشيوعية فرصة تمكنهم من عرقلة الحياة العربية وتثبيط عزيمة الروح الوطنية التي لا بد أن تنموا لدى العرب المسلمين بما فيهم العرب الأكراد والعرب الأمازيغ وهم يدركون أنه بطبيعة الحال، وبمجرد قيام الكيان العربي العظيم، فإنه سينهي أمرهم وستحل أوضاعهم غير الطبيعية وسينفرط عقدهم، لأن من المؤكد أنه لا يصح إِلا الصحيح الوضع والحال نفسه، الأوهام نفسها أو الأمراض نفسها، أو الوباء نفسه، التجهيل نفسه كان ينطبق انطباقاً تاما على كل الجماعات والشخصيات الإسلامية وأتباعها المقلدين والجمهور التابع لها والمتأثر والمنساق لها ومعها عاطفياً دون تفكير، والتي عملت على الساحة العربية فقط على الساحة
=

وبالمثل تماما كانت الأحزاب الدينيّة العديدة وبأصنافٍ ومسميات مختلفة، كانوا جميعهم، فقط على الساحة العربية[1] يطرحون ويناقشون ويكتبون وينظّرون لفكرٍ إسلامي مشاعي وشراذميّ واهم يحطم ويلغي وينفي ويبدد أي شعور وطني عربي يمكن أن يتبدى لدى العرب أو يضيء لهم الطريق، وكانوا جميعاً متفقين على هذه النقطة، بل ولم يكونوا ليخلصوا الدين لله أبداً ونسوا أنّ الرسول ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» وكانوا دائما في مؤامرة مستمرة على العرب

والأرض العربية ولكن بأساليب وطرق مختلفة، كذلك كان الإسلاميون المحليون ورجال الدين والمدرسون الدينيون والوعاظ، الذين ربما كان أكثرهم أيضاً من أصولٍ عرقية شعوبية غير عربية أساسا، أو أنهم كانوا أصلا من شراذم ونحل طائفية غير موحّدة وغير حنيفة أي غير عربية صوفية أو سلفية أو تشيعيّة طوائفي، لذلك كانت العناصر الشعوبية بمختلف أنواعها، كانت دائما مناهضةً ومقاومة ومحاربةً لفكرة قيام كيان عربيٍّ قوي ومتألبة عليها؛ كانت العناصر الشعوبية الحاقدة أول المؤسسين للأحزاب والتنظيمات الشيوعية المحلية وأكثر الأعضاء فيها ونسبة كبيرة من المنتمين إليها وعامة جمهور وأتباع الشيوعية المحلية لاغرو في ذلك لكون العقيدة والأهداف الشيوعية أساساً كانت تنفي وتهدم الفكرة العربية الإسلامية! ولا ينفين هذه الحقيقة ما كان قد تعرض له الشيوعيون وبعض قادتهم في ذلك الزمان! من ظروف الاعتقال والتعذيب والنفي والتشريد، فلا شك في أن بعض الشوعيين في تلك الأيام وفي العديد من الدول العربية، ممن كانوا قد انساقوا في تيار الشيوعية يعتقدون أنه السبيل الوحيد للتغيير؛ كانوا ولا شك قد قدموا تضحيات وبذلوا الكثير من الجهود والنضال في حينه ولكن تلك الجهود وذلك النضال كان من نواحٍ أو من جوانب سياسية بحتة ونتيجة صداماتهم وتعارض مصالحهم وخططهم وأهدافهم كتنظيمات وكأحزاب مع مصالح السلطات والأحزاب الحاكمة؛ لقد كانوا يخوضون صراعاً على السلطة وكانت معركتهم مع السلطات في الأقطار العربية، معركة سياسية وليست معركة وطنية أبداً.

(١) لم يكن الإسلاميون المسيسون في البلاد الإسلامية غير العربية، ليطرحوا على المسلمين في بلادهم مشاعية الأوطان كأهدافٍ سياسية، بل كانوا يدركون ويؤكدون أن الإسلام الرباني لم يكن ليلغي أو لينفي حقيقة الأوطان ولا حقيقة انتماء المسلمين الواقعي لأوطانهم بل كان بعض المسيسين الإسلاميين، يقولون بمشاعية الإسلام السياسي على أنه هادم للكيانات الوطنية كانوا يقولون هذا الكلام ويؤكدون عليه فقط على الساحة العربية فالمسلم في إيران يقول لك نعم أنا أحب إيران أيضاً والمسلم في تركيا يقول لك نعم أنا احب تركيا بلادي أيضاً وكذلك يفعل الإندونيسي والماليزي والباكستاني، يقول لك أنا مسلم وأعتز بوطني وأحبه والحقيقة أنه لا يوجد مانع من كونك مسلمٌ لله تعالى ومحباً لوطنك الغالي وما المانع من وجود كيانات إسلامية طبيعية متعددة متعاونة متحابة متآخية، والسؤال المهم هنا هو هل هناك تعارض، أيّ تعارض، بين أن تكون مؤمناً مسلما لله تعالى، وبين أن تكون محباً لوطنك العربي؟.

ويعمّون على هدفهم الرئيسي هذا بحجج واهية وأسباب وفلسفات عقيمة ومختلقة لا ترقى إلى الحق وما أنزل الله بها من سلطان وبجهالة ليس لها نظير كانوا يصوّرون بها العروبة للعرب والمسلمين، على أنها الشر المستطير وأنها من عمل الشيطان كانوا بجهالة وتجهيل بالغْين يضربون ويحاربون وينكرون أي وعيٍّ وأي تنوير وأيّ يقظة حقيقية للروح الوطنية والشعور الوطني عند العرب، بدعوى أن الإسلام أو الطائفة عند أتباع الطائفة أنه يزيل ويلغي ويتجاوز المشاعر الوطنية وأن أول هذه الأوطان الذي سيزيله الإسلام هو الشعور الوطني العربي والروح الوطنية العربية قال تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾الحج.

وقالوا إن الإسلام لا يوجد فيه على سطح الكرة الأرضية إلا دارين فقط، دار سلامٍ ودار حرب وبالتالي فالكرة الأرضية قاطبة معدّة لتكون دولتين فقط، الأولى دولة للسلام في ظل خليفة واحد للمسلمين وهي دولة وموئلٌ لكافة المسلمين في كافة أقطار الأرض والثانية دولة للحرب وهي دولة لغير المسلمين وبالتالي في رأيهم أنّ الإسلام لا يعترف بالأوطان وبالطبع فإنّ أول وطن سيلغيه المتطرفون الإسلاميون الشعوبيون هو وطن العرب وأنّ أول كيان سيهدّمونه هو كيان العرب إنهم سيبدؤون بالعرب ونحن لا ندري من أين جلبوا هذه النظرية الغريبة وغير الصحيحة غير المنطقية والمتناقضة أساساً مع روح الدين السماوي الحنيف، كيف ذلك والرسول ﷺ قال: «**حب الوطن من الإيمان**» ألم يقل ﷺ : «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**» ألا يفهم من هذا الحديث الشريف أنّ الرسول ﷺ كان يحرص على الأوطان ويؤكد للمسلمين على صيانتها وسيادتها وإلا فلماذا سمى لنا الرسول الكريم ﷺ (جزيرة العرب) بالتحديد وكانت تعني تحديداً كل أرضٍ يسكنها عرب أو كل أرضٍ وصل إليها لسان العرب.

فكيف يدْعون العرب إلى التخلي عن الشعور الوطني، في حين أنّ الشعور الوطني شعور طبيعي موجود لدى جميع الناس، كيف يسلب هذا الشعور من العرب المسلمين، ويؤكد عليه لدى كافة الناس في الأرض، لكن ذلك مرهون بقيام كل عربي أن يربي بداخله العروبة وأن ينميها بل يجب على كل عربي أن يبحث عنها بذاته، أن يستخرجها من أعماقه شجرةً وارفةً مثمرة معطاء فقط يلزمها العناية والرعاية وأن يقوم بالعناية والرعاية على كل منا أن يرعى شجرة العروبة النابعة من أعماقه، فهل كان للسياسيين الإسلاميين المحليين وللسياسيين الشيوعيين المحليين في البلاد العربية أهداف استراتيجية مشتركة كانت تهدف إلى عرقلة تحقيق الغائية العروبية الربانية المنشودة، هل كانوا يعملون على مجابهتها والوقوف في وجهها والعداوة عليها ونفيها وإنكارها ولكن بطرق وبأساليب مختلفة؟

فإذا كان العربي من علاماته المروءة والشرف، وإذا كان مفهوم العرض والشرف قريناً وملازما لمفهوم عرب والعروبة، فكيف ينسجم هذا الكلام مع ما ورد في بعض الأحاديث (التي ليست بأحاديث) والتي بات يتشدق بها الجهلة من الناس من على المنابر ومن العوام السوقية؛ وهم لا يدرون أن تلك الأحاديث إنما هي افتراءٌ مجوسيٌّ فارسي دسوه وافتروه وفرضوه في مرحلة الضعف العربي عندما انْقضّتْ تلك الشرازم على العرب وفتكت فتكتها.[1]

---

(١) الداعية الدكتور الشيخ راتب النابلسي كان قد أكد في محاضراته على احترام أمة العرب على أنهم(العرب) مادة الإسلام الأولى، وقد أشار إلى حديث النبي ﷺ إلى سلمان الفارسي عندما قال له: «**يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني**»

وقال الدكتور راتب النابلسي : فهل يحق لنا أن نصف هذه الأمة بالمتخلفة وقد عثرت في آخر =

خصوصاً إبان الانقلاب العباسي الشعوبي وما تبعه من تسلط أعجمي هدّام من البويهيين إلى الفاطميين إلى القرامطة إلى العثمانيين الصوفيين كل تلك العصور كانت مضمار للتقلب الشعوبي ومسرحاً لمؤامراتهم، الذين قاموا وطوال تلك الأزمنة بالدس والافتراء والتزوير على المسلمين العرب، سواءٌ أكان ذلك في التاريخ أو في التفسير والحديث، ففي جميع تلك المجالات عند الصوفيّة والسلفيّة والشيعة، كانت الشعوبية بالتعاون مع اليهود لا تألو جهداً في الإساءة للعرب والحط من شأنهم العرب كمفهوم تاريخي حامل لرسالة الإسلام.

العرب يقرون ببلاهة الوثاق التاريخية والآثارية المزورة التي أبرزها أعداؤهم من اليهود والشعوبية والتي نجحوا في إدخالها إلى التراث الإسلامي ذاته؛ وصار المسلمون في أنحاء العالم ينظرون إليها كمسلمات، يكتبونها في كتبهم

الزمان؟ إن ما تحمله هذه الأمة من بقية دين وخير ومثل وأخلاق أفضل بكثير من العيش الرغيد في بلاد الغرب.

لكن الدكتور راتب النابلسي يعود في بعض المواضع (مثله مثل كل الدعاة والوعاظ المسلمين إذا أرادوا شرح آية (وإذا الموؤدة وئدت) فإنه سرعان ما يذكر أن العرب كانت تئد البنات، يلصق قضية الوءد بالعرب وحدهم، مع أنّ الفهم العربي للآية الكريمة في سياقها ضمن السورة لا يعني وئد البنات كما يزعمون وليس في النص ذكرٌ للبنات! ومع ذلك بالنسبة لهم فإنّ هذه الآية والقرآن الكريم نزل للعرب وحدهم خاصة الآيات التي فيها تصوير أو ذكرٌ للأوضاع السالبة عن البشر وأن هذه الآيات كانت خاصة بالعرب دون الشعوب الأخرى! وإذا أرادوا الحديث عن تحريم الخمر قالوا: إن العرب كانت تشرب الخمر، بما يوحي بأن شرب الخمر كان اختصاص عربي! وإذا أرادوا الحديث عن السرقة قالوا بأن العرب كانت إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الفقير قطعوه؛ وكأن السرقة كانت اختصاص عربي! وأن باقي الشعوب الرومان واليونان والفرس والهند والسند والحبشة وغيرها كانت أمم وشعوباً لا يعنيها القرآن وأن القرآن لم يقصدها ولم يذكرها، فهل هذا صحيح؟ والسؤال موجه وهو مستمر إلى السادة الدعاة العرب المسلمين فقط؟

ويرددها الدعاة في دروسهم وفي محاضراتهم على الأثير والفضائيّات وعلى منابرهم قي خطبة الجمعة.

كذلك اقر العرب المسلمون بدايةً، وببلاهة شديدة أيضاً، في عصر الانحطاط العربي (الذي بدأ مع العصر العباسي) كانوا قد أقروا أول مرة لأعدائهم الشعوبيين واليهود، ما سبق وادعاه أو ما سبق وافتراه هؤلاء الأعداء من الأكاذيب، سواءً من الأحاديث النبوية أو من التفاسير الغريبة أو الحكايات التي تم فيها أو ادخلوا من خلالها بدايةً الإساءة للعرب وجودياً دينياً وتاريخياً، وتم فيها تخريب حياة المسلمين العرب عمداً على الآماد، ثم بعد أن اعترف العرب النائمون في الماضي والحاضر بتلك الأكاذيب وأقروها على أنفسهم ببلاهة منقطعة النظير، تحت منطلق الموضوعيّة ونكران الذّات، ومراعاة الأخوة في الدين.

إنّ تباطؤ العرب وعدم اكتراثهم في الماضي وتهاونهم في تعاملهم مع هذه القضية الأساسية وعدم اتباعهم السياسة الصحيحة والملائمة حيال الوافدين إلى البلاد العربية أفراداً وجماعات، بكافة أشكالهم وأنماطهم وثقافاتهم وعقائدهم قد أورث الواقع العربي والمستقبل العربي، مشكلات جساما استفحلت واتسعت وأصبحت دولية! واكتسبت صفة الديمومة وصار لا قبل للحكومات العربية الحالية على حلها أو التغلب عليها، كان هذا عن طريق الفهم الخاطئ[1] لما يقتضيه

(١) لقد توقف الأعاجم في فهمهم للقرآن الكريم عند آلية الكلمة وتعاملوا معها من حيث الشكل فقط؛ فقعّدوا لها القواعد وسنوا لها القوانين، ثمّ عملوا فيها بعد على إخضاع القرآن ذاته إلى القواعد التي وضعوها بأيديهم والقوانين التي سبق وأن سنّوها بأنفسهم!
لذلك لم يستطيعوا سبْر أعماق القرآن العظيم، ولا الولوج إلى مضامينه السماوية العربية الأصيلة، لأن القرآن الكريم أساساً فهمه وإدراك معانيه يحتاج إلى كافة المشاعر التي ترتبط بالقلب والمهج وكافة الأحاسيس والمدركات الحسية، وليس بالتعامل الآلي ولا بالقواعد الموضوعة من قبل
=

الإيمان الحقيق من تراحمٍ بين المؤمنين وانصهارٍ تامٍ للجميع، جميع الناس من حيث القيمة الإنسانية في بوتقة أنّ ﴿ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ و﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ وأن لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى[1] وبالتأكيد فإن هذه المفاهيم هي المفاهيم الإسلامية الربانية الرائعة التي أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بتطبيقها والعمل على أساسها، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بالفهم العربي لآياته الكريمة، الفهم الصحيح وليس الفهم الأعجمي الشعوبي الهادم والمتناقض مع جوهر الدعوة الخالصة لله، الفهم الذي أعوجه العجم وابرموه لمصلحة دنيا خرقاً لطبيعة الدين الحنيف التي كانت ربانية فكبكبوها مع خلطات من المعتقدات المجوسية بما فيها من أحقاد على العروبة والعرب وأعادوا تصديرها إلى المسلمين العرب النائمين والمبعدين، وكذلك كان الخطاب الديني المعاصر! إنّ ما سميّ بالخطاب الديني المعاصر والخطب المنبرية باتت في هذه الأيام تخرج من الأفواه الجاهلة أو الشعوبية

البشر يفهم القرآن العظيم، إن القرآن العربي المبين العظيم يفهم بالجوارح والأحاسيس كلها، فالعرب وحدهم يفهمون القرآن العظيم بكل جوارحهم وبجماع جميع أحاسيسهم في حين بقي الأعاجم في مستوى الفهم الآلي المؤلل للكلمة، على السطح من حديث للكاتب والأستاذ عبد اللطيف ذياب في مكتبي بدمشق وهو من دير الزور، أول الشهر الرابع من عام ٢٠٠٨م فله مني جزيل الشكر

(١) هذا الحديث الشريف وهو صحيحٌ، والرسول ﷺ قد أوتي مجامع الكلم، ولكنه يؤكد أو هو تأكيدٌ على أنّ التقوى هي الفرق الأساسي بين العربي والأعجمي؛ فبالتقوى تصبح عربياً وتتميز، وإلا فأنت أعجمي حتى لو كنت من قريش، لأنّ العجمة معناها الحالة البهيميّة المظلمة غير المبينة والعروبة هي حالة الفاعلية والعلم والتذكر والإبانة والوضوح وهي الربانية وهي حالة التعقل والتفكر والتيقن والإيمان، لذلك قال ﷺ: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**» الدارمي، لأنه إذا انعدمت التقوى عند الناس فسيستوي وقتها الإنسان بالبهيمة بل سيكون عندها أضل سبيلا، إنّ هذا الحديث تأسيسٌ على قوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر.

غير العربية ممجوجاً مكرورةً متقيأة خالية من أية فائدة ولا ترمي إلى أي نتيجة! اللهمّ إلا تقليداً متبعاً.

الخطاب الديني المعاصر في البلاد العربية بات يشكل وقراً ثقيلا يتلبد على الأسماع وبالتالي ثقيلا ثقيلا على الروح العربية وحياة المسلمين، فكيف أصبح الخطاب الديني والخطب المنبرية عموما سبباً أساسياً في تخلف المجتمع العربي الإسلامي، مع أنه كان سبب انتصار العرب المسلمين في ما مضى فما هي أهمية الخطاب الديني أو الخطب المنبرية وما معنى الخطاب الديني أو ما المقصود من الخطاب الديني المعاصر وكيف جيره الأعداء أعداء العروبة والإسلام وسلكوه ليكونوا من خلاله جرثومة معطلة لأي حركة منتجة أو حيوية أو نشاط أو جدوى فما هي أهمية الخطاب الديني أو الخطب المنبرية وما هو دورها وكيف استغل الشعوبيون الخطاب الديني وجيروه لمسألتهم الدنيوية الآنية وجعلوه مكملا للمرامي السياسية وتابعاً لها، تلاوة القرآن الكريم تحولت إلى عادة وتقليد، التجويد الأطفال كيف يقرؤون القرآن، لكنّ المسلمين العرب الطيبون أدخلوها إلى كتبهم المفاهيم الإنحطاطية وعلموها لأطفالهم وصدروها لأعدائهم حقائق ووقائع وهم معترفون بها والاعتراف سيِّد الأدلة، ثم يأتي بعد كل هذا التورط من العرب المسلمين في مسألة الإقرار للخصم بوثائقه المزورة وثبوتّياته المتكلفة المفتعلة يأتي دور الباحثين المتطفلين من أنصاف الأميين، كتّاب من جميع الأشكال ووعّاظ وخطباء[1] من مختلف المستويات (يا ريّان) في هذا العصر لتصحيح تلك الأحاديث

(١) الناس البسطاء يعتقدون أن الخطيب في المسجد مقدس وأن حديثه مقدس؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، والحقيقة غير ذلك إذ لم يعد يوجد في الإسلام أو في حياة المسلمين شيء مقدس غير القرآن الكريم.

ولكنني لا أستطيع في هذا الموضع إلا أن أشير إلى ذلك الخطيب المفوه؛ خطيب مسجد الرضا القريب من منزلنا بدمشق بصوته الجهوري الأستاذ (أبو شعر) الذي أتحفنا ولمدة ستة خطب =

أو تلك الروايات، التي كانت أساساً مفتريات، يأتي دورهم الآن، دور إقرارهم، دور غبائهم الشديد! فيزيدون الطين بلة عن طريق جهلهم بما كان يجب عليهم فعله لو كانوا يعقلون، لو كانوا يتفكرون لو كانوا يوقنون. أو لو كانوا أصحاب قضيّة، أو كان لديهم مبادئ وقيم سامية عليا سامية أو كان لديهم إدراك للمصالح الغليا للأمة لأدركوا الأمر الجلل وهو أمّ عليهم أساساً رفض ادعاءات الخصم، كل ادعاءات الخصم مهما بلغت أقواله من الحنكة والحبكة والحذق، كان يجب عليهم رفض مقولته بأكملها، بأكملها، فلا يجوز قبول دفوع الخصم التاريخية أو الجغرافية أبدا؛ أو الإقرار بها ولا بأيِّ حالٍ من الأحوال، مهما حصل؛ كان يجب عليهم توخي الحيطة والحذر الشديد، لأنّ القضية تتعلق بالمصلحة العليا للعرب المسلمين وليس من حق أحد التفريط نحق العرب المسلمين، فهل أقدم اليهود على اختراع

متوالية في ستة جمعٍ وهو يحدثنا بإصرار وتأكيد منه ليس له مثيل عن حديث الإفك! فمع أن المسجد كان فيه أكثر من خمسة آلاف من المصلين وأكثرهم من الشباب والأطفال والنساء، كان هذا الخطيب في حديثه الشّيّق يربط ويعيد ويكرر على مسامع المسلمين دون كللٍ منه أو ملل، بين الخيانة وبين السيدة عائشة أم المؤمنين t على أساس أنه يروي ليفند ما رواه الأعداء؛ ويذكِّر الناس البسطاء ويقرب لهم ما كان غائباً عنهم بعيداً عن أذهانهم وذاكراتهم، قصةً وحديثاً ليخوضوا فيه، كان يورد الأحاديث الكثيرة والافتراءات، يرددها على مسامع أطفال وشباب المسلمين العرب ويعيد ويكرر عليهم ليفهموا ما كانوا يجهلونه، لقد عرّفهم بما كانوا يجهلونه عن أمهم أم المؤمنين t، ثم أنه كان يحاول بأسلوب بدائي سطحي بسيط فاشل تفنيد تلك الادعاءات، وعملياً فأنّ هذا الشيخ العتيد؛ دون أن يدري كان يشهِّر بزوجة رسول الله ﷺ، وعملياً فأنا أظنّ أنه لم يكن ليقبل أن يكون هكذا حديث الذي حدّث به على المنبر، لم يكن ليقبل أن يكون عن أمِّه أو زوجته هو، وقد نسيّ وهو في غمرة خطبِهِ الست العصماء نسيّ أنّ الرسول الأعظم ﷺ كان قد قال لنا أميتوا الباطل بعدم ذكره! ونسيّ أيضاً أن القرآن الكريم أساساً لم يربط ولم يذكر السيدة عائشة أبداً لا في الآية التي تحدثنا عن الإفك ولا في غيرها من الآيات أبداً أبداً، فما الذي دعاه إلى أن يتبرع من نفسه ليربط بين آية الإفك التي في القرآن الكريم وبين السيدة عائشة أم المؤمنين t وليروي لنا على المنبر قصة كانت مختلقة وملفقة ومزورة أساساً، ثم لينتقدها نقداً سطحياً بدائياً ولكن حقاً فإنّ الجاهل عدو نفسه.

الوثائق وعلم نقد الوثائق، لانتزاع الإقرار من ولاة العرب المسلمين المرغمين على الاعتراف في مشهدٍ حزين، وعلى مرأى من العالم؟

إنّ قضيّة المواجهة بين العرب المسلمين واليهود أساساً لايحسمها قرارٌ من الأمم المتحدة ولاينهيها اعتراف دول العالم كل دول العالم بدولة لليهود على بطاح فلسطين العربية، أو ما يسمى بعلم الآثار ولاتحسمها الوثاق التاريخية المزورة ولاتؤكدها أو تنفيها المسكوكات ولا الرنوك ولا الصنج ولا اللقا ولا الأختام ولا الأيقونات ولا اللفائف ولا الرقم ولا قطع الفخار ولا التماثيل، إنها ليست المصادر الأساسية للتاريخ العربي الفعلي العريق والعظيم، فهذه الأشياء التي يتبناها أعداء العرب ووظفوها لمصلحتهم بأساليبهم فهي هذه الأمور لا يمكن أن تزيل العرب المسلمين من الوجود إلا إذا غاب العرب عن المواجهة وغيبوا شاهدهم الأساسي والوثيقة الأساسية الذي يجب عليهم التمسك بها وهي القرآن كتاب الله سبحانه وتعالى الناصر والمؤيد للحق العربي فكيف يعمدون إلى تجهيل العرب المسلمين وتزيلهم وتضليلهم وإبعادهم عن شاهدهم الأساسي، إذ كيف تترك لخصمك الرافض لوجودك أساسا! والذي ينفيك وينفي حقك وحق أولادك وأخوتك وأهلك ومواطنيك؛ في الوجود والحياة، كيف تترك له أن يصمم لك ويرغمك على قبول وثائقه المزورة ويجبرك على فهم الدين والتاريخ[1] والجغرافيا

(١) فمفهوم علم التاريخ عند العرب ليس مجرد لفظة ولها معنى! كما يرى الذين شككوا بأصل التاريخ على أنه عربي، والذي كان يفضل أن يرجعه إلى كونه عبري أو يوناني والواقع فإن مفهوم التاريخ لم يكن وهو ليس محصوراً في النشأة والميلاد والتطور عبر الزمن كما يزعم الزاعمون، حتى قال قائلهم عند تعريفه لمفهوم التاريخ بأنه إنما يعني حساب الشهور والأعوام وهذا خطأ واضح، والطامة الكبرى في هذا العصر (عصر الصراع الوجودي بين اليهود والصليبية المهودة من جهة، والعرب المسلمين من جهة ثانية) أن يأتي شخص عربي في هذا الزمن ويدعي بأنه مؤرخ ويكتب كتاب عن (المدخل إلى علم التاريخ) ويتشدق على أنه أساساً مؤرخ وهو على ما يبدو ممن تعلم وتثقف على أيدي اليهود! يعود ليتقيأ أمام العرب المسلمين وفي ثقافتهم،
=

تصميما مزوراً مفتعلا باطلا يقضي في النتيجة بزوالك وزوال ذكرك ومحوِّ وجودك كعربي مسلم؟ والواقع فإن الروايات العديدة للسيرة النبوية المعظمة في جميع المصادر المتوفرة وكلها ترجع إلى رواية أبن إسحاق لأن ابن إسحاق كان أول من جمع السيرة النبوية ورواها وكان شعوبياً حاقداً كارهاً للعرب، لذلك فإن رواياته تحتاج إلى مراجعة وإلى إعادة تدقيق ومقابلتها مع صريح القرآن الكريم وبالصحيح من الحديث والمأثور من الأقوال والأنساب والمشهور من سنن الأوائل وحكمة الحكماء لإزالة المتناقضات غير المنطقية عند جمعها للأضداد من الصفات والمواقف للكثير من عظماء الشخصيات العربية التي كان الله سبحانه وتعالى قد هيأها وأعدها لقبول رسالته فلم تكن ولم تجري الأمور ولا التحولات صدفة من غير ميعاد قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ** ﴾ الأنعام، بل إن العصر الأول للإسلام، فيه تلاقت السماء مع الأرض في زمان محدد ومكان محدد فكانت الشخصيات في صدر الإسلام جميعها كانت مرسومةً منذ الأزل لتكون معدناً ومادة حاملة للإسلام وأمثلة تحتذى وشهداء.

لاغرو أن يأتي في نهاية القرن العشرين شخصٌ واحد من أصحاب الأموال التي لاتعد، وبمشاريعه السياحية والإعلامية التي لاتحصى، كان هذا الشخص بمؤسساته وحده، كافياً وخلال فترة قياسية ليقوم بسحق وتدمير وإبادة ومحو كل منجزات وآثار تلك الأحزاب الشيوعية والأحزاب الإسلامية معاً ودفعة واحدة

ما سبق وابتلعه من خلطات وأفكار معادية للعرب المسلمين، على أساس أنه شخص عربي فيدعي على العرب المسلمين نفس إدعاء اليهود، ويقف من العرب المسلمين نفس موقف اليهود ويشهد ضد العرب المسلمين نفس شهادة اليهود ثم يدعي الموضوعية والحياد وهذا المنحى أو هذا الخطاب صار شائعاً وقد انتقل بالعدوى والتقليد الببغائي للأسف انتقل إلى أكثر المؤرخين بله عامة المثقفين العرب المسلمين؛ الذين باتوا بلا أدنى وعي ببلاهة يخدمون أعداء الله وأعداء المسلمين العرب.

بالإضافة إلى الأحزاب القومية العلمانية وشلهِّا جميعاً وإبطال مفعولها جميعاً وعلى حدٍ سواء، تلك المنظمات الثورية بأهدفها المعلنة الآن وبفضل تلك الجهود المبذولة إلى منظمات شبابية ذوات خطابات جنسوية مستأنسة وتتحدث بلغات محلية وصارت هباءً منثوراً وأثراً بعد عين الخطابات التي كانت تتحدث عن النضال والاستشهاد في سبيل تحقيق التحرير والتحرر العربي كان هذا أكبر دليلٍ على أن تلك الأحزاب العربية وتلك التنظيمات العربية وتلك الحركات العربية وتلك الشخصيات العربية التي ناضلت وصالت وجالت طوال القرن العشرين على الساحة العربية وشغلت الحياة العربية الإسلامية بكل أشكال الإشغالات!

إنّ كل ما قامت به وما فعلته، للأسف كان جعجعة بلا طحن وبلا جدوى وهي جميعها بكل مسمياتها لم تخلِّف وراءها إلا الخيبة والفشل والهزيمة للعرب المسلمين على كل صعيد، فهل كانت تلك الأحزاب المحلية العربية وتلك التنظيمات المحلية العربية وتلك الحركات المحلية العربية التي استهلكت الحياة العربية وبددتها وضيعتها خلال القرن المنصرم، بقياداتها الشعوبية هل كانت نموراً من ورق فعلاً؟ أم أنها كانت ولاتزال عبارة عن دمى ومتاهات كبيرة وصغيرة تشغل العقل العربي والوجدان العربي وقد أدّت تلك المتاهات والمسارات الخاطئة في هذه المرحلة، إلى نشوء طفيليات واهمة أبعد ما تكون عن الموضوعيّة مدعية أحقية التشرذم والانفصال.

النزعة (الأوتماتيكية) وردة الفعل العشوائية

لا شك أنه من المؤسف جداً أن تشكك بعض القوى العربية بوطنية الأقليات وإخلاصها الوطني كلما تحدثت هذه الأقليات عن خصوصيتها الثقافية والتاريخية وطرحت مسألة حقوقها الثقافية، والنظر إلى رغبة الأقليات في الاندماج في الدولة الوطنية السورية أو العراقية أو اللبنانية أو المصرية..، وليس في دولة القومية العربية! على أنه مشروع ضد الأمة العربية وأنه نقيض للحلم الرومنسي العربي المتمثل في إقامة دولة عربية واحدة وهناك بين القوميين العرب من يحمِّل مسؤولية إخفاق المشروع القومي العربي إلى الأقليات، يقول د. محمد مورو في مقالٍ له: (تعد مشكلة الأقليات التي ظهرت مؤخرًا في العالم الإسلامي مشكلة مستحدثة أو مفتعلة، أو بها قدر هائل من التحريض الأجنبي، وهي في الحقيقة لم تظهر إلا في إطار الصراع مع الغرب، وتحديدًا بعد مرحلة الاحتلال والنفوذ الأجنبي ومن المعروف أن النظرة إلى القضايا الاجتماعية عمومًا، والأقليات خصوصًا تختلف على حسب اختلاف المنظور العلمي المستخدم في دراستها، وبديهي أن علم الاجتماع السياسي وغيره من العلوم الإنسانية تختلف من سياق حضاري إلى آخر؛ فعلم الاجتماع مرتبط بالسياق الحضاري الذي أفرزه، وأفرز من ثمّ المشكلات التي يتناولها الغرب.

والخلل هنا أن البعض يستخدم مفاهيم ومناهج علم الاجتماع السياسي الغربي باعتباره هو العلم المطلق، وهذا خطأ منهجي لاشك فيه؛ لأن استخدام مناهج هذا العلم ومصطلحاته في دراسة الحالة الإسلامية وهي حالة مختلفة كما ونوعًا عن الحالة والسياق والظروف التي ظهرت في الغرب يؤدي إلى أخطاء فادحة، نحن هنا لا نفضل علم الاجتماع السياسي الإسلامي مثلا على علم الاجتماع السياسي الغربي وهو أفضل منه طبعًا بالنظر إلى مرجعية الربانية، ولكن

نقول فقط إنه غير صالح من الناحية العلمية لدراسة ظاهرة نشأت في ظرف حضاري مختلف ومن البديهي أن دراسة الظواهر التي تنشأ في مجتمع إسلامي تقتضي استخدام أدوات ومناهج ومصطلحات علم الاجتماع السياسي وإلا افتقدنا أول شروط العلمية والموضوعية.

في موضوعنا هذا "الأقليات" وهي إما أقليات عرقية أو دينية أو مذهبية أو لغوية، فإن المنظور الإسلامي الديني والحضاري يختلف عن غيره من المناظير خاصة الغربية منها؛ فالإسلام مثلا لايفرق بين المسلمين على أساس اللون والعرق واللغة، وبالنسبة للتجمعات الدينية غير الإسلامية استخدمت الشريعة الإسلامية لفظ "أهل الذمة"، وهو يختلف اختلافًا بينًا في الأحكام والدلالات الأخلاقية والحقوق عن لفظ الأقليات، كما استخدمت الشريعة لفظ الفرق الضالة أو أهل البدع لوصف فرق دينية، مثل الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم.

فالاختلاف بين الناس في اللون والفوارق والأجناس والأعراق واللغات بل وفي المفاهيم والتصورات هي حقيقة لايمكن القفز فوقها، ولكن استخدام هذا الاختلاف في تأسيس مفاهيم الصراع والتطاحن هو المشكلة، فالإسلام يدعو إلى التعارف قال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾** ﴾ الحجرات، وكان هذا التنوع مصدر ثراء في المجتمعات التي تقوم على العدل، وفي المجتمع الإسلامي ذاته كانت مصدر ثراء كبير طالما كان هناك التزام بالشريعة الإسلامية الغراء التي تحقق الإنصاف، وإذا حدث انحراف عن الشريعة الإسلامية وكان هناك نوع من الظلم والتهميش فإن ذلك يقع على المجتمع كله وليس على الأقليات فقط.

ومع سقوط الخلافة الإسلامية وتشوشر أفكار النخبة، فإن مشكلة الأقليات برزت إلى السطح، ليس كحقيقة موضوعية موجودة في المجتمع، ولكن كطريقة لتحقيق طموحات سياسية أو استخدام خارجي أو غيره من الأسباب بل نكاد نقول إن المجتمع الإسلامي هو الذي صك في تجربته التاريخية والحضارية أفضل نوع من التعاون والثراء عن طريق التنوع فالأسود والأبيض والأحمر، العربي والتركي والإفريقي بل وغير المسلمين أيضًا ساهموا وسمح لهم أن يساهموا في البناء الحضاري الإسلامي، وكانوا جزءً من الثقافة والحضارة الإسلامية سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين ويمكننا أن ننظر بتأمل إلى وجود أقليات غير مسلمة في المجتمع الإسلامي أقليات نصرانية ويهودية وغيرهما وبكثافة لا بأس بها، في وقت كانت الدول والإمبراطوريات تجبر رعاياها على اعتناق الدين والمذهب الرسمي للدولة بل كان جزء من الواجب الشرعي للأمة الإسلامية هو حماية حقوق الاختيار ومنع الإكراه على الدين في أي مكان في العالم وهذه إحدى أسباب ومسوغات الجهاد في سبيل الله.

إنّ تكوين الأحزاب العربيّة على امتداد الأرض العربية في القرن العشرين كان مخالفاً تماما لتكوين الأمة العربية العام، فبينما كان يجب أن يعمل الجميع، في البلاد العربية، على نيل ومنح الحقوق كاملة لكافة المواطنين الذين يعيشون على الأرض العربية واعتبارهم كلهم عرباً الذين يخلصون للوطن العربي والمنفصلون عن كل تكتل عنصري ضد العروبة.

إن الأنظمة العربية والأحزاب العربية على مر الزمن عملت على حذف المجتمع المدني من الحياة العربية، وصادرت حريّة الكلام والبحث والتفكير وأصبحت المشكلات الانفصالية طوال عهود محظوراً على العرب فهْمها ما أدى إلى استفحال خطر الأصوليين من الشعوبيين واتساع حجمهم وكثرة أتباعهم، ففي جو الديمقراطيّة يصبح الأصوليون من الشعوبيين صوتاً بين الأصوات المتعددة أما في

أجواء الاستبداد فإنّ الناس يرجعون إلى الاحتياط التنظيمي في الفقه الديني المزاجي المتناقض والتاريخ البعيد (الميثولوجيا) وما سميّ بعلم الآثار يستخدمونها كمظاهر احتجاج حين تكون المعارضة غير ممكنة قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾** ﴾ القصص، في حين كان من المفروض أن يكون الشعب العربي وكمصلحة عليا في الدولة هو مصدر كل سلطة وصاحب كل سيادة وعنه فقط تنبثق الإرادة وإنّ احترام التشريعات والقوانين في الأرض العربية ناجمٌ عن مدى الحريات التي تمنحها هذه القوانين وهذه التشريعات من الحرية للإنسان العربي[1] الذي أخلص الانتماء للأمة العربية (لكل من عاش على الأرض العربية بما فيهم الأخوة الأكراد والأخوة الأمازيغ) وعن مدى توافق هذه القوانين وهذه التشريعات للمصلحة العربية العليا وبالتالي لما تفسحه هذه الحريات الفردية الخاصة المتوافقة مع المصلحة الوطنية العليا للعرب بغض النظر عن الإقليم أو العشيرة أو الفئة أو الطائفة والدولة العربية الكيان يجب أن تعمل فكرياً وثقافياً على تحليل الطوائف وفك فتيلها من أنفس الأفراد والجماعات العربية بكل اتجاهاتها وأطيافها لصالح الكيان العربي العظيم الأمر الذي سينعكس على الفرد العربي (لكل عربي) بالنتيجة سيادةً وحصانةً وسؤدداً ورفعةً وحقوقاً غير محدودة، لآن الحالة الطائفية حالة مرضِيّة سالبة[2] ولايوجد ولا ينبغي أن يكون للعربي أي انتماء

---

(١) إنّ إعطاء الحريات الدستورية لكافة الأفراد والجماعات في مجتمع ما، لا يبرر قيام البعض من الأفراد والفئات من هذا المجتمع بمحاولة إقامة المشاريع الانفصالية؛ أو قيامهم بعقد الندوات أو المؤتمرات والدعوات تمهيداً للقول بالانفصال متذرعين بما يعطيه الدستور من الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والواجبات العامة، أو مستشهدين بما قاله غاندي: لاأريد لداري أن تحيط به الأسوار من كل جوانبه وأن تسد نوافذه أريد ثقافة البلاد كلها أن تهب على داري بحرية تامة، لكني أرفض أن تقلعني إحداها من الأرض

(٢) إن التطور الجنيني للأقليات المتواجدة على الأرض العربية والتي باتت تعد نفسها غير منتميّة =

بتمامها وكمالها للعرب أو بالأحرى لمشروع الدولة العربية الواحدة بسبب عدم وجود السلطة المركزية العربية وغيابها لقرون عديدة باعتبار أن هذا المشروع (التوحد العربي) هو تجسيد سياسي لابدّ منه لتحيق نواة الوجود الإسلامي العربي العالمي العام، الأقليات في الوطن العربي التي ترى أنها خارجةً عنه والتي ترفض بطبيعة الحال انتمائها إلى الدول القطريّة والإقليمية العربية. لذلك يجب على العرب أولا العمل على استكشاف أو محاولة تلمس الأسباب الموضوعيّة التاريخيّة التي أدت إلى بروز وتفاقم بروز مشكلات الأقليات في إطار الإقليم الجغرافي البشري الذي تعرب جميع سكانه وقاطنيه من مسلمين وغيرهم بينما تأبّت تلك الأقليات عن الاندماج في البوتقة العربية وذلك بفضل هذا القانون (غياب السيادة العربية) إنّ هذا القانون (غياب السيادة العربية) يطل مجدداً فمع تسليمنا بأنّ هده الأقليات مصطنعةً ومصنوعةً حاول الاستعمار وعبر سنوات إقامتها في قلب الوطن العربي ثمّ لأتى بها شوكاً على طريق التوحد العربي وعنصر تهديدٍ للجماعة العربية الإسلامية وسبيلا للمساومةِ والابتزاز ذلك أنّ هذا العامل الاستعماري الخارجي مع أهميته وقوته لم يكن ليعمل في الفراغ أو يرتكن على الهواء، فلولا تلك الثغرات التي أوجدتها السلطة المركزية أو غيابها مجسدةً في الخلافة العثمانيّة لما أمكن للاستعمار الأوربي أن يتدخل لصياغة وتنمية واقع الأقليات أو أن ينجح في اقتسام واستعمار تركة الرجل المريض الذي سعى من (الأستانة) لتحمل مسؤوليات تاريخية أكبر بكثير من طاقته وقدرته الحقيقية، كان ينزّ بحملها نظامه الإداري وفلسفته للحكم وقوته العسكرية، لا تعدو الإمارة العثمانيّة، السلطة والخلافة بعد ذلك، إلا أن تكون استطراداً لتلك الدويلات المستقلة التي اقتاتت من واقع الوهن والتشرذم الذي وسم تاريخ مجمل دار الإسلام منذ أصبح خلفاء بنو العباس آداة بأيدي وزراء الفرس ومن ورائهم قوّاد الترك، وكلما اقتسمت هذه الدويلات السلطة الزمنية لخليفة بغداد، نازعته، أي للخليفة سلطته الدينية والزمنيّة معاً، كذلك كانت خلافة الفاطميين في افريقية ومصر والشام وشبه الجزيرة العربية وصقليّة وكذلك كانت الخلافة الأموية قي الأندلس فضلا عن فرق التشيّع والخوارج التي نجح بعضها في تاسيس دويلات مستقلة في بعض المناطق، وقد أفادت كل تلك الحركات من سخط العرب والذين استعربوا على السياسة الفارسيّة للخلافة العباسية، ولقد كانت الدولة التركيّة العثمانية ذات حسبٍ ونسب لفسيفساء الدويلات الإقليميّة والمدينيّة التي ملأت فضاء بلاد المسلمين عجيجاً بلا طحين منذ منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، خاصة في الأقاليم الشرقيّة بعدما تحلل النظام الإقطاعي العسكري الذي استهدف السلاجقة الأتراك استمالة العناصر المحاربة من بني جلدتهم، إذ كان الاقطاع يقوم مقام العطاء والمرتبات التي كانت تدفع لولاة الأقاليم ولقواد =

آخر لأنّ الروح الوطنية لا تقبل الشريك أساساً؛ وباطلة كل الإدعاءات التي تدعو إلى ازدواجية الإنتماء فلايمكن أن تقول أنا وطني وأنت تحتفظ أو تتبجح بالإنتماء الإقليمي أو العشائري أو القبلي أو الطائفي أو العرقي الغريب والمثل يقول (يا غريباً كن أديباً)

فلا يجوز أن تقول أنا لست عربياً وأنت تعيش على الأرض العربية تأكل من خيراتها وتستنشق هواءها ثمّ تتآمر عليها وتأخذ المواقف ضدّها ! إنّ هذا الوضع غير أخلاقي وغير مبدئي ويجب عدم قبوله وعدم السماح باستمراريته، وإلا فمن هم الذين كانوا أول من يشتغلون أو يتعاونون مع كل مستعمر أتى إلى هذه البلاد، الأتراك والفرنسيين واليهود وغيرهم؟ راجعوا التاريخ

إنّ أزمة المجتمع العربي في جوهرها كما هو معلوم أزمةٌ سياسيّة لمن هم خارج السلطة وأزمة، لمن هم على رأس السلطة (شرعية الحكم)[1] ولكن الحق هو اليقين وهو بالتالي ما وجب أن يتحقق وهو الجدير بالتحقق وهو ضد المجاز وهو بالنتيجة ضد الباطل، وهكذا حجِب عن الجمهور العربي ما كان يعمل ويحضّر له ليلا وفي الخفاء ودسوا له السم في الدسم؛ لقد عمِلتْ الشعوبيات خفْيةً على الإعداد ورسم الخطط وفي حالة غيابٍ وتغييبٍ كاملٍ للوعي واستلابٍ وإبعادٍ مقصودٍ للعرب وذلك منذ مطلع القرن العشرين، عن طريق قمع العرب وزجرهم وحصرهم وحرمانهم من كل أشكال الوعي وعدم تنبههمْ وتنبيههمْ لما يجري بحقهم وباسمهم، كان ذلك مؤامرة بليل، لقد صوّروا للعرب (المنومون) أن دنياهم كانت دائما في ربيع وأن أجواءهم بديعة، في حين أنهم كانوا

الجند الأقليات التاريخية في الوطن العربي ص ١٢ أحمد الصاوي ١٩٨٩م، مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر في الجيزة القاهرة

(١) عرب اليوم، صناعة الأوهام القوميّة، محي الدين صبحي ص ٢٠، الريس للكتب بيروت ٢٠٠١.

دائما يعدون إلى الذبح ذبح النعاج وأكبر وأبلغ دليلٍ على ذلك هو هذه النتائج وهذه النهايات غير السعيدة التي آل إليها مصير العرب في جميع أقطارهم، وإلا فماذا يعني أن تجري المسألة الكردية و المسألة الأمازيغيّة كل هذا المسار وأن ترسم لها الخرائط المختلفة والمتعددة الصغرى والكبرى والملونة وأن يكتب لها الكتب وتعمل لها الدراسات والأبحاث في مختلف اللغات! وأن يصنّع ويخترع وينسب لها تاريخ بعيد وأن يشكل لها (مثيولوجيا خلّبِيّة وأوهام) ويوضع لها أدب وقصص حب وأشعار؛ دون أن يعلم أو أن يدري أحدٌ من العرب عنها شيئاً.

ألم يكن محظوراً على العرب، كشعوب في الدول العربية معرفة أو حتى سماع أي شيء عما يدور أو ما يجري في كواليس الدوائر الاستعمارية من توضيبٍ للمسألة الكردية والمسألة الأمازيغيّة والأمور تجري وطوال الوقت على المصير العربي مؤآمرة بليل وكان الإعلام العربي يمنع الكتب والمجلات والجرائد والصحف والتلفزة والبرامج التي من شأنها الكشف للعرب أو إطلاعهم على حقيقة ما يجري وما يتعلق بمصيرهم حتى تفاقمت واتسعت المؤامرة عليهم علما أنه كان لكل من يعتبر نفسه كردياً ولكل من يعتبر نفسه أمازيغي طريقة ليصل إليه العلم أول بأول عن كل تطور كان يحصل في مخطط المسألة الكردية و المسألة الأمازيغية لاعتباره مجنداً فيها[١].

(١) كشفت التجربة الاستعمارية، في المنطقة العربية، مدى عجز آليات وأساليب السيطرة العسكرية والاقتصادية في ضمان ديمومة الوجود الاستعماري، لذلك بدأت القوى الاستعمارية ومنذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها تسلك استراتيجية تقوم على التبديل في سلم أولويات آليات وأساليب السيطرة الاستعمارية، بحيث تعطي لاختراق العقل العربي سياسياً وثقافياً الأولوية والأهميّة على أساليب السيطرة العسكرية والاقتصادية انطلاقاً من مسلمة مفادها: أن الذي يمْلك الأرض بإمكانه أن يقاتل إن احتلّتْ أرضه حتى يحصل عليها أو يموت دونها =

ألم تعمل الأجهزة في كافة الدول العربية منذ أنشئت الدول العربية، وتحت زعم الرقابة الوطنية الصارمة على تمرير المخططات المشبوهة لتلك الفئات (الشعوبيات) وذلك من خلال سد الأفواه والعيون والآذان العربية، وحرمان العرب المعذبين المنوّمِين والغائبين من الاطلاع على ما يجري بحقهم وعن تهديم مصيرهم بالخفاء، وبالتالي حصرهم وحرمانهم من مجرد الاطلاع على تلك المخططات أو على المشاريع المعدّة لهم أو المقررة لمستقبلهم والرامية بالنتيجة إلى انفصال أجزاءٍ من البلاد العربيّة وتشكيل دولٍ غير عربية على الأرض العربية؛ معادية للوجود العربي.

والسؤال الذي يطرح نفسه دائما هو: كيف سيعمل هذا التنوع الطائفي والعرقي الإثني والفئوي المفترض أو المقترح علينا في الوطن العربي الكروكي المخطط والملون والذي يقدم للمنطقة العهربية على أنه حلمٌ جميل يداعب مخيلة البعض أو السحر الأسود الذي يلبي للبعض مآربهم ويحل لهم عقدهم والذي يبدو لهم وردياً وجميلاً ولكن كيف سيبدو هذا الحلم واقعياً أو تنفيذيا أو كيف ستتفعل هذه الإثنية المقترحة أو هذا التنوع الطائفي والعرقي المتصوّر في الأجهزة

أما إذا امتلِك عقله فتسهل السيطرة عليه، وقد وظفت القوى الاستعمارية في صياغة مخططات اختراق العقل العربي خبرتها الاستعمارية الطويلة وإمكانيتها التكنولوجيا العالية، لاسيما منجزات الثورة التكنولوجية الثالثة وتأتي محاولة احتلال العقل العربي كامتداد مباشر لما سمي بوظيفة العلم والعلماء في الإستراتيجية الاستعمارية الغربية الأوربية والأمريكية والذي أصبح بموجبها العلم داخل وخارج الدول الاستعمارية أداة للاستثمار والإشباع، تماما كالسلعة، فلقد وّظِّف العلم هناك أساسا لخدمة الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدول الغربية، وأخذ يكتسب هذا الأمر دلالات جديدة وعميقة مع تحول الامبريالية إلى ظاهرة ثقافية بفعل ثورة المعلومات وهذا يعني المقولات الغربية التي تصدر إلينا: من قبيل العلم للعلم ودور العلم للإنسان إلى مقولات لامعنى لها وهي ليست سوى غطاء يخفي تحته العديد من الأهداف السياسية والاقتصادية.

الحكومية العليا ووظائف الدرجة الأولى وخصوصاً عند اتخاذ القرار، في القوات المسلحة أو في الأجهزة الأمنية والتي يناط بها عادةً مهام حماية كل المواطنين أي الأكثرية، ولكن كيف ستحمي الأقلية الأكثرية خصوصاً إذا كانت هذه الأقلية أساساً معبأة ومملوءة بالحقد على الأكثرية وهل ستكون تلك الوظائف موزعةً بين الفئات التي عادة ما تكون خاضعة لقرارٍ خارجي ومتحرزة من بعضها البعض أم أن القضية كلام بكلام وان البعض على مر الأيام سيبقى ساخطاً متذمراً ينظر إلى السلطة في البلاد دائما بعين مفعمة بالأسى والإحساس بالظلم ولن يرضى أو يقبل إلا إذا كان هو شخصياً متولياً لسدة الحكم أو السلطة من ههنا تصبح الشخصيات ذات النزعات غير فاعلة وغير مفيدة للمجتمع الكبير وتمضي حياتها وهي سلبية بدون إنتاج[1] ولكن كيف سيكون الأمر في السلطة التنفيذية وفي السلطة التشريعية وفي السلطة القضائية هل سيكون إثنياً أيضاً

لاشك أن الأوضاع المقبولة أو المحبذة لدى البعض على أنها تلبي غلّهم أو مصالحهم الخاصة؛ لكنها ستكون وبالا على باقي المواطنين والوطن والدولة عامة، لأن الأوضاع في هكذا كيان (الإثني) ستكون دائما مثل بيت العنكبوت، هشة لا سيادة فيها للقانون ولا للإنسان لأنها ستفتقد للقوام والقيام والتماسك

(١) في الحالة الحضارية المفترض أن يكون البحث والتفتيش دائراً ومنكباً عن الشخص المؤهّل والمناسب والجدير للمنصب والوظيفة والمهمة والعمل، وذلك بغض النظر عن الإنتماء الطائفي أو المذهبي أو العرقي ولكن الغريب ونحن في مطلع القرن الواحد والعشرين أن نجد من يوجه السؤال للعرب المسلمين بمناسبة الكلام عن الديمقراطية، هل توافقون أن يكون الرئيس في بلدكم مصر مسيحياً؟ وقد أعجبني بهذا الصدد جواب أحد الشباب العرب وسرعة بديهته الذي أجاب على الفور: وهل يوافق المسيحيون في لبنان على انتخاب رئيس مسلم للبنان أم أنّ السؤال كان موجاً للمسلمين فقط؟ والواقع أنهم لا يجرؤون على طرح مثل هذا السؤال في فرانسا أو في أمريكا (البلد المثال للديمقراطيين) بل ولا يخطر على بال أحد أن يجعل الأمريكان أو الفرنسيين يقبلون أن يترأس عليهم رئيس مسلم؟ فلماذا يطرح مثل هذا السؤال في البلاد العربية؟

الكلي لأن مفهوم الديمقراطية حينها سيكون مطاطاً وسيفهم كيفياً وحسب المرحلة والوضع قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القلم،﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾آل عمران.

لقد كان من المفترض بدل الاشتغال بالتحريض على الفتن والعصبيات، أن نعمل جميعاً على تفكيك الفئات، جميع الفئات الصغيرة والكبيرة وفتحها على بعضها البعض ودمجها في كلٍ كبيرٍ وكيانٍ عظيم، إن مسألة التعددية في الوطن تحتاج إلى تروي وبعد نظر[1]!

(١) هل فكر أحدٌ كيف كانت مشاعر المواطنين الشيشان عندما كانوا في الجيش الروسي أثناء الهجوم على الشيشان ١٩٩٢؟ أحدٌ فكر كيف كانت مشاعر الشيعة من العراقيين أثناء هجوم الجيش العراقي على إيران في الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨م؟ هل تصور أحدٌ تصور كيف تكون مشاعر الأكراد في الجيش التركي عندما يشن هذا الجيش هجوما أو حملةً على الأكراد؟ أو كيف كانت مشاعر المسيحيين عموما في بلاد العرب عندما اشتبك الجيش السوري مع قوات الكتائب في بيروت (حادثة الفياضيّة) عام ١٩٧٨؟

الأحزاب العربية ودورها في الوطن العربي

لقد كان الأمويون رواداً في هذا المجال وأساتذة في معالجة مثل هذه الأوضاع فهم لم يمارسوا الإقصاء كما يتوهم البعض أو كما اتهمهم البعض ولكنهم مارسوا وعملوا على بناء المجتمع المدني دون إعلان ودون صراخ كما يجري في هذه الأيام حيث يسأل البعض السؤال التالي: هل سيكون من المقبول في الدولة صاحبة الأكثرية العربيّة الإسلامية أن يكون الرئيس فيها مسيحياً أو غير عربي وهل سيسمح للمرأة باعتلاء سدة الحكم أم لا ومثل هذه الأسئلة التي باتت تطرح في الإعلام ليلا نهاراً وكان في دولتهم الإسلامية ستةً من الوزراء المسيحيين وكان المسيحيون في تلك المرحلة[1] قد شاركوا في بناء الدولة العربية لقد عمل الأمويون على امتصاص تلك الفئات وإدخالها بفاعلية ضمن النسيج الكلي للدولة بينما قام العباسيون قاموا بتكريس الطائفية والفئوية وإحياء تلك النزعات العرقية والتاريخية حتى الزردشتية والمانوية وعبادة النار وشرّعوا لها وأفسحوا لها المجال وجعلوها أمراضاً لا يزال الجسم العربي منذ ذلك الحين وإلى الآن يئن من آلامها وكذلك فعلت الدولة العثمانية المحيوية وكانت دولة جباية لقد كرست من حيث لا تدري الوضع الطائفي لأنّ كل هذه الحرب الاستباقية والجهود الاستعمارية المتعددة الأشكال تبذل تحت خوفهم الشديد من قيام وصحوت المارد العربي الذي لا بد له من أن يقوم ليتم الحديث مؤخراً وبشكلٍ مفاجئ خصوصاً في المجتمع العربي عن

(١) أما في هذه المرحلة فقد صدر في بيروت مطلع القرن العشرين معجم المنجد لأحد القساوسة وفي هذا المعجم تعريف للفظ (العرب) يقول: أن العرب تعني المرأة الخائنة لزوجها، وفي نفس المعجم تعريفٌ للفظ (اليهود) فيقول اليهود تعني: الذين هادوا أي الهداة المهديين ومعروفٌ أنّ هذا المعجم كان قد صنع بديلا عن المعجم العربي وقد حزف منه الألفاظ الإسلامية وضمّن ألفاظاً غير عربية.

ما بات يدعى والتعددية والفسيفساء الطائفي وحقوق الأقليات والإثنيات وغير ذلك من التعابير المغلوطة والمستجدة والتي هي غير مطروحة في باقي المجتمعات الأخرى أبداً فعلى الرغم من وجود التعدد العرقي والاختلاف في أمريكا إلا أن الأمور هناك لم تطرح موضوع إمكانية الانفصال السياسي أبداً وكذلك في انكلترا وفرنسة وغيرها من الدول والأمم ذات السيادة بينما يستباح الوطن العربي(١) وحقيقة الأمر أنهم في الوطن العربي يعملون على إيجاد المشكلات من العدم ويشتغلون ويشغلون الناس جميعاً في محاولة إيجاد الحلول لها للفتنة التي كانت منتهية وميتة ولكنهم عملوا على إحيائها فلعن الله من أحيا هذه الفتن ومن أيقظها وفي بعض الأقوال من أوقدها، إنهم لا يعلمون أن العروبة كانت قد بدأت مع بداية التاريخ الإنساني وأنها موضوع رباني إلهي منزل وليست مسألة فئوية عرقية قبلية كما يتصورون وأنه ليس هناك هوية وطنية توافقية أو تعايشية حقيقية ولايمكن أن تكون الهوية الوطنية إلا كيانية جامعة وواحدة والقضية في الوطن ليست في توطيد العلاقة بين الأطراف المختلفين أو المتوافقين المختلقين ولكنها تكمن في صياغة المجموعة الواحدة وسبكها سبكاً رائعاً وقومها المتين إن الانتماء الوطني الأصيل يعني أن تتخلى الأقلية إلى حدٍ ما عن الخصوصية لصالح المجتمع الكبير وليست القضية الوطنية وهي لا تتأتى من قبول الآخر على أنه شريك مناوىء أو مناهض أو متحدٍ أو مشاكس ينغص على المجتمع الكبير حياته بدعوى أن للأقلية

---

(١) في إطار دعوات الإصلاح السياسي، دعت بعض المنظمات والجمعيات الحقوقية في العالم العربي لمؤتمرات وندوات لما يسمى حقوق الأقليات سواء الدينية أو الطائفية أو العرقية، وقد قوبلت هذه الدعوات بانتقادات حادة واعتبرت تكريساً للانقسام وإشعالا للخلافات قد يؤدي في النهاية إلى تمزيق الدولة الواحدة إلى عدة دويلات كلها ضعيفة وتنفيذا للأجندة الأمريكية في المنطقة فهل النبش في قضايا الأقليات من أولويات الإصلاح أم لزعزعة الاستقرار أم هي فكرة إسرائيلية الصنع لتفكيك الدول العربية إلى دويلات.

خصوصيات تتضارب مع مصالح الأكثرية هذه النظرية لا تطبق في المجتمعات الغربية الداعية والداعمة لها كما أن القضية الوطنية الأساسية ليست في وهي لا تتحقق بها بات يسمى التوافق على هوية وطنية مشتركة!

مفهوم الحرية

إن الحديث عن ضرورة تحقيق الحرية والديمقراطيّة[1] لجميع المواطنين في الوطن العربي، وأهميّة (اللامركزية) في أسلوب الحكم والإدارة، من الأولويات وهو أمرٌ جديرٌ بالطرح ولا خلاف عليه مطلقاً والمطالبة به حق مشروع لجميع المواطنين على اختلاف أقاليمهم في العالم ويجب العمل على تحقيقه بالمطلق، وأن الشعور الوطني الواعي والحافل بالقوى الخالقة هو الذي سيربط الأفراد جميع القاطنين على الأرض العربية بأمتهم ربطاً وثيقاً، بل ويجب أن يكون على بطاح الوطن العربي وحده الشعور المحترم لأنه سيكون حافزاً على التضحية والباعث على الشعور بالمسؤولية وبالتالي سيعمل على توجيه إنسانية الفرد توجيهاً عملياً مجدياً.

فحرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والإبداع مقدسة لايمكن لسلطة

(١) كثيراً ما نتحدث عن الديمقراطية، وغالباً يتمحور حديثنا حول العملية الانتخابية وكأن الديمقراطية هي فقط في الذهاب إلى صناديق الاقتراع وانتخاب من نريد، ولكن حقيقة هي أن هذه ليست سوى إحدى آليات العمل الديمقراطي، ربما أبسطها، فالديمقراطية هي نظام حياة وآليات عمل وتفكير وممارسة يومية على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والفكرية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والديمقراطية، ولا ترتبط فقط بالنظام السياسي وإنما بالنظام الأخلاقي وبالموروث الثقافي والاجتماعي للشعوب أيضاً، فالديمقراطية تقوم على قبول الآخر والاعتراف به بآرائه البناءة وعطاءآته وطموحاته الوطنية، يجب ان نستمع له وأن نتعلم منه أيضاً طالما أنه إيجابياً وحراً، أنها نظام يقوم على الإقرار بالتعددية السياسية والفكرية والثقافية، وبحق الآخر في الاختلاف في الرأي، إذا كانت الديمقراطية تعني قبول الأقلية بحكم الأغلبية فإنها تعني دخول هذه الأقليات في نسيج مجتمع الأكثرية وتكوينها لبنةً أساسية من من صرحها العظيم (الوطن الكبير) قومياً وثقافياً وسياسياً، لذلك على الأقلية أن لا تشعر بالانتقاص من حقوقها إزاء الأكثرية إذا أصبحت هي من مكونات المجتمع ككل، لأن هكذا شعور إنما هو هدمٌ لصرح الديمقراطية المستهدفة ونفيٌ لها.

مهما كانت أن تنتقصها أبداً، لكنّ المناداة بالطائفيّة العرقيّة أو المذهبيّة المقيتة أمرٌ آخر يعتبر انتحاراً جماعياً علنياً يجب التصدي لدعاته بل ومن الواجب مواجهتهم بكل وسيلة وكذلك المناداة بالانفصال عن الكيان الأساسي على أسس عرقية أو قبلية أو دينية مذهبية أمرٌ مرفوضٌ ومستنكر لأنه بالنتيجة وبجميع المقاييس تقطع وضعفٌ وعودة للوراء وفعلٌ معادٍ لإنسانية الإنسان ومناهضٍ لتطلعاته ومكرس للتخلف الاجتماعي فيجب عدم السماح به أو بمرور المخططات الرامية إلى إيجاده(١).

---

(١) ترشيش ضيعة جميلة جداً، تقع على قمة جبل صنين في لبنان وهي قطعة من الجنة إن صح التعبير تعبعب فيها الغيوم دائما وفيها مناظر رائعة وخلابة أشجار الكرز واللوز والتفاح والخوخ والورد الجوري على مد النظر خضرة وماء وسماء لقد ظلت هذهالضيعة الوادعة فوق قمة جبال صنين الشامخة بسكانها الذين كان نصفهم مسلمين ونصفهم مسيحيين كان جميعهم طيبين ومتفاهمين وقد ظلت هذه الضيعة بمنآى عن مجريات الحرب الطائفية في لبنان والتي بدأت عام ١٩٧٥، وفي يوم أسود بهيم من عام١٩٨٠ انقض ووثب الأهالي من كل قسمٍ على القسم الآخر فدمروا جميع البيوت في القرية في يومٍ واحد وكذلك فعلوا بالجامع والكنيسة وتدخلت قوات الردع العربية التي كانت متواجدة في المنطقة لإيقاف القتال الطائفي في الضيعة التي نزح عنها جميع سكانها وفجأة أصبحت خاوية على عروشها بلدةً كل شيء فيها مدمر ولايوجد فيها أحد، ولم يكن بإمكان أحد الاقتراب منها أبداً، فقد كان محظورٌ على أي إنسان الاقتراب من هذه الضيعة قال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ الحج.

وفي عام ١٩٨٢ عندما كنت جندياً ضمن قوات الردع العربية، وكنت مع القوات التي دخلت هذه القرية لتطهيرها من الألغام المحتمل أن تكون قد زرعت بها وذلك تمهيدا لإعادة دخول أصحابها إليها وشاهدت بأم عيني القرية المنكوبة وهي خاوية على عروشها تماما كل شيء فيها مدمر بينما الأشجار المثمرة تحمل الثمار وتطرحها على الأرض وشاهدت الكثير من الأغصان مكسّرةً من كثرة ما تحمل من الثمار وأثناء عملية الاستطلاع والتطهير والتفتيش أذكر أنني عثرت في سقيفة تلك الكنيسة المدمرة على صندوقين كان أحدهما مليئاً بالكتب أو هو أرشيف لكتب مدرسيّة عن التاريخ في لبنان والثاني عبارة عن أرشيف لصفحة الحوادث من جريدتي الأنوار =

والأحرار اللبنانيتيّن طوال فترة الستينيات والسبعينيات طبعاً في البداية لم أكترث لها، ولكنني في ما بعد عرفت أنني عثرت على شيء رهيب، وانتبهت إلى أن جميع كتب التاريخ في لبنان الطائفي في ذلك الوقت، كانت تدرس الفتح الصليبي للبنان! فتقول: قام الصليبيون بتحرير لبنان من الاحتلال العربي ونشروا فيه الحضارة والثقافة والمدنية والعلم والمعرفة! وفي الدرس الذي يليه كان عنوانه، الاحتلال العربي للبنان، يقول: قام العرب باحتلال لبنان هذا ولم يتمكن العرب من احتلال لبنان كاملا ولم يحتلوا سوى السهول والوديان بينما بقيت القمم محررة وقد نشأت في ما بعد بعض العلاقات بين العرب واللبنانيين الساكنين في أعالي الجبال، فأخذ العرب عن اللبنانيين الكثير من الأمور! وتعلموا منهم الحضارة والثقافة والعلم (دون تعليق) أما أرشيف الصحف فقد لاحظت فيه أن خوري الكنيسة قد أرْشف فقط لصفحة الحوادث في جريدتي الأنوار والأحرار ولأكثر من خمس عشرة سنة، ويا لهول ما رأيت فقد كانت جميع الجرائم التي كانت تحدث في بيروت في الستينيات والسبعينيات كان المجرمون فيها أسماء عربية و إسلامية، علي وحسين وأحمد ومحمد وكان المعتدى عليهم دائما أسماء غير إسلامية أو غير عربية جورج وطوني وفادي وطنوس وكان القاضي دائما رمز العدالة أو هو ممثل العدالة التي لا يعرفها العرب كان دائما يعطى اسما غير عربي زافين وطانيوس وفرنسيس ومنذ ذلك الحين عرفت كيف كانت تطبخ الطائفية وكيف كانت تصّنع وكيف كانت تعلب وكيف كانت تحمل للجاهلين لكي يقْتلوا. راجع كتاب التبشير والاستشراق في البلاد العربية د.عمر فروخ ومصطفى الخالدي، كذلك كنت قد علمت في عام ١٩٧٨، عندما كنت في بيروت، قريباً من الفياضية! أو ما عرف في حينه بـ "حادثة الفياضيّة" علمت من صديقٍ لي، كان يعمل في إحدى كبريات المؤسسات الصحافية في لبنان (الصياد) والتي كانت تصدر ولا تزال عدداً من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتوزع على نطاقٍ واسعٍ في لبنان والوطن العربي وجميع أنحاء العالم، لقد علمت في حينه أن هذه المؤسسة الصحافية الكبرى (يوجد في لبنان أكثر من مؤسسة) كان لديها قرار إداري صارم في ما يتعلق بالنشر! هذا القرار كان يحتم أن تكون الأسماء الواردة أو المذكورة على صدر صفحات جميع الصحف والمجلات الصادرة عن هذه المؤسسات في الأخبار أو المقالات أو التحقيقات أو اللقاءات في جميع المجالات السياسية والأدبية ضمن القصص أو النقد الأدبي والاجتماعية أخبار الحفلات والأعراس الفنية، أخبار الفن والفنانين وحتى الإعلانات كان المحررون ملزمين، بأن الأسماء العربية التي سيضّطرون إلى ذكرها؛ يجب أن تكون أقل من عشرة بالمائة بالنسبة لمجموع الأسماء المذكورة، بينما عليهم حشد الأسماء غير العربية لتغطي نسبة أكثر من تسعين بالمائة، وهذا الأمر كان متبعاً في أكثر الصحف =

والمجلات والإذاعات والتلفزيونات اللبنانية بغية إعطاء صورة غير حقيقية عن لبنان العربي، كانوا يريدون سلخ لبنان عن محيطه العربي وربطه بالأم الحنون، هكذا كانوا يسمون فرنسا، كنت أسمع من بعض الإذاعات في لبنان، الشتائم تنهال على العرب، ليل نهار، بوضوح، وهم لا يعرفون ما معنى عرب وقتها أدركت سبب الحقد الأسود على العرب الذي كان يبديه (آل شمعون) و(آل جميّل) أمراء الحرب اللبنانية، على الرغم من نسبهم العربي الصريح؛ فآل الجميِّل يقال أن أصلهم عرب من اليمن وأن الجد الرابع لـ (بيير جميّل) كان اسمه محمد و(الرئيس كميل شمعون) في الأربعينيات وقبل نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، كان يقال له فتى العرب! لكن الجهل لا يعرف حدوداً، فربما كان الجاهل لابساً لأحدث الموديلات، وربما كان الجاهل يشغل مركزاً أو موقعاً أو مكاناً يسمح له ببث سخافاته أو تعميمها، لكن مؤقتاً ذلك إلى أن ينبلج الصباح.

السودان نموذجاً

وهل رقص المسئوولون الكبار في دولة السودان العربي أثناء الاحتفال بمناسبة انفصال جنوب السودان عن شماله[1] وإلا فلماذا بقي الناس في جنوب السودان متخلفين في مناطق شاسعة ومتخلفة تخلفاً شديدا ومهملين (برغم غنى أراضيهم بالزراعة والثروة الحيوانية والثروات الباطنية) عن الشمال تحت وطأة (الختمية) و(المهدوية) ألم يكن ذلك مخططٌ له وبفعل فاعل ألم تكن حكومة السودان متقاعسةً عن أداء ما يتوجب عليها من الواجب تجاه جنوب البلاد وهل كان هذا الإهمال عن عمدٍ فعلاً، وخصوصاً بعد الاتفاق الذي أعطى للفريقين مهلة خمس سنوات ليقيموا الاستفتاء ماذا فعلت حكومة السودان طوال هذه الفترة لماذا دفعت الأموال الضخمة للقيادات في الحركات الانفصالية ولم توظفها لتطوير أوضاع الجنوب السوداني؟[2] ولم تقدم للجنوب خلال هذه الفترة أيّ

---

(١) علما أنّ السودان بأكمله إلى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين كان جزءاً لا يتجزأ من دولة (مصر وادي النيل) وكان إلى تلك المرحلة تابعاً للتاج الخديوي ويدار من قبل حكومة القاهرة، ثم قررت بريطانيا فصله عن مصر وأجرت فيه الانتخابات، والمفاجأة وقتها أن السودانيين جميعاً بقضهم وقضيضهم وخصوصاً سكان الجنوب كانوا قد صوّتوا لصالح بقائهم في وحدة مع مصر! ومع ذلك قامت بريطانيا في تلك المرحلة بفصل السودان عن مصر، كان ذلك بمباركة وتسليم من قبل حكومة ثورة ١٩٥٢ في مصر آن ذاك!

(٢) لنعيش الواقع، فإنّ ما صار واقعاً في أرض السودان العزيزة هو أنه اقتطعت منه مساحة واسعة، وهي كذلك غنية بالنفط والموارد والمياه، وفي موقع استراتيجي بكل المقاييس السياسية والاقتصادية والجغرافية لتقوم عليه دولة وثنية نصرانية علمانية وقد ثبت قيام علاقات ودية لساستها مع دولة اليهود كما يقول المراقبون منذ عهد الحركة والتمرد، بل أكد توثيق وتعميق هذه العلاقة بعض كبار المسؤولين فيها إذا تم الانفصال، وقد كان انفصال جنوب السودان حلما (كابوساً) في الماضي القريب من أجله حملت السلاح شرذمة من الأقلية الصليبية الجنوبية مستقوية بالغرب النصراني الذي استعملها ولم يزل يدعمها حتى تحقق الحلم، لكنه لم يتحقق عن =

شيء سوى النهب؟

ولكن كيف قبلت الحكومة السودانية بإجراء استفتاء باطل ينصّ على انفصالِ جنوب السودان العربي عن شماله ألم يكن من حق السودانيين جميعاً بل ومن حق العرب جميعاً الإدلاء برأييهم في موضوع انفصال جنوب السودان العربي عن شماله تقرير انفصال الجزء عن الكل أليست القضيّة (سيادية) للعرب جميعاً وعموماً؟ وللسودانيين كل السودانيين خصوصاً ألا تتعلق القضيّة بمصير العرب جميعاً؟[1]

طريق البندقية مع استماتة المتمردين ودعم الغرب لهم نحواً من نصف قرن! بل قبل أقل من عقد ونصف كادت الحركة المتمردة في جنوب السودان أن تتلاشى، وذلك عندما أعلنت الدولة الجهاد وعبأت الجماهير واستنفرت قوات الدفاع الشعبي، فهزم المتمردون شر هزيمة، ثم بدأت الانشقاقات وتوالت ظروف إقليمية وعالمية تدخل الغرب الماكر على إثرها واستغلها ليدفع بالسودان إلى مفاوضات بدعوى حسم النزاع وهنا بدأت حكومة السودان في تقديم التنازلات تلو التنازلات حتى انحسر نفوذ الدولة وقوي نفوذ المتمردين واستمر ذلك إلى أن آلت الأوضاع لانفصال جنوب السودان دون أن تتكلف تلك الشرذمة من متمردي الأمس رصاصة واحدة، وإنما عبر طاولة المفاوضات التي يديرها الغرب بذكاء وخبث سياسي، لم يقابل بنظرة عقائدية وطنية عليا للقضية من قبل حكومة السودان، ولتتفطن الدول العربية قاطبة دون استثناء إلى أن المفاوضات مع الأقليات المدعومة من قبل قوى غربية أو مجوسية قد تكون نتائجها كارثية على البلاد، وإذا لم تحسم المطالب وتقيم وفق نظرة عقدية وطنية جامعة أولا وتقدر المصالح والمفاسد على ضوء ذلك، فستنال تلك الأقليات بالمفاوضات ما لا يمكن أن تناله بالحرب ولو امتدت قرناً كاملا وليستعد الأخوة في السودان لأزمة جديدة سيدعمها الغرب تطالب بالانفصال كالجنوب، حتى تتقطع هذه الدولة الكبرى إلى دويلات وليتها دويلات مستقرة! بل دويلات مؤهلة بامتياز لأن تتناحر فيما بينها وتنشغل بنفسها عن عدوها وهناك سيتذكر الجميع المثل العربي الرصين (أكلت يوم أكل الثور الأبيض).

(١) الإلزاس واللورين إقليمٌ فرنسيٌ يقع في شمال شرق فرنسة على الحدود الألمانية، مع أنّ هذا الإقليم تابعٌ للسيادة الفرنسية لكنّ الناس هناك كانت لغتهم الألمانية فهل تقبل فرنسة بانفصاله عنها بالاستفتاء فيما إذا قرر أهله وحدهم ذلك أم أن القضية عندها تصبح فرنسيّة تهم كل الشعب =

وهل بارك المسئولون في العراق العربي الحكم الذاتي الذي منح للأكراد في شماله العربي في منتصف السبعينيّات، ثم سكتوا عن الخطوات التي ستؤول إليها هذه الخطوة، وكانت ترمي إلى انفصال إقليم (كردستان) عن الجسم أو الكيان العربي، ومن قبل كانوا قد عملوا على مراحل، وشرّعوا و دستروا فعلا المسألة الكرديّة اللغة[1]والفلكلور وهل قامت الحكومة الجزائرية والحكومات المغاربيّة والذين من المفروض أنهم حكومات عربيّة وعلى مراحل أيضاً بشرعنة ودسترة الأوضاع الأمازيغيّة الخاصة اللغة والفلكلور من أجل التمهيد لهذه المسألة؟

الفرنسي هل تقبل أمريكا بانفصال إحدى ولاياتها الجنوبيّة فيما إذا قرر ذلك أهل تلك الولاية من خلال استفتائهم وحدهم وهل تقبل الصين بانفصال أيٍ من أقاليمها فيما لو قرر أهل ذلك الإقليم وحدهم من خلال الاستفتاء، وكيف قبلت الحكومة في السودان مثل هذا المخطط لسلخ الجنوب السوداني عن شماله كيف مرروا ذلك بكل بساطة أم أن العرب مستباحة أرضهم ليس لهم سيادة عليها ولا اعتبار ولا يوجد من يرعى مصالحهم وليس لهم حقوق ولا يستشارون في مصيرهم كانت إسرائيل ثاني دولة تعترف بدولة الجنوب السوداني وكانت حكومة السودان أول المعترفين بها وقد حجِز له من قبل وسلفاً مقعدٌ في الأمم المتحدة، في حين أن الفلسطينيين لم ينجحوا إلى الآن في نزع اعترافٍ من الأمم المتحدة بدولتهم المصنعة أيضاً من قبل أمريكا وإسرائيل فتأمل يا رعاك الله!

(١) فالسؤآل عن أساس اللغة الكردية مثلا يعتبر متاهة حقيقية حيث يعتقد البعض منهم بأن (الا فستا) وهو الكتاب المقدس للديانة الزرد شتية قد دون باللغة الميدية في القرن السادس قبل الميلاد وأن اللغة الكردية قد انبثقت عن هذه اللغة الأخيرة (اللغة من اللغو) أما اللسان العربي المبين فموضوع آخر.

صناعة الأوهام

طالما أن العرب بما فيهم الأكراد و الأمازيغ غائبون عن الوعي الأساسي ولطالما أن العرب الآن جميعهم يفتقدون للحس الوطني الحقيقي، والمثل يقول (إن الغائبين دائما مخطئون!)، فهل عجز العرب (المفكرون والمثقفون منهم بما فيهم الأمازيغ والأكراد) فعلاً، أم أنهم كانوا مكبلين بالقيود والأغلال عن تفنيد تلك الادعاءات ورد تلك الأوهام التي شاعت بين مابات يدعى في الوطن العربي بالأقليات بتشجيعٍ من الدوائرالاستعمارية المعادية الرامية أساساً إلى تحقيق مصالحها على الأرض العربية؟[1] قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ الشعراء، والواقع فإن التفكك العروبي المستدام وغياب أي شكلٍ من أشكال القيام العربي

(١) أنظر ماذا يقول (محمد أركون) الذي سوِّق على أنه مفكر إسلامي على نطاق واسع وأفسح له المجال لتسويق آرائه لهذا السبب فإني أدعو إلى مراجعة شاملة لمسألة الفكر العربي والثقافة العربية في المغرب الكبير من أجل خلق الشروط الثقافية والعلمية لتأسيس فكر مغاربي نقدي قادر على توسيع منطقة المفكر فيه لكي تشمل كل المجالات المحروسة حتى الآن إما من قبل الأرثوذوكسية الدينية وإما من قبل الأرثوذكسية السياسية، وإما من قبل تحالف الاثنتين معاً، فهذه الدول التي تشكلت بعد الاستقلال على هيئة "الدولة الوطن الحزب الواحد" فرضت خطا واحدا في التفكير وحذفت ما عداه، كل ما عداه أصبح مرميا في دائرة اللامفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه، أقول ذلك ونحن نعلم بأي دوغمائية وبأي ضمانة "علمية" راح خطاب التحرير الوطني ثم خطاب البناء الوطني الذي تلاه مباشرة يعارضان الخطاب الكولونيالي في إنكاره لوجود أمة ليبية أو تونسية أو جزائرية أو مغربية أو موريتانية، فقد راح هذان الخطابان يعتبران أن هذه الدول هي عربية وإسلامية بشكل محض أو مطلق ولا توجد فيها أي عناصر أخرى ثم حصلت نقاشات كثيرة وصراعات لم تنته بعد حول مسألة الهوية، ثم بشكل أخص حول التعريب ووظائف الدين في المجتمع.

أو القوام العربي أو الشعور الوطني العربي عندالعرب أو الإحساس الجماعي العربي أو أيا شد أو إنشداد للقضية العربية عند الإنسان العربي وغياب الوعي العربي لدى العرب، بالإضافة إلى القيود المقيِّدة والحواجز والعقبات التي وضعت في طريق الإنسان العربي، لهو من أهم الأسباب التي شجّعتْ ما سمِّي أو ما بات يدعى بالأقليات في الوطن العربي، الذين رفضوا الانتساب للعروبة، للتحرك والوثوب على الكيان العربي واعتراضه واعترض أي محاولة لتشكيل كيانٍ موحدٍ للعرب، والعمل والتعاون فيما بينهم ضدّه والإستقواء في كثيرٍ من الحالات بالقوى الخارجيّة على مهاجمته، ومحاولة هدمه وطمس معالمه فبينما قامت الأقليات وباستمرار، وقد أتيح لهم المجال لإنشاء الأحزاب والتنظيمات والجمعيات والنوادي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بشتى الطرق وبرعاية داخلية وخارجية، بحجة إعطاء الحريات للإثنيات[1]؛ لتشكيل تكتلات بينيّة

---

(١) فالقضية الوطنية تتعامل مع الثوابت والحقائق وليس مع المتغيرات أو المواقف الآنية المتبدلة بحسب المصالح (الطرح الخاطئ يوصل إلى نتائج خاطئة) بحيث تجعلنا نتبدل أو نتغير معها بأفكارنا ومفاهيمنا أو نستجيب أو نتلاءم مع مصالح الآخرين؛ تحت ذريعة الواقعيّة والعقلانية وضرورة الحيازة على الأساليب الجديدة في التفكير وآليات العمل في هذه المرحلة وعلى ضوء ما يحدث في العالم مما يعني وباختصار الاستجابة دون قيد أو شرط للرؤية الأمريكية والتلاؤم معها ومن خلالها الذهاب نحو العولمة والعالم الجديد، وبالتالي التصوّر وتصوير الأمر على أن هنالك على الأرض العربية تنوع وتميز ثقافي وقومي ولغوي وديني كان مهملا لآلاف السنين والآن سوف تعيد لنا أمريكا فهم الأمور من جديد وبطريقة جديدة! مما يترتب عليه إعادة رسم الخارطة السياسية بحسب النتائج الجديدة والمفاجئة؛ هذه الإشكالية المزعومة أصبحت مطروحة اليوم بقوة فقط على الساحة السياسية العربية (في أمريكا مثلا تعدد للأعراق والقوميات والأديان ولكن لا يفكر أحدٌ منهم بالانفصال عن أمريكا وعمل دولة جديدة كذلك في فرنسة نفسها) وهي في الوقت الحالي من أكثر القضايا إثارة للجدل والسجال بين المثقفين والسياسيين على الساحة العربية فقط لأنها تصل بالنتيجة إلى إقناع الناس في منطقتنا العربية بالقوة أننا نتألف بحسب تعبيرهم من تنوع قومي وعرقي وثقافي ولغوي وديني متذرعين بالتاريخ القديم وعلم =

مناوئة للكيان العربي وحاقدة عليه كانت هذه التكتلات ومنذ زمنٍ طويل تعمل بليل وتعدّ العدّة من أجل لحظة الحسم مع العرب والانقضاض عليهم (الحرب الإستباقيّة) والعرب غائبون غائبون.

بينما كان المأمول أن تكون الأحزاب والتنظيمات التي نشأت على البطاح الأرض العربية خلال القرن العشرين ثورة على الواقع العربي الفاسد تشمل جميع مناحي الحياة الفكريّة والاقتصادية والاجتماعيّة والسياسية، كان الأمر بالنسبة لتكوين تلك الأحزاب والتنظيمات العربيّة وعلى امتداد الأرض العربية، في مناهجها المرحليّة والإستراتيجيّة وأنظمتها الداخليّة؛ على العكس تماما لقد كانت بالنتيجة، مخالفةً تماما لتكوين الأمة العربية العام، بحيث لم تكن الأحزاب والتنظيمات العربية في منأى أبداً عن الاختراق والاستباحة من قبل الشعوبية واليهود، كان أصحاب النزعة الشعوبية واليهود يستطيعون بكل بساطة الانتساب إلى الأحزاب والتنظيمات العربية واختراقها والوصول إلى العضوية العاملة والقيادية فيها، إن لم يكونوا من مؤسسيها بالأساس، فمتى سيعمل العرب بمافيهم الأكراد والأمازيغ على تلمس طريقهم الصحيح، وهل كانت الأحزاب العربية في القرن العشرين – العلنية منها والسريّة ـ هل كانت أبعد ما تكون عن كونها عربية هل عملت الأحزاب العربية في القرن العشرين ضد المصلحة العربية هل كانت الأحزاب العربية في القرن العشرين بالفعل تخدم أو كانت قد خدمت الشعوبيات والأقليات والطوائف في حين أنها لم تقدم للعرب أو للقضايا العربية أي فائدة؟

الآثار الذين اكتشفوه فجأة، أو التنوع غير العلمي المفترض العرقي والطائفي، وتشدقهم بالقول: سلالات عرقية نقية عرباً وأكراد وآثوريين وأرمن وأتراك فهذا الكلام الفارغ ليس له حقيقة على الواقع إلا ما تنفذه المخططات الأمريكية الأوربية من المشاريع التوراتية بالقوة!

مع أنّ القانون الإلهي يؤكد ويشير إلى أنه في حال وجود الإرادة لدى العرب فستكون لديهم بالتأكيد طريقة ولن يعدموا الوسيلة، إنما تعبير (الأقليات) العرقية والطائفية، بحد ذاته في البلاد العربية عبارة عن اختراعٌ مستحدثٌ فهو بالواقع غير موفّق ولم يكن ليؤدي الغرض ولا يعبر عن طبيعة المشكلات المراد معالجتها وبالتالي فهل علينا أخذ الحقيقة من (أرنلد توينبي) المؤرخ الأوربي الصليبي المهود الذي ينظر إلى الوطن العربي من موقعه؛ فيرى فيه تنوعاً قد جرى على بطاح العالم القديم وأن فيه إثنيات وقوميات نتيجة الاضطرابات والتنقلات بين السكان مما يتطلب تبدلا واسع النطاق يجب ان يطبق على الخارطة الديمغرافية والسياسيّة العربية! ويراها البعض (هذا التنوع) ظاهرة سلبية تعيق النمو والتطور (وهنا يعطى الأمر لغير أهله لكل من هبّ ودب من الشعوبيين الذين عادة، يستقوون بالخارج لتقرير مصير العرب والوطن العربي وليتقيؤوا بعد ذلك الأفكار والمقترحات، والكلام عن الهوية الوطنية المحلية وصولا إلى تقرير انفصال الأقلية عن الأكثرية) وطبعاً هذا خلط كبير وهو بالنسبة لهم مقصود ومستهدف؛ لأنه سيعمل على مقابلة الانتماءات المحلية بالحقيقة الإنسانية الكونية (الذي هو أدنى بالذي هو خير)

لأنّ العروبة والتي هي حقيقة معنوية تلف الكون، وليست مجرد هدف سياسي ولد بعد الحرب العالمية الأولى من أجل التعبئة ضد العثمانيين كما يحلو للبعض أن يتصور، بل هي الحقيقة التي يحاولون بجهالتهم التملص منها ومحاربتها، إنها (العروبة) فهي لاتقابل دعوتهم الانعزالية أساساً (الأثورية والكردية والأرمنية والأمازيغية) ولكنها أصلا كانت وستبقى تقابل (العجمة والجهل والعماء) الذي في قلوبهم وعيونهم، ولأنها كانت وستبقى تعني الوضوح والبيان والفطرة فالعروبة ليست قومية عرقية ولا هي طائفية ولا فئوية ولا إثنية كما يتوهمون وهي لا تقبل هذه المفاهيم المغلوطة أبداً.

إنّ مشكلة الأقلية عادةً ما تكون نسبيّة، ولفظ (الأقليّة) يدل على انفصالٍ عن الأكثرية وفيه تأكيد على أن جذور هذه الأقلية إنما هي موجودة في الأكثرية، ويشير إلى ارتباطها وعدم قدرة الأقلية على القيام وحدها؛ وإخوتنا من الأكراد وكذلك أخوتنا الأمازيغ الذين وقعوا تحت كل هذا التأثير من السحر الأسود وما مورس عليهم وما وضعوا به من الظروف وعلى كافة الفئات التي هي عربية الأساس في كافة الأقاليم العربية ومن تحكم الإقطاع الديني والسياسي،كان وطوال عهود يدفع بهذا الاتجاه دفعاً ولكنهم (أصحاب النزعات) لم يكونوا في أيِّ مرحلةٍ من مراحل التاريخ العربي الطويل والمشترك لم يكونوا أقلية بين العرب بل كان منهم قياديين وأوائل في المجتمع العربي وعلماء وذلك في مختلف المجالات وعلى كافة الأصعدة هذا هو الواقع وليس صحيحاً ما يدعيه دعاة النزعة الانفصالية عملاء الاستعمار من أنّ الأقليات كانت تعاني وحدها من الاضطهاد وأن العرب كانوا يضطهدون تلك الأقليات!

ويبقى السؤال دائما هو متى حصل مثل هذا الوهم أو متى بدأ مثل هذا الادعاء أليس على المدعي البينة أليس عليه تقديم الدليل والبرهان[1] قال تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) فالعرب لأنهم حضاريون فهم مؤمنون بأنّ الإنسانية كل البشرية مجموع متضامن في مصلحته مشترك في قيمه وحضارته والعرب يتغذون من الحضارة العالمية ويغذونها ويمدون يد الإخاء إلى الأمم الأخرى ويتعاونون معها على إيجاد نظم عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام والسمو في الخلق والروح وكل الناس هم بطبيعة الحال مشتركون في الأرض ولكل إنسان الحق في الإقامة على الأرض العربية فيما إذا جاء إلى الأرض العربية أو وصل إليها وكان يرغب في الإقامة عليها، فليس لأحدٍ منعه من ذلك أبداً، لأنه مبدئياً فإنّ الأرض لله ولكن إذا بادر أحدٌ بالإساءة إلى العرب وناصبهم العداء وتآمر عليهم وسعى إلى هلاكهم وانضم إلى مجموعات كانت تناهض العرب وتعاديهم سواءٌ أكان وافداً أم كان أصله من قريش عند ذلك فإنّ على العرب جميعاً بما فيهم الأكراد والأمازيغ وهم جزءٌ من العرب وهم معنيون بالتصدي لمن يعادي العرب والعروبة.

فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الروم، ولكن متى قام العرب وفي أي مرحلة من مراحل تاريخهم المجيد، بدينهم ووجدانهم وفكرهم وثقافتهم وآدابهم وأخلاقهم وعاداتهم، متى قاموا باضطهاد الآخرين أو الإساءة إليهم؟

هذه الفرضيّة المتخيّلة التي باتوا يتداولونها وقد انتشرت كاعتقاد راسخ بينهم ويحتجون بها إنها مختلقة وليس لها أساس وقد اخترعها الذين صمموا مواقع الفصل الإثني والطائفي والعرقي، كتبرير نفسي وتهيئة لفعلتهم الشنيعة قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الأحقاف

ألم يقلْ المستشرقون ويشهدوا بأنّ (ماعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب) وهم في الواقع العربي الأقليات لم يعانوا وحدهم الأخوة الأمازيغ العرب والأخوة الأكراد العرب[1] (العروبة ليست عرقية) وكنّا كلّنا في المنطقة العربيّة في

(١) في إحدى أماسي صيف عام ٢٠٠٨ زارني في مكتبي شخصٌ محترم لم أكن أعرف عنه شيئاً، كان في مطلع العقد الثامن من عمره يحمل عكازاً عرّفني عن نفسه قائلاً: أنا دمشقي معروف واسمي (م. ع سردار) ثم استدرك قائلاً: يقولون عنا أننا أكراد، ولكننا نحن عربٌ ولسنا أكراداً، والحقيقة أن بريطانيا كانت قد ضحكت على الأكراد وذلك من إعزاز وعفرين وحتى السليمانية على حد قوله وأقنعتهم بأنهم أناس مختلفون عن العرب وأنهم لا علاقة لهم بالعرب وقالت لهم أنتم آريون وأن العرب ساميون وهذه من خرافات التوراة والجاهل قد يضِرّ بنفسه أكثر مما يضِّر به عدوّه، وهكذا صار الأكراد يطالبون بالانفصال عن العرب بينما الحقيقة أن الأكراد عرب وعرب اقحاح وهم شعبٌ عربيٌ قديم فالعروبة ليست مسألة عرقيّة مثلهم مثل الأشوريين والسريان والكنعانين والآراميين والأنباط والغساسنة وغيرهم من القبائل العربية، ولأنّ العروبة أساساً ليست حكراً على القرشيين، بل هي أوسع من قريش وتشمل جميع الشعوب التي كانت قد عاشت في هذه المنطقة ليس بالضروري أن نستسلم لمقولة المستشرقين فما كان مني لا شعورياً إلا أن قمت من مكاني ووثبت إليه وقبّلت رأسه الخالي تماما من الشعر، وقلت له أحيي نضالك يا أخا العرب! فاستغرب =

الهم سواء.

لقد كانوا وعلى مر الزمن جزءاً جميلا ورائعاً من النسيج العربي والتاريخ العربي الإسلامي ولم يصادفوا وحدهم الأحوال الخاصة كما يشاع ولكن العرب جميعهم كانوا يعانون وجميعهم في الهم سواء وكان كل العرب في البلاد العربية موزعة عليهم الأهوال، لقد فاتهم أنّ العربي هو كل ما كان موصولا بالله سبحانه وتعالى والأعجمي ما كان بخلاف ذلك.[1]

تصرفي وأصابته الدهشة وقال: لماذا ثم أوضح لي أنه كان عضواً في الحزب الشيوعي السوري المكتب السياسي وأنه كان قريباً من خالد بكداش أ. هـ

(١) الأمة العربية على امتداد العالم تشكل وحدة ثقافية متجانسة لا تتجزأ وليس فيها تناقض أو تباين، وجميع الفوارق القائمة بين أبنائها عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي هي بذلك وحدها تشكل على أمريكا واليهود الخطر المحتمل ولذلك فهم جميعهم لا يملون من الإعداد وشن الحروب الاستباقية على العرب.

الأرمن والعرب

هناك شعور عام لدى الأرمن في كل أنحاء العالم بانتمائهم إلى الوطن الأم (أرمينيا) وبالرغم من صغر الأقلية (الأرمنية) في البلاد العربية فقد لعب الأرمن فيها منذ مطلع القرن العشرين دوراً مهما ربما أكبر من حجمهم؛ خاصة في الحركة الشيوعية، حيث كان الحزب الشيوعي (السوري اللبناني) موحدا حتى بداية عام ١٩٤٤، وقد دخل الكثير من المثقفين والكتاب الأرمن في الحياة السياسية والحركة الثقافية والفنية وانخرطوا في العديد من الأحزاب العامة في سوريا ولبنان، أما بالنسبة للأحزاب الأرمنية، فقد بقيت خارج الحياة السياسية في البلاد العربية وانحصر نشاطها فقط في الأوساط الأرمنية، وبعد استقلال الجمهورية الأرمنية حديثا عن الاتحاد السوفيتي١٩٩٠المنهار بدأ ينظر الكثير من الأرمن لوضعهم في سوريا كوضع الجاليات الأجنبية، أو هكذا يراد لهم أن يبقوا ويفكروا ويعيشوا!

بينما الحقيقة كانت على العكس تماماً، فإنّ الأخوة الأرمن[١] الذين كانوا قد نكبوا وعانوا في بلادهم، وقطعوا آلاف الأميال هرباً من الموت المحقق، ليصلوا إلى البلاد العربية مطلع القرن العشرين (العراق وبلاد الشام) لقد تلقوا من العرب في حينه كل ترحيب وكل مساعدة وقدّم العرب لهم الغذاء والمأوى والرعاية والمواطنة الكاملة وعاملوهم على الدوام معاملة رائعة، وأفسحوا لهم المجال إلى أن نالت

---

(١) والأخوة الأرمن في البلاد العربية بالتأكيد لا ينشدون الانفصال أو إنشاء كيان خاصٍ بهم على الأرض العربية وبالتالي فهم لا يشكلون خطراً على الكيان العربي، ولكن من المفروض أدبياً وأخلاقياً ممن يعيش على الأرض العربية أن يندمج سياسياً واجتماعياً في الكيان العربي، طالما أنه سيبقى،حياتياً في هذا الكيان أن ينضم إليه نهائياً وأن يعمل لمصلحته لا لغيره ولا يجوز أن يعمل أو أن يتكتل ضده أو لخارجه بل يجب أن يتخلص من العقد التاريخيّة التي أورثتها لوحة مذبحة الأرمن والتي لم يعد لها أي مبرر وأن يخلصوا في بلاد العرب الانتماء للعروبة وطنهم الوحيد.

دولتهم نهاية القرن العشرين استقلالها، وبقي الأرمن متواجدين في البلاد العربية يقطنوها ولهم فيها حياة، والغريب في أمر المشكلة الأرمينية أو العقدة لدى الأرمن كان دائما هو الطرح الخاطئ أو المعكوس لطبيعتها، لأنّ العرب في البلاد العربية لم يكونوا في يومٍ من الأيام طرفاً فيها ولم يكن لهم أي علاقة في طبيعتها، ومع ذلك تجد الإعلام والباحثون الغربيون يجعلون من العرب السبب الأول والأخير في نكبة الأرمن والمسؤولين عن حلها، أما اختلاق الأحداث الافتراضية والادعاءات ماقبل التاريخيّة وتسليط الأضواء على العصور القديمة، فهو عملٌ غير مجدٍ على الإطلاق وكل ما هو وهم فسيبقى وهم قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢٨** ﴾ الأحقاف.

الجدير بالذكر أن تمكين العرب لأيٍ من الأقليات ممن تعيش في حدود الأرض العربية، وخصوصاً التي سبق وأن أتت من خارج الأرض العربية وهي على الأرض العربية من القراءة والكتابة والتحدّث البيني في ما بينها بلغتهم الخاصّة(١) وتشكيلهم للتنظيمات وللنوادي وللمؤسسات ودور العبادة وإصدارهم للكتب والمطبوعات الخاصة بهم، يعتبر فضلا وسعةً وكرما من العرب على تلك الأقليات (وهي تعيش على الأرض العربية) لهو دلالة على أن العرب كانوا قد قدمّوا لتلك الأقليات في أيام نكبتها ما لايمكن أن يقدمه غيرهم، متجاوزين المصلحة العربية

(١) هذا ما حدث في باريس في نهاية القرن العشرين إذ أقدمت مجموعة من الشباب الفرنسي (الحضاري جداً) فجأة بمهاجمة شابٍ عربي من المغرب وضربوه بوحشيةٍ حتى الموت وألقوه في نهر السين بباريس، وذلك لمجرد أنهم سمعوه يتكلم في العاصمة الفرنسيّة باللغة العربية، لقد شهدت المدن الأوربية الكثير من الحوادث والاعتداءات ضد المهاجرين إلى الدول الأوربية وقتلوا بعضهم قتلا شنيعاً، حتى أن بعض الدول الإفريقيّة وقد انتقلت إليها هذه العدوى وأخذ الناس هناك يهاجمون بكل وحشية، اللبنانيين وكل الوافدين وخصوصاً العرب والمسلمين، فكيف تعامل العرب مع الأرمن والشركس والأكراد، وغيرهم بداية القرن العشرين؟

العليا والتي كانت تقتضي المراقبة العربية لكل تلك الفعاليات الأمر الذي كان من شأنه الإضرار بالمصلحة الوطنية والقوميّة العربية العليا أو أدى فعلا إلى الإضرار البالغ بالمصلحة العربية العليا، فعلى الأقليات، الذين يصرون على التشرذم والانفصال عليهم رد الجميل واحتساب ذلك العطاء والفضل غير المحدود من العرب وعدم نسيانه وعدم نكرانه لقد كان ملحوظاً قيام تلك الأقليات في القرن الماضي بتشكيل كل الأحزاب والتنظيمات والحركات الدينية والعلمانية المناوئة للعرب والانضمام إليها، بغية الحؤول دون قيام الوحدة العربية المحتملة أوتحقيق أيٍ من الآمال الوطنية العربية لقد عملوا مابوسعهم[1] وكان العرب غائبين والغائبون دائما خاسرون.

والأرمن الذين يضيفون أو يلحقون بأسمائهم العربية العريقة؛ لاحقةً وهي ألف ونون فيقولون (سميرجيان) و(جورجيان) و(يعقوبيان)، فهل يعني هذا الأمر أنهم، أي الأرمن، كانوا يقصدون أن يجعلوا أسماءهم مقدسةً؟ فيلحقون بها اللاحقة القدسية (النون) لاسيما أنّ ظاهر لفظ (الأرمن) ذاته يعني بطبيعة الحال وبعد تجريد هذا اللفظ من الحرف الزائد القدسي واللاحقة (النون) فهل يعني ذلك أنّ الأرمن والله أعلم، فهل يعني هذا أنهم كانوا مجرد عشيرة عربية كانت قد انشقت عن

(١) كان (ارتين مادونيان) أرمنياً و(خالد بكداش) كردياً، وقد قاما بتأسيس أول حزب للشيوعيين العرب في البلاد العربية! (الحزب الشيوعي السوري اللبناني) بدايةً ثم فصلوه بعد ذلك، كان أرتين مادونيان لا يخفي عمله من أجل قضيته أو هدفه الأساسي الأرمن، ولا يخفي إحساسه بالظلم وحقده على الآخر؛ (راجع كتاب حياة على المتراس) تقديم جورج حاوي. دار الفارابي بيروت ١٩٨٦م وكذلك خالد بكداش من الحزب الشيوعي السوري، الذي لم يكن يخفي اعتراضه على أية محاولة لقيام أي وحدة عربية، ما لبث في النهاية أن انحسر موضوع ذهب النضال والكفاح والثورية، واقتصر الحزب الشيوعي على مجموعات تنم عن أقليات فئوية تخاصمت فيما بينها على المصالح! راجع كتاب (أزمة ومشكلات الحزب الشيوعي السوري) لسلامة كيله، دمشق ٢٠٠٤.

الأرومة العربية الآرامية في الزمن السحيق، وذلك قبل آلاف السنين.

إنّ الآراميين الذين كانوا قد شكلوا عبر التاريخ السحيق في القِدم، إمبراطوريات واسعة وشاملة امتدت إلى ما بعد الهضبة الآرامية التي ينبع منها النهران العربيان دجلة والفرات والتي صارت تدعى فيما بعد (الهضبة الأرمينية) فهل تعني لفظة أرمن: (آرام الله) أم (عرب الله)! وخير دليلٍ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ الفجر، و(إرم) بالتأكيد كانت في المنطقة العربية فهي لم تكن في أوربة حتماً، كذلك فإنّ الدليلِ على ذلك موجودٌ حالياً لدى الأرمن أنفسهم، وهو أنّ الألفاظ العربية الأصيلة لا تزال في اللغة الأرمنية المعاصرة واضحة للمتأمل وللدارس والباحث والعالم، لا تزال تشهد على ذلك، وهناك الكثير من عادات الأرمن وتقاليدهم الصارمة وهي ترجع إلى جذورٍ عربية أصيلة؛ وقد يكون الأرمن قد انبثقوا عن العرب الحثيين الذين كانوا قد شكلوا حضارة واسعة في الشمال الشرقي؛ على بطاح هضبة أرمينيا حالياً والذين كانوا قد انبثقوا بدورهم عن الأشوريين والسريان والآراميين والتركمان في مرحلةٍ من مراحل التاريخ القديم، والذين كانوا بدورهم قد شكلوا أيضاً امبراطوريات واسعة امتدت مئات السنين في التاريخ القديم وقد شملت هضبة أرمينيا ومنابع دجلة والفرات! الله أعلم، فهل كان الأرمن بالأساس مجرد عشيرة عربية آرامية، كانت قد انبثقت عن قبيلة (عاد) العربية الآرامية القديمة وبلادها ارم ذات العماد المذكورة صراحة في القرآن الكريم إن القرآن الكريم هو الحق وهو الذي يقصّ علينا القصص الحق، وليس كتاب (قصة الحضارة لول ديورانت)[1] إنّ (ول

(١) ما الفرق بين الحضارة والمدنية وما معنى حضارة؟ هذا السؤال القديم كثيراً ما حاول المثقفون العرب الإجابة عليه، ولكنّهم كانوا كثيراً ما يخلطون بين مفهوم التحضر الحقيقي الناجم عن الحضور، أي المشاركة والتفاعل والأخذ والعطاء وهي حالة عكس الغياب فالغائبون دائما خاسرون وبين غيره من المفاهيم وبالتالي فأنت متحضِّر إذا كنت حاضراً ولو كنت في لجّةِ الغابة أو في مجاهيل الشِعاب أوعلى قمم الجبال النائيات، وبالتالي فأنت متخلف جداً إذا كنت =

ديورانت) هذا اليهودي الذي أعاد كتابة التاريخ العالمي وفق المسطرة التوراتية ولمصلحة اليهود! وكان في كتابه قد شنّ حرباً على العرب والإسلام، ولسنا نحن – كعرب وكمسلمين– مضطرين لمتابعة اليهود في ما كتبوه لنا عن التاريخ القديم والحضارات القديمة! لعل التاريخ لا يجد لهذا التشويه نظيراً حتى الآن(١) وإنّ الأولى بنا

غائباً عن المشاركة ومتوقفاً عن الأداء وغافلا عن الحقوق والواجبات ولو كنت تعيش في مركز أهم المدن الأوربية أو الأمريكية فأنت متخلفٌ إذاً! فالحضارة من الحضور الذي أمر به رب العالمين في كتابه العزيز، وفرقٌ كبيرٌ بينها وبين التمدن الغربي غير المبين، والنابع من مفاهيم كانت توراتية المنشأ تلمودية الهدف، ولكن هل نحن مطرون إلى تتبع الأوربيين في المفاهيم التي اخترعوها أو النظريات الفكرية والفلسفية في التاريخ وباقي العلوم الإنسانية؟ وبالتالي متى سيكون للعرب مفهومهم الخاص عن (الروح الوطنية) النابع من معطيات عربية خالصة إذ أنّ الوطنية في الفكر العربي لا تعني الدولة أو الحزب أو الطائفة أو الإقليم، ولكنّ هذا المفهوم موجودٌ في حياة الناس أساساً قبل السياسة؛

(١) أذكر أنني قرأت مرة : أن الرومان عندما دمروا اليونان أصبحت (أثينا) جزءاً من إمبرطوريتهم وأصبح الناس في أثينا مواطنون رومان في تلك الفترة صارت الفرق المسرحية اليونانية تعرض مسرحياتها في روما؛ وعندما كانت الفرقة المسرحية اليونانية تعرض في روما لأول مرة، مسرحيتها (أوديب ملكاً ـ لسفوكليس) وكان الأمبرطور الروماني يحضر العرض الأول؛ فإن الإمبراطور وقف في أثناء العرض صارخاً وأوقف عرض تلك المسرحية وأمر بتحطيم المسرح وقال قولته الشهيرة: (لا ينبغي أن يقال للرومان مثل هذا الكلام) وكانت المسرحية تروي أنّ (أوديب) ابن الملك قد تزوج أمه! فهل تنبّه الأمبراطور في حينه إلى ثقافة الإنحطاط أو التهويد والتي كانت السبب الرئيسي في هزيمة أثينا أمام جحافل الرومان؛ وهل تنبه العرب المسلمون مطلع الألفية الثالثة إلى ما كان قد تنبه إليه الإمبراطور اليوناني في ما مضى من الزمان؟!

(١) لا شك في أن التحريف والمبالغة قد لحقت التاريخ العالمي برمته، وأن اليهود قد تعمدوا المبالغة فيه إلى أقصى مجال حتى أصبح خيالياً مفتعلا مغشوشاً موهِماً، أوهموا فيه الأجيال في أوربة لدفعها من خلال تحسيسها بالذنب المستمر للوقوف إلى جانب اليهود ودعمهم وتبرير كل ما فعله اليهود في تاريخهم القديم والحديث؛ وعبر الروايات والقصص والمسرحيات والسينما والفن التشكيلي التي أصبحت في هذه الأيام بديلا عن التاريخ الحقيقي وقد استطاعوا وتعمدوا تمرير أكاذيبهم وخداع العالم بخيالاتهم لطالما أنّ العالم قد استسلم نهائياً لألاعيبهم =

وكذبهم وادعاءاتهم، لقد كانت الكثير من الروايات والقصص والمسرحيات والأفلام واللوحات الفنية الأوربية الحديثة كانت بالنسبة لليهود عبارة عن حصان طروادة، تم فيها غزو الفكر الإنساني، وعن طريقها تم تحميل كل المبادئ التوراتية والتلمودية، التي كان أكثرها في خدمة اليهود ومشاريعهم لتزوير التاريخ وتبديل وقائعه و من خلالها تم تغيير معالم الواقع وقلبت الحقائق رأساً على عقب.

إن كثيراً من الروايات المعمول بها في أوربة، منذ مطلع القرن العشرين، كان قد وضع في خدمة اليهود التي كانت تفترض وتتحدث عن إدعاءٍ وزعمٍ لتاريخٍ قديمٍ لليهود، أو عن افتراءٍ وافتراض؛ أن ظلما لحق باليهود إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية (الحرب والسلام لتولستوي) والتي أصبحت هذه الرواية، عند الأجيال في العالم بديلا عن التاريخ أو هي التاريخ ذاته! بينما هي مركبة في ذهن الكاتب ورواية (الساعة الخامسة والعشرون) وكذلك رواية (الطبل) وأكثر الروايات التي حصلت على جائزة نوبل، هذه الأعمال التي كانت تفتري وتدعي أن لليهود حقاً في أرض العرب وعملت على تكريس هذا الادعاء على أسماع وأنظار الأوربيين والعالم حتى أدخلت في عقولهم الأوهام وبالمقابل كانت هذه الأعمال تسيء للعرب أيّما إساءة، والعرب غائبون ودون أن يكون هناك من يحاسب، الأمر الذي أدّى بالنتيجة إلى تجييش الرأي العام الأوربي والعالمي ضد العرب، ومع مرور الزمن انعكست هذه السلبيات، عن طريق الترجمة غير المسؤولة أو المسؤولة، إلى أن أدخلت إلى الثقافة العربية الحديثة، والفكر العربي الحديث؛ وعششت في عقول بعض الخاصة، والكثير من العامة، وهي أخطاء يجب أن تصحح، عاجلا أم أجلا عند عودة الوعي العربي وبخلاف التاريخ الحقيقي فإن الأعمال الفنية؛ كانت دائما تحتمل التلفيق والافتراء، أو التزوير أو التغيير أو التبديل لأيٍ من الوقائع، أو الأحداث، أو الشروط، أو الظروف، وتحتمل الأجناس الأدبية والفنية وأكثرها تحوي مضامين تبنى بناءً وتوضب توضيباً وتحضر تحضيراً، ويخطط لها تخطيطاً، يختلط فيها الحابل بالنابل الخيال والافتراض والتصور والتوقّع والدس والافتراء والتلفيق والتزوير للحقائق والوقائع، ثمّ تكون النصوص واللوحات والأفلام طبخةً مرسومةً مهندسةً، مقنّعةً مقْنِعة ومعزوقة وملوّنةً، وتقدم للجمهور تحت عناوين الإبداع والحداثةِ والواقعية؛ وكثيراً ما تخدم هذه الأجناس، بالنتيجة غايات خاصة.

ومعروفٌ لدى الأدباء والنقاد أن هذه الأشكال الأدبية والفنون، تحتمل نسبةً من الواقعية، إضافة إلى احتوائها على نسبة أكبر من الفرضيات غير الحقيقية؛ والحوادث التي لم تحدث أبداً، (مسرحية أوديب ملكاً) ولعل هذا هو السبب الذي جعل العرب قديما يحجمون ويتحرجون =

أن نتبع كتاب الله وهو تعالى أصدق القائلين وهو أعلم بكل شيء سبحانه وتعالى.

فالأرمن مثلهم مثل عشيرة (الاشبين) التي سبق وأن انزاحت أو انفصلت إلى ماسميّ الجزيرة الأيبيرية أو اسبانيا وبلاد الأندلس، والذين أعطوا اسمهم لتلك الجزيرة، ومدينة (اشبيليا) التي أصلها اشبيلياء عربية قديمة أول مدينة بناها الاشبينيون الآراميون وهي لاتزال تشهد على ذلك؛ ومن قبل كان الاشبينيون في دمشق، وإليهم يرجع اللفظ الكنسي: الراعي (الاشبين!) وأساساً كانوا عبارة عن عشيرة عربية، وكانت قديما يناط بها رعاية أو سدانة معبد حدد وملحقاته من المعابد؛ ثم انفصلت هذه العشيرة أو نفيت بأمر الملك في ما مضى من الزمان عن الأرومة العربية الآرامية وذهبت شمالا ووصلت إلى غرب أوربة (الجزيرة الأيبيرية) أو ما صار يدعى عربياً الأندلس، وهناك أعطوا المفردات إلى الطبيعة البكر أسماءها وابتنوا القرى وأسسوا المدن ومنحوها أسماءهم أيضاً، تماما كما زحف من قبلها عشائر السلت (الكلت أو الكلبيون) وأساساً (الكلت) كانوا من بلاد الشام؛ و(اللاتينيون) نسبة إلى (اللات) من الجزيرة العربية، و(الإغريق) من (الإفريق) أو إفريقيا وجميعهم كانوا قبل آلاف السنين من المنطقة العربية فتأمّل.

وذلك بصرف النظر عن كل ماكتب من أساطير وخرافات وأضاليل يهودية حديثة مزعومة تعمل على قلب الحقيقة، لتتقوّل نظريات ما أنزل الله بها من سلطان، مثل القول بالعرق أو الجنس الآري على أنه شيء مختلف عن العربي عنصرياً ودموياً والأصول الهندو أوربية واللغات الهندو أوربية قال تعالى: ﴿إِنَّ

من التعامل مع هذه الأجناس الأدبية، والتي ليس بالمصادفة، أن أصلها غير عربي، وليس غريباً أن نعرف أن اليهود يشجّعون الشعوب على الرواية والقصة، كبديل عن قراءة التاريخ، وفي الوقت نفسه، فهم يعملون على تحطيم صورة الشعر العربي عند الأجيال فلماذا؟

هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾النجم، وأمثال هذه النظريات التي وضعها الوضاعون كثيرة جداً مثل الحديث الواهم عن الإمبراطورية الميدية التي صار يتم ربط تاريخ الدول والشعوب الحديثة في المنطقة بها مؤامرة بليل متناسين ومتجاوزين الحضارات العربية التي ملأت وتملا التاريخ والتي يضيق المجال عن تعدادها.

الشركس والعرب

(الشركس) وهم مسلمون، سبق وأن وصلوا إلى البلاد العربية من بلاد بعيدة، بعد أن تعرّضوا، في بلادهم، إلى نكبات كثيرة واضطهاد، وقد قام العرب أيضاً مطلع القرن العشرين باستقبالهم وقدموا لهم المأوى والغذاء واعتبروهم عرباً كلّ هذه الأيام، لهم ما للعرب وعليهم ما عليهم، وفعلا دخل الشركس في المؤسسات العربية في جميع الدول العربية (الشرطة والجيش وكافة الوظائف) ووصلوا فيها إلى أعلى المراتب، وكان القادة في الدول العربية يثقون كثيراً بهم ويعتمدون عليهم، في سوريا والأردن وفلسطين والعراق، وكانوا مثال الإخلاص والوفاء.

وقد قام الشركس في الحضن العربي بتأليف الجمعيات والتنظيمات والنوادي الخاصة بهم وهم يقطنون ويجتمعون في حارات وقرى ومناطق خاصة معروفة، ولا يزالون يتحدثون فيما بينهم باللغة الشركسيّة، ويحتفلون بأعياد وحفلات خاصة بهم ولهم بعض (الطقوس والأزياء والرقصات الخاصة) ولم يتعرضوا في بلاد العرب لأيّ معارضة، بل على العكس، فهم مرحبٌ بهم دائما مواطنين وأخوة أعزاء[1].

(١) وأريد أن أسجل في هذا الموضع لقائي بأخ هو شقيق الأستاذ الشيخ جودت سعيد الشركسي المحترم والمعروف، صاحب دعوة (اللاعنف) والذي كان عند ظهوره على الناس يحرص على لباسه للزي الشركسي، ذلك على أثر نشري لكتابي ألتقيته بعد قراءته لكتابي المذكور ورغبته في الرد عليه وقد احضر معه مشكوراً كرّاساً مليئاً بالتعليقات والملاحظات على الكتاب، لكنني اكتشفت أن، له أخاً خريج الأزهر أيضاً وأن لديه سوء فهم لمفهوم العروبة لم أستطع تصحيحه على الرغم من كل ما كنّا ندعيه من قدرة على الإقناع (كوننا كنا ندافع عن الحق) لكنه كان يصِرّ بحجة الإسلام على اعتبار العروبة الشر المستطير الذي يجب على الجميع ليس تجاوزه فحسب وإنما سحقه وقتله في الصميم، بينما كان لايخفي رؤيته كمفكر إسلامي، أن بعض آيات القرآن =

لذلك يجب على من أراد منهم البقاء على الأرض العربية أن يعتبر نفسه على كل حال، أدبياً وأخلاقياً وإسلامياً، تحت مظلة الإسلام الحنيف عربياً (أساساً الإيمان بالقرآن الكريم يقتضي التعرّب والانتماء الحضاري للعروبة) قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرعد، وللعلم فإن القضية في القرآن ليست ولم تكن قضية لغة أبداً ولكنها قضية انتماء لما هو من عند الله لما هو (رباني)، فليس لأحد ممن يقيم على الأرض العربية أن يحقد أو يعمل على تكتل ضد العرب أو أي شكلٍ من أشكال التشرذم أو التمايز المعادي للعروبة تحت أي ذريعة، مع التأكيد على أن العروبة في القرآن الكريم ليست مسألة قوميّة ولم تكن كذلك أبداً والسؤال الذي يخطر على البال دائماً: أنّ الآشوري واليزيدي والصابئي والكردي والشركسي والأرمني والأمازيغي والزنجي والقبطي...، وكل من تحدّثه نفسه، وتوسوس له القوى الخفيّة، أو وضع نفسه في خدمتها، ويصورون أو يزيّنون له فكرة التقوقع والتشرزم والتآمر على الأكثريّة، عن طريق التأكيد على لغته القديمة وضرورة انبعاثها من جديد؛ وكذلك اللباس الفلكلوري، كأدات أو كتعبير ممانع ضد التعرّب، الذي ربما يصبح عند الأقليات التأكيد عليه شيئاً مقدساً وسلاحاً يشهر في مواجهة الحياة العربية، هل سأل نفسه أو هل أدرك (الفئوي) من هي الأكثريّة التي ينوي التعصب ضدها، أو لماذا هو يعادي هذه الأكثرية؟

والسؤال الآخر هو أن هذه النزعات الفئوية[1] أين تذهب عندما يذهبون إلى أمريكا مثلاً، وكيف يندمجون هناك في المجتمع الأمريكي ويعتبرون أنفسهم

الكريم العربي صار المطلوب إلغاؤها وتجاوزها أو شطبها من المصحف إن أمكن (خصوصاً الآيات التي تتعلق بالجهاد) لكونها لم تعد صالحة لهذا الزمان.

(١) إنّ هناك خشية حقيقية من أن تخلق هذه الخرائط وهذا الخطاب الكردي المتطرف شعوراً لدى =

أمريكان أكثر من الأمريكان وينسون لغتهم وأزياءهم، ما هو السبب الذي يجعل الناس الذين عاشوا على الأرض العربية عشرات ومئات وآلاف السنين، يبادرون في العصر الحالي للعمل على الانفصال ويؤكدون عليه، وهم هناك في الدول الغربية ينسون أصلهم لمجرد حصولهم على (الغرين كارد) الأمريكيّة؟ هل هو غياب السيادة العربية الفعليّة على الأرض أم أنّ العرب طيبون زيادة عن اللزوم؟

إن مايزيد الطين بله هو سذاجة المفكرين العرب المعاصرين، ممن يتصدرون للأبحاث والتحليلات المصيريّة والتي هي غاية في الأهميّة وبساطة طرحهم أو تناولهم للقضايا العربية وذلك أن أكثرهم (المفكرون العرب) ليسوا أصحاب قضية، ولكن مع الأسف الشديد فهم مجرد متعيشين أو مرتزقة من القضية، إضافةً لعدم قدرتهم على فهم الأمور وتحليلها التحليل المناسب، إلا من رحم ربي.

والمذهل فعلا هوأن يستمع الناس أحياناًوعلى نطاقٍ واسع لأمثال هؤلاء وهو يصدح على الفضائيات والإذاعات الدولية،ومنهم من يقدم نفسه أو يقدمونه على أنه بروفسور أو دكتوراه دولة في أمور السياسة والتحليل السياسي ليضيع المصلحة العربية العليا ويهدرها وهو يحلل القضايا العربية الكبرى تحليلا سطحيا مبسطا عن قصد أو عن غير قصد فالنتيجة واحدة متمطِّياً

الإنسان العربي الكردي في سوريا والعراق بأن ما يدعى بـ (كردستان) كان جزءاً من (كيان سياسي كردي قام منذ آلاف السنين) وأنه اليوم محتل ومغتصب من قبل العرب مما سيقلل ويضعف بالتأكيد الشعور الوطني والانتماء الوطني الحقيقي لدى الأخوة من العرب الأكراد وطبعاً سيخلق عندهم نزعة انفصالية في المستقبل لهذا على جميع القوى الوطنية العربية، بمن فيها الأحزاب الكردية التي تتميز باعتدال طرحها وخطابها الوطني في البلاد العربية أن تتنبه لمخاطر طرح مصطلح (كردستان) وتأثيراته السلبية على مسالة الحوار الوطني والهوية الوطنية في البلاد العربية.

بالموضوعيّة والتعادليّة وبإيمانه بالتعددية ليقزم بالنتيجة القضايا العربية الكبرى ويخرِب صورتها أو يقلب الحق فيها إلى باطل، فهل يجوز لكل من هب ودب أن يناقش القضايا العربية المصيرية الكبرى من منظوره ولو كان معطوباً؟[1]

(١) ليخرج علينا مؤخراً على تلفزيون الجزيرة أحد المفكرين السودانيين الدكاترة المتحذلقين من المعاصرين بطلعته البهيّة ليحلل لنا الوضع في السودان بعد أن تمطى فيقول: بالواقع إن السودان ينقسم فيه السكان إلى قسمين عرب وأفارقة فأما العرب فقد دخلوا السودان في القرن كذاوهناك الأقباط المسيحيون وهناك الأفارقة وهذا المحلل قدموه على أنه دكتوراه في العلوم السياسية، فهل علمتم كيف ضاع أو ضيّعوا السودان الحبيب

بداية نتساءل: كيف توضع (النزعة الفئوية الأمازيغيّة) في مقابل العروبة، ثم كيف توضع (النزعة القاريّة الإفريقانية) في مقابل العروبة، ثم كيف توضع (النزعة البيئية أو العرقية النوبيّة) في مقابل العروبة، ثم كيف توضع الدعوة الاستشراقية أمة البحر الأبيض المتوسط في مقابل العروبة، ثم كيف توضع (النزعة الإقليميّة القومية السورية) في مقابل العروبة، ثم كيف توضع النزعة القبائلية العرقية الكردية يشكل تأكيد القومية الكردية في أيامنا، مشكلة سياسية بالنسبة لبلدان ثلاثة من الشرق الأدنى هي تركيا والعراق وإيران بالنظر إلى أن البلدين الآخرين اللذين تلتقي فيهما تجمعات كردية على جانب من الأهمية وهما سوريا و الاتحاد السوفيتي فإنهما غير معنين بهذه النزعة[1] في مقابل العروبة، ثم كيف توضع (النزعة الفيئوية الشركسيّة) في مقابل العروبة، ثم كيف توضع (النزعة الفيئوية الأرمنيّة) في مقابل العروبة، ثم كيف توضع (النزعة الفيئوية الأشوريّة أو السريانية) في مقابل العروبة، ثم فكيف توضع (النزعة الطائفيّة أو العرقية القبطيّة) في مقابل العروبة

---

(١) أقليات في الشرق الأوسط مرجع سابق

النزعة العربية القبطيّة

الأقباط والأنباط أقوامٌ عربية قديمة جداً ويعتقد أنّ الأقباط كانت امتداداً (للأنباط) فكيف توضع النزعة الطائفيّة أو العرقية القبطيّة ولم تأمن مصر من محاولات اسرائيل اختراق أقباط مصر، وفي هذا السياق ينحي الصهيوني يعقوب شمشون باللائمة على الوكالة اليهودية بسبب الفرص التي أضاعتها لإقامة علاقات وثيقة مع أقباط مصر ورغم ما تدعيه الدراسة من توافر قنوات كثيرة لذلك لكن الباحث الصهيوني يستدرك ويعترف بأن ما تم بذله في هذا الصدد قد ذهب أدراج الرياح بسبب رفض الأقباط ومع ذلك لم تتوقف المساعي الصهيونية وكانت أبرز المحاولات الصهيونية لإحداث فتنة طائفية في مصر تمت مطلع السبعينات وفي التفاصيل أن صناديق البريد لبعض الأقباط والمسلمين استقبلت عدة رسائل ومنشورات تبين بالفحص الدقيق أن غالبيتها مطبوعة في إحدى دول الشرق الأوسط ومكتوبة بحرف على ورق ليس موجوداً في مصر كلها، بل واكتشف أن بعض البيانات مطبوعة في كندا واستراليا والولايات المتحدة، وكان المعنى الأول لذلك أن جماعات من المهاجرين المسيحيين المصريين في تلك الأقطار ليسوا بعيدين كثيراً عن القصة بالإضافة إلى أجهزة بعض الدول وأيضاً إحدى المؤسسات الدينية الكبرى والمقصود: مجلس الكنائس العالمي وحول الدور الإسرائيلي في إثارة الفتنة الطائفية في مصر يقول مستشار محكمة أمن الدولة المصرية السابق محمد سعيد العشماوي: إن إسرائيل موجودة في الأزمة الطائفية في مصر، بدليل أن أهم أعضاء شبكة الجواسيس الإسرائيلية المعروفة بعائلة المصراتي كانت وظيفتهم رصد وإثارة الفتن الطائفية.

وكشفت مصادر إعلامية في العاصمة المصرية أن الموساد الإسرائيلي كثف نشاطاته في الشرق الأوسط حول مسألة الأقليات بعد أن تراجعت أهمية

المعلومات ذات الطابع العسكري، وأن عدد كبيراً من قيادات الجماعات الإسلامية العربية والقيادات الطائفية والعرقية صارت مسجلة على كمبيوتر الموساد وبمعلومات وافرة مثل الشيخ عمر عبد الرحمن وجلال الطالباني وجون غارانغ والبابا شنودة الثالث وزعامات دينية أخرى "وفي حديث لعضو مجلس الشعب المصري كمال خالد: أن محامي عبد الحارث مدني" مات في السجن شهر أيار ١٩٩٤ " أخبره ": أن المحكوم عليهم في قضية تنظيم الجهاد، اخبروه بأنه قد وصل إلى علمهم أن دولا أجنبية بدأت تتدخل في أحداث العنف لكي تشغل وتغذي الإرهاب في مصر التي أصبحت مستهدفة وأن بعضاً من القيادات الأمنية والسياسية لهم مصلحة في اشعال نار الفتنة في مصر لمصالحهم الشخصية، ولحساب تلك الجهات الأجنبية وأنهم أي المحكوم عليهم في قضية تنظيم الجهاد"يطلبون أمراً واحداً لكي يفوتوا الفرصة على تلك الجهات الأجنبية أو على المنتفعين والخونة من القيادات الأمنية والسياسية المدسوسين ضمن نطاق الدولة، وهذا الأمر مرهون بوقف أعمال التعذيب واختطاف الرهائن من أسر المعتقلين والالتزام بنصوص القانون واحترام أحكام القضاء[1] وقد تطورت تلك الوسائل بالطبع فيما بعد إلا أنها تظل فكرة قديمة جديدة تقليدية مستحدثة، ويرصد الأستاذ محمود محمد شاكر في كتابه رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، كيف أن قادة الحملة الفرنسية على مصر قرروا عند الانسحاب سنة ١٨٠١م اصطحاب عدد من المصريين ومن ثم عدد من أبنائهم وأحفادهم وحقنتهم بالثقافة الفرنسية ليكونوا فيما بعد حزب فرنسا في مصر، وهو ما فعلته تقريبًا كل الدول الغربية فيما بعد، بل إن نابليون بونابرت نفسه حينما فكر في الحملة الفرنسية اعتمد على اختراقات معلوماتية عن مصر عن طريق الأرمن المقيمين في مصر، وكذا

(١) عبد الله الحسن، (الأقليات في الواقع العربي ص ٥٣)

استخدم الدجل في منشوره الذي وزعه على المصريين وقتها قبل وصوله إلى الإسكندرية سنة ١٧٩٨م، حيث حاول الوقيعة بين المصريين والمماليك.

كما استخدمت الحملة الفرنسية على نطاق واسع أثناء وجودها في مصر المسألة الطائفية في اختراق النسيج المصري، وظهر في هذا الصدد عدد من أسافل القبط على حد تعبير الجبرتي مثل المعلم يعقوب الذي شكل وقاد ما يسمى بالفيلق القبطي، والذي أدى الأدوار الأكثر سوءًا في المجهود الفرنسي لقمع المقاومة الإسلامية ضد الحملة الفرنسية على مصر مثل تعذيب الثوار واستنطاقهم، أو جمع الضرائب والإتاوات، أو حتى عمليات الإفساد الأخلاقي للنساء والرجال.

ويلتقط الأستاذ محمد جلال كشك نقطة دقيقة ومهمة في هذا الصدد قائلاً: "كان الجبرتي يقسم أهل مصر إلى الأمراء وأولاد البلد وأولاد العرب أو المشايخ ومساتير الناس والزعران والحرافيش والعربان، ولكن حكومة الثورة الفرنسية قسمتنا إلى مسلمين ونصارى ويهود، وأصبح الناس في مصر حسب المنشورات التي تصدر عن الفرنسيين- إما فرنساويًّا وإما مسلما أو نصرانيًّا أو يهوديًّا".

وعلى النمط نفسه، أي استخدام ورقة الأقليات، شهدت الشام اختراقا أوربيًّا في هذا الصدد عن طريق إرساليات التبشير التابعة للدول الاستعمارية، وفي الحقيقة فإن التبشير ليس يستهدف تحويل الناس إلى النصرانية فقط، ولكن إقامة جسور مع الأقليات ومحاولة زرع التمرد داخلها، لاستخدامها فيما بعد في الصراع السياسي، أي أن التبشير والاستعمار كانا ولايزالا طرفي مقص يؤدي كل منهما إلى الأخرى فالتبشير يمهد للاستعمار والاستعمار يفتح الباب أمام التبشير على نطاق واسع. بل إن بعض المفكرين يلخص الاستعمار في كلمات هي (جنرال، ومبشر "قسيس"، وتاجر) وتقول الدكتورة سوسن إسماعيل: "وجه المبشرون الأوربيون اهتمامهم إلى البنية المسيحية في الشام فبدؤوا يثيرون

الخلافات في طبقاتها وأصل مذاهبها، وأن المنافسة بين البروتستانت وبين المبشرين اليسوعيين ألقت في البلاد فتنًا ومنازعات مذهبية واجتماعية، وقد تبارى المبشرون البروتستانت واليسوعيين في خلق هذه الاضطرابات بين الطوائف المسيحية ذاتها" وتضيف الدكتورة سوسن إسماعيل "منذ بداية القرن التاسع عشر غدت القنصليات الأجنبية في ولايات الشام أوكارًا للدسائس والفتن وإثارة الاضطرابات عن طريق تحريض الطوائف الدينية، وترويج الشائعات التي كانت تسبب الفتن الطائفية".

وتصل الدكتورة سوسن إلى الحقيقة الواضحة في استخدام السياسية الأوربية للأقليات قائلة: عمدت السياسية الأوربية إلى ترسيخ قدمها في المنطقة عن طريق غرس بذور الخلاف بين الطوائف مستعينة بالإرساليات الدينية والتعليمية.

ويمكننا الربط لذلك بين ظهور إرساليات التبشير في مكان ما، أو ظهور مشكلة خاصة بالأقليات وبين تطلع الدول الأوربية لنوع من النفوذ الكبير أو الصغير في تلك المنطقة. فكيف توضع تلك النزعات الطائفية والعرقية في مقابل العروبة، والتي هي الروح أو منظومة الأخلاق والقيم الربانية الاساسية، علما أنّ (بلاد القبط) تعبيرٌ عربي قديم يدل على ما بات يسمى اليوم (وادي النيل) وكان يقابل بلاد (النبط) وهو إقليم شرقي المتوسط (فلسطين والأردن) أو وادي الأردن، ولا يزال هذا التعبير (القبط) موجودٌ في اللغة السلتيّة و اللاتينية وما تفرع عنها (EGEPT ايجيبت) وكذلك في اليونانية القديمة (الإغريقية) وهذا دليلٌ على أقدميته، وليس في اللغات القديمة كلها ما يدل على أن لفظ (مصر) كان موجوداً من قبل أبداً، وكذلك فإنّ رسالة الرسول ﷺ والتي كان قد وجهها إلى (المقوقس) عظيم القبط ولم يكن فيها عظيم مصر؛ وإن زوجته ﷺ وأم إبنه إبراهيم كانت تدعى (مارية القبطية) ولم تكن مارية المصرية

وهذا دليلٌ اساسي وهام على أن اطلاق اسم (مصر) على ذلك الإقليم في وادي النيل الأعلى هو حديثٌ نسبياً (علما ان مصر من حيث التضاريس عملياً تقع في أرضٍ منبسطة وليست في وادي وإنما النهر يشق طريقه، وهي لا تقع في وادي أساساً، بينما الوادي في مجرى نهر النيل يقع عملياً وفقط في منطقة محدوة يمر فيها النهر بين السودان ومصر (منطقة النوبة) ثم كيف توضع النزعة الآثرية الفرعونية في مقابل العروبة، بل إن القوى الاستعمارية استخدمت موضوع الأقليات تحديدًا كتبرير للغزو والعدوان والاحتلال، ففي ١١ يونيو سنة ١٨٨٢م وقعت مشاجرة بين مواطن مصري يدعى (سيد العجان) وكان يعمل "حمّارًا"، أي يقوم بتأجير حماره للنقل والحمل وبين مالطي من رعايا إنجلترا، واختلف الرجلان على الأجرة؛ مما أدى إلى مشاجرة تطورت إلى صدام بين المصريين واليونانيين. وترى كل المصادر التاريخية المحترمة أن تلك الحادثة مدبرة بالاتفاق بين الإنجليز والمالطي والأقلية اليونانية في الإسكندرية لإحداث مذبحة لتبرير عملية الغزو، خاصة أن السفن الإنجليزية كانت قد وصلت بالفعل إلى ميناء الإسكندرية قبل أيام من ذلك الحادث. في الإطار نفسه سارت السياسة الإنجليزية في إحداث نوع من المشاكل بين المسلمين والمسيحيين في مصر، واستخدام هذه الورقة في تثبيت وتبرير الاحتلال، ووصل الأمر في عام ١٩١١م إلى فتنة كبيرة، فتم عقد ما يسمى بالمؤتمر القبطي الذي طالب بما يسمى بحقوق الأقليات، وكانت أصابع الإنجليز واضحة وراء هذا المخطط، يقول الأستاذ طارق البشري في كتابه المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية: "إن صحيفة الوطن ساهمت في استثارة الشقاق الطائفي في مصر واصطناعه، وكانت تعكس هنا هويتها الإنجليزية" وقد كتب بعض المنصفين من الأقباط أنفسهم متهمين الإنجليز بأنهم وراء تلك الحوادث، فسالم سيدهم اتهم أخنوخ فانوس "رئيس هذا المؤتمر القبطي"بالخيانة

وقال: "هذا أحد صنائع الإنجليز في مصر والآلة التي يحركها الاحتلال". وأضاف "أن إنجلترا تستخدم الخونة الذين لا ضمير لهم لقتل الروح الوطنية".

ويجب أن نلاحظ هنا أن الشقاق الطائفي الذي افتعله أعوان الاحتلال الإنجليزي من الأقباط وصل إلى أقصى حدوده من عام ١٩٠٨م إلى عام ١٩١١م، وهي الفترة التي كان الحزب الوطني قد وصل إلى حالة من القوة والانتشار بحيث أصبح خطرًا على الوجود الإنجليزي في مصر، وأن الإنجليز لجئوا إلى لعبة التفرقة الطائفية وبث النعرات الطائفية عن طريق عملائها كنوع عن طريق الحزب الوطني وجعله في حالة دفاع؛ وذلك لمنعه من الأخذ بزمام المبادرة وتفجير الثورة الشاملة على الإنجليز في مصر، ومن الغريب أن هذا الفكر الاستعماري قد طال الولايات المتحدة مبكرًا أي في عام ١٩١١م قبل أن تظهر مطامعها ومشاريعها في المنطقة؛ فالرئيس الأمريكي في ذلك الوقت دعم مطالب الأقلية في مصر، وأيد مطالب المؤتمر القبطي، ووصف المسلمين بالتوحش، وقال بضرورة بقاء الاحتلال الإنجليزي لمصر لحماية الأقليات لدرجة أن صحيفة الوطن المصرية لسان حال الاحتلال ولسان حال دعاة الطائفية من الأقباط قالت إن الرئيس الأمريكي هو منصف الأقلية من الأكثرية، وإنه من الضروري استعانة الأقباط بالدول الأوربية" لم يقتصر السلوك الإنجليزي على مصر في هذا الصدد بل طال السودان أيضاً وهنا نلاحظ أن الحالة السودانية اختلطت فيها المطامع الاستعمارية بالأهداف الكنسية، بالتداخل بين أكثر من دولة أوربية وأمريكية؛ فالمشاكل العرقية والدينية التي تثار في السودان بدءًا من التمرد في الجنوب والذي استمر إلى أن تم توقيع اتفاقية السلام الأخيرة، والتي هي بدورها اتفاقية هشة وقابلة للانهيار وكذا التمرد في كردفان التي تتضح فيها الأصابع الإنجليزية والأمريكية.

يقول الأستاذ حسن مكي في كتابه (التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة): إن التدخل في الشؤون الداخلية للدول يعد جزءاً من الدور الاستعماري الذي تقوم به

المؤسسات التنصيرية حيث تعد ذلك جزءاً من عملها لقيام إمبراطورية نصرانية تسيطر على العالم ففي جميع الدول التي أقام بها دعاة التنصير مراكز لهم أصبح هذا الدور واضحًا، فقد قام مجلس الكنائس بدور بارز في ذلك، في الإطار نفسه تأتي سلوكيات بلد مثل فرنسا في المغرب العربي حيث لعبت دورًا بارزًا في إثارة وخلق وزرع ما يسمى بالمشكلة الأمازيغية، ولاتزال تلعب على وتر بتلك المشكلة حتى الآن مع دخول أطراف أخرى على الخط، وكذا الممارسات المعروفة من إنجلترا تجاه المشكلة الكردية في العراق بل وإيران وتركيا منذ وقت مبكر، إلى أن قامت الولايات المتحدة بالحلول محل الدول الاستعمارية التقليدية في هذا الصدد فهل تم استخدام الأقليات العرقية والطائفية في الصراع في الحقبة الأمريكية؟

ورثت الولايات المتحدة النفوذ الاستعماري البريطاني والفرنسي والأوربي عموما في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي وورثت منه تقاليد المدرسة الاستعمارية في استخدام الأقليات في الصراع، وبديهي أنها طورت في الوسائل والأساليب وصبغت المسألة بصيغتها الخاصة والولايات المتحدة قامت أصلا من خلال جريمة كاملة هي جريمة إبادة الهنود الحمر ثم استرقاق السود ثم ممارسة العنف والقهر والعنصرية بطريقة لم يسبق لها مثيل، وتحالفت الولايات المتحدة مع الكيان الصهيوني ودعمته دعما شاملاً، وبالطبع لا يمكن وضع تواصل زمني محدد بين المرحلة الأمريكية وما قبلها، فهناك تداخل زماني ومكاني، وهناك استمرارية لدور الكنائس الغربية ومراكز التبشير في العملية الاستعمارية والغربية في المرحلتين الأوربية والأمريكية، علما أنه لم يقم دليلٌ قاطعٌ يثبت أن الآثار الرائعة التي في وادي النيل آثارٌ فرعونية؛ فلا يوجد أي دليل يربط بين الآثار الرائعة التي في وادي النيل وبين (فرعون) أو (آل فرعون) المذكورين في القرآن الكريم، وكل ماذكِر حتى الآن بخصوص الربط بين الإهرامات والفراعنة عبارة عن وهم وخيالات مصدرها المشروع التوراتي، بينما القرآن الكريم بالفهم الصحيح العربي المبين، فينفي ذلك

تماماً، كذلك أثيرت مسألة انفصال اهل النوبة وهي المنطقة الجنوبية من مصر، بين مصر والسودان، على أسسٍ عرقية ولغة محلية وفلكلور؛ في حين أنهم أساساً وهم عملياً عرب ومسلمون.

ثم كيف تكون (النزعة الإقليميّة العراقية) في مقابل العروبة، وكيف تكون (النزعات التشيّعيّة) في مقابل العروبة، وكيف تكون (الطرق الصوفيّة) في مقابل العروبة وكيف تكون (النزعات السلفية) في مقابل العروبة؟ وهل كانت العروبة أساساً تكافئ في مفهومها الرائع العظيم، ودفعة واحدة كل هذه المفاهيم المبطِلة والمعطِلة بمختلف أشكالها وتعدد أنواعها، العنصرية والطائفية والعشائرية والقبلية والإقليمية والبيئية والآثارية وغيرها من النزعات القديمة والحديثة وجميع تلك الادعاءات التي ليس لها بالواقع منظور على الأرض، إلا ما توهمته اختلاقاً عقول الواهمين، كيف التقت في موسوعة واحدة وعلى صعيدٍ واحد؟

ماهيّة العروبة وعالميتها

لو علم الآخرون ماهية العروبة لقاتلونا عليها لأن كل ما هو موصولٌ بالله تعالى فهو عربي[1] وكل ما هو بخلاف ذلك فهو أعجمي، وهذا ما عنته الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ النحل.

إنّ الله سبحانه وتعالى يعلِمنا أنّ الكتب السابقة للقرآن الكريم هي آيات كانت من لدن رب العالمين نزل بها روح القدس بالحق، وقد كانت هذه الكتب منذ أن نزلت للذين آمنوا هدى وبشرى، ولكنها عندما انحرفت واختلطت فيها الأمور ماكان من عند الله سبحانه وتعالى مع ما كان من عند الكتبة؛ فإن هذه الكتب جميعها لم تعد عربية مبينة بل أصبحت أعجمية وغير مبينة وبلسان غير مبين وكانت الآيات السابقة من السورة نفسها توضح هذا الأمر فقالت قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

---

(١) وبعيداً عن القواميس والمعاجم والتفاسير! التي كان أكثرها من صنع أناس جزاهم الله عنا وعن العرب وعن المسلمين كل خير فعلى الرغم من أهمية كل تلك الجهود وعظمتها، إلا أنّ كون أكثرهم الذين اشتغلوا بتلك الأعمال العظيمة والمجالات القيّمة كانوا أكثرهم من غير العرب أساساً، أو أنهم عرب ولم يشعروا بأهمية التأكيد على الانتماء للعرب وقدسية هذا الانتماء، فكانت هذه هي الحلقة المفقودة في تلك الأعمال الجليلة والرائعة والعظيمة والتي ما من شكٍ في أنّ حضارة العالم قامت عليها وأن العرب الذين اشتغلوا في علوم اللغة العربية والمعاجم وفي التاريخ العربي والإسلامي وفي التفاسير عامةً كانوا قد نحو نحوهم كانوا قد تناسوا وتجاهلوا الحقيقة والشعور الحقيقي ألا وهو الانتماء للعرب، وأهمية وقدسية هذا الانتماء دينياً.

تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾النحل. لذلك كان ما يفترونه عن القرآن الكريم، هذا وإن لفظ القرآن عربي مبين[1] مع أنّ قريشاً لم تكن تستخدم هذه الصيغة وهذا اللفظ، إلا أنه عربيٌ، كان سائداً لدى العرب الآراميين، والقرآن لفظ وصورة وصيغةٌ مستمدٌّ من القراءة والقراءة هي الجمع، أي جمع هجاء الأحرف بالصوت الواحد المستمر وضمها إلى بعضها بعض، جمعها في صوتٍ واحد للتعبير عن المعنى الواحد في لفظٍ واحد، وبهذا يكون معنى (القرآن) الجامع وهو الجامع للرسالات السماوية ـ محتواها ـ الجامع للهدى الإلهي من لدن آدم، ومن قبل آدم إلى يوم يبعثون، إن القرآن الكريم الذي هو أساساً، محفوظٌ في اللوح المحفوظ وهو كلام الله، وهو قديمٌ وهو ما أشكل عليهم.

وقولهم أن هذا القرآن الكريم ما هو إلا كتاب مستوحى من الكتب السماوية السابقة ويحاكي الكتب السابقة، وقولهم أن الرسول، يريد أن يكون هذا القرآن بديلا عن تلك الكتب، إن الله سبحانه وتعالى يعلم كلّ هذه الخواطر والأفكار والنظريات المفتريات وهو سبحانه وتعالى يجيب منطقياً على أولئك الذين كان وليهم الشيطان، والقرآن الكريم يرد على جميع من سيوسوس له الشيطان على مر الزمن وإلى يوم يبعثون من مثل تلك الوساوس، بقوله تعالى أن لسان الذين يلحدون إليه، أي الذين ينمْون، أو ينسبون أو يتخيلون أو يتوهمون أنّ هذا القرآن المبين الواضح مأخوذ منه! ويجيبهم كيف يأخذ القرآن العربي المبين الواضح من الكتاب الأعجمي غير المبين

(١) والله أعلم إن لفظة قرآن تعني: قراءة الله حيث اللاحقة (أن) كانت تعني الله وذلك في اللسان العربي القديم المبين والله أعلم القرآن الرحمن، الإنسان سبحان وهران، ومئات الألفاظ المنتشرة في لغات العالم التي تنتهي بـ (أن) وهي دلاله على الجذر الواحد لجميع اللغات في العالم وكلها تعود إلى اللسان العربي الرباني، والله أعلم.

وغير الواضح؟ وبالتالي فإن قولهم بأن الرسول قد اقتبس القرآن الكريم من الكتب السابقة! قولٌ فيه افتراء على الله وهو بعيدٌ عن الحق بعداً كبيراً لأن الكتب السابقة آيات منسوخة قد نسِّيها الناس بمشيئة الله وقد أبدلها الله وأنزل مكانها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾البقرة

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ الحج، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الأعراف، لفظ (التوراة) أساساً معناها الشريعة الربانية وكان فيها بداية التشريع، وقد أوحى بها وأنزلت من الله سبحانه وتعالى على جميع الأنبياء، وقد اشتمل عليها القرآن الكريم، وكذلك الإنجيل من الله، والعربي يعني: قويم وغير ذي عوج.

إن مفهوم جزيرة العرب أو الصحراء العربية الكبرى أو مفهوم الخليج العربي أو مفهوم شط العرب أو القرآن العربي أو الرسول العربي، إن نسبة هذه الألفاظ أو هذه المسميات إلى عرب ليست نابعة من عصبية قومية أو أيديولوجيا خاصة كما فهمها البعض فهي لم يضعها أو يسميها أو يطلقها أشخاصٌ محدّدون أو لجان أو مجموعة من الناس! وهي لم تكن بقرار سياسيٍ من حاكمٍ معيّن أو من حزبٍ ما ولم تكن لتنبثق عن عقيدة ما أو فكرة محددة في فترة ما من التاريخ! بل على العكس تماما كانت صفات، قديمة جداً، رافقت في ولادتها على الأرض ولادة الإنسان ذاته وربما من قبل، وبالتالي فليست قضية قومية كما يتوهمون فأنت لا تعرف من الذي أطلق اسم نهر النيل على نهر النيل، ولا تعرف من الذي سمى قارة آسيا آسيا، أو من الذي أطلق اسم أفريقيا على أفريقيا! وهل نستطيع تغيير اسم قارة أوربة بهذه البساطة؟ وكل التكهنات والتخرصات، التي تقيأ بها

بعض الباحثين من خدام اليهود والشعوبية، ما هي إلا عبارةً عن تخرصات مردودة، دون شك، فلا أحد يعرف على وجه الدقة الكيفية التي ولدت بها الأسماء، أسماء الأقاليم الطبيعية الكبرى في العالم، والكون، إلا الله، وبالتالي فإن التنطح الذي يبديه جهلة العلم! وخدام اليهود والشعوبية الحاقدة لتغيير هذه الأسماء أو هذه الصفات، نتيجة حقدهم الدفين على العرب هذا الحقد الأعمى على العرب الذي ولّده وخطط له في الغرب واليهود في العالم، لهو عملٌ جائر وسلوك مستهجن وهو دليلٌ قاطعٌ على عدم درايةٍ بالحقائق وعدم معرفة بالثوابت، يقول الله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر، فهل بإمكان أحد أن يقول إنه سيجعل من القرآن الكريم قرآناً فارسياً، وكذلك قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرعد، فهل سيأتي الباحثون للقول بأن هناك حكما فارسي، وحكم صينياً وحكما هندياً الله سبحانه وتعالى يقول حكما عربياً، وهذا القرار من السماء، والباحثون يقولون سنعمل حكما أوربياً أو أمريكياً الله سبحانه وتعالى يقول إن اللسان المبين هو اللسان العربي، والبعض لايعجبه هذا القول، ويقول بل اللسان اللاتيني، هو لسان العلم وأن اللسان العربي لا يقدر على التعبير العلمي! وهل واجبٌ علينا السير وراء مقولات اليهود والشعوبية الحاقدة، أم نسير وراء الحق المنصوص عنه في كتاب الله سبحانه وتعالى نقول إنه لا يصح إلا الصحيح، والقضية ليست كيفية أو مزاجية أو سياسية، إنّ تغيير أسماء الأقاليم الطبيعية يكون كلما أحسست بقوتك أو سطوتك أو بهيمنتك أو بالظروف المواتية، نعم يمكنك بشكلٍ مؤقت أن تفعل ما تستطيعه، ولكن عليك أن تدرك أن هذا الأمر لن يدوم، وأنه لا يصح إلا الصحيح وأنت ستذهب وجميع الناس سيذهبون وسيبقى الحق تبارك وتعالى.

إن الهجوم الحالي المستشري على العرب، في العصر الحديث، جعل من البعض يمعنون في طغيانهم، وشجّعهم ذلك ليعملوا على طمس الأسماء والصفات التي تنسب للعرب، مثل الذي حصل في المناطق والأقاليم والأراضي العربية المحتلة والمغتصبة، عربستان[1] وغيرها فإنهم يستبدلون الأسماء العربية المبينة بألفاظ أيضاً عربية ولكن غير مبينة جهالة منهم وذلك لعدم إدراكهم الحقيقة لعدم فهمهم وفيقولون الخليج الفارسي بدل الخليج العربي والصحراء الأفريقية بدل الصحراء العربية الكبرى وغيره جهالة منهم وطبعاً لن تنتهي هذه المحاولات الحمقاء السافرة إِلا بعودة أصحاب الحق وجماعته إليه، لأن الغائبين دائما خاسرون! ويجب على العرب أولا في هذا الوقت بالذات واجب التأكيد والإصرار على الأسماء والصفات العربية المبينة والتي تنسب للعرب، وعليهم أيضاً تقع مسؤولية توضيح وبيان أسباب تلك المسميات وشرحها وتوضيحها للشعوب الأخرى في العالم إن القضية ليس مسألة نزعة قومية إنها صفات سماوية أبدية أزلية لكن أكثرهم لا يعلمون.في البيان والتبيين للجاحظ: أن سيدنا عمر بن الخطاب η أوصى للخليفة من بعده: أوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن تأخذ منهم من حوشي أغنيائهم فترد على فقرائهم، ففي

(١) حدثني الأخ (حاجات المزرعة) وهو عربي من الأحواز التقيته في مطلع ٢٠٠٨ فقال: كنت جندياً في الجيش الإيراني وأمضيت مع رفاقي ردحاً من الزمن وكانوا جميعهم من الإيرانيين، كانوا بالنسبة لي جميعهم أصدقاءاً وعلى الحلوة والمرة وفي النهاية عند التسريح والوداع طلب من كل واحدٍ منا عنوانه للمراسلة وللذكرى بين الأصدقاء الحميمين ولكن عندما عرفوا الأصدقاء الإيرانيين أنني من الأحواز قاموا بازدرائي وسخطوا عليّ وأصبحوا ينظرون إلي بكل ريبة وقال: لم أكن في السابق ولم يخطر على بالي أبداً قبل هذا الموقف أن أفكر في القضايا الوطنية العربية أو حتى في قضية الأحواز ولكنني منذ ذلك الحين أدركت أنّ لي وطن كبير وعزيز وعليّ أن أناضل من أجل إيجاده ورفع رايته.

العصر العباسي وبشكل مقصود تم تشويه صورة العرب وصارت الشعوبيّة تطلق عليهم (الأعراب) ظلما وإمعاناً بالإساءة أو كانوا يحصرون المفهوم (بالبداة) سكان البادية، وهذا لعمرك من أسوأ ما صنعوا بحق العروبة.

إن تأويل القرآن العظيم أساساً لا يحتاج إلى تفسير؛ بل إلى فهم وتيسيرٍ في الفهم ولا يجوز تفسير الألفاظ التي في القرآن الكريم كما نفعل في الترجمة من لغة إلى لغة، إننا في القرآن الكريم لا ننقل من لغةٍ إلى لغة أخرى! بل علينا البحث عن فهم اللفظة التي تستعصي على عقولنا في البداية، علينا أن نبحث وأن نستدل عن معناها أولا في مواقع أخرى في القرآن الكريم، وثانياً من خلال تقليب حروفها الأساسية بعد تجريدها من المزيد والملحق والمضاف؛ ولا يجوز أبداً قبول معانٍ غريبة عن القرآن الكريم بدعوة المأثور والمعنعن، مهما ساق عليها المفسرون من (عن عنعات)!

من مثل ادعاء الطبري أنّ معنى (حصوراً) التي وصف فيها ربّ العالمين نبياً من أنبيائه فقال بأنها تعني: العاجز جنسياً، وعديم القدرة على إتيان النساء، ويسوق من أجل ذلك أكثر من خمسين طريقاً لإثبات هذا الخطأ المتعمد وجعله حقيقة بينما معناها العربي الواضح لفظ (الحصور) أن الحصور هو مقلوب الهصور والهصور هو من أسماء الأسد العربي كناية عن القوة والشجاعة والإقدام والسيادة والملك والحكم، قال تعالى: ﴿ **فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾** ﴾ آل عمران، وكذلك قوله في بيانه لمعنى الوتين، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾** ﴾ الحاقة، وقيل: الوتين هو عرق في القلب، وكان هذا وهمٌ من الطبري أبعد الناس عن جوهر المعنى وأغرب بهم، وقد انتقل هذا الوهم إلى باقي المفسرين عبر كل تلك الحِقب، والحقيقة أن لفظ الوتين في اللسان العربي المبين هو مقلوب المتين؛ لأن الميم تقلب واواً عند العرب إذا أريد التشديد في القوة والشدة والمتانة

والتحمّل، كذلك كان قد قال في السورة نفسها: لأخذنا منه باليمين أي لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة، أو لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه، كناية عن الذل والمهانة؛ والحقيقة أن اليمين في اللسان العربي المبين تعني الأمام والقدام والبداية والأول، أي أنه لو تقول علينا (على الله) لأخذنا منه منذ البداية، لقطعنا عنه منذ البداية كل الأسباب التي أمددناه بها ولتركناه عرضة لكم من البداية ومن الأول والله أعلم.

إنّ القرآن الكريم كتابٌ عربي قويم غير ذي عِوجٍ، لسانٌ نزل به روح القدس، قال تعالى: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾** ﴾النحل، فهو يحتوي على الحق، وغرضه تثبيت الذين آمنوا على الهدى وهو بشرى للمسلمين جميعاً، وليس أعجمياً ولا يمكن أن يكون أعجمياً؛ لأن في العجمة انحرافٌ وتقصيرٌ وخلطٌ وخروجٌ وتهويد للحق والصواب والهدى والإيمان قال تعالى: ﴿ **مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾** ﴾ فصلت، كذلك فإنّ هذه الآية الكريمة تصف وتؤكد أن الإلحاد هو العجمة؛ وتنفي نفياً قاطعاً أن يكون في القرآن الكريم أيٍ من أثار العجْمة، ولا يجوز ذلك أبداً، لأنّ القرآن الكريم، الذي هو عربي كامل العرابة، كتابٌ عزيزٌ، تنزيلٌ من الله قال تعالى: ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾** ﴾ فصلت، وهو للذين آمنوا هدىً وشفاء، بينما الذين ألحدوا به الذين هم أرادوه أعجمياً آذانهم مسدودةٌ وعميقة المجاري بعيدة إضافة إلى

أنهم مبني عليهم جدار كثيف يعمي أبصارهم ويحجز عنهم الفهم والوعي وهم غارقون في أوهامهم ودواماتهم في هذه الحياة فهم لا يسمعون النداء إنهم ينادون من مكانٍ بعيد وكانت الآية الثالثة من السورة نفسها قد أوضحت للعالمين أنّ التفصيل والبيان والعلم، يعني الاتصاف بالعروبة، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فصلت، فالعرب تعني الإنشاء الرباني المنشّأ بالنشأة الإلهية والبكر تعني الصباح ومنتهى الإبداع ومن قائل بأن لفظة (عرباً) و(أتراباً) الواردة في سورة الواقعة قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ إنما تعني، المرأة المتحببة إلى الأزواج أو إلى الرجال! وهذا من غرائب التفاسير الذي عادت فنقلت عنه وأخذت منه أيضاً المعاجم والقواميس العربية وهو كلامٌ مردود، غير مقبول على الإطلاق، لأنه لم يكن منسجما مع سياق الآية الكريمة، في سورة الواقعة أبداً، بل ولا هو من اللسان العربي المبين في شيء، وهذا التفسير كان من اختراعات وتحريفات وتخريجات وتخريفات واختراقات الشعوبية اليهودية المبكرة، في التاريخ والتي كانت معادية لجوهر الدين الحنيف، نهاية القرن الثالث للهجرة ومطلع القرن الرابع؛ بينما لفظة (عرباً) في الآية الكريمة تحديداً كانت تعني وصفاً وتسميةً للإنشاء الرباني، فلفظة الإنشاء إنشاءً تعني التشكيل والتحضير، والصياغة التوضيب، والبناء المشيّد العالي المرفوع كالشراع، أو كالأعلام، وهي تفيد العلو والارتفاع والنماء المنشّأ بالنشأة الإلهية تعني العناية الخاصة، لخاصة الخاصة، والإشراف المباشر، وتحقيق غاية المراد، واللفظة تفيد منتهى الإبداع، وغاية الخلق، وابتداء الخلق، وتشير إلى جدّته وجديده، وكونه الأول دائماً، وليس له مثيل، فالله سبحانه وتعالى قد أنشأهم إنشاء وقد جعلهم الله قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾الواقعة، فالمنشئ والجاعل

والخالق المبدع، هو الله سبحانه وتعالى إن الله ينسب لذاته إنشاءهن ولفظة البكر(١) في المعجم تعني الصباح أو حمل مزايا الصباح والبكرة الإصباح وهي تفيد المبادرة باكراً من النهضة والقوة، والقدرة على المعالجة والتقدم والباكور المعجل في المجيء من كل شيء، سريع الإدراك، البكر: الكرْم في أول حمله وهو أول العسل، وهو أطيبه والبكورة تعجيل التلبية.والبكر: الواحدة من النخيل إذا أدت أداء المجموعة، وبكر كل شيء أوله، والبكر الفتي من كل شيء، وأخيراً البكر من النساء التي لم يقربها رجل، فالعناية الإلهية هي التي أشرفت مباشرة على تحضير وتوضيب (الفرش المرفوعة) التي كنى بها، رب العزة ﷻ عن نساء أهل الجنة، الحوريات التي تنتظر أصحاب اليمين أولئك الصديقين والشهداء والصالحين من المؤمنين، والله تعالى أعلم، ولا حاجة أساساً في القرآن الكريم، لتأكيد القول بأن الحوريات في الجنة هنّ مخلصات لأزواجهنّ(٢) بل هي أقوالٌ زائدة،

(١) لقد تم في التفاسير حصر الفهم لآيات الله العظيمة بأضيق الحدود بل لقد سطحوا المفاهيم الربانية وألجموها إنّ مراد العناية الإلهية أوسع بكثير مما أوهموا أنفسهم وأوهموا الناس به وأبكاراً لا تمت بصلة لموضوع (غشاء البكارة)!

(٢) إذا كان هذا التفسير هو تلبية لدوافع ورغبات الذكور من المؤمنين، فأين أو كيف تلبى دوافع الإناث من المؤمنات أيضا اللواتي لديهن الغيرة واللائي كنّ يأملن دائما بأزواجٍ مخلصين أيضاً، لا أظن أن الزوجات المؤمنات يقبلن من أزواجهنّ الغدر والخيانة وأنهن يتخلّيْن عن الغيرة في حين المطلوب منهن فقط الإخلاص! للأسف لا ندري كيف وصل الأمر ليكون بين أيدي الجهلة، وكيف فهموا القرآن الكريم على مرِّ كل تلك الحِقب وكيف أفهموه للناس والأجيال قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الأعراف، قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحجر، فكيف ينسجم ما في القرآن مع ما يدعونه من أوهام؟

وتأويلات غير منطقية، لا تستسيغها الفطرة السليمة، لأنّ من نافلة القول، أنّ النساء في الحياة الآخرة، مخلصاتٍ لأزواجهنّ!، وهل بقي في الآخرة، في الجنة، أو هل يمكن أن يكون هناك مجالٌ للخيانة؟ حتى يستلزم التأكيد، في القرآن الكريم، على عدم قيام الزوجات بالخيانة! فيقولون في التفاسير الشعبية إنّ معنى عرباً أتراباً أي: النساء المخلصات لأزواجهن.

القرآن الكريم بلسان عربي مبين

أفهام خاطئة استمرت في التفاسير إذ كيف يفسرون القرآن الكريم العظيم كتاب رب العالمين أ بهذه السذاجة، بينما لفظة (عرباً) كانت تعني بوضوح، أنها صفة لكل ما هو من لدن الله سبحانه وتعالى: ألم تكن قرينة اللسان والحكم والقرآن إنّ كل ما أتى من الله عز وجل، من عالم الغيب، وكل ماهو موجودٌ في علم الغيب تتصف بكونه عربياً وكل عناصر الجنة ومكوناتها يتصف بأنها عربية وعن ابن عباس η قال: إن النبي ﷺ قال: «**أحِبُّوا العـرب لثلاث، لأني عربي، ولأن القرآن عربي، ولأن لسان أهل الجنة عربي**»[١] والله أعلم، والحمد لله رب العالمين[٢].وجاء في المعجم: (أنّ الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين وهو الحكيم

---

(١) مجمع الزوائد.

(٢) إنّ لفظة عربي التي ورد ذكرها كثيراً في القرآن الكريم مضافة إلى كتاب الله سبحانه وتعالى وإلى اللسان المبين تمييزاً لكلام رب العالمين وإلى الحكم الرباني الإلهي، هي صفةً له لأهل الجنة في الجنة، وكذلك في الحديث النبوي الشريف، فكيف نظر إليها وكيف تمت معالجتها وما هي حقيقة هذه اللفظة وما معنى لفظة عرب أليس من المذهل أن يكون العرب أنفسهم بمختلف أصنافهم وأشكالهم ومستوياتهم ممن يقطنون هذه الأرض التي تدعى الوطن العربي أو من الذين خرجوا عليه أكثرهم لا يفقهون المعنى الحقيقي للفظة عرب وهم الذين يلاحقون ويحاربون على هذا الأساس وكيف يذهب العرب إلى مواجهة أعدائهم، من غير معرفة أنفسهم أولاً؟ فما معنى لفظة عرب إذْ ليس صحيحاً أننا عرب لأننا نتحدث بالعربية أو لأننا نسكن على الأرض العربية أو لأننا من سلالة الآباء العرب النجب كما يزعم ذلك الكثيرون أبداً بل لأن القضية أبعد من ذلك بكثير، وتحتاج من العرب، من كل عربي لعملٍ وجهدٍ بالِغيّن ولعل المسألة ليست مسألة قومية بحتة كما ذهب إلى ذلك المفكرون في العصر الحديث بحيث تم تجاهل الحقيقة العميقة لمدلول هذه الكلمة، وتم التعامي عن الواقع الإنساني الأساسي والفطري الحنيف والطبيعي ونقلت الأنظار والاهتمامات إلى سطحية سياسية ليست صحيحة ولاهي أساسية فماذا لو كانت لفظة عرب تعني أس الأسس وجذر الجذور وأصل كل أصيل ومداراً لكل طبيعيٍ وفطريٍ صحيحٍ وحقيقي؟

وأنّ له الحكم والحكم والحكيم والحاكم من أسماء الله سبحانه وتعالى وهي من تجليات أفعاله أ والحكم يفيد القدرة والعلم وإتمام صنع الأشياء وإتقانها والحكم القضاء بالعدل والحاكم منقذ الحكم وحكم الرجل إذا بلغ النهاية في معناه وتفسير قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود، أي كتاب أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام، ثمّ فصلت بالوعد والوعيد، وأحكمه منعه من الفساد، وحكم: الثقة) انتهى كلام المعجم.

ثمّ إن الله سبحانه وتعالى وصف حكمه بأنه عربي، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٖ ۝٣٧ ﴾الرعد، وهذه الآية الكريمة دلالة على الامتداد والاستمرارية والسياق الواحد والخط الواحد منه وإليه سبحانه وتعالى، والصبغة الواحدة والغاية الواحدة والذات الكلية الواحدة، وهذا كله دلالة معنى لفظة (عربي) من القرآن الكريم، قال تعالى:
﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحۡمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٢ ﴾ الأحقاف، ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾ يوسف فكانت لفظة (عربياً) في هذه الآية الكريمة متلازمة مع العقل وهي لزوم العقل، وهذا دليل على ضرورة تلازم العقل مع التعرّب وانه لا عقل إنسانياً بلا (تعرب حقيقي) الأمر الهام جداً الذي على العالم، كل العالم أن يفهمه الآن(١).

---

(١) عندما دخل الجنرال البريطاني (اللنبي) إلى القدس يوم ٩/ ١٢ / ١٩١٧م على رأس جيش كبير، تنفيذا لوعد قطعه على نفسه أمام رئيس وزرائه، بأن يقدم له القدس هدية عيد الميلاد في ذلك العام، وتأسيساً لتنفيذ تصريح بلفور الذي صدر قبل خمسة أسابيع من ذلك التاريخ بفرض إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، قال ذلك الجنرال: الآن انتهت الحرب الصليبية، لكن رئيسة وزراء بريطانيا اللاحقة (تاتشر) قالت هي الأخرى في عام ١٩٩٠م أي بعد ثلاث وسبعين سنة =

من ذلك التاريخ: لقد قضينا على الشيوعية وبقي علينا أن نقضي على الإسلام وهو ما قاله هنري كيسنجر قبلها بأسابيع وما قاله رئيس وزراء فرنسا الأسبق بعدها بأسابيع في منتصف١٩٩٠م قال: إن الإسلام هو العدو الأول لفرنسة وللغرب، وما قاله (جباني دي ميكلس) وزير خارجية إيطاليا في الفترة نفسها من أن: المواجهة قد انتهت بين الغرب والشرق وبدأت الآن المواجهة بين الغرب والإسلام وما قاله موشيه شارون مستشار رئيس حكومة اليهود الأسبق من أنّ: المساجد هي الخطر الأكبر على إسرائيل بل وما قاله شيمون بيريز وزير خارجية العدو بعد ذلك بسنوات: لقد حاربنا العرب أربعين سنة حتى انتصرنا عليهم لكننا نعود لنقطة الصفر مع بروز الحركات الإسلامية، وهكذا لم تنتهِ الحروب الصليبية كما قال اللنبي في العام ١٩١٧م. فالقدس تظل محركاً لصراعٍ مصيري شامل لا يوقفه احتلالها، بل يؤججه ولا تلغيه اتفاقيات إذعانٍ يوقعها هذا الحاكم أو ذاك بل توسع مداه، لم تنته الحروب الصليبية وإن جرى الابتعاد بساحتها الساخنة عن القدس غرباً إلى البوسنة وشرقاً إلى الشيشان إنها حربٌ مستمرة تثبتها الوقائع على الأرض والإعلانات الصريحة للقيادات الصليبية المتهودة ولا تحجبها فتاوى موظفين معممين أو تدبيجات أقلام كتبة سلاطين ومرتزقة حكام محكومين عن رفاهٍ يصنعه سلامٌ بين الغاصب والضحية وازدهارٍ يعممه تصالح القاتل مع المقتول، وإذا كانت نهاية القرن العشرين قد حملت معها اضمحلال التطابق بين حدود الفعل وحدود الدول، مع طغيان تأثيرات فوق الدولية والشركات عبر القارية ومؤسسات الغزو الإعلامي، والثقافي والسلوكي، وما خلفها من شبكات منظمة وتشكيلات طغت هيمنتها فلم تعد تحتمل البقاء خفيةً سريةً لا في مقاصدها ولا في مداها ولا في جذورها اليهودية وأدواتها المتهودة، المتغلغلة تحت جلود الأمم والتيارات الفكرية والتنظيمات المختلفة فإنّ الانتقال العلني الصريح إلى محاولة تهويد الإسلام والمسلمين على نمط ما تمّ إنجازه في معظم الكنائس المسيحية فكراً وطقوساً وبنية وتفاسيراً للكتاب المقدس الذي لم ينج من التزوير والتحوير بحيث لم يتردد (شيمون بيريز) مثلا في الإعلان عبر صحيفة (الفايننشل تايمز) عن المهمة اليهودية ـ الصليبية الراهنة بقوله: علينا أنْ نعلِّم المسلمين كيف يعيدون قراءة القرآن فإنّ المرحلة المعاصرة من الحرب اليهودية الصليبية تأخذ أبعاداً أكثر اتساعاً وشمولا من معركة عسكرية هنا أو مجزرة جماعية هناك، وقد تبادر إلى ذهننا عندما قرأنا ما قاله بيريز؛ تساؤل عن الكيفية أو الخطة التي ينوي بيريز تنقيذ أوهامه من خلالها ومن ذا الذي سيمثل تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا =

فما معنى صيغة (عرب ومشتقاتها) وقد وردت في القرآن الكريم في ٢٢ من الآيات البينات، ووردت منها (أعراب) في عشر آيات بينات، فما معنى عرب، ولماذا وصف الله ﷻ بها قرآنه وحكمه ولسانه وملائكته وأهل جنته والروح الأمين والمنذرين وقد أكد لنا سبحانه وتعالى، على أن اللسان العربي المبين، كان في زبر الأولين وإنه في أم الكتاب وكذلك فقد جعل الله ﷻ لفظة (عرب) قرينة العقل، والحكم الإلهي والعلم والإبانة والوعيد الإلهي والتقوى والذكر وأنه غير ذي عوجٍ دلالة على التفصيل والهدى والشفاء، فما معنى لفظة (عرب) ولماذا عرب وهي هنا بالتأكيد لا علاقة لها بكل النظريات السياسية المعروفة! والأبحاث التاريخية والآثارية تفيد أن أقواما عديدةً أقامت ممالك وأنشأت حضارات، كلها تنتمي إلى عرب وتنضوي تحت لواء هذا المفهوم من مثل الآراميين والكنعانيين والأنباط في بلاد الشام والبابليين والأشوريين والحثيين في بلاد العراق، والأقباط الذين يعتقد أنهم من الأنباط أنفسهم، وقدماء المصريين في وادي النيل والعرب البربر في جبال

نَصَـٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ المائدة لأهل القرآن الكريم، وهو قولٌ واضح صريحٌ قاطعٌ لا يحتمل تأويلات أو تحويرات فهل سيقف الأمر عند حدود تعميم استجاب به هذا الرئيس العربي، أو ذاك لمطلب (مناحيم بيغن) عندما أصدر تعليماته لبعض الدول العربية والإسلامية، بوقف إذاعة وتدريس آيات القرآن الكريم التي تفضح آثام اليهود وتعري طبائعهم الإجرامية، وتحذر من فتنتهم وضلالهم، جاعلا من نفسه والنفس الأمارة بالسوء سلطة رقابة على كلام الله عز وجل يسمح ببعضه ويستجيب للتعليمات الصهيونية بمنع تداول بعضه، خاصةً وأنّ حاكمين عربيين آخرين قد لحقا بذلك الرئيس في الاستجابة للطلب اليهودي بحظر تلك الآيات؟ لا تظن أنّ ما عناه (بيريز) يقف عند ذلك الحد وإنما يتجاوزه إلى ما هو أدهى، أي إلى تهويد الفكر الإسلامي وسلوك المسلمين وأسلوب حياتهم واستيعابهم قطعاناً من العبيد بعدما تم استيعاب بعض المتحكمين بهم والقائمين على أمورهم والملتحقين بهؤلاء من المتحلّقين حول كل قصعة المتلونين مع كل حال. د.خير الدين عبد الرحمن في كتابه (القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين) ص ٢٩٨ـ ٣٠٠ دمشق دار الجليل ١٩٩٦.

الأطلس وشمالي إفريقيا و(العرب الأكراد) في المنطقة الواقعة على البوابة الشمالية الشرقيّة لبلاد العرب وغيرهم الكثير الكثير من الماضي العربي مما أقام ممالك وحضارات واسعة الانتشار، تصل حتى الهند والسند (انظر كتاب تاريخ البلوش، للدكتور عدنان العطار بيروت دار آية ٢٠٠٤).

إنّ جميع هذه الأقوام كانت تنتمي للأرومة العربية وتلفظ الألفاظ العربية وتلبس اللباس العربي ونؤكد أن ذلك كان في أزمان سحيقة عشرات آلاف السنين أبعد بكثير من تقديرات بعض الباحثين الذين يعملون وفق المسطرة التوراتية التي تحصر التاريخ القديم في تصور خاص صار أبعد ما يكون عن الحقيقة ففي كتاب إتحاف البشر للناشري ما نصه: فرسان محركة جبل بالشام سمي به عمران بن عمْرو بن تغلب لاجتيازه فيه وبه يعرف ولده، قال ابن دريد في الجمهرة: قبائل العرب العاربة عاد وثمود وعمليق وطسم وجديس وأميم وجاسم وقد انقضى الأكثر إِلا بقايا متفرقين في القبائل وهم بنو إسرائيل (انظر ابن كثير، والمزهر للسيوطي).

عصا المايسترو واللحن الهجين

لقد درج وللأسف الشديد، بعضٌ من الناس، ممن يدعون الوعي أو الفهم من المثقفين ومن الكتاب أو الأدباء أو الوعاظ! درجوا على عادة الإساءة لمفهوم العروبة، جهالة منهم، في تفكيرهم أو في حديثهم أو في كتابتهم أو في محاضراتهم أو في خطبهم، وذلك لعدم وعيهم أو معرفتهم وعدم امتلاكهم لأدوات البحث العلمي أصلا أو بتأثيرٍ من الظروف السياسية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيل الوعي عندهم، وهم لايدرون أنّ الإساءة للعروبة والعرب هي كفرٌ صريح بالله وملائكته وكتبه ورسله لأن الله سبحانه وتعالى، يقول وقوله الحق، إن القرآن عربي وإن الحكم عربي وأن اللسان المبين هو اللسان العربي، فكيف تسنى لأولئك أن يسمحوا لأنفسهم بالإساءة للعرب، مع بقاء إيمانهم سالماً؟

علامات الجهل في وجوههم تراهم خاوين من كل فضيلة، لا يقصدون وجه الله يعملون ضد العرب من أجل كسبهم المادي، بإيحاء من الشعوبية المقيتة واليهود، لاتهمهم الحقيقة، أولئك ليسوا على هدى أبداً، يريدون بجهالتهم الشديدة أن يعبروا عن قوة وعظمة الإسلام، فلا يجدون أمامهم إِلا أسلوب الحط من شأن العرب والطعن عليهم، وذلك إبرازاً لقوة الإسلام؛

إنهم لايدرون أنهم بذلك يسيؤون إلى الإسلام أيما إساءة كيف يفعلون ذلك، وقد جاء القرآن الكريم متحدياً للعرب، وهل يتحدى الله الجهلة هل يتحدى الضعاف هل يتحدى المتخلفين هل يتحدى الصغار هل يتحدى المجانين هل يتحدى الفقراء هل يتحدى المرضى كيف يتخيلون ذلك، وكيف يتأتى لهم تصور أنّ العرب عندما بعث الرسول الأعظم ﷺ كانوا أمة غير حضارية؛ أو أنهم كانوا متخلفين؛ أو أنهم كانوا أقلّ شأناً بين الأمم، أبداً غير صحيح هذا التصور إنه نابع من حقدٍ شعوبيٍ مقيت ومؤامرة يهودية مكشوفة ومعروفة قديمة

وحديثة دأبت على الإساءة للحق والحقيقة أن العرب عند نزول الوحي على الرسول ﷺ كانوا أكثر الأمم حضارة وتقدما من جميع النواحي وكانت مكة المكرمة أكثر حضارة من روما وأثينا والمدائن، لأن الله سبحانه وتعالى تحدى الناس على أن يأتوا بسورة بل بآية من مثل ما في القرآن فهل تحدى الله سبحانه وتعالى أكثر الناس في ذلك العصر ضعفاً وتخلفاً أم تحدى أكثر الناس حضارة ووعياً ومعرفةً وعلماً؟

ثم هل كان الإسلام[١] رسالة للعرب خاصة أم للعالمين؟ وكيف يتصورون أن الفرس والرومان كانوا أكثر تقدما وأكثر حضارةً من العرب، هذا غير صحيح، إذاً لأنزل الله عليهم القرآن ولتحداهم به وكيف يتصورون أنهم كانوا بغنى عما جاء به الإسلام وكأن الإسلام جاء لينهض بالانحطاط العربي؛ ليجعل للعرب دولة على مستوى الروم والفرس وكأن الأمم في العالم لم تكن بحاجة لدين الله ألا ساء مايتخيلون وساء ما يصنعون بل الإسلام دين الله وهو دين العالمين وهو هدى ورحمة للعالمين والواقع أن من المفروض أن يوجد على أرض العرب قانون يحاسب كل مسيء أو معادٍ للعروبة، لكن الله ﷻ عينه لاتغفل ولاتنام وهو حسبنا ونِعم الوكيل، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون الله أكبر منهم جميعاً.

أبداً غير صحيح ما هو موجود الآن في الواقع ويعرف الجميع بأنّ العروبة منحة إلهية عطاء عظيم عالي المستوى الأصل أن ترقى بالإنسان العربي إلى أسمى المراتب وتكسبه عزة ومجداً وسؤدداً لا يطالها ولا يرقى إليها أي كان لقد زكاهم الله ﷻ ولايهمنا ما يقوله اليهود ولقد حرمها الجاحدون لجحودهم في الحروب التي

---

(١) كما تقوّل صاحب كتاب (قس ونبي) والكثيرون من الكتبة الصغار ممن يهرفون بما لا يعرفون من أمثال مؤلف كتاب (الإسلام دعوة نصرانية)

قامت وتقوم، بين العرب ودولة إسرائيل درجوا أحياناً على مبادلة الأسرى بين الجانبين مئات العرب في مقابل جثة أسير يهودي ويكرر الإعلام العربي والعالمي ويشيع أخبار تلك المبادلات ويعيد ذكرها على مسمع العالم بغية الحط من قدر العرب ورفع قدر اليهود أو رفع قيمة اليهودي مقابل العربي[1] اليهود يتعمدون

---

(١) في زمن الفاطميين والمماليك و الدول المغاربية الثلاث تونس والجزائر والمغرب، كان اليهود هم سفراء تلك الدول إلى أوربة، وبالعكس فقد كانت تفد السفارات من الدول الأوربية إلى البلاد العربية وكان السفراء يذهبون إلى الحي اليهودي حيث أعد لهم المسكن وينتظرون فيه عدة أيام، حتى يسمح لهم بمقابلة الحاكم وكان على رأس تلك البعثات أشخاص يهود كان من المحرم على العرب ومحظورٌ عليهم دينيّاً السفر أو الرحلة إلى أوروبا وكان يخوّف الأروبيون من المجيء إلى البلاد العربية، كان اليهود يشيعون بين العرب أن أي عربي مسلم يصل إلى أوروبة فلن يعود لأن الأوربيين (الكفار!) سيقتلونه وكانوا يشيعون بين الأوربيين أن العربي آكلٌ للحوم البشر وأن له ذنباً! لذلك كانت إقامات السفارات للدول الأجنبية خصوصاً من الدول الأوروبية إلى الدول العربية كانت دائما في حارات اليهود أو قريباً منها وقد استفاد اليهود من هذا الوضع من التباغض بين العرب وأوروبا أو بين الإسلام والمسيحيين ولما كانت طائفتهم متواجدة بطبيعة الحال في كل الدول في الدول العربية وفي الدول الأوروبية في حارات قذرة خاصة بهم في أوروبا اسمها (الغيتو) ولما كان اليهودي يستطيع أن يتفاهم مع اليهودي الآخر مهما أختلف مكان إقامتهم، فاليهودي يبقى يهودياً ولما كانت لهم لغة واحدة سرية وخاصة بهم، يرطنون بها في ما بينهم محروفة عن العربية، خصوصاً من اللهجة العربية السريانية القديمة حرفوها وأسموها اللغة العبرية قلباً لمفهوم عربية (ع ر ب ي)، والرب هو السيد العالى، أصبحت عبرية (ع ب ر ي)، البر الأرض! كانت هذه اللغة في ما بينهم، تساعدهم على إتمام مؤامراتهم أو تآمرهم على العرب وغيرهم، كل هذه المعطيات والمزايا التي ينفرد بها اليهود استفاد منها اليهود كثيراً واستثمروها استثماراً لصالحهم استثماراً بشعاً، فقد أوقعوا بين أوربا والعرب وأوغروا قلوب الأوربيين وطوال قرون على العرب وفي الوقت نفسه أفهموا العرب أنهم مستهدفون دائما من قبل أوربا، مماجعل منهم أي اليهود التجار الوحيدين الذين يشرفون على تبادل البضائع بين جنوب البحر المتوسط وشماله، طوال قرون؛ التبر والعبيد من إفريقيا إلى أوربا ويجلبون بالمقابل، الأقمشة الملونة والأسلحة، من أوربا إلى أفريقيا وهم أيضاً أي اليهود المشرفون على علاقاته ويتحكمون في السياسات لتلك الدول، التي تحيط بالبحر الأبيض المتوسط وأكثر من ذلك، =

ذلك والعرب بسذاجتهم الحالية يظهرونه على أنه نصرٌ ومكسب فهل صحيحٌ أن عشرات ومئات العرب لا تساوي شيئا هل فعلا هذه هي قيمة العربي أين أرباب العقول أين العقلاء العرب؟.

في حين أن العلاّمة أبي العباس محمد ابن يزيد، المعروف بالمبرد النحوي (وهو رحمه الله كان ذا أصلٍ غير عربي كان قد ذكر في كتابه الكامل في اللغة والأدب ص ٢٢٦ كان نافع بن جبير، أحد بني نوفل بن عبد مناف كان إذا مرّ عليه بالجنازة سأل عنها فإن قيل له قرشي قال: واقوماه، وإن قيل عربي قال وا مادتاه، وإن قيل مولى أو أعجمي، قال: اللهمّ عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت، وقال المبرد: يروى أن ناسكاً من بني الهجيم بن عمر بن تميم كان يقول في قصصه: اللهم اغفر للعرب خاصةً وللموالي عامةً فأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك، قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول لآخر: أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة، قال: أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة، فقال توطأ والله رقابنا قبل ذلك، وكان يقال الرجل لأبيه والمولى من مواليه.

فاليهود كانوا الوسطاء بين الأوربيين وبين والعرب (راجع كتاب المغرب العربي قبل سقوط الجزائر ١٧٩٠ـ١٨٣٠، لويست فالنسي دار الحقائق، بيروت ١٩٨٠ ترجمة إلياس مرقص).

(١) حتى أن أوروبة حسب الأسطورة هي عروبية.

النوعية العربية السَّامِيَة

إنّ تلك المجاميع التي تعيش على الأرض العربية بطول الأرض العربية وعرضها ليست كلها تشعر أو تعي السيادة أو عروبية الانتماء وليست كلها تعتز بالانتماء للعرب و ليست كلها تعادي اليهود أو أمريكا أعداء العرب الطبيعيين، بل على العكس تماما منهم ولجهالتهم من هم أشد عداءً للعرب من اليهود أنفسهم فهي إذاً لم تعد تشكل أيّ خطرٍ على اليهود وأمريكا والغرب إنها كتلٌ بشرية مستهلكة وسوقٌ لتصريف البضائع (كل أنواع البضائع) ويدٌ عاملة رخيصة وخدمٌ مطيع لا يعصى أوامر أسياده.

كذلك فليس هدف هجومهم على الأرض العربية الاستيلاء على النفط العربي والثروات العربية فحسب كما يروِّجون، لأنها لم تكن أصلا بعيدة عن منالهم فليست هذه هي غايتهم المباشرة بل كانوا وما يزالون يستهدفون النص العربي أو عروبية النص، إنّ أشد ما يخشونه أن يكتشف العرب الخاملون في الوقت الحالي و إنّ أشد ما يخشاه اليهود وأمريكا والغرب أن يعي العرب عروبية النص، أنّ ما يخيفهم أشد الخوف ويقلقهم أشد القلق عروبة النص، ولم ولن يستطيعوا مجابهة النص العربي والكتاب العربي ومهما طال الزمن ومهما اتسعت وتنوعت حلقات هجومهم واستهدافهم للحق والمنطق والصلاح، فإن عروبية النص والكتاب العربي المبين، ذاتي الدفع والقوة، وسينتصر أخيراً، وسيسحق أعداء الله، أعداءه وأعداء العرب قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١** ﴾ الأعراف، وقال تعالى: ﴿ **يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ١٢** ﴾ مريم، إنّ هذا الأمر من الأهمية بمكان للعرب والمسلمين عموماً، ويجب أن يشكل لهم العروة الوثقى التي لاانفصام لها، يتمسكون بها لايحيدون عنها ولايقبلون عنها بديلا أبدأ

ولو فهم العرب والمسلمون، فإن عروبية النص في يدهم سلاحٌ في مواجهة عدوهم الداخلي والخارجي، أقوى من كل الأسلحة العاتية أو المدمرة التي في حوزة عدوهم إن عروبة أو عروبية النص يجب أن تكون في يد العرب والمسلمين، مثل عصى موسى عليه السلام أو أشد تأثيراً وقوةً، تخنس في مواجهتها كل القوى، إنها مؤيدةٌ من الله ﷻ، إن الانتماء للعروبة الحنيفة السمحة هو إكسير الحياة للعرب والمسلمين وعلى العرب والمسلمين البحث عنه وإيجاده بكل السبل المتاحة والممكنة، إن الصراع بين العرب واليهود لن ينتهي أبداً، إنه موضوع عقائدي لدى اليهود ولن ينتهي إلا إذا انتهى اليهود من الوجود أو إذا خرج اليهود من اليهودية وهذا مستحيل! أو أن يخرج العرب من عروبتهم وإسلامهم وهذا مطلق مستحيل قال تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾** ﴾الفتح، لذلك فإن القضية والمعركة بين العرب واليهود، معركة وجود، وعلى العرب أن يدركوا هذا الأمر وأن يعوه فلا ينجرفوا وراء سراب التطبيع.

إن خداع اليهود للعرب سيستمر مادام العرب في نومهم غارقين على أنّ مجابهة اليهود ليس أمراً مستحيلاً، في حالة إحساس العرب بالسيادة الوطنية وبإيمانهم العميق بانتمائهم للعروبة بعد إيمانهم بالله علما أنه ليس هناك أي تعارض بين الإيمان بالله وبين انتمائنا إلى العروبة المنبثقة أساساً عن رب العالمين، بل إنه ﷻ أكد على التوحد العروبي، وقد ربط لنا ﷻ إسلامنا الصحيح بالعروبة وقد جعلها ربنا ﷻ المعيار والمسطرة والمقياس والمثال والدليل للإيمان، فوصف بها قرآنه وكتابه ولسانه وحكمه، في إحدى عشرة آية كريمة، وأشار لنا ﷻ أن العرب نواة الإسلام والعالم وبيضته، وأن العرب حملته ومبلغوه للأمم، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ**

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة، فعلى العربي أينما كان وفي كافة أنحاء العالم استنفار همته واستثمار ذكائه وتخليق مواهبه وحشد كل إمكانية لديه لنصرة العروبة، في ذاته أولا إيماناً بها بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم، ومع معرفة الواقع العربي بما فيه من تسلط الحكام وسيطرة الاستعمار وتحكم المصالح لفئات محددة بمصير الشعب العربي ومع معرفة الأوضاع النكبوية للحياة العربية على جميع المستويات الفردية والجماعية، ومع معرفة ما يعانيه المواطن العربي البائس حالياً من تكبيل وتنكيلٍ وتحكم بمقدراته وحياته بغية إضعافه وإذلاله مع كل هذه المعرفة فإن السبيل الوحيد للخلاص العربي يكمن في يقظة وطنية عربية تتفجر في شخصية كل عربي في كافة أنحاء العالم ومع أنّ بعض العرب قد اختصر الطريق ويئس من نهضة العرب فانتقل إلى الخندق المعادي للعرب، إلى خندق اليهود خندق أعداء العرب، مبررين لأنفسهم سلوكهم بمختلف المبررات، إنّ هؤلاء يجب أن لايفتّوا في عضد العرب المؤمنين بالله وبنصر الله.

إنّ انجراف بعض العرب في ناعورة الأمركة والتهود حياتياً وسلوكياً، وانخراطهم في الحضارة الأمريكانية الزائلة وما يبديه بعضهم من إعجابٍ إزاء جبروت الأمريكان واليهود (أمريكا بإدارة اليهود) إن كل ذلك يجب أن لا يثني العرب عن ثقتهم بفكرة العروبة التي ستطلق المارد العربي، والذي سيتكفل بالقضاء على كل المعوقات ويكسر ويمزق كل السلاسل التي تكبل العرب وسيقوم بتحطيم كل الموانع التي تقف أمام التقدم العروبي، على العكس مما هو شائعٌ في أكثر الأوساط الثقافية فإنّ العرب لم يكونوا مجرد ناقلين للحضارة اليونانية أو الرومانية! ولأنّ اليونانيين مثل الرومان لم يكن لديهم حضارة أساسا، إنه التصور والتصوير الخاطئ وبتأثيرٍ من الدعاية اليهودية، بل كان العرب منذ الأزل في قمة الحضارة والمدنية، ولأنّ آلاف الحضارات المدنيات قد تشكلت على بطاح الأرض العربية آلاف المجتمعات قد انعقدت، آلاف الدول نشأت وتلاشت، آلاف الحروب آلاف

المدن والبلدات قد تكونت فالعرب ليسوا مجرد ساعي بريد سواءً اعترف الغرب أم لم يعترفوا فإن الحقيقة هي أن العرب هم أساس الحضارة البشرية قاطبةً، لقد كان الرومان والفرس مجرد إمبراطوريات قامت على التسخير والهيمنة واستعباد الشعوب ونهب خيراتها محاربين ليس إلا ومن المؤسف أن تجد أكثر الباحثين اليوم في مختلف المجالات يعملون وفق الرؤية الصليبية الغربية المهودة يعملون قصداً على تجريد المنطقة العربية والعرب من أي محمدة فيتحدثون في الرياضيات عن الأرقام الهندية مثلا علما أنه لا يوجد في التاريخ إلا أرقام واحدة وهي عربية؛ ويقولون أن (هوردوت) اليوناني هو أبو التاريخ و (أبو قراط) اليوناني هو أبو الطب ويتحدثون عن المثيولوجيا اليونانية وأنّ الموسيقا أصلها يوناني أيضاً وحتى أن كليات الزراعة في البلاد العربية تدرِّس: أن أكثر النباتات وأنّ أكثر الحيوانات والطيور المتواجدة على أرض العرب أصلها غير عربي وأن أساليب الزراعة والرعي القديمة كانت واردة أيضاً من خارج الأرض العربية طبعاً هذا يسمونه الاستلاب يمارسه القوي مع الضعيف.

العروبة هي المحيط الواسع

المسؤولية تقع على عاتق كل عربي فـي أنحاء العالم، إن كل ذلك مرهون بأن يربي كل عربي بداخله العروبة وأن ينمِّيها، بل ويجب على العربي أن يبحث عنها بذاته وأن يستخرجها من أعماقه شجرة وارفة مثمرة معطاء فقط يلزمها العناية والرعاية، وأن يقوم بالعناية والرعاية، على كل منا أن يرعى شجرة العروبة النابعة من أعماقه، مع العلم أنّ العروبة ليست عرقاً ولا جنساً مغلقاً أو قومية محدودة، بل هي شعور رائع بالانتماء إلى أمةٍ الأمم، وهذا الشعور ليس وقفاً على جنسٍ معين من البشر، بل يمكن لأي من الناس في العالم الدخول في الأمة العربية، فقط عليه أن يخلص الدين لله الواحد ويصدق رسوله ويحب العرب وأن يتحدث على أرضهم بلسانهم فالعروبة جنسية مفتوحة غير مغلقة كما هي الحال في القوميات الأخرى.

إن العرب ومنذ قرون يتعرضون لاعتداء اليهود والاستعمار الأوربي، وهم يعيشون كفاحاً وجهاداً مستمراً ضد اليهود والاستعمار الأوربي الأمريكي بطرق عديدة مناهضة لليهود وعملاء اليهود والجهاد العربي لا يعني جهاداً بالحرب والقتال فقط بل إنّ هناك أنواعاً متعددة من الجهاد والنضال يجب على كل عربي ممارستها جميعها ضد أعداء الله والعروبة في كافة الميادين وذلك بالإضافة إلى استمرارية الكفاح المسلح المشروع ضد أعداء الوطن يجب على كل عربي تربية أولاده على حب العرب والإخلاص للعروبة وينمي فيهم أن اليهود هم مصدر الفساد في العالم وعلى العربي أن يعمق انتماء أولاده بالعروبة وإحساسهم بالعروبة وبالروح الوطنية العربية وأن يمجد انتماءهم لهذه الأمة العظيمة ناقلا إليهم الحقد على أعداء العروبة وعلى ضرورة الانتقام من أعداء العروبة انتقاما شديداً وأن يثقوا بالله سبحانه وتعالى ويعلموا أن وعده الحق وأن النصر قريب.

لذلك وبجهالة منقطعة النظير سيحاولون (الطائفيون والعنصريون) في هذه المرحلة بالذات إعادة دراسة وتحديد مفهوم الانتماء الوطني ومفهوم الهوية الوطنية لسوريا والأقطار العربية، في محاولة للقضاء على عروبة المنطقة قضاءً مبرما هذا المفهوم الذي أخطأت معظم القوى السياسية العربية القومية والماركسية والدينية) في التعامل معه، حيث اعتبرته واقعاً بديهياً، وكشيء مثالي منجز قائم، بدلا من أن تدعو إلى الحق والقسط و العمل من أجل تطويره.

وبصرف النظر عن الظروف التي رافقت نشوء الدولة السورية كنموذج لسايكس بيكو وباقي الدول العربية سايكس بيكو أيضاً إذ لو يسأل أحدنا من أنت؟ غالباً ما يأتي الجواب: (أنا كردي آشوري سرياني أو أرمني مسلم أو مسيحي يزيدي أو شركسي...) وقليلون هم الذين يتذكرون أنهم عرب ويقولون: أنا عربي وهم لا يعلمون حقيقة معنى أو دلالة لفظ (عرب) مع أنهم من المفروض أنهم الأكثرية أو أنهم البحر الواسع الذي يحيط بالجميع، ولكنهم للأسف الشديد أصبحوا يستحيون بانتمائهم إلى العروبة نتيجة ما طبق عليهم من الخطط والظروف القاهرة أو الخداع أو لأنهم أضاعوا حقيقتهم.

هكذا تأتي الأجوبة من الجميع غير معبرة عن المشاعر الفطرية والانتماءات القوامية والقيامية أو الدينية الحقيقية بل هي أقرب للطائفية والعرقية! وهي (المدّعات) بمعظمها انتماءات جغرافية تاريخية سطحية ما قبل الدولة ودون الوطنية وهذا هو الطرح الخاطئ والذي أريد منه نتائج خاطئة! بينما يتجاهل هذا الطرح أن جميع سكان هذه المنطقة وهم بالحقيقة عرب قدماء ومحدثون، أشوريون وحثيون وأنباط وكنعانيون وآراميون وأقباط وبابليون وأكراد وأرمن وشركس وغساسنة ومناذرة وغيرهم كثيرون شكلوا الوطن العربي، وأن هذه المنطقة العربية قد استمرت آلاف السنين دون أية مشكلة وأنّ عشرة أباطرة عرب حكموا روما إلى أن جاء إليها في العصر الحديث الأوربيون واليهود وأرادوا قيام

الكيان اليهودي الغريب على بطاح فلسطين وهو كيان عرقي وديني، مما يستوجب أن تقام حوله الكيانات العديدة الطائفية والعرقية والدينية الهزيلة والضعيفة، حتى يتمكن هذا الكيان المصنع من الديمومة الاستمرار، مثل الديك على المزبلة، وتحت ذريعة الحالة السيسيولوجية والقراءة الدقيقة للمشهد السياسي والثقافي والذي تحركه الانتماءات والولاءات التي تتم فيها الدعوى لمواجهة المسائل المطروحة حيال الهوية.

فالنضال الثوري ضدّ الاستعمار الأجنبي من أجل تحرير كل ذرة تراب عربيّة تحريراً كاملا ومطلقاً واجبٌ يوصل إليه الوعي بالعروبة ويؤكد عليه الوجدان الإنساني الرفيع واستمرار العمل على جمعِ شمل العرب كلهم على اختلاف أقاليمهم وتعدد قبائلهم وأعراقهم بما فيهم الأخوة (الأكراد والأمازيغ) في كيانٍ واحد فالعربي كل من عاش على الأرض العربية وأخلص بانتسابه للأمة العربية فهل (سوريا) مثلا والتي قامت من خلال (سايكس بيكو) أو ما سينتج عنها فيما إذا تم تجزيء المجزأ! هل هي حقيقة مطلقة ووطن كامل الأوصاف بحيث يستشهد من أجله وفي سبيله الإنسان؟ وهل الكويت أو لبنان أمة بكل معنى الكلمة كما أصبحوا يدعون؟ وهل جزيرة البحرين هي مملكة أو يجوز علمياً أن تكون مملكة؟ أم أن القضية قضية عروبة وإسلام كما تقره الحقائق الثابتة وينشد إلى ذلك السواد الأعظم من الناس من أبناء المنطقة؟ وهل تعمل أمريكا على تنفيذ سياستها في المنطقة قسراً وبالقوة الطاغية إعلاميا وسياسياً وعسكرياً وكانت الأنظمة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تخدم المخطط الأمريكي؟

وهل ستفيد السياسة الأمريكية ـ اليهودية التي تصوِّر الأمور دائما لأبناء المنطقة والعالم على شكل فزاعات وتظهرها مشوهةً على أنها مرعبة ومخيفة؟ بينما (الهوية السورية) مثلا لا تنهي الموضوع ولا تختم المشكلات ولا تغلق الملفات المفتوحة ولم يكن فيها مطلقاً الحل، فالأكراد موجودون في خمسة أقطار، والأرمن

مستوطنون في العديد من دول العالم وكذلك الشركس والأشوريون وباقي الطوائف والإثنيات والأعراق، لذلك فليس من المأمول إيجاد الحلول الناجعة أبداً في الهويات القطرية أو الدول المقترح إقامتها في المنطقة بمساندة ودعم أمريكي ـ اسرائيلي!

لاشك أن الطرح الخاطئ والتطبيق الخطأ (للعروبة) أو (للدعوة إليها) عند جميع الذين نادوا بها منذ ١٨٦٠ قد أسهم إسهاما خطيراً، وأساء للفكرة العربية في نفوس كافة الأقليات على الأرض العربية، ما أدى إلى فهمها بشكل خاطئ لدى جميع الفئات وخصوصاً أصحاب النزعات الانفصالية، ذلك أنّ الأمور في تلك المرحلة كانت عبارة عن ردات فعل على ردات فعل ولم تكن الأمور غائية إنسانية، فالعروبة قضية أعمق بكثير من السطحيات المقترحات غير ذوات الجذور، والتي غالباً ما يقصد فيها التفكيك للكتلة الكبيرة، وهي العروبة لا يقصد فيها التهميش والإقصاء أو الإلغاء أبداً، بينما العروبة حقيقة فيها تفكيك فعلي للطائفية كل طائفية وللعرقية القبلية كل عرقية وكل قبلية، لأن الدعوة الطائفية والعرقية مقيتة ومرفوضة إنسانياً، والعروبة فيها قضاء على الطائفية والعرقية فقط ولكن فيها حياة للروح الإنسانية الأساسية وليست مجرد دعوة قومية كما يتصورون.

إن العربي ليس سلبياً ولا حيادياً حيال قضايا أمته والقضايا الإنسانيّة، بل هو مناضلٌ من الطراز الأول متوقد ومنحازٌ بكليته الوجودية لعروبته الفذة فهو يدرك أن العروبة حقيقة كونية وليست مجرد قومية محدودة.

العرب في القرآن الكريم

إن لفظة عرب في القرآن الكريم ليس المقصود منها اللغة العربية وليس معناها أنّ القرآن الكريم كان قد نزل باللغة العربية كما فهمها الجاهلون!

وليس فهم معنى لفظ (عرب) ولفظ (أعراب) كما ذهب إليه المفسرون الشعوبيون ومن نهج نهجهم فقالوا: إنّ المعنى المقصود في جميع الآيات هو القول بأن القرآن نزل باللغة العربية! إذ لا حاجة أبداً لأن يؤكد لنا الله سبحانه وتعالى، في قرآنه العظيم مثل هذه المعلومة! فمسخوا بذلك المعنى الإلهي العظيم المراد إلى أدنى مستوى إن لم نقل بأنهم قد أخرجوه إلى خارج نطاق المعقول والمنطقي والمقبول لقد شكلت التفاسير حاجزاً بين حقيقة النص الإلهي وبين العقل، فأبعد عن الفهم وعمل على إخراج العقل عن المسار الطبيعي، وعن السياق الطبيعي المنطقي الموصل إلى جوهر المعنى العربي للمفردات والتأويل الحقيقي للنص العربي والدلالة المبينة، لقد عملت التفاسير على إبعاد العقل وتشتيته في مسارات أخرْ أخرجته عن السبيل الطبيعي والمؤدي مباشرة إلى عين النص، والواقع أنّ هذه التأويلات لم تكن لتنطلي إِلا على من كانوا بعيدين عن جوهر الأمور وكانوا غير قادرين على الفهم العربي المبين الواضح أو كانوا بلهاء، إلى درجة السطحية المنتهية ممن يعتمدون على النقل والنقل الحرفي حتى لو كان بالأساس عن التوراة أو عن اليهود، وهم ليسوا على استعداد لإعمال العقل أبداً، كذلك ورد في بعض الكتب التاريخية القديمة أن سيدنا آدم عليه السلام كان قد ابتنى البيت الثاني لله تعالى وذلك بعد فراغه من بناء البيت الأول وذلك حتى يرجع إليه أولاده الذين ابتعدوا في الأرض فيرجعون إلى الله سبحانه وتعالى في بيت أقرب إليهم لكنّ الخلط في هذا النص وفي الكثير من النصوص التي تأخذ عن كتب اليهود كلاما على عواهنه من غير تمحيص.

فهناك فرق كبير بين لفظ (بني إسرائيل) وبين لفظ (اليهود) بنو إسرائيل هم العرب، القبائل العربية القديمة التي كانت أول من أسكنها الله سبحانه وتعالى الأرض المباركة، من ذرية سيدنا آدم، وممن حملوا مع سيدنا نوح، ومن ذرية سيدنا إبراهيم وإسرائيل، الذين كان سيدنا محمد غ، قد بعث فيهم، وهو آخر الرسل والأنبياء صلى الله عليهم أجمعين، بنو إسرائيل ذكروا في القرآن الكريم واحداً وأربعين مرة، (وإسرائيل منفرداً مرتين) والقرآن الكريم كان يخاطبهم مباشرة؛ منذ البداية، منذ المرحلة المكِّية؛ ومكة لم يكن فيها (يهود) وكان القرآن الكريم يقصّ على العالمين قصصهم، كأضخم تراث بشري، وأعظم تراث إنساني، على الإطلاق، بخيره وشره؛ على مر الزمن؛ منذ خلق الله سبحانه وتعالى سيدنا آدم إلى مبعث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام إلى يوم يبعثون حيث نبأهم رب العزّة بمستقبلهم وحذّرهم وأنذرهم، بينما اليهود عبارة عن قبيل من البشر كانوا قد دخلوا بلاد العرب قبِيل الإسلام بفترة ليست بعيدة! كانوا وثنيين تفرعوا عن المجوسية ثمّ إنهم تظاهروا بالتوحيد عندما كان ذلك لا بدّ منه لهم، ثمناً لإفلاتهم من الأسر العربي أيام كانوا عبيداً للعرب، ثم للفرس الذين كانوا يوما ما، على ديانة بني إسرائيل! وكان كسرى سليل إسحاق ابن إبراهيم كابر عن كابر (راجع كتاب الشاهنامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وديوان جرير طبعة دار المعارف في القاهرة، وتاريخ الملوك والسلاطين لابن طباطبا، طبعة دار صادر بيروت)

فليس لليهود أي علاقة ببني إسرائيل، لا من قريب ولا من بعيد إلا في كون اليهود أساسا عبارة عن قبيل من غير العرب، ولا يمتون بصلة إلى العرب، دخلوا بلاد العرب في فترة مشؤومة، من فترات التاريخ وكانوا أسرى، جيء بهم أسرى وعبيداً ليخدموا بني إسرائيل أسروا من شمال الصين من سفوح جبال الهيملايا ليخدموا بني إسرائيل في بلاد العراقين.

وعندما كانت الطواعين تحصد الناس من رعايا الملوك العرب من بني إسرائيل

في كل مرة كان الملوك من العرب في بابل يسارعون إلى تنظيم الحملات، لجلب العبيد والأسرى من السلة البشرية التي كانت ولا تزال، وكانت مسألة الأسر (أسر القبائل أو العشائر بقضها وقضيضها) عادة تمارس في ذلك الزمان، ذلك أن عرب الموالي الذين يتواجدون في شمال الجزيرة وحلب، أساساً هم عرب كانوا قد أسروا من شمال الحجاز؛ واقتادتهم الجيوش إلى أقصى الشمال؛ من أجل العمل في الأراضي التي سبق وأن هلك عنها أصحابها، ومزارعوها (في الطاعون).

وكذلك جلب اليهود من الهيملايا إلى سواد العراقين، جلبهم الملوك من بني إسرائيل العرب، ـ جلبوهم على دفعات – وذلك لاستخدامهم في فلاحة الأراضي، التي يخشى أن تبور، ولا تزال المعابد الوثنية في شمال الصين والهند، هناك تشهد على علاقة اليهود الوثنيين أصلاً بالوثنية ولا تزال تلك المعابد تشهد على صلة اليهود بالوثنية، وابن بطوطة في رحلته المشهورة زار تلك البقاع، وحدثنا عن زيارته المثيرة لمعابد السامرة في الصين، عندما تجاوز في رحلته الحدود الهندية، الصينية، وعن عاداتهم وتقاليدهم، والتي تنطبق على عادات اليهود اليوم، في كل شيء، وكل الانطباق.

والواقع أن الغجر الذين لا شك أنهم أتوا من الهند، وذلك بدلالة جميع الدراسات التي تحدثت عنهم، بما فيها تلك التي قام بها غجريون، جميعها أشارت إلى أصول الغجر، وأجمعت على أنهم أتوا من سفوح جبال الهيملايا، إن التقارب الشديد بين أشكال الغجر وأشكال اليهود، والتشابه الشديد بين أمراض الغجر وأمراض اليهود، والتطابق الشديد جداً بين عادات الغجر وعادات اليهود، ودينهم الواحد، وعاداتهم الواحدة، وأعيادهم المشتركة، والغجر في جميع دول العالم يحتفلون بعاشوراء، كذكرى لأحد قديسيهم، واليهود بالنسبة لهم هو يومٌ نجّى به الله موسى

من فرعون(١).

إذ ليس كل منقول صحيحاً أو مقبولا إذا كان يخالف العقل والمنطق(٢) وقد آن الأوان لأولئك الأعراب ليفهموا، لقد آن الأوان لأولئك الأعراب أن يمتلكوا الوعي وأن يعوا الحقيقة التي أرادها الله سبحانه وتعالى وهو أنّ القرآن الكريم هو كتاب الله وهو الكتاب الذي لايحتاج إلى تأويل الناس قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ** ﴿١٩﴾ ﴾القيامة، إنّ القول الذي يقول بأنّ المقصود من قوله قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ** ﴿٣٧﴾ ﴾الرعد، ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ** ﴿١٠٣﴾ ﴾النحل، ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا** ﴿١١٣﴾ ﴾طه

---

(١) راجع كتاب (المسلمون الأعراب) للمؤلف

(٢) وهناك مثال هام على ضرورة إعمال العقل في المنقولات، مهما كانت، وكائنٌ من كان ناقلها، وخصوصاً كتب التفاسير وكتب الحديث وكتب التاريخ فكل كتابٍ ما عدا كتاب الله سبحانه وتعالى، الذي يصدر عنه العلم، والمنطق، والحكمة، كل كتابٍ غيره، المفروض أن يخضع للعقل والمنطق، حدث الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي فقال: كنت مرة في واشنطن وهناك قمت بزيارة أكبر المكتبات وشاهدت فيها أهمّ، وأحدث أطلس في العالم، هذا الأطلس كان مكتوباً في مقدمته أنه أشرف على إعداده ٧٢ عالما من مختلف الاختصاصات جغرافيا وطبوغرافيا ومناخ وبيئة وطبيعية وآثار وتاريخ ونبات وحيوان وغيرها وفيه صور فضائية وطبيعية ملونة أعدها أشهر الرسامين العالميين وقد أعجبت من جماله ورونقه وألوانه الطبيعية الرائعة، لكنني عندما فتحته وبحثت فيه عن مدينتي الحبيبة دمشق فلم أجدها! وبعد تمحيص وتفتيش وجدتها أخيراً على ساحل البحر تحت مدينة بيروت! وتابع الدكتور النابلسي قائلاً: فإذا كان العالم كله يشيد بهذا الأطلس ويعتبره أصح كتاب إلا أنه بالواقع وعلى الواقع فهو غير صحيح وبالتالي فكل حديثٍ أو خبر يخالف الفطرة السليمة والعلم المبين فهو حديثٌ أو خبر غير صحيح كائن من كان راويه أو مصنفه أو محققه.

وقوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾الشعراء، ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾الزمر، ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾فصلت، ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾الشورى وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾الزخرف، ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأحقاف، وقوله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾الواقعة

إن القول الذي يقول بأنّ المقصود من لفظة (عرب) الواردة في الآيات الكريمة ١٢مرة إنما المراد منه اللغة العربية إنّ مثل هذا القول بات هرطقة وتجديفاً المراد منه بتر المعاني وقص المضامين التي أرادها رب العالمين فلماذا وما الداعي ليؤكد لنا رب العالمين على أنّ الكلام كلام عربي واثنتا عشرة مرة هل هذا الأسلوب من البلاغة في شيء لو صح ما افتروه في التفاسير بل هي قيادة سطحية للتفسير لامعنى لها أقحمت فيها الأفهام المغلقة التي لاسبيل إلى فتحِها، فهل سيدرك العرب المسلمون أنهم أصبحوا مستهدفين لأنهم عرب ومسلمون وأن اليهود والصليبية العالمية المهودة والذين هادوا من الشعوبية الحاقدة إنما يشنون الآن ضدهم حرباً وجودية شاملة شعواء وطاحنة وشرسة لاهوادة فيها وعلى كل صعيد وفي كل المجالات، وأنهم جميعهم كمسلمين عرب سيساقون إلى المذبحة المعدة لهم خصيصاً وضمن النظام العالمي الجديد لقد كانت الحرب الصليبية قبل هذه المحطة وبعد هذه المحطة ونقصد هنا بكلمة الصليبية (المسيحية الشمالية) كما عرفها الأستاذ محمود محمد شاكر، وهي مسيحية وثنية

تستند إلى التراث اليوناني الروماني أكثر مما تستند إلى المسيحية المحرفة، ذلك أن القيصر الروماني قسطنطين حين دخل في المسيحية فإنه أدخلها هي في الوثنية الرومانية لدرجة أن طقوس ترسيم بابا الكاثوليك في روما هي نفس طقوس ترسيم كهنة المعابد الرومانية القديمة الحضارة الإسلامية تقوم على التوحيد العدل الحرية اللاعنصرية التسامح بينما تقوم الحضارة الغربية (الوثنية ذات القشرة المسيحية) على الوثنية والقهر والظلم والإكراه، والنهب والتعددية.

ومن ثمّ فإن الصدام الموضوعي كان حتميًّا، وهذا الصراع بدأ منذ البعثة المحمدية ذاتها ففي حياة الرسول محمد ﷺ كان هناك خمسة مواقع للصدام مع الدولة الرومانية هي معركة مؤتة سنة ٨هـ، وسرية ذات السلاسل سنة ٨هـ، وغزوة تبوك سنة ٩هـ، وسرية دومة الجندل سنة ٩هـ، ثم بعث أسامة سنة ١١هـ وهو إدراك مبكر للرسول لمستقبل الصراع مع الحضارة الغربية ولم تنقطع الصراعات من يومها وحتى الآن، الصراع في الشام وشمال إفريقيا والأندلس والصراع في البحر المتوسط ثم الحروب الصليبية المشهورة ثم الحروب المستمرة مع الدولة العباسية والسلجوقية والعثمانية وفتح القسطنطينية والصراع العثماني في قلب أوربا ثم مرحلة الاستعمار واحتلال بلاد العالم الإسلامي ثم إقامة إسرائيل وغزو العراق وأفغانستان...، وهكذا فهي حرب صليبية واحدة!

وهكذا فإن الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية كان صراعًا عسكرياً وسياسيا، وثقافيا وفي المرحلة المعاصرة فإن ازدواج المعايير الغربية فيما يخص قضايا العرب والمسلمين واضح جدًّا، وكذا عمليات الهجوم على الرموز الإسلامية، ومحاصرة العالم الإسلامي اقتصاديًّا وسياسيًّا ومن ثم استخدام الأقليات في هذا الصراع، إنّ استخدام الأقليات في الصراع ليس جديدًا مع الاحتكاك بين الحضارة الإسلامية وأوربا اكتشف الأوربيون أن هناك منظومة فكرية وثقافية إسلامية شديدة التماسك، وأن المواجهة الصريحة والمباشرة

مع الحضارة الإسلامية سيؤدي إلى هزيمة أوربية لاشك فيها، ومن ثم فلابد من اكتشاف وسائل لإضعاف القلعة الإسلامية من داخلها، وهذه الفكرة راودت لويس الرابع في أثناء أسره في المنصورة بعد هزيمة الحملة الفرنجية على مصر فقرر إنشاء جيش الباحثين المستشرقين للبحث في وسائل إضعاف القلعة الإسلامية من داخلها فكريا وثقافياً وعن طريق الأقليات الدينية ثم العرقية فيما بعد.(١)

فكيف سيذهب العرب إلى مجابهة أعدائهم قبل اكتشافهم وقبل معرفتهم لذاتهم كيف سيذهب العرب لمجابهة اليهود دون أن يقوموا أو قبل أن يقوموا أولا بمحاولة اختراق اليهود أو بمحاولة تفكيك اليهود، لقد قام اليهود باختراق وتفكيك العرب والمسلمين، فعلا ومنذ قرون.

قد لايشكل هذا المفهوم (العروبة) سلاحاً أوتوماتيكياً يوجه ضد أعداء العرب والإسلام، ولكن من المؤكد أن فيه ما هو أشد من القنابل النووية التي ربما كانت انطلاقاتها وانفجاراتها بدايات النهاية بالنسبة لكل الصف المعادي للعرب والإسلام وفعلا لو علم أعداء العروبة ومن يقفون في الخندق المعادي للعروبة مدلول وماهيّة العروبة لقاتلونا عليه!

النظام العالمي الجديد سيكون له تداعيات من الصعب على الأمريكان أنفسهم إدراكها أو فهمها، وهذه التداعيات ستنتهي حتما بتعريب وانتشار العروبة في أمريكا وتعريب وانتشار العروبة في عموم أوربا، هذا وإنّ أمريكا

---

(١) لأسباب ذاتية وموضوعية فإن مساحة كبيرة، كبيرة جدًّا من تاريخنا الإسلامي شهد صراعًا طويلا في الزمان والمكان الجغرافيا والتاريخ بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ويخطئ البعض حين يتصور أن الحروب الصليبية على الشرق ١٠٩٥ـ ١٢٩٥م هي المحطة الوحيدة في هذا الصراع.

مرشحة قبل غيرها من دول العالم للدخول في العروبة؛ لما في أمريكا الآن من تقدم وأبعاد حضارية مناسبة تماما للإسلام الصحيح العربي المبين ذلك (على الرغم من كل ما يبدو من تباين بين المجتمع الأمريكي المفرط في التحرر إلى حد الإنحراف ومجتمع الإسلام المحافظ أو الملتزم بقيم الحق والدين الحنيف) الذي كان يناسبه مثل هذا الوضع (الحرية المطلقة) لكي يظهر وينتشر؛ فالإسلام الصحيح لاينمو ولايزدهر ولاينتج في أوضاع التخلف والخرافة والمرض إن الأحوال في أمريكا متقدمة علمياً بحيث لم تصل إلى مستواها باقي الدول فهي الأقوى حظاً وهي المرشحة دائما لانتشار الإسلام العربي المبين وكل هذه الإرهاصات الناتجة عن احتكاك الأمريكان والأوربيين بالعرب والمسلمين وخضوع أمريكا وأوربا لليهود أو لإدارة اليهود الله ﷻ يعلمها وهو ﷻ يدبرها ويسوقها باتجاهٍ محدد، فهِم الأمريكان والأوربيون ذلك أم لم يفهموه.

حدثني صديق أمريكي عربي الأصل، متسائلا عن الفروق الحقيقية بين سلوك الأمريكي المحترم وسلوك المسلم الصادق الإيمان؟ وقد حصرها في أمورٍ ثلاثةٍ أساسية تتفرع عنها معظم الأمور الأخرى، ثم قال: أنه خلال معايشته الطويلة للأمريكان وأثناء وجوده في أمريكا لأكثر من ثلاثين سنة في (ولاية شيكاغو) قد لاحظ أن الفرق الأساسي طفيف جداً بين سلوك الأمريكي المحترم وبين سلوك المسلم المؤمن وهي محصورة في ثلاث نقاط أساسية وهي ليست صعبة (فهمها) على الذين يمتلكون التفكير العميق، لكن تفهمها جداً مستحيل على أَصحاب التفكير السطحي غير العميق، وأول هذه الأمور هي أن الإسلام يحرِّم الزنى والأمريكي يمارسه وهو لا يدرك في عقليته وتربيته التاريخية أن الزنى قضية محرّمة، ولكن لو أتيح للأمريكان من يقنعهم عقلياً وعلمياً أن الزنى شيء سيء ففي رأيي أنه سرعان ما سيقتنع الأمريكي لأن الإنسان الأمريكي منطقي وبسيط وهو بطبيعته غير المسيسة متواضع ويحب العلم والنظافة والنشاط

الرياضي مع شعوره بالتفوق؛ وهو يتعرض لمنظومة إعلامية مؤثرة وتأثيرها واسع النطاق بفعل المايسترو اليهودي ولكن في حال توقفت هذه الضغوط فإن الأمريكي ربما سيصل إلى قيم الإسلام وحده والشيء الثاني هو أن الإسلام يحرم الخمر والأمريكي بطبيعته يشرب الخمر ولا يشعر بحرمة شربه، ذلك بتأثير تلك المنظومة الإعلامية الهائلة التي تقدم له الخمر على أنه شيء مقدس لذلك فإن الأمر يصبح مختلفاً، ولكن فيما لو توقف تأثير الإعلام وجاء من يشرح للأمريكي عن الخمر بطريقة منطقية وفنية؛ فأنا أعتقد، كما قال: أنّ لدى الأمريكان وعي عميق ويمكن للأمريكي أن يقلع عن شرب الخمر، لو فهم أو لو جاء من يقدم لهم المساعدة في هذا الاتجاه.

ولكن للأسف فحتى برامج الحكومة الأمريكية في هذه الأيام تعمل على مكافحة الإدمان على شرب الخمر عند الأمريكان وتوزع الحليب في بعض الولايات مجاناً على الفقراء ويعود الزنوج الأمريكان فيستبدلونها بزجاجات الخمور، والشيء الثالث في رأيي هو أن الأمريكان يتعاملون بالربا أو الفائدة في حين يحرمها الإسلام وأن هذه الأمور الثلاثة ليست نادرة في المجتمع المسلم بل هي موجودة ولكن ليس على نطاق واسع، بينما في أمريكا موجودة كعادات وتمارس بشكل طبيعي وعادي وعلني! هذه الطريقة أو هذا الأسلوب في فهم الأمور أفضل بكثير من طرح المواضيع طرحاً عشوائياً فإن كنت متفائلا إذا شاهدت نصف الكأس الفارغة ستقول: أن الكأس ملآنة، ولكنك إن كنت متشائما فستقول أن الكأس فارغة، وأنا وبعيداً عن السياسة التي تمارسها الحكومات الأمريكية، فأنا متفائلٌ جداً حِيال الشعب في أمريكا أنه سيصبح عربياً مسلما عاجلا أم آجلا والأمر يتوقف على المسلمين العرب الذين إلى الآن في

حكم الغائبين عن الساحة ولم يمارسوا دورهم الحقيقي والغائبون دائما خاسرون![1]

(١) المرجع السابق

الروح الوطنية العربية الأساسية المضيَّعة

إنّ الانتماء الوطني الأساسي والأصيل يرتبط بالوعي بالثوابت والحقائق التي لا تتغير لذلك فلا مستقبل لهذا الوطن العربي بكل فئاته بما فيهم الأكراد والأمازيغ وباقي الفئات ما لم يرتق الجميع إلى مستوى الانتماء الحقيقي للوطن وما لم يخرج الجميع من الدهاليز والأنفاق المظلمة للتاريخ والتخلي عن الأوهام القومية الخائرة والأساطير الدينية لصالح الثوابت الوطنية الأصيلة والصحيحة والتحرر من الانتماء للماضي الوهمي لصالح الانتماء للعروبة التي تعني أساساً الربانية والفطرة الإنسانية والوضوح والبيان في مقابل العجمة والتي هي عين الماضي والحاضر والمستقبل فالجميع في هذه المرحلة أمام لحظة الاختبار الوطني الحقيقي وبالتالي عليهم التعبير عن إرادتهم الوطنية الأصيلة بالتغيير نحو ثوابت وطنية يجتمع عليها الجميع، تحفظ وتحترم حرية وكرامة وحقوق الجميع دون تميز أو تفضيل وليس على أساس الانتماء القومي أو الديني أو السياسي.

إن المطلوب هو التأسيس لهوية وطنية ذات سيادة حقيقية وتعبِّر عن جميع المكونات الثقافية والاجتماعية والحضارية الموجودة في المجتمع في أيٍ من البقاع العربية، ولذلك وحتى تكون مقبولة ومرغوبة من قبل الجميع لاسيما الأكثرية فإنها ولا شك تتطلب أولا الإقرار بوجود الأكثرية وكذلك بالتعددية الثقافية (الفلكلور) واللغوية اللهجات المحلية، في المجتمع العربي عامة على أنهم جميعاً عرب و إلغاء كل التسميات القومية الفئوية الأخرى من القاموس السياسي الوطني (الوحدة الوطنية) والاكتفاء بالتسمية العربية لأن الجميع عرب ولكن بوصفها الانتماء الحضاري إلى أمة الأمم، وحل جميع الأحزاب القومية لجميع القوميات، والبدء بالتمهيد لتأسيس أحزاب على أسس ومفاهيم وطنية عروبية عامة مظلة للجميع بما فيهم الأكراد والأمازيغ وبهذا نكون قد حققنا خطوة كبيرة

ومتقدمة باتجاه الاندماج المجتمعي لجميع القوميات والإثنيات في المجتمع العربي. إذ يستحيل أن نبني وطناً حقيقياً يشترك فيه الجميع، ما لم نتحرر جميعاً من الانتماءات البدائية المتخلفة التي تقوم على رابطة الدم والعرق والأرض والعشيرة أو القبيلة، بل يجب على الجميع الانتقال إلى الانتماءات المدنية والحضارية، من ثقافية وفكرية وما لم نخرج من شرنقة الهويات الطائفية والعرقية والإثنية والدينية وهنا يبرز دور النخب الثقافية والسياسية في التحرر من العصبيات الموروثة والانتماءات الضيقة إذ كثيراً ما يضر التعصب بمصالح الجماعة.

إن الروح الوطنية إحساس رائع وعظيم ونبيل وفطري وعفوي وصادق وجميل وهي جماع الأخلاق الأصيلة والسلوك الرفيع، بل هي الدافع الإنساني الأساسي، تتجلى فيها أرقى حالات فضائل الأعمال التي أمرنا الشارع أ، بالعمل على تحقيقها وتنفيذها في الواقع المعاش، إنها من أولويات الإيمان وضرورياته ولوازمه المضيعة في هذه الأيام، بل هي انعكاس للإيمان الحقيقي ومن الدلائل الدّالة عليه، فلا إيمان صادقاً وحقيقياً لمن كان فاقداً للحمية الوطنية عن الأهل والديار، النخوة والمروءة والاستعداد والجاهزيّة المستمرة للعطاء أو التضحية حميّة، بحيث كانت الحمية الموجودة في الطبع لدى العربي الحر هي ما يميز فيما مضى، الإنسان العظيم عن البهيمة، أو أنها كانت تشكل الفرق بين العربي والأعجمي.

حول مفهوم الوطن والوطنية:

إن مفهوم الوطنية قضية ثابتة لا تقبل الضغط والانحسار، قضية وجدانية إنسانية قال ﷺ: «**من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون أهله فهو شهيد، ومن مات دون أرضه فهو شهيد**» وهذه القيمة والنوعية ثابة لاتتبدل، فهي ليست مشروعاً سياسياً مرتجلا ومستزلما كما تتخيل الشعوبيات أو كما يتخيل أصحاب النزعات الانفصالية من الأقليات، إنه فعلا لايكتمل

إلا بالولاء المطلق من قبل كل من عاش على بطاح الوطن كل أنحاء الوطن الكبير، فالوطنية ليست مجرد جنسية تمنح لرعايا الدولة، ولاتحدد ببطاقة شخصية عليها بضع كلمات إنها رابطة حضارية/ أخلاقية/ وروحية، تجمع مختلف الشرائح الاجتماعية والأقليات في صياغة تصوغهم وتوحِّد بينهم، وهكذا فأن مفهوم (الوطن) والوطنية يجب أن يتحرر من الفكر المنغلق للأقليات والمفهوم الضيق للدولة القبلية والعرقية والطائفية والعشائرية والتي غالباً ما تقوم على العنصرية العرقية والتعصب الفيئوي المقيت، فقد أظهرت الكثير من التجارب السياسية على مدى تاريخ البشرية مدى خطورة النظريات القائمة على التفوق الطائفي أو العرقي وذلك لأن الروح الوطنية الصادقة تعني الذوبان المطلق في قضايا الوطن في جميع أرجائه، فكيف يستوي الانحياز وعدم الانحياز إنها والله قسمة ضيزى، قال تعالى: ﴿ **أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦** ﴾الحديد.

وتأسيساً على ما تقدم ذكره فإنّ الخروج من إشكالية التشرذم والتقوقع في الهوية الفئوية وتعدد الانتماءات علينا في الوطن العربي أن نسعى إلى تذويب الطوائف والأقليات تذويباً حضارياً وإنسانياً وجعله لدى الأقليات خياراً وطلباً منهم وليس فرضاً عليهم لأنهم في العروبة أساساً جميعاً هم إخوة لنا وهم جزءٌ منا ونحن جميعاً جزؤهم الكبير.. قال ﷺ: «**لافضل لعربيٍ على أعجمي إلا بالتقوى**» أي أنه بالتقوى يصبح الإنسان ـ أي إنسان ـ عربي، وبذلك تماما يصبح العربي والكردي والأمازيغي والآثوري والكلداني والسرياني والشركسي والتركماني وكل إنسان، من أي صنفٍ كان وفي أي أرض حلِّ، إذا كان تقيّاً فهو (عربي) لأنّ العروبة كانت دائما في مقابل العجمة، وهي عابرة وخارقة وساحقة وماحقة للفئات والشرازم المناوئة للحق، لذلك يجب علينا

إعادة النظر في القضية الوطنية العربية وفهمها على قاعدة أصيلة وأساسية وصحيحة.

كانت التنظيمات الفئوية الإنفصالية تنتظر الفرصة والظروف السياسية المناسبة لتظهر على السطح السياسي وتعمل وتتنشط وهي بكامل الثقة بنفسها باعتمادها على الأوهام واستقوائها بالخارج للأسف، بعد مرحلة صعبة من العمل السري الذي مارسته في الخفاء، لم يفرض عليها ولكنها كانت تعد العدة في الخفاء عندما كان العرب في نومهم وجهلهم هائمين هائمين، لا شك أن التشكيلات الفئوية أياً كانت تشكل خطراً حقيقياً على الوحدة الوطنية يجب التنبه له والعمل على تدارك أمره بكل طريقة ومباشرةً صار يقال (القامشلو) بدل (قامشلي) فهل يعني هذا شيء للعقلاء؟ وبرزت المنظمة الأثورية للوجود، وصار يطلب التخلي عن التحدث بحديث الله الذي في القرآن الكريم ليصبح الحديث بالكردية وصارت تدرّس رسمياً في خانقين؟ وهكذا طرحت الأمور بشكلٍ خاطىء لتفهم بعد ذلك بشكلٍ خاطىء.

وطبعاً عملوا على تضخيم الوهم إلى أبعد الحدود، فاختلقوا واختلقوا، لأنهم أدركوا أن العامة من الناس أصبحوا الآن مثل قوم فرعون يمكن السيطرة عليهم بالسحر الأسود والأحجام الكبيرة... لابالعقل، وليس لديهم مشكلة إذا كانت المسألة تتعلق بالوثنية القديمة اساساً[1] ! ما لكم كيف تحكمون.

(١) ولو تصفحنا كتاب (آفيستا) AVESTA الكتاب المقدس في ديانة الفرس الأقدمين هذا الكتاب ينسب الى زرادشت (ZOROASTRE) الذي عاش (٥٨٣/ ٦٦٠)ق.م نرى أن مدوناته كتبت باللغة الكردية لهجة هاورامان وعلى ١٢ ألف قطعة جلد حيوان، ترجع اللغة الكردية اصولها الى اللغات الهندواوربية ومجموعة الهندو- ايرانية يقال أن اللغة الكردية كانت لغة ميديا القديمة، ويقسم المستشرقون اللغة الكردية الى ٣ مراحل:١/ المرحلة القديمة: لغة آفيستا Avesta الكتاب المقدس للأيرانيين اللغة الفارسية القديمة oldpersian لغة ميديا٢/ المرحلة =

وحتى لايطول بنا المقام أكثر ولانخرج عن الموضوع فإننا سنذكِّر بأن لسان القرآن العربي المبين هو أصل لغات العالمين ليس إلا، هذا وإنّ الاختلاق في النصوص والأفكار وكتابة واختلاق وتقيؤ تاريخ قديم ولغة قديمة وفلكلور قديم وحديث سوف لن يلغي الحق، فلا يمكن خلق شيء من اللا شيء.

فهل صحيحٌ أنّ الكردية هي لغة آدم وماهي أهمية هكذا قول؟ خصوصاً إذا كان هذا القول اعتماداً على باحث امريكاني؛ وبالتالي ما أهمية هكذا قول إذا كنّا نعلم أنّ أهمية أية لغة في العالم إنما تنبع من مدى الحاجة إليها حياتياً! فما هي الحاجة الأساسية أو الفعلية للغة الكردية أوالأمازيغية حياتياً إلا مجرد أهواء وآراء ونظريات وردود أفعال ليس لها داعٍ بالأساس.

وإنما الكردية والأمازيغية تستمد قوة بقائها ودفعها من القوى الخفية الداخلية والخارجيّة؟ ولو تركنا الأمور تجري بشكل طبيعي سيظْهر لنا فعلاً، إذا كنا بحاجة إلى تلك اللغة أم لا (قانون بقاء الأصلح) وهل تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ **سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ** ﴾ وقولوهم (أنهم الأكراد) متجاوزين أن الله سبحانه وتعالى كان قد وجه هذه الآية مباشرة إلى العرب في قوله في نفس الآية: ﴿ **قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ** ﴾ قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ** ﴾ فهل سيعني هنا الأكراد أيضاً ما لكم كيف تحكمون، وغاب عن بالهم أن (الكردية) لهجة عربية قديمة مثلها مثل جميع اللغات في العالم القديم، وكانت إلى عهدٍ قريب تكتب

الوسطى Iranian middle: البهلوي الاشكاني البهلوي الساساني البهلوي الثالث ٣/ مرحلة العصر الحديث وقال أيضاً الامبراطورية الميدية تأسست قبل ٢٧١١ سنة وهذا يعني أن تأريخ اللغة الكردية قديم جدا، وطبعاً الكلام سهل دائما لعدم وجود من يرد عليه أو من يفنده! وهو كلام ليس له أي أساس علمي أبداً ولكنه من صناعة واختلاق الخبراء الألمان (الأكاديمية الكردية في ألمانيا) ففيه اختلاق على حق الله ويقول المثل إذا أردت أن تكذب فأبعد شهودك ويقول المثل: قال أحدهم لوالده: شرفني فقل له والده: حتى يموت من يعرفني.

بالأحرف العربية قام بمحاولة تحويلها عام ١٩٣٥ أولا اثنان من المستشرقين وذلك في مقر السفارة البريطانية في بغداد فتأمل، وكذلك كانت اللغة التركية تكتب بالأحرف العربية ثم تم تحويلها إلى الأحرف اللاتينية بمساعي (كمال أتاتورك) كما هو معروف وكذلك أيضاً الأوردية والسنسكريتية وغيرها، إنّ عظمة الإنسان في هذه الحياة تتأتى أولا من كونه مؤمناً بالله سبحانه وتعالى وبكتابه العزيز ومافيه، ثمّ في كونه يحمل في فكره ووجدانه وطناً عظيما شامخاً، والإنسان الذليل هو الذي اضمحلتْ وتلاشتْ في باله الروح الوطنية السامية والعالية، ولاينفينّ هذه القاعدة ولايخرمها مايسود أو مايطفح به الواقع العربي من أخطاء أو انحرافات والتي هي بطبيعة الحال كانت ناتجةً وناجمةً عن اضمحلال الشعور الوطني لدى الإنسان العربي المسلم.

لكنّ الكمال الحقيقي لكل إنسان لايتحقق إلا بالشعور الوطني، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾البقرة، ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾البقرة، ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الإسراء، ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾النور، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾فصلت، ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾الأحقاف، وهذا أكبر دليلٍ على أن الإحسان هو

المعاملة بين الناس، وليس كما ذهبت التفاسير؛ إلى أن الإحسان هو العبادة فقط، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ آل عمران قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣ ﴾ المائدة، وكانت الحمية الوطنية، (الأهل والديار) طبعاً من طباع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فهي عندهم الجاهزية الدائمة والاستعداد باستمرار للدفاع والمنافحة عن الأهل والديار، إن العربي الحر الأبي الشجاع الكريم كان دائما يتضوع منه العطر، كان نقي السريرة وكان بطبعه يهرْهِر عن أهله طبعاً، لاتكلفاً، وهذا هو معنى اسم أبو هريرة رضي الله عنه و(الهرهرة) في الرجل حميته.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يدافع عن العرب بشدةٍ لاهوادة فيها، وهو رضي الله عنه، عندما أتى إلى المدينة[1] المنورة ليلتحق بالعرب المسلمين، وجد الرسول ﷺ وقد ذهب في طريقه إلى غزوة اليهود في خيبر، فلم يصبر حتى يعود المسلمون من غزواتهم، بل لحق بالرسول الأعظم والصحابة الكرام، لحق بهم حمية، وقد نقل لنا رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أكثر الأحاديث التي تحث على حب العرب المسلمين وأكثر الأحاديث التي تحثّ على الجهاد، وهو صاحب القول الشهير:(ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب) قاله رضي الله عنه عشية استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذا ما يعنيه أيضاً اسم معاوية، إنه المعاوي عن

(١) قدوم أَبِي هريْرة إلى المدينة: واسْتخْلف الرسول على الْـمدِينةِ سِباع بْن عرْفطة وقدِم أبو هريْرة حِينئِذٍ الْـمدِينة فوافى سِباع بْن عرْفطة فِي صلاةِ الصّبْحِ فسمِعه يقْرأ فِي الرّكْعةِ الْأولى كهيعص وفِي الثّانيةِ ويْلٌ لِلْمطفّفِين فقال فِي نفْسِهِ ويْلٌ لِأبِي فلانٍ له مِكْيالانِ إذا اكْتال اكْتال بِالْوافِي وإِذا كال كال بِالنّاقِصِ فلما فرغ مِنْ صلاتِهِ أتى سِباعًا فزوّده حتّى قدِم على رسولِ اللهّ أثناء الحرب وكلّم الْـمسْلِمِين فأشْركوه وأصْحابه فِي سهْمانِهِمْ. زاد المعاد ابن قيم الجوزية

الأهل والديار، والمدافع عنهم دفاع المستميت المستبسل والمنافح والمطاول في المنافحة، بلا كللٍ ولاملل؛ وهذه كانت من صفات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

هكذا كان الأوائل عندما كان المسلمون العرب في المقدمة، وقد أدى سحب هذا الجانب من شخصية المسلم العربي، أو تخلي العرب المسلمون عن هذه النخوة وعن هذه الحمية التي أضاعوها بجهالتهم، إلى هذا التراجع المميت (وصار الأمر كأنه انتحار جماعي للعرب المسلمين!) لقد دلّت الأحداث والحوادث الخطيرة، التي مرت على العرب عبر الزمان والمكان، أن أس الأسس والقوة كل القوة، تكمن في الروح الوطنية والدافع الوطني (العروبة) الذي يجب أن يكون ملازما للإيمان بالله سبحانه وتعالى كنتيجة واجبة من نتائج الإيمان الصحيح، فإذا ما كانت هذه الروح مفقودة عند أمة من الأمم، فلا حياة لهذه الأمة وركبتها الأمم[1].

---

(١) سمعت حديثاً نقل إليّ عن شخصٍ كان مدرباً لفريق الشرطة في كرة القدم في سبعينيات القرن العشرين فقال: كنت مع فريقي في موسكو في عام ١٩٧٦م من أجل تنفيذ معسكر تدريبي هناك وكانت الحافلة تقلنا يومياً ذهاباً إياباً بين الفندق والملعب! وفي إحدى المرات وبينما كان الحافلة يسير بنا في أحد شوارع موسكو، أخذ أعضاء الفريق بحماس وفرح غامر ينشدون داخل الحافلة ويهتفون وكان هذا دأبنا في سورية بلادنا في مثل هذه الحالات ولكن في موسكو كان الأمر مختلفاً فقد فوجئنا عندما بدأنا بالهتاف والغناء، أن عجوزاً كانت تسير في الطريق قد أشارت بعكازها إلى الحافلة وطلبت من سائقها الروسي التوقف فما كان منه إلا أن انصاع للأمر وانحاز إلى اليمين وتوقف ثمّ أشارت إليه أن افتح الباب ففتح الباب فوراً، فصعدت إلى الباص وخاطبت السائق وعنّفته، وقالت له: ما هذه الضجة التي تنبعث من حافلتك؟ فقال لها أنا آسف هؤلاء غرباء وهم فريق لكرة القدم وهم يعبرون عن فرحهم وسرورهم بزيارتهم لموسكو بهذه الطريقة وأنا استحييت منهم فلم أطلب منهم التوقف عن الضجيج! فقالت له بالحرف الواحد: استحييت من هؤلاء ولم تستحِ من الشعب الروسي؟ ثم أخرجت من جيبها دفتراً وسجلت رقم الحافلة ونوعها ووقت حدوث المخالفة وأخذت معلومات من السائق ووعدته بالعقوبة =

فالعرب كانت أمة الأمم ولذلك فإنّ لها ويجب أن يكون لها الحق الطبيعي في أن تحيا في دولة واحدة وأن تكون حرة في توجيه مقدراتها، وكذلك فإنّه تمّ تغيِّب الإحساس بالعروبة ووضع في تصادمٍ مفتعل ومقصود مع الدين (الإسلام).

لقد غاب الإحساس بالعروبة تماما، وغيّب الشعوربالعروبة، وسحب من التداول بالكليّة سحب من الشخصية العربية النائمة وذلك عندما غسلت أدمغة العرب وطوال عهود بالأفكار غير الصحيحة البديلة وهكذا فإن العرب ضلّوا الطريق وأدخلوا إلى المتاهة وباتوا في ضياعٍ رهيب، وأقنعوا بالتخلي عن النزعة الوطنية، حيث انفكوا من فلكها، وتفلتوا من عقالها، وانفلتوا من محرضاتها الطبيعية الفطرية الهامة والأساسية، وأبعدوا عن التأثر بقيمها الإنسانية البنائية الكمالية، النبيلة المنشِطة والمحرِكة والدافعة والمثيرة والجبارة والمطهِرة(١).

المناسبة بعد ذلك قال السائق إنها ستتسبب له عقوبة تأديبية ومسلكية ومساءلة ذلك أن الشعب الروسي له حرمة يجب أن تحترم، فأين هي حرمة الشعب العربي؟

(١) وكانت الحمية الوطنية طبعاً من طباع الصحابة الكرام فهي عندهم الجاهزية الدائمة والاستعداد باستمرار للدفاع والمنافحة عن الأهل والديار، إن العربي الحر الأبي الشجاع الكريم المثال كان دائما يتضوع منه العطر نقي السريرة، وكان بطبعه يهرْهِر عن أهله طبعاً، لا تكلفاً وهذا هو معنى اسم أبو هريرة رضي الله عنه فالهرْهرة في الرجل حمِيّته، وكان أبو هريرة η يدافع عن العرب بشدةٍ، لا هوادة فيها، وهو رضي الله عنه، عندما أتى إلى المدينة المنورة ليلتحق بالعرب المسلمين، وجد الرسول ﷺ وقد ذهب في طريقه إلى غزوة اليهود في خيبر فلم يصبر حتى يعود المسلمون من غزاتهم، بل لحق بالرسول الأعظم والصحابة الكرام، لحق بهم حميةً وقد نقل لنا η عن الرسول ﷺ أكثر الأحاديث التي تحث على حب العرب المسلمين وأكثر الأحاديث التي تحث على الجهاد قدوم أَبِي هريْرة إلى المدينة: واسْتخْلف الرسول ﷺ على الْمدِينةِ سِباع بْن عرْفطة وقدِم أبو هريْرة حِينئِذٍ الْمدِينة فوافى سِباع بْن عرْفطة فِي صلاةِ الصّبْحِ فسمِعه يقْرأ فِي الرّكْعةِ الْأولى كهيعص وفِي الثّانِيةِ ويْلٌ لِلْمطفّفِين فقال فِي نفْسِهِ ويْلٌ لِأبِي فلانٍ له مِكْيالانِ إذا اكْتال اكْتال
=

بحيث أصبح العرب في مطلع الألف الثالثة، وقد انفرط عقدهم، فلا محيط لهم يحيطهم سياسياً ولاسياج يرد عنهم الهجمات، هجمات الأعداء المتربصين وهم كثر كما هو معلوم وليس لهم للعرب ولاحتى أي شكل من أشكال الحماية أو الرعاية أو السيادة ليس لديهم ما يقيهم ليس هناك أي كيان يحميهم، ولاحتى مجرد غشاء؛ لم يعد لهم أي كيان، يرد عنهم أو يقيهم أو يلجؤون إليه ولم يعد لديهم أي نظام، بعد أن فتكت بهم الضياعات الصوفيّة والجموديات السلفية

بِالْوافِي وإذا كال كال بِالنّاقِصِ فلما فرغ مِنْ صلاتِهِ أتى سِباعًا فزوّده حتّى قدِم على رسولِ اللهّ ﷺ وكلّم المْسْلِمِين فأشْركوه وأصْحابه فِي سهْمانِهِمْ زاد المعاد ابن قيم الجوزية ويقال أنه كان أبو هريرة رضي الله عنه قد استشهد غرقاً في الفرات أثناء جهاده ورباطه في غزوه للروم ومقامه η موجودٌ على الفرات قرب الرقة وقد سميت القرية هناك باسمه η، وقيل أنه توفي في الدينة وكذلك ما كان يعنيه أيضاً، اسم معاويةη إنه: المعاوي عن الأهل والديار والمدافع عنهم دفاع المستميت المستبسل والمنافح والمطاول في المنافحة بلا كلل وهذه كانت من صفات سيدنا معاوية بن أبي سفيان η، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، أعلامٌ متقدمون يشهد بذلك القرآن الكريم وفيه كلام رب العالمين، وأيضاً تشهد بذلك سِيرهم وأخبارهم نعم إن الشيعة يتخيلون بها ينقلون من ذلك اختصاص علي بالفضائل دون سواه من الصحابة، ذهاباً مع عقائد التشيع المعروفة لهم والتي تظهر أن المتصوفة بالعراق لما ظهرت الإسماعيلية من الشيعة، وظهر كلامهم في الإمامة وما يرجع إليها مما هو معروف، فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن وجعلوا الإمامة لسياسة الخلق في الانقياد للشرع وأفردوه بذلك، ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لأنه رأس العارفين وأفردوه بذلك تشبيهاً بالإمام الظاهر وأن يكون على وزنه في الباطن وسموه قطباً لمدار المعرفة عليه وجعلوا الأبدال كالنقباء مبالغة بالتشبيه، فتأمل ذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق. أ هـ كلام ابن خلدون الجزء الثاني من الفصل الثامن عشر، في المقدمة ت: د. وافي، المعارف، القاهرة.

وبعد تلاشيهم وتشرذمهم في النزعات الطوائفية التشيعية المهلكة الماحقة، التي أذهبت العرب إلى كل مهلكة وحولتهم إلى شراذم زمامها في الخارج.

الأمر الذي حولهم وحول بلادهم إلى عصفٍ مأكول، ولم يعد لديهم أي نظام، لا على أرضهم ولافي جميع أنحاء المعمورة ولاأي نظام يقيهم أو يتقون به أو يرجعون إليه أو يدافع عنهم أو يحميهم أو يدرأ عنهم المخاطر المحدقة بهم من كل ناحيةٍ، بقصد إبادتهم وإزالة شأفتهم أيّ نظامٍ يشملهم أو يكونوا رعاياه حقيقةً، أو يمثلهم حق التمثيل كعرب مسلمين أو يمثلونه حق التمثيل كنظام عربي إسلامي فإلى أي دائرة وإلى أي كيان، وإلى أي نظام سينتمي هؤلاء العرب المسلمون؟ إذ لابد لهم من الانتماء في هذا العصر الحديث، الذي أوجد وصنّع الحدود بين الشعوب والقبائل وأية هوية سيحمل العرب المسلمون إذا كان لابد لهم من حمل هوية؟ هوية واضحة تبرز معالمهم وتبين عن شخصيتهم العربية الإسلامية بين باقي الأمم والشعوب والقبائل الإسلامية وغير الإسلامية حتى يتعارفوا مع تلك الشعوب بشكل أصيل، كما أمر رب العالمين، وليبين أكرمهم وأتْقاهم عند الله وليكونوا جديرين بالاحترام والتقدير في هذا العالم، وفي هذا العصر، كما أمرهم الله.

هذا العصر الذي من سماته أنه لايحترم إِلّاالقوة ولايقدِّر إِلا الذكاء والعلم المعلوماتي العلماني اللاديني والذي لم يعد يحفل بمكارم الأخلاق ولاالقيم الإنسانية الرفيعة ولاحتى بالآداب العامة، بل هو يعتمد أو هو يركز على قانون المنفعة والمصلحة التبريرية (البراغماتية الأمريكانية) كل سلوكٍ يمكن تبريره إذْ يمكنك فعل أي شيء! هذا القانون الطاحن الذي ساد وتحكم في هذا العالم والذي هو عبارة عن شكل آخر من أشكال الحياة في الغابة الآن الذي جعل الإنسان في العصر الحديث متهاوياً يطحن أو ينطحن بين رحى طاحونته فعلاً، سياسة وإعلام وفن ودعاية وإعلان وثورة معلومات الثورة التي أبهرت عيون

المنهزمين المستضعفين وهذا التطور المذهل في وسائل المواصلات والاتصالات، الذي أسقط في دوّامته كل تلك الشعوب النائمة، لتبقى نائمة أفراداً وجماعات ولتبقى تابعة تبعية مطلقة ومهيْمناً عليها، إنه نظام أعمى البصر والبصيرة.

الوطن والوطنية

على أنها أساساً (الروح الوطنية) جانبٌ حيويٌ اجتماعيٌ قبل أن تكون جانباً سياسياً (الوطنية العربية بلاحدود) ولاتزال المشاعر الوطنية العربية على الرغم من طبيعة وجودها، لكنها لاتزال غير متبلورة لدى العرب المسلمين في كل أقطارهم، ولايزال العرب المسلمون إلى هذا الوقت غير مجمعين على مفهومٍ موحدٍ لمعنى الوطنية العربية، ومعنى العروبة، ولو سألنا أي عربي: هل أنت عربي؟ لقال نعم، ولو سألناه ما معنى عرب[1] ولماذا أنت عربي وهل يتعارض، كونك عربياً مع كونك مسلماً؟ فإننا سنجد أنّ العرب إلى الآن غير مجمعين، أو غير واعين ولكن لابد لهم من الوعي وأكثرهم لايزالون ينظرون إلى المفهوم

---

(١) الدكتور بهجت القبيسي عالم الآثار والتاريخ القديم والمعروف أنه المتخصص بقراءة اللغات القديمة وله كتاب اللهجات العربيات وهو مدرس ومحاضر عن الآثار في العديد من الجامعات سألته عن معنى (عرب) فأجاب قائلاً: لفظة عرب في اللهجات العربيات القديمة لاسيما في بلاد مابين النهرين كانت تعني تحديداً الماء، والعربيات هي تلك القوارب التي كانت تجري على سطح الماء ومنها انتقلت التسمية إلى اليابسة بعد اختراع الدولاب فكانت العربات التي تجرها الدواب في البر وأردف قائلا أنه في بلاد العراق قديما كانت البضائع تحمل من الشمال إلى الجنوب في الأنهار على العربات أو القربات (القوارب) وهي عبارة عن جذوع الأشجار التي كانت تقطع من الغابات التي كانت متوفرة في الشمال، ففي شمال الموصل كانت جذوع الأشجار تضم إلى بعضها بعض وتوضع في نهر دجلة وكانوا ينفخون القربات وهي جلود الحيوانات ينفخونها بالهواء، ثم يضعونها تحت تلك العربات الأمر الذي يساعدها لتطفو على سطح الماء ثمّ يضعون المحاصيل والثمار والبضائع وحتى الحجارة لتصل إلى شط العرب والخليج في الجنوب وهناك كانوا يأخذون الحمولات ويفكون العربات ويستفيدون من الأخشاب والقربات فهل جاء اسم القارب والقوارب من هاهنا وهل جاء اسم القِرب (ما يطلق على أوعية الفخار التي تملا بالماء أو الزيت أو اللبن) هل جاءت هذه الألفاظ من هنا؟

المعنوي للوطن العربي، والمفهوم المعنوي للوطنية العربية بريبة وحذر![1] مع أنّ الشعور المعنوي الوطني هو غريزة اجتماعية إنسانية أساسية، ودافع اجتماعي

---

(١) أخ فاضل مسلم عربي من الصومال الشقيق لا أعرف اسمه، يبدو أنه مثقف ومطلع لكنه فوجئ بسؤالي له عن معنى لفظة؟ كان يبدو أنه مسلم عتيد، لكنه على ما يبدو ولأول مرة يصادفه مثل هذا السؤال ما معنى عرب؟ وفوراً اتفقنا أنّ لا علاقة لموضوع سؤالنا بالأرض أو بالتاريخ أو باللغة أو بالعوامل الاقتصادية أو بالأصل الواحد فالعروبة ليست مسألة عرقية ولاهي سياسية فما معنى عرب إذاً؟ وحار في الجواب، لكنه في ختام حديثه قال لي كلاما أعتقد أنه هامٌ جداً كلاما جميلا وعظيماً، كلاما كان من المفروض أن يرصّع بالجواهر النفيسة كلاما كان من المفروض أن يستقر في عقل وفي قلب كل عربي مسلم، من الذين عاشوا أو الذين سيعيشون على الأرض العربية التي هي كما اتفقنا أنا وهو، أرضٌ مفتوحةٌ وبلا حدود! فربما تكون مسلما وعربياً وأنت تحيا في أي بقعة من أرض الله الواسعة المهم أنك تؤمن بالله العظيم، وأنك تتحدث مع أهلك باللسان العربي المبين وأنك تقرأ القرآن الكريم باللسان العربي المبين وتنتسب إلى العروبة الأمة الحقة، الأمة الأولى فرأيت أنّ من واجبي تضمين هذا الكتاب رأي هذا الصديق والأخ الذي لاأعرف اسمه ولاعنوانه لذلك قمت بتسجيل كلامه وبيانه ونشره كما قاله تماماً، فقد قال لي وبالحرف: أنا مسلم عربي، وأنتمي إلى عقيل بن أبي طالب لكنّ الوطن بالنسبة لي الأرض المكان، فهو يستمد قيمته من أنّ الله معبودٌ فيه أو لا وأنّ شرع الله يطبّق فيه أو لا، فكلّ أرضٍ يطبق فيها شرع الله وحكمه، فهي أرضي وهي وطني وكل أرضٍ لا يطبق فيها شرع الله تعالى وحكمه، فهي ليست أرضي ولاهي وطني فأنا غريبٌ في أرضٍ لا يطبق فيها شرع الله سبحانه وتعالى، وأنا لا أقدِّس العلم إذا لم يكن أو الراية إذا لم تكن ترفع اسم الله، وأنا أعتبرها مجرد خرقة، وأنا من الصومال فإذا كان قريبي من أسرتي وابن بلدتي كافراً أو ملحدا أو عدواً لله، فأنا بريءٌ منه براءةً تامة وهو لا يمتّ إليّ بأيّ صلة وإنسانٌ في الصين أو في أي بقعة في العالم إذا كان مؤمناً بالله ويطبق منهج الله وشرعه في حياته فهو أخي وأنا أنتمي إليه بكل جوارحي، القضية بالنسبة لي باختصار هي قضية براءٌ وانتماء براءٌ من الكفر والإلحاد والشرك وانتماء إلى المؤمنين الموحدين أينما كانوا وفي أي أرضٍ حلوا في حين أنني سابقاً، كنت قد تعرفت إلى أحد الأشخاص من الكويت الشقيق كان مليونيراً وكانت له مشاريع وأعمال في الصين وكان كثير السفر إلى اليابان وأمريكا وكان مثقفاً وباحثاً وكانت لديه دراسة مقارنة عن أصول الأديان في العالم وقد سعِدتّ بمعرفته فعلا كان من أنصار العولمة، قال لي: أنّ الوطن بالنسبة له يكون حيث يجد الأمان في أي بقعة في العالم وهو يرتاح أو هو على استعداد دائما للتفاهم وإنشاء العلاقات الطيبة =

مع الناس أينما حلّ، فهو عندما يكون في ماليزيا في غرفة أحد فنادقها، تكون ماليزيا هي وطنه وإذا انتقل إلى الصين فإن الصين تعتبر وطنه وربما أكثر من الكويت ذلك أنني كلما وصلت إلى الكويت إلى حيث أهلي ووطني الأصلي إلى حيث ولدت وترعرعت ودرست تبرز في وجهي المشاكل وخصوصاً بعد الاحتلال الأمريكي للعراق حيث أصبحوا في الكويت يدققون في أوراق القادمين ولما كنت أنا أساساً من (البدون) فإنني ألقى صعوبات جمّة كلما أردت دخول الكويت وطني الحبيب بينما زوجتي وأولادي كويتيون، وهم ينعمون بالحياة الطيبة في الكويت اما صديقي الأستاذ حسن، وهومهندس كهرباء من مصياف والذي أصبح في الفترة الأخيرة يهتم بدراسة علم الفلك فقد كان مناضلا سابقاً أنا أعرف أنه أمضى حياته وهو ينافح عن القومية العربية، كنت أظن أنه قمة في العلم والوعي والفهم، ذلك لكثرة ما أعرف وأسمع عن مطالعاته ودراساته وأبحاثه الكثيرة التي يجمعها ويلقيها عادة في قاعة المحاضرات في المركز الثقافي في مصياف، لكنني فوجئت بتعليقه على المسألة الوطنية العربية، أو أنني صدمت فعلا برده على ما كنت قد أكدته له في السابق؛ عن ضرورة يقظة الروح الوطنية العربية الإسلامية، والإحساس الوطني العربي الإسلامي، والذي أصبح معدوما في هذه المرحلة! فقال لي حرفياً: لقد تألمت من كلامك وحزنت كثيراً لأنك تتحدث فيه عن أشياء قد أصبحت من الماضي وهي الآن تعتبر حالة تخلف وعودة إلى الوراء فلم يعد لكلمة وطن الآن أي معنى خصوصاً بعد انطلاق الدعوة الواسعة إلى العالمية والعولمة، التي ستمحو وستكتسح في طريقها كل شيء وأول هذه الأشياء الروح الوطنية لدى الشعوب وما يسمى بالهوية وستلغي الأوطان والقوميات والأديان وسيصبح الإنسان كل إنسان، في العالم ينتمي إلى العالم كله، الواقع لقد أذهلني هذا التحول الذي طرأ على صديقي القديم فقلت له منذ متى وأنت مقيم في مصياف لم تغادرها؟ فقال حوالي ثلاث سنوات لم أغادرها إلا مرة أو مرتين إلى دمشق وأحياناً أنزل إلى حمص فقلت له يا صديقي أنت إذاً تجلس في مصياف في الليالي المقمرة تعدّ النجوم وتنظِّر على الناس وتنثر عليهم من أفكارك التي تجمعها من هنا وهناك من بعض الكتب والمجلات ومن صفحات الانترنيت ثم تتقيأها على الناس في المركز الثقافي وتعطيهم الانطباع بأنك أكثر منهم فهما ووعياً وعلما وأنت لا تدري أن الناس يقتلون في العراق يومياً لا لشيء فقط إلا لأنهم عرب ومسلمون والناس تسحق على بطاح فلسطين لالشيء فقط إلا لأنهم عرب ومسلمون والشيء نفسه حصل في لبنان وفي الجزائر وهو ما يحصل أو سيحصل في السودان وكذلك في كل أنحاء العالم العرب المسلمون يلاحقون لالشيء إلا لكونهم عرباً ومسلمين، وليس بالضروري أن يتم الإعلان عن ذلك بوضوح ولكنّ الأمور واضحة ولاتحتاج إلى توضيح إن الإعلان عن الحرب الشاملة على الإرهاب الحملة التي تقودها أمريكا وهي كما تعلم الحمار المنقاد من قبل =

إنساني حقيقي، لايخرج منه الإنسان السوي، وذلك قبل أن يصبح المفهوم الوطني نزعة سياسية وقبل أن يتحول إلى مجرد مواد في نصوص دساتير الأحزاب السياسية ومناهجها المرحلية لكن العرب ظنّاً منهم أن الشعور الوطني العربي أو الروح الوطنية العربية، تتعارض مع الدين الحنيف الصحيح أو مع الإنسانية العالمية، أو العولمة الأممية[1]!

اليهود، إنّ هذه الحرب الشاملة حقيقةً ومهما تعددت الذرائع إنما هي حقيقةً حربٌ شاملةٌ تشنّ ضد المسلمين العرب وضد الإسلام العربي فقط، وها أنت الآن ياصديقي تتمطى وترفع ياقتك وتمسد ربطة عنقك وتنادي بإلغاء الشعور الوطني والديني من العرب المسلمين، ومنذ ذلك الحين لم أعد ألتقي صديقي حسن ولم يعد يأتي إليّ، ثم سمعت من أصدقائنا المشتركين أنه كان عضواً في الجمعية الكونية وأنه كان متزمتاً، ومتعصباً لمذهبه السائد في ضيعته.

(١) في البيان الشيوعي الذي أصدره (كارل ماركس) عن كمونة باريس عام ١٨٤٨ والذي أعلن فيه الشيوعيون: أولاً: أن الدين أفيون الشعوب وثانياً: أنّ القومية فكرة برجوازية وثالثاً: أن الأسرة لم تكن من قبل في العصر المشاعي وأنها كانت عبارة عن حلقة من الحلقات الناتجة عن التطور والصراع الطبقي وأنها من آثار المِلْكية الإقطاعية البرجوازية الرأسمالية مثلها مثل الدين والقومية وبما أنّ الشيوعية كانت تعمل على صراع الطبقات وإزالة المِلْكية فإن الشيوعية قد نادت بإلغاء الدين وإلغاء القومية ومشاعية المرأة، إنّ الشيوعية التي كانت تقسِر الناس قسْراً على مبادئها قد انتهت كنظام سياسي عام ١٩٩١ من خلال (البيروسترويكا) والانقلاب على البيروسترويكا الفيلم الذي تم عرضه في آب من عام ١٩٩١ في الاتحاد السوفيتي، المعقِل الأساسي للشيوعية، فإنه منذ ذلك الحين قد بدأ تعميم مبادئ الشيوعية وفرضها على العالم بطرق أخرى أكثر حيوية ولكن في هذه المرة ليس عن طريق الكرملن ولاعن طريق مجلس السوفييت الأعلى، وإنما عن طريق الإعلام العالمي المهود والبنتاغون الأمريكي في خطط مبتكرة أنيقة وجهنمية إن ما حدث للفكر الشيوعي في العقد الأخير من القرن العشرين حقيقةً ليس نهاية له، بل البداية فلقد دخل الفكر الشيوعي عام ١٩٩١ طوراً آخر وبأسلوب آخر وعن طريقٍ آخر أصبحت مبادئها أكثر عموميةً وأكثر اتساعاً وأكثر شمولا وأكثر انتشاراً، بحيث أن الشيوعية التي بدأت كفكر مع كارل ماركس في عام ١٨٤٨ في كمونة باريس وكتبه المعروفة عن (المادية والديالكتيك) و (رأس المال) وغيرها وكنظام وسلطة عالمية مع (لينين) من خلال الثورة البلشفية التي قامت ١٩١٧ ثم من خلال الأحزاب الشيوعية التي قامت بالانقلابات العسكرية والثورات المسلحة واستولت =

على السلطات في الكثير من الدول في العالم بما فيها الصين ودول حلف وارسو والتي استمرت حتى ١٩٩١، إن الأنظمة والأحزاب الشيوعية في جميع أنحاء العالم مع مرور ذلك الوقت وحدوث كل تلك الأحداث الجسام ومع تقديمهم لكل تلك الدماء والضحايا والجهود والأموال فإن اليهودية العالمية وأمريكا المهودة، وخلال بضع سنين وبالأمريكانية، والتي كانت تعرّف على أنها هي الوجه الآخر للشيوعية قد استطاعوا إنجاز وتحقيق أضعاف مضاعفة من تلك المهام التي كانت مناطة بالأنظمة الشيوعية، محاربة الدين والشعور الوطني وإلغاء الأسرة ومشاعية المرأة وهي انتشار ونشر المبادئ الماركسية على أوسع نطاق المبادئ التي اتخذت اعتباراً من عام ١٩٩١ طورها الجديد بأساليب جديدة مبتكرة صارت ملونة وصار لها أشكال أخرى وصار منها أنواع وموديلات بحيث أدخلوها لعبة الديمقراطية ومنحوا المواطنين في العالم إمكانية الاختيار فحققوا المراد بأقل الخسائر وأبسط التكاليف وبسرعة مذهلة حققوا السيطرة، تمت لهم الهيمنة بالصرعات ومن خلال الدعاية الواسعة النطاق والكلام عن نهاية التاريخ بدل المشاعية والحديث عن صراع الحضارات بدل صراع الطبقات وحرب النجوم بدل الحروب الأرضية والكفاح المسلح ثم مسرحية الأبراج في نيويورك التي مثلت بشكل جيد، ومثلها مسرحية أنفاق المترو في لندن ثم إعلانهم الحرب على الإرهاب، أي إعلانهم الحرب على العرب المسلمين لا غيرهم، وصولا إلى الشرق الأوسط الجديد، وصار المهم عندهم هو انتشار المبادئ التي كانت أساساً هي المبادئ الشيوعية، إلغاء الأخلاق والقيم والمبادئ ولكن في هذه المرة أو في هذا الطور دون ثورات مسلحة ولا انقلابات عسكرية بل بواسطة الإعلام وأجهزته، وهكذا فإنّ حادثةً مرتبة مثل الحادثة التي أسهب الإعلام العالمي في نشرها وعرضها وتكرار عرضها وهي حادثة مونيكا مع قمة الهرم الأمريكي وكان في حينه الرئيس بل كلينتون، إن افتعال ونشر الأخبار عن مثل تلك القضية لهي جريمة كانت أشد تأثيراً وسقوطاً على العالم من كل النكبات التي حصلت خلال القرن العشرين وهي أكبر هولا من الحربين العالميتين الأولى والثانية وذلك قياساً إلى النتائج، إنّ نتائج تأثير خبر الحادثة (مونيكا وهي يهودية كما أعلن والملاحظ أنهم في حينه قد أعادوا طرح القضية على الملا ودون خجل عدة مرات وهذا بالنسبة لمن يدري يعني الكثير).

إن التحول الذي طرأ على الناس في العالم وعلى معايير الأخلاق الإنسانية في كافة أنحاء هذا العالم، بله القيم والمثل والمبادئ الإنسانية من حيث التغيير والتبديل؛ اللهمّ إن لم نقل انعدامها كلياً والمراقبون ولا شك، يدركون كيف أنّ أخبار مونيكا التي تابعها الناس في مختلف أنحاء العالم، أسهمت في القضاء على البقية الباقية من الأخلاق والشرف عند الكثيرين من الأفراد والشعوب في العالم، خصوصاً الشباب والأطفال ولا نخصّ بالذكر المسلمين وحدهم بل لقد =

فإنهم يكبتون هذا الشعور العميق ويخفونه ويغفلونه، بل ويعدمونه، وكان هذا وهما وخلطاً كبيراً منتشراً بين العرب، سببه الجهل المستفحل وعدم الوضوح أو كان بسبب ضروب التبعيّة والتعمية والتعبئة السلبية التي سبق وأن مورست على العقل العربي، عبر تاريخ طويل وأثّرتْ على الفكر والوجدان العربيين، والتي خلْخلت العرب عصوراً طويلةً.

لأن الشعور الوطني العربي شعورٌ إنساني أساسي طبيعي، منبثقٌ عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فالقرآن عربي واللسان عربي والحكم عربي والملائكة عرب، ولسان أهل الجنة عربي فالعروبة ليست شيئاً مخترعاً؛ كما هي الدعاوى الإقليمية أو الطائفية كذا فشلت كل الطروحات العقائدية والسياسية التي عملت في القرن العشرين، على الساحة العربية بما فيها الطروحات الدينية المختلفة جميعها فشلت في تحقيق أي إنجاز يذْكر على طريق التحرر العربي، من ربقة التبعية للغرب والمتهود فكرياً وعقائدياً.

كان تأثير مثل هذه المشاريع الأمريكانية الحديثة على كافة أنحاء العالم بما فيها الشعوب الأوربية ذاتها، نعرف ذلك من خلال استفتاء حول الدين والإيمان والأخلاق والشرف والكرامة والمثل العليا والعلم الحقيقي والأدب الجم، إن أي استفتاء تجريه أو أي إحصاء نجريه بين طلاب وطالبات أي مدرسة إعدادية في العالم سنجد فيه أن المعايير الأخلاقية قد تغيرت تماما بعد تلك الأخبار وهبطت من القمة إلى أدنى مستوى بحيث إنّ البنات والأولاد صارت بالنسبة لهم كل الأمور سهلة وطبيعية، وقد استسهلوا الأفعال المحرمة شرعاً وقد تجرؤوا على ارتكاب الكبائر والمحرمات والمحظورات، ما دام رئيس أكبر دولة في العالم قد فعلها، فهل عرفتم أيها السادة إلى أي مدى كان تأثير هذه الحادثة المدبرة بالاتفاق مع الرئيس بل كلينتون الذي في ما بعد أصبح يستقبل ليحاضر في الدول الإسلامية، كلّ ذلك التغيّر قد حصل إبان العقد الأخير من القرن العشرين إن الأمريكانية بأساليبها الجهنمية تابعت مطلع الألفية الثالثة المهام التي عجزت عن تنفيذها الشيوعية خلال القرن الماضي لقد كانت الأمريكانية بكل أدواتها الحديثة هي الوجه الآخر للشيوعية، وكان الكرملن طبخة من طبخات البيت الأبيض راجع (الأعمال الكاملة لماوتسي تونغ المجلد الأول) (راجع كتاب في الشعوبية لإسماعيل العرفي)

بل على العكس من ذلك تماماً، فقد آلت كل تلك الجهود إلى تفريغ العروبة من معناها ومحتواها العظيم وإلى تحجيم الدين الرباني الحنيف، وتقليص مدلولاته القوية، الأمر الذي أوصل الأمة العربية إلى مآزقِ الاحتلال المباشر، في فلسطين والعراق وإلى سيطرة الأمريكان المتهودين على كل زاويةٍ من زوايا الحياة العربية والإسلام وإحكامِهم لتلك السيطرة، فلماذا ولعل آخر تقليعة أقليات أنتجتها المختبرات الصهيونية هي تحويل الشعب الفلسطيني بفعل اتفاق (غزة ـ أريحا) إلى مجموعات أو أقليات سياسية، فلسطينيو الداخل وفلسطينيو الخارج وفلسطينيو عام ١٩٤٨وما بعده وفلسطينيو المخيمات وفلسطينيو المدن... إنّ نظرة مقاربة على التوجهات الأمريكية ـ الإسرائيلية في إثارة واستغلال مسألة الأقليات توضح أن الأمر كان يتم من خلال إستراتيجية يمكن وصفها بإستراتيجية القلب والأطراف التي تعتمد مناطق التخوم في الوطن العربي على جناحيه الإفريقي والأسيوي للضغط واستنزاف العالم العربي وعلى الأخص في مرحلة صعود المد التحرري، باعتبار هذه التخوم مفاصل حضارية بين الحضارة العربية والإسلامية والحضارات الأخرى وتوفر مزايا عديدة لاحتمالات التفجير بسبب الصراعات التقليدية القديمة، ولاختلاف التوجهات الإستراتيجيّة، غير أنه مع حدوث تغييرات في الأطراف المحيطة بالوطن العربي، ثم دخول العالم برمته مرحلة انتقالية غير واضحة المعالم، أضحى التوجه الأميركي ـ الإسرائيلي يقوم على إستراتيجية استنزاف الدخل من خلال التدخل المباشر والصلات الأكثر مباشرة مع بعض الاتجاهات في حركة الأقليات، دون أن تسقط استراتيجية القلب والأطراف، ولكن من دون أن تكون في صدارة الاهتمامات كما سبق)[1]، ولكن مطلع الألفية الثالثة جاء بما لم يتوقعه أحدٌ من المراقبين ولا المهتمين، حيث ذاب

(١) عبد الله حسن (الأقليات في الوطن العربي ص٦٠) مرجع سابق.

الثلج وبان المرج، ووضح كل شيء، كل شيءٍ صار واضحاً وضوح الشمس أمريكا آتية بأسلحتها العاتية، والتي لا يمكن الوقوف في وجهها (إلا إذا فهم العرب حقيقتهم) وستمسح كل شيء، نعم هذه هي الصورة.

إن الحرب المفتوحة والمعلنة على العرب والإسلام، التي يشنها الآن اليهود بالسيف الأمريكي وبدعمٍ ومشاركة من الصليبية العالمية المهودة، هذه الحرب لم تكن تستهدف، كما أشيع وأعلن الثروة العربية العظيمة أو الشعب العربي العظيم، كما هو بادٍ الآن، فحسب، بل إن الهدف الأساسي الذي باتت هذه الحرب تستهدفه، وبشكلٍ واضح لالبس فيه، هو النص العربي للقرآن الكريم، أو التفسير العربي، أو الفهم العربي لكلام الله، والحقيقة، فإنه صار واضحاً أن أشد ما يخوف اليهود وأمريكا والصليبية العالمية المهودة هو الفهم العربي للقرآن العظيم لكلام الله سبحانه وتعالى وواضحٌ أن الفهم العربي للنص الإلهي قوةٌ عظيمة وقوةٌ كامنةٌ، ما إن تنطلق حتى تنهي أمر غطرسة اليهود وتبجح وجنوح أمريكا معاً وداخلياً ستنهي أمر الطائفية البغيضة بكل تشعباتها والتي كانت دائما ولاتزال مخلب القط بالنسبةِ لليهود مغروساً ويغرسونه باستمرار، في الجسم العربي المدمى دائما ومنذ عصور، لأن الفهم العربي للقرآن الكريم، هو الفهم الوحيد الحنيف الصحيح الذي لا لبس فيه وبالفهم العربي وحده سينهض العالم ويتجلى الحق ويعود، فالعروبة حقيقة حيّة خالدة وهي ليست وهي ليست وليدةً للسياسة الاستعمارية أو ناتجةً عنها كما يتوهم الكثيرون، وتجمع اغلب الدراسات الغربية التي عالجت قضية الغزو الثقافي للعالم الثالث ومن ضمنه الوطن العربي، أن الاهتمام باحتلال عقول شعوب العالم الثالث نشأ على قدم المساواة مع الاتجاهات الاستعمارية التوسعية المبكرة في العالم الأوربي وأميركا حيث يتطلب الاستعمار حصول مسح اجتماعي وثقافي شامل للعقلية التي سيتعامل معها فيما بعد.

وقد اتبع في سبيل ذلك العديد من الطرق والأساليب كالاستشراق، وفرض ازدواجية النظام التعليمي وخلق نخبةً مثقفة تمتد جذورها خارج الحدود تماما كما فعل نابليون بونابرت في أثناء احتلاله مصر مطلع القرن التاسع عشر، حين اصطحب معه علماء من مختلف الاختصاصات، عملوا على رصد تفاصيل المجتمع المصري وعاداته وسياساته وثرواته، وضمنوا ذلك في كتاب من (١٩ مجلداً) تحت عنوان (وصف مصر) (١) أصبح فيما بعد حجر الأساس لكل محتل يريد الدخول إلى مصر وباقي أجزاء المنطقة العربية والإسلامية. وكان من النادر وجود محتل تغلغل إلى ارض مصر لم يقرأ رجاله وقادته العسكريون كتاب (وصف مصر) ولم يتخذوا منه منهجاً للحركة والتغلغل داخل مصر.

ونشير إلى أنه في الحقبة المعاصرة، ومن أجل التدليل على الأولوية التي تعطيها القوى الاستعمارية لاختراق العقل العربي، أن وكالة المخابرات المركزية الأميركية (c.i.a) كانت خلف إنشاء واستمرار العديد من الجامعات في دول العالم الثالث مثل كلية نكومبي الدولية في زامبيا، وبعض الجامعات في الإكوادور والأروغواي والمكسيك، والجامعة الأميركية في أنقرة والقاهرة وبيروت، وقد ذهب المستشرق الروسي بوندا ريفسكي في وصف هذه الأخيرة إلى القول: (أن هذه الجامعة هي على امتداد تاريخها كله حصن للتوسع السياسي والإيديولوجي الأميركي في الشرق الأدنى) وتسعى القوى الاستعمارية من وراء محاولة اختراق العقل العربي إلى ضرب بديهيات العربي وخلخلة قيمه الأساسية وخاصة قيمة الانتماء العربي وإعادة صياغته وفق المنظومات الذهنية للفكر الاستعماري الغربي عن طريق إحلال منظومة مفاهيم وبديهيات لاتمت بصلة إلى واقع الحياة والتاريخ العربي تخرج الإنسان العربي من جلده وتجرده من انتمائه الجغرافي والتاريخي والحضاري والثقافي بحيث تصبح المنظومات الذهنية القبلية والدينية والمذهبية والإثنية هي المكون للوعي العربي وما يترتب على ذلك من تحقق للمسلمة الاستعمارية التي تبعد عن العرب صفة الأمة وتظهرهم

كمجموعة من الأقليات؟

مما يوفر المبررات اللازمة للأقليات التي سبق أن ذابت في الثقافة العربية منذ زمن بعيد لتحول لهجات محلية محدودة، إلى لغات (وطنية) يقدم الاستعمار خدمات لها، وكما فعل مع البربر والأكراد وتكون الحصيلة النهائية المسرح العربي لإخراج السيناريو التفكيكي للوطن العربي الذي غدا عنوانه الإستراتيجية الأمريكيّة والصهيونيّة في الوطن العربي، ولما تنطوي عليه عملية اخترق العقل العربي من مخاطر أباح محمد حسنين هيكل لنفسه القول: (اعتقد أنه يمكن أن يحْتل جزء من أرض لبلد ما وأنا مستعد أن أقبل أن يحتل جزء من الاقتصاد لبلد ما ولكن انا غير مستعد أن أقبل أن يحتل عقل البلد، وأن تحتل روح البلد وأن يدخل فيها العابثون بأي طريقة يريدونها، وهذا كلامٌ لا ينبغي أن يسمح به البلد).

إن الشعور الوطني العربي رباني أصيل، في الإنسان العربي الأصيل كان من قبل، ويجب أن يكون من قبْلِ النزعةِ القومية المخترعة نظرياً وسياسياً، في أوربة أواسط القرن التاسع عشر، إن الشعور الوطني العربي نابعٌ من الدين الإسلامي الحنيف وهو والإسلام صنوان أو وجهان لحقيقة واحدة، كذلك فإن الشعور الوطني العربي هو بوابة الشعور الإنساني الحقيقي، ويجب أن يكون شرطه الأساسي إلى العولمة المزعومة التي تنفذها أمريكا بالعنف ولكن يستفاد منها (التعبير عن الذات وتعميم اللامركزيّة) فإنها أيضاً قد أوهمت وأنشأت الأوهام بحيث شجعت أصحاب النزعات الطائفيّة أو الهويات القادمة من الماضي (المستحاثات) وعملت على تشكيل عالمٍ هو عالم الانتيكا وبالتالي عملوا بإعادة إحياء الموات أو الآثار المنتهية الصلاحيّة، فكيف يدعون العرب إلى التخلي عن الشعور الوطني، في حين أنّ الشعور الوطني شعور طبيعي موجود لدى جميع

الناس، كيف يسلب هذا الشعور من العرب المسلمين، ويؤكد عليه لدى كافة الناس في الأرض؟

إنّ مواجهة هذه الحالة، لاشك، تتطلب استنفار كافة الطاقات للعروبيين بما فيهم الأكراد والأمازيغ استنفار البركان الثوري[1] وهو أي الشعور الوطني الطبيعي مختلفٌ عن النزعة القومية التي ابتدعتها النظريات السياسية العنصرية، والتي تفتق عنها العقل اليهودي في أوربة منتصف القرن التاسع عشر بعواملها المفترضة عندما حولت المشاعر الإنسانية إلى فلسفة ونظريات سياسية فقننتها وقعدتها في دساتير وفي مناهج استراتيجية ومناهج مرحلية والتي حددتها المصالح السياسية لطمس الحق وكبديل عن الحق بينما الشعور الوطني العربي نبيل وأصيل وهو (أي الشعور الوطني) متعلق بالفطرة الربانية السليمة الراقية والحالة الحضورية السامية والحضارية الرائعة والفهم العميق والوعي والعلم والتنوّر للإنسان ولايمكن تصور الدين الحنيف والذي هو الإسلام الرباني والإيمان الصحيح بالله سبحانه وتعالى أن يتجلى في معزلٍ عن الشعور الوطني أبداً خصوصاً الشعور الوطني العربي الحقيقي.

---

(١) وأذكِّر هنا أن جماعة (أنصار الإسلام) من الأكراد في شمال العراق والتي كانت أثناء الحصار وإبان الحرب على العراق في مسلكها عروبية أكثر من دعاة العروبة، وأنها كانت قد تعرّضت أولا وبدايةً للقصف العنيف والإبادة الجماعيّة من قبل القوات الأمريكية والتحالف الغربي مع أنها (جماعة أنصار الإسلام) كانت من الأكراد أيضاً وفي المنطقة المسماة كرد ستان!

الروح الوطنيّة وطبيعة الإنسان

الروح الوطنية طبيعيّة لدى كل الإنسان والتخلي عن الوطنية تخلي عن الإنسانيّة لأنّ الوطنية في الأساس رابطة طبيعية(١) ناجمةٌ عن وجود روابط طبيعية أخرى في الحياة الإنسانية، لايمكن تجاوزها لأنها منبثقة عنها مثل رابطة الأسرة ورابطة العائلة ورابطة العشيرة والقبيلة وشعور الأمومة وشعور البنوة وشعور الأبوة وشعور الأخوة وحب البيئة الخاصة، واحترامها وحب القرابة وحب الصداقة وحتى الحب والحنين إلى البيئة الخصوصية، والافتخار بالأمجاد وبالأبطال والبطولات الحميدة والمجيدة وكل العلاقات والمشاعر والروابط الإنسانية النبيلة، التي تجعل من الإنسان كياناً اجتماعياً، وتولِّد لديه إحساساً اجتماعياً وتدفعه إلى بذل كل الجهود والطاقات لخدمتها ولتقديم مايستطيعه المرء

---

(١) جاء في دستور الحزب السوري القومي (الدستور الأسود) الموضوع في عام ١٩٣٤ في ص ٨٢ ما يلي: أدى زعيم الحزب السوري القومي القسم الآتي: أنا أنطون سعادة أقسم بشرفي وحقيقتي ومعتقدي على أني أقف نفسي على أمتي السورية ووطني سورية عاملا لحياتها ورقيهما وعلى أن أكون أميناً للمبادئ التي وضعتها وأصبحت تكوِّن قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي ولغاية الحزب وأهدافه وأن أتولى زعامة الحزب السوري القومي وأستعمل سلطة الزعامة وقوتها وصلاحيتها في سبيل فلاح الحزب وتحقيق قضيته وأن لا أستعمل الزعامة إلا من أجل القضية القومية الاجتماعية ومصلحة الأمة على كل هذا أقسم أنا أنطون سعادة (انطون سعادة، تعاليم ودستور ١٩٤٧) وطبعاً إنّ هذا الكلام لا يحتاج إلى تعليق، ولكننا نذكره في هذا الموضع لندلل على مدى السذاجة السياسية التي كانت متداولة في تلك الأيام، في النصف الأول من القرن العشرين وإلى أي مدى كان الناس غافلين وبسطاء لاحظ أن القسم يقول: (وعلى أن أكون أميناً للمبادئ التي وضعتها وأصبحت تكوِّن قضية الحزب السوري القومي ولغاية الحزب وأهدافه وأن أتولى زعامة الحزب) فالمبادئ وضعها شخصٌ بعينه ولم تكن نابعة من الفطرة الإنسانية ولا هي تسعى لتحقيق الحق والعدالة، لم تكن حرباً على الخطأ بل هي مبادئ وضعها، واخترعها وارتآها شخصٌ ما وأراد تعميمها وتنفيذها وتحقيقها على الأرض وقاد الناس إلى خدمتها بأساليب مختلفة؛ وكان الناس ينساقون بالعاطفة بكل بساطة.

للبناء الإيجابي فيها والدفاع عنها عند اللزوم، لا هدمها وتحطيمها والتخلي عنها، عندما يواجهها أول تهديد بل حبها مؤمنة والاعتزاز بها بعد حب الله سبحانه وتعالى والاعتزاز بدينه وقرآنه المجيد ورسوله الكريم، فالشعور الوطني لايلغيه الكلام عن الشركات متعددة الجنسيات، والشركات العاملة وراء البحار! كما يفهم ذلك البعض من المحدودين الفاقدين الذين باتوا لا يملكون أدنى مستويات العزة والشرف.

ولاينفي هذه الحقيقة ماحصل من أخطاء ومن ممارسات خاطئة في حق الإنسان العربي والوطن العربي، طوال القرن العشرين ومن طرحٍ خاطئ ومن ممارسات خاطئة لمسألة الوطنية، بحيث إنّ الأحزاب والتنظيمات والسلطات العربية كانت توهم المواطن وتقنعه أنّ الانتماء لتلك الأحزاب أو لتلك التنظيمات أو لتلك الدول انتماءٌ للوطن! والحقيقة كانت غير ذلك، لأنّ الأساس أن تكون الأحزاب والتنظيمات والدول في خدمة الوطن، لا أن يقدم المواطنون قرابين في سبيل تلك الأحزاب والتنظيمات والدول وتم إقناع الناس على أنّ أهداف تلك الأحزاب هي أهداف للوطن؛ إن هذا الإيهام قد تسبب بالإساءة إلى المشاعر والأحاسيس الوطنية الحقيقية لدى العرب المسلمين، الذين أصبحوا بعد أن اكتشفوا حقيقتها وقد فقدوا الثقة بتلك الأحزاب وتلك التنظيمات، وتلك السلطات وزعاماتها ورجالاتها وقادتها؛ لأن المشاعر والأحاسيس الوطنية تتلازم مع ما نعاينه وما نشاهده وما نلمسه في تجاربنا الخاصة.

كذلك فإن الروح الوطنية الموضوعيّة لايلغيها مانكسبه أحياناً من إمكانيات أو عندما نتقن بعض اللغات الأخرى لسببٍ من الأسباب وهكذا جرت الأمور فمن خلال النفوذ والهيمنة الأوربية الأمريكية الصليبية العالمية المهودة، تمّتْ عملية قلب وعكس لِما كان يجب أن يكون كطبيعة! فبدل أن تبادر شعوب العالم إلى تعلم اللسان العربي المبين وبدل أن تكون العربية هي لغة الحضارة على أساس

أن العربية هي أم اللغات وأن اللغات التي في العالم كانت في يومٍ من الأيام مجرد لهجات عربية قديمة صار المطلوب من العرب شيباً وشباناً وحتى الأطفال أن يتحدثوا وأن يرطنوا باللغات الأوربية الحديثة تحت ذريعة أنها لغات العلم والحداثة، وهكذا صار المطلوب من الجذر أن يشرب من الفروع والأغصان وصار المطلوب من المسطرة أن تتعلم الاستقامة من الخطوط العوجاء إن العربة في هذه الأيام هي التي تجر الحصان!

كذلك فإننا عندما ندرس أو نطلع على أوضاع بعض المجتمعات الأخرى، ونتعرّف على أحوالها وأخبارها أو عندما يسافر البعض، أو ينتقلوا إلى الأقطار الإسلامية، والأمصار، والبلاد الأخرى في أنحاء العالم، لأي سبب، فيتعايشون أو يذوبون؛ (الانتقال أو الهجرة الاختيارية، أو القسرية من الوطن) أو عندما نشاهد أو نتعرف على أشخاصٍ قد أتوا من بلاد بعيدة، ونعقد معهم صداقات صادقة وحميمة، ونتآخى معهم، أو معرفتنا واطلاعنا على كافة الثقافات، العولمة، والتي هي بالأساس كانت فكرة استعمارية تنطوي على نوايا غير حسنةٍ، وعلى خِداعٍ رهيب واستلابٍ وإلغاء للآخر، والاستغلال لصالح الأقوى، (الانترنيت، زاد الأقوياء قوة والضعفاء ضعفاً، والفائدة الأساسية من الانترنيت تصبّ في الدول الغربية، بينما يستهلك الانترنيت حياة الشباب والأطفال في العالم، بل العرب، وأموالهم) عن طريق الانترنيت مثلاً.

فندرس ونطلع على كل ما في هذا الكون من قضايا وأحداث؛ ونرى ونسمع عن طريق الإعلام العالمي الوارد بواسطة الأقمار الصناعية؛ (الذي يعتبر بطبيعة الحال إعلاما ودعايةً وسوقاً لتصريف البضائع، وهو عملية نشرٍ واسعة النطاق لأفكار محددة ولحضارةٍ بعينها وهو شئنا أم أبينا يشكل أسلوباً هجومياً ضخما وكبيراً، وواسعاً على مشاعر العرب والمسلمين، وهو عملياً يعمل على إزاحة أشياء من حياتنا لإحلال أشياء محلها؛ على كل حال فإنه لا قبل للعرب

والمسلمين للوقوف في وجهها وذلك على الرغم من وجود بعض المواقع الإسلامية، ولكن الكم الهائل، أو السيل الجارف؛ يجعل من المواقع العربية والإسلامية، شيئاً لا يكاد يذكر أمام المواقع الكثيرة المعادية) الإعلام الذي يتضمن كل هذه الأوضاع والتجارب، التي تعتبر هذه الإمكانية خاصة ولفئة محدودة من الناس، كل هذه الأوضاع الخاصة يجب أن لا تنفي، أو تلغي، أو تتنافى مع الروح الوطنية الخلاّقة، والشعور الوطني المحفِّز للمشاعر الإنسانية النبيلة، والبعيدة عن السياسة؛ الشعور الوطني الاجتماعي المحرض على التواصل والتعاون مع المجتمع الذي يحيا به الإنسان، والذي يدفع إلى البذل والعطاء المعنوي والروحي والمادي (الإحسان، هو كل ما ينتج عن الإنسان في الأخذ والعطاء، المعاملات والسلوك) الذي يشكل، أو تتركز فيه قمة القيم الإنسانية والروابط والعلاقات الإنسانية، فبانعدام الشعور الوطني تنعدم المثالية وتنعدم الأخلاق وينعدم النبْل وينعدم الشرف؛ يقترب فيها الإنسان من حياة الحيوان، ويعيش في غربة غريبة! تنقطع فيها كل الاتصالات والصِلات؛ على الرغم من توصّل الإنسان في هذا العصر لأرقى أجهزة الاتصال!

وعلى الأنظمة التي ستقوم على بطاح الأرض العربية أن تسعى دوما للتعبير عن إرادة العرب وتحقيق مصلحتهم العليا من خلال تأمين الحرية لكل إنسان والتكامل العربي وفسح المجال للعرب معاً لبناء شخصيتهم المثال، وتحقيقها في ذات كل عربي تربوياً وثقافياً، وأن تتاح الفرصة للعرب جميعاً للتعاون مع سائر الأمم لتحيق ما يضمن العدل أو (القسط) من أجل تعميم الخير لجميع البشر، بينما الوطن الذي فيه أناس يحبونه ويفكرون به ويعملون دائما على خدمته واحترامه وإعلاء شأنه وصون سيادته، هذا الوطن بمشاعر أهله يمتلك على الدوام قوة رادعة لكل من تسول له نفسه من الطامعين فيه، والإسلام لم يدعونا إلى فك الروابط الطبيعية مطلقاً، وإنما دعانا إلى أسلمتها وإلى جعلها مؤمنةً، إن

الوطنية وعاء طبيعي وفطري وإناء هام وضروري للمشاعر والأحاسيس الإنسانية النبيلة والعظيمة والتي لابد منها، لابد للإنسان في أي مكان في العالم من محيطٍ يسع نشاطه ودون وجود الروح والوطنية ودون وجود المشاعر الوطنية سيغيب من حياة الإنسان المجال الحيوي وسيتلاشى عنده الجانب الإنساني الذي يمكن الإنسان من تحقيق إنسانيته، فلا يمكن تحقيق التدين والإيمان عملياً من الفراغ!

إنما يجب على كل إنسان في العالم مؤمن بالله أ المحافظة على الروابط الوطنية وتعزيزها وتنميتها وترشيدها وجعلها تنبع من الإيمان، لابترها ونبذها ولامحاربتها وتبديلها! كما فعلت السلفية والصوفية والشيعيّة والنظريات اللادينية الأممية كالشيوعية والوجودية والقومية السياسية؛ التي نادت بإلغاء الدين وتجاوز الإيمان والقفز على المشاعر الوطنية على أنها من مخلفات الرأسمالية والاستعمار وكان من السهل عليهم وصف المشاعر الوطنية بالعنصرية و(الشيفونية) لأنه كان من السهل عليهم خداع الناس العرب المسلمين وتوريطهم عندما كان العرب المسلمون في حالة الجهل والغياب! قال تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾** ﴾المائدة، والمشاعر الوطنية كانت من لوازم الإيمان الصحيح، قال ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» وتجدر الإشارة هنا إلى أن جميع الجهود التي يبذلها المصلحون والوعاظ والعلماء من المفروض أن تحمل التأكيد على المشاعر الوطنية.

إن المشاعر الوطنية كانت من لوازم الدين الصحيح فإذا كان الدين والذي هو

الإسلام يتجسد بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى في معاملة الإنسان لأخيه الإنسان وإذا كان الدين الذي هو الإسلام يتمثل بعد الإيمان بالله وبكتبه وبرسله والاعتقاد باليوم الآخر وفي تهذيب النفس والإحسان قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾المائدة، فإن هذا الإيمان يجب أن يتجلى في السلوك الذي يسلكه الإنسان حِيال إخوته في الإنسانية.

في حين أن الشعور الوطني هو جماع هذا السلوك وتجليات هذا الإيمان وهو البيئة المناسبة والتربة الغنية التي سينبت فيها الإنسان المؤمن والتي ستمكنه من تحقيق إيمانه كممارسة وعمل وإنتاج وحيوية ونشاط، فلا يتحقق الإيمان إذا بقي نظرياً ولا يصبح المؤمن مؤمناً إلا إذا كان منتجاً في إيمانه محسناً قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ القصص ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ النجم.

والذين يؤكدون وباستمرار(في هذه الأيام) على أهمية الإقرار بالتعددية القومية والتعددية الثقافية إلى جانب التعددية السياسية والاجتماعية في تركيبة تعددية تناسبهم مع تأكيدهم على تعصبهم ضد العرب داخل الكيان السياسي لأي دولة من الدول العربية إنما همهم وهم يعملون على هدم الكيان الأساسي العربي وبعثرة النفس الإيجابي والموضوعي والحقيقي، إنهم يتجاوزون في طروحاتهم القضية القومية ذاتها قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزمر

إن السبب الأساسي لقيام دولة لليهود على بطاح الأرض العربية في فلسطين

العربية والسبب الأساسي لقيام أمريكا وأوروبة المهودتين باحتلالهم للعراق العربي وغيرها من النكبات التي عانى ويعاني منها العرب، والفشل الذريع الذي مني به العرب المسلمون في أنحاء العالم، سببه الأساسي هو أنّ العرب المسلمين في أنحاء العالم، قد ضيّعوا من حياتهم المشاعر الوطنية العربية، التي كان من الواجب أن تكون ملازمة للإيمان بالله سبحانه وتعالى عندهم، بل إنّ السبب في هزيمتهم المعاصرة يكمن في غياب الوعي الوطني الحقيقي، وفي غياب وانعدام الإحساس الوطني الحقيقي وانفصاله عن الإيمان بالله وهم لايدرون أن الوطنية قاعدة أساسية للإيمان وأنه لايمكن تحقيق الإيمان دون تحقيق الوطنية أو في غياب الإحسان أو في غياب الفهم لدى العرب المسلمين للجانب الوطني من حياتهم الإسلامية العربية وليس السبب في قيام دولة لليهود كما يتوهمون، مؤامرة استعمارية فقط!

إنّ انجراف بعض العرب في ناعورة الأمركة والتهود[1] حياتياً وسلوكياً

(١) بل التهود هو حمل المعتقدات الشيطانية اليهودية، والاعتقاد والعمل بها، وجعلها بديلا عن الإيمان الحقيقي، والتهود يعني: أن تتصور نفسك، أنك تملك ربّك وأنّ ربّك يسير وفق هواك، لذلك كان اليهود ذوي سلوك شيطاني مريد، إنهم أتباع أهوائهم وشهواتهم، لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى الفعال لما يريد ولايؤمنون بالآخرة ولا بيوم الحساب، واليهود ليس لديهم شريعة سماوية بل لديهم اعتقاد أرضي صمموه على هواهم والقناعات الشيطانية هذه أعجبت الأوربيون واستهوتهم، على اعتبار أنها سمحت لهم بالسيطرة والنفوذ على الطبيعة، وعلى عباد الله، البشر في جميع أنحاء العالم، إنها حققت لهم (لليهود والأوربيين) مكاسب لايريدون التخلي عنها. هكذا تورطت الشعوب الأوروبية مع اليهود، لقد بدأ التهود لدى أوربا منذ أن أصبح الكتاب المقدس يضم التوراة اليهودية والإنجيل، فأجبر الإنسان الأوروبي والمسيحي في كافة أنحاء العالم على تقديس اليهود وتقديس التوراة التي كتبها اليهود بأيديهم، ذلك الكتاب اليهودي المقدس، أليست إسرائيل التي في التوراة، تعني للأوربيين والأمريكان، في الفكر (الغربي الأمريكاني) الإله المأسور أو الإله المعتقل أو الإله المكبل أو الإله المسيطر عليه، إن هذا كان شيئاً مغرياً بالنسبة للأوربيين السيطرة على الإله أو العمل في ظل الإله المسيطر عليه، وفق كينونة وسيرورة، وفي ظل خطة يمكن أن تبعد المخاوف العمل دون خوف، أكسب ويكسب الأوربيين ذوي الطموح الجرأة في تمردهم وفي سيطرتهم على الطبيعة وسيطرتهم على الشعوب الأخرى، إن العمل في ظل =

وانخراطهم في الحضارة الأمريكانية الزائلة وما يبديه البعض من إعجابٍ إزاء جبروت الأمريكان واليهود (أمريكا بإدارة اليهود) إن كل ذلك يجب أن لايثني المسلمين العرب عن ثقتهم بالله العظيم سبحانه وتعالى، ثم بفكرة العروبة التي ستطلق المارد العربي والذي سيتكفل بالقضاء على كل المعوقات ويكسر ويمزق كل السلاسل التي تكبل العرب وسيقوم بتحطيم كل الموانع التي تقف أمام التقدم العروبي الإسلامي لكن ذلك مرهون بقيام كل مسلم عربي أن يربي بداخله العروبة كقاعدة للإسلام وأن ينميها بل يجب على العربي أن يبحث عنها بذاته، أن يستخرجها من أعماقه شجرة وارفة مثمرة معطاء فقط يلزمها العناية والرعاية وأن يقوم بالعناية والرعاية على كل منا أن يرعى وأن يعتني بشجرة العروبة المؤمنة، النابعة من أعماقه وليس كما يجري الآن في الوطن العربي، حيث ينتظر كل واحدٍ من العرب الوطن العربي أن يعطيه فائدة، فإذا لم يحصل شخصياً على الفائدة التي كان يحلم بها لعن ونبذ ورفض وشتم وأساء وهو بجهالة قد يخون وقد يعادي الوطن والعروبة بحجة أن الوطن العربي لم يقدم له شيئاً إنه بجهالته المطبقة لايعلم أنه بقدر مايقوم الإنسان على خدمة جماعته في وطنه، يكون وطنياً حقيقياً، وأن مسألة الوطنية واجبٌ معنويٌ وماديٌ على الإنسان الراقي الواعي المتحضر عليه أداؤه وعليه تقديمه وعليه عطاؤه ويجب على كل إنسان عربي مسلم فاهم واعٍ متحضر تقيٌ وورع، واجبٌ عليه أن يسأل نفسه في كل يوم، ما الذي قدمه في حياته إلى

إسرائيل اليهود، أكسبهم شيئاً لا يريدون التخلي عنه. راجع كتاب موسوعة تاريخ الصهيونية ج ١-٣/ د. عبد الوهاب الميسيري، دار الحسام القاهرة ١٩٨٨. أسرار العقل الصهيوني / د. عبد الوهاب الميسيري/ دار الحسام القاهرة دون تاريخ. والأوربي لن يكون مؤمناً إذا لم يكن يؤمن بالتوراة اليهودية فمتى ربِط الإنجيل بالتوراة، ومتى سمي الكتاب المقدس متى أصبح مسيحيو العالم مجبرين على تقديس التوراة اليهودية بما فيهم المسيحيون العرب متى تمّ توحيد ما سمي بالكتاب المقدس والمؤلف من التوراة اليهودية والإنجيل معاً وصارت التوراة اليهودية أولا فإلى أي مدى تم تهويد أوربا والمسيحية والعالم؟

وطنه ما الفائدة التي أفادها لوطنه ما هو الإنجاز الذي أنجزه لوطنه؟ ويجب أن يعرف كل مسلم عربيٍ أن الوطنية هي عطاءٌ وليس أخذاً تحقيقاً لكماله الإنساني وذلك على الرغم من معرفتنا الأكيدة أن النهب والسلب والسرقة هي السائدة في هذه الأيام وأنّ السلطات العربية في كثيرٍ من الأحيان هي التي تنظم بالواقع هذا النهب ولكن مع ذلك فالحقيقة تقتضي أن تكون الروح الوطنية نبراساً للإنسان العظيم، أما المنحطون فيتبعون أهواءهم والحق بأن أقول من لايمتلك روحاً وطنية فهو من الرعاع في دنياه وفي آخرته، وهو من التافهين الذين لاقيمة لهم أبداً، كائناً من كان كبيراً كان أم صغيراً، ومن العجيب أن نشاهد في بعض الأحيان المآتم الكبرى والعزاءات تقام لأشخاصٍ أمضوا حياتهم تافهة خالية من أي قيمة وكانوا في حياتهم كالحشرات وقد تمتعوا في حياتهم بالثروات وبالملذات وبالجاهات وفي تحقيق شهواتهم ولكنهم كانوا في حياتهم كالحشرات المؤذية أمضوا حياتهم لاطعم ولارائحة إلا النتن لم تخرج عنهم أي منفعة للناس بل على العكس ومع ذلك فإنهم عندما يموتون تعلق نعوتهم على الجدران بالخطوط العريضة في أنحاء المدينة وينادى عليهم من على المآذن ويصلى عليهم وترفع جنازاتهم على الأكف، ترافقهم طاقات الزهور وتقام لهم المآتم واحتفالات التأبين الكبيرة وكان من المفروض أن يكون معيار الاهتمام بالميت مدى أهميته في الحياة الوطنية، مدى ما ترك من الأثر الإحسان في وطنه وعلى وطنه الأثر الإيجابي لا السلبي والحقيقة أن من لم يكن في حياته مؤمناً بالله ﷻ وقد سعى في حياته بإحسان لخدمة وطنه؛ تحقيقاً لإيمانه لجعل هذا الإيمان مثمراً قال ﷺ: «**وأحبهم إلى الله أنفعهم إلى عياله**» إن من لم يكن في حياته وطنياً عاملا على خدمة وطنه، فهو عند موته لايستأهل العزاء أبداً.

قال ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» إنّ من سلبيات الوطنية، أن يكون الإنسان كفوراً أو خواناً أو كذاباً أو مؤذياً أو مرتشياً أو محتالاً، أو أن يكون غير شريف أو غير كريم أو أن لايكون صاحب نخوة أو أن لايكون صاحب

مروءة ونجدة أو أن لايكون شجاعاً أو أن لايكون وفياّ أو أن لايكون محسناً، فمن الذي أظهر فتنة الاختلاف بين الدين والإيمان، وبين المشاعر الوطنية العربية، ألم يقل رب العزة ﷻ في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء.

إن الروح الوطنية تتطلب رجالا أشداء على الكفار الأعداء رحماء على الأهل في المجتمع والوطن، إن انحراف وانحطاط وتدني مستوى الوعي والفهم لدى الناس في المجتمع العربي قد أضعف الروح الوطنية العربية، وقد جعلها في أدنى مستوى حتى بات الإنسان في الوطن العربي لشدة ضعف الروح الوطنية العربية أو انعدامها يحمل أوساخ نفسه وأوساخ بيته وأوساخ محله، ويلقيها في الخارج، في الشارع، غير مكترث وغير مهتم بالآخرين وهو لايفكر بأنّ هذا التصرف دليلٌ على انحطاطٍ ودونية؛ ما بعدها دونية؛ لأن ما يلقيه الإنسان المتخلف من الأوساخ في الخارج، من المؤكد أنه سيعود عليه ـ فوق رأسه ـ أضعافاً!

(الأطفال العرب الذين يذهبون يومياً إلى المدارس ويعودون منها ونحن لاندري ما يقال لهم فيها والأطفال العرب الذين يولدون ويعيشون حياتهم في منازل لاندري أيضاً ما يقال لهم فيها)! إنّ من المفترض أن يتمّ في الأسر العربية والمدارس العربية إنتاج وإعادة إنتاج للإنسان العربي المسلم بالتربية دينياً والرعاية روحياً وعقلياً وجسدياً ولتنميته وطنياً وصقل مواهبه وترقيته والسموّ به وجعله يكتسب الأساليب الصحيحة في العلم العالي والأدب الراقي إنّ من المفترض أن يزداد الطفل العربي في كل يومٍ إيماناً بالله سبحانه وتعالى وأن يزداد وثوقاً بذاته العربية، وأن يزداد فائدةً، وأن يزداد فهماً، وأن يزداد وعياً وقوةً وبسطةً في العلم والأدب في كل يوم وهذه هي مهمة الأسرة العربية الأصيلة التي كان أمر ضبطها عند العربي أهم من حكم ولاية وكان يقال أن الدولة يسوسها أناس كثيرون أما الأسرة العربية فلا ينبغي أن يسوسها إلا واحد مؤمن بالله الواحد حيث لم يكن

يزدان الإنسان بأسرته ولكن الأسرة كانت تزدان بالإنسان وكان البيت بيت كل مواطن يعتبر حرمة مقدسة لا ينبغي الاعتداء عليها أو هتكها أبداً فلا شيء أعظم من البيت عند الإنسان العربي المسلم ينبغي العمل على المحافظة عليه وصونه وصيانته والدفاع عن حرمته والزود عن حِياضه بكل وسيلة وكذلك كانت المدرسة العربية الأصيلة، المستمدّة من المسجد، فهل تحولت مهمة الأسرة العربية والمدارس العربية، مع لوثة العولمة إلى مجرد مداجن همها إنتاج البيض المحسّن، والفَروج المحسّن وذلك لسد حاجة السوق المستهلكة الطاحنة مواكبةً للمواصفات العالمية التي تحددها (الأيزو).

الوطنية العربية بلاحدود

الوطنية العربية أساساً ربانية لأنها كانت بلا حدود، ولأنّ العروبة أساساً عبارة عن مشاعر إنسانية متدفقة من الأعماق، خلّاقة تصنع الرجال ويعرّف الوطن لغةً على أنه المكان الذي ولد فيه أو أقام فيه الإنسان، لذلك فإن لهذا المفهوم حقيقةً من الأبعاد الدينية والحياتية الإنسانية ما هو أبعد من ذلك بكثير، لأن (مفهوم الوطنية) نابعٌ أساساً من توطين النفس على فعل الخيرات؛ وهو صادرٌ أساساً عن الثقة بتأييد الله ﷻ وبنصره (الثقة بالنفس المؤمنة)، فتوطين النفس يعني ملؤها بالثقة بالله سبحانه وتعالى لأنه من الصعب بمكان، تصور الحياة البشرية المجتمعية الراقية السامية دون مشاعر وطنية خلاّقة مستمدة من الدين الحنيف تحفز الناس على التواصل الإيجابي الفعال مع الآخرين، واستمرارية البذل النابع من الذات الإنسانية وإرادة العطاء في كل ماينتج عن الإنسان (بإحسان) والانتظام بعضوية الجماعة ثم احترام هذه الجماعة (الآخرين) والعمل على خدمتها.

لأن قيمة كل من قطن الأرض العربية وآمن بانتسابه لهذه الأمة الشهيدة والمثال تقدّر من خلال تمكين الجميع كل من كان يعيش على الأرض العربية وكان مخلصاً للعرب على اختلاف الأقاليم وتنوع اللهجات والفلكلور بمافيهم الأخوة الأكراد والأخوة الأمازيغ وذلك من جميع الفرص التي يجب أن تتاح للجميع بشكلٍ متكافئ وبحسب الإمكانيات والقدرات الخاصة لكل مواطن (مايبذله من جهودٍ في سبيل الوطن ماديّة أو معنوية) دون أي اعتبار آخر.

فقوة الوطن بالحقيقة، هي جماع جهود أبنائه المحسنين وعلى كل واحد من المحسنين (الإحسان في السلوك هو أرقى مستويات الأخلاق) ممن يعيش على بطاح هذا الوطن، وكل وطن؛ الأساس أنّ عليه واجباً يجب تقديمه إلى المجموعة

(المجتمع) التي يعيش فيها، فالشعور الوطني شعور حضاري عام لكل الناس في العالم، والإنسان الوطني المؤمن بالله أ هو أخٌ حقيقيٌ لكل إنسان مؤمن بالله ووطني، في أي بقعة في العالم كان، مؤمن ولديه روح وطنية أصيلة ويحب وطنه.

فالروح الوطنية، روح مؤمنة روح نبيلة وسامية رفيعة المستوى خلاقة ومبدعة هي الأولى دائما بطلة وشجاعة، روح تدعو إلى التعاون والوفاق والتآخي والتعارف بين الشعوب على أساس الحقوق الإلهية، ولاتدعو إلى التنابذ والعداء أبداً، قال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤** ﴾ الحجرات، وفي هذه الآية الكريمة يقرر لنا الله أ أنه جعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف لم يقل ليندمجوا، قال لتعارفوا والله أعلم، إن تجاور الأسرة في الحي الواحد لايعني بالضرورة اندماج هذه الأسر في أسرة كبيرة بحيث تنفتح أو (تنفلش) الأسر على بعضها بعض، ولكن من المهم تعارف وتفاهم الأسر، وإيجاد علاقات طبيعية وفق الشرع الرباني.

فالروح الوطنية أو الحميّة الوطنية، المفروض أنها موجودة لدى كل إنسان في العالم بالفطرة، كافراً كان أم مؤمناً، بل هي موجودة لدى كل الكائنات الحيّة، حتى الطيور والأسماك؛ إن الروح الوطنية هي مثل كثيرٍ من الأشياء التي قد يمنحها، ويهبها الله ﷻ للناس كافة وممكنة لكل إنسان يجتهد للحصول عليها مثل العقل الذكاء الثروة المال الصحة القوة، فمن أخذ بها أو استفاد منها في الحياة ووظفها للوصول إلى الحق فله ذلك، ومن تركها أو تخلى عنها، فقد ينسب إلى الغباء والجهل والضعف أو الكفر أو بالجحود بما أنعم الله سبحانه وتعالى عليه! لذلك فقد نعرف أن الكثير الكثير من شعوب الأرض قد استفادت من الشعور الوطني كمنحة إلهية

أودعها الله في عباده حيث تجمعت وتعاونت لصد عدوها، وتجمعت وتعاونت لنيل الحرية والتحرر وتجمعت وتعاونت للثورة وللنهوض والترقي وعملت مجتمعة لنيل السيادة فلماذا يطلب من العرب المسلمين العكس، فيطالبون بالتخلي عن المشاعر الوطنية؟

على العرب المسلمين أن يدركوا هذا الأمر وأن يعوه، فلا ينجرفوا وراء سراب التطبيع، إن خداع اليهود للعرب سيستمر مادام العرب في نومهم مستغرقين على أنّ مجابهة اليهود ليست أمراً مستحيلا في حالة إحساس العرب بالسيادة الوطنية وبإيمانهم العميق بانتمائهم للعروبة بعد إيمانهم بالله ﷻ علما أنه ليس هناك أي تعارض بين الإيمان بالله وبين انتمائنا إلى العروبة المنبثقة أساساً عن رب العالمين، بل إن رب العالمين ﷻ أكد على أمره لنا بالتوحد وضرورة التوحد العروبي، وقد ربط لنا رب العالمين إسلامنا الصحيح بالعروبة، وقد جعلها ربنا سبحانه وتعالى المعيار والمسطرة والمقياس والمثال والدليل للإيمان، فوصف بها قرآنه وكتابه ولسانه وحكمه في إحدى عشرة آية كريمة، وأشار لنا رب العالمين أن العرب نواة الإسلام العالمي وبيضته وأن العرب حملته ومبلغوه للأمم قال تعالى: ﴿ **وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨** ﴾ الحج

فعلى العربي المؤمن الشريف أينما كان، وفي كافة أنحاء العالم، استنفار همته واستثمار ذكائه وتخليق مواهبه وحشد كل إمكانية لديه لنصرة العروبة، في ذاته أولاً، إيماناً بها بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ومما لاشك فيه أن الوطن الذي لا تعززه مشاعر أبنائه الأحرار الأبطال، هو دائما عرضة للاستباحة والاجتياح من الأعداء، ويسلب السيادة في كل حين! كالذي حصل، ويحصل

الآن للأرض العربية وللإنسان العربي المسلم في العالم، في فلسطين وفي العراق وفي السودان وفي كل مكان، ففي السودان مثلا استمر الدعم الكنسي للتمرد في الجنوب وكذا الدعم الأوربي بالإضافة إلى الدعم الأمريكي، واستمر الدعم والممارسات التآمرية الفرنسية في موضوع الأمازيغ، بالإضافة إلى دخول الولايات المتحدة على الخط.

وبديهي أن كل حركات التمرد العرقي أو حركات الخصوصية الثقافية أو مجرد المطالبة بمطالب مشروعة لرفع الظلم عن الأقليات أمورٌ متداخلة بحيث لايمكن فصلها على مستوى السلوك والأفراد والمؤسسات بل والمفردات المستخدمة ونلاحظ أيضًا أن الحقبة الأمريكية تميزت بحالة جديدة وهي أن طلب الدعم الخارجي أصبح موجودًا لدى قطاعات من الأقليات أو بعض هوامشها مثل أقباط المهجر المصريين مثلاً، ومن ثمّ فإن الأمر لم يعد مقصورًا على الاختراقات الأمريكية والكنسية لدفع الأقليات إلى التمرد أو المشاكسة بل أصبح الأمر متبادلا بين الطرفين، وهذا لايمنع من وجود قومي داخل الأقليات تتمسك بالثوابت الوطنية.

وبعد أن كانت الاختراقات الأجنبية في الأقليات تمس قوى هامشية داخل تلك الأقليات اتسعت المسألة بل وأصبحت تلك القوى الهامشية قوى رئيسية، بل بعضها أصبح هو القيادة داخل تلك الأقليات، والأمر الأكثر أهمية في هذا الصدد أن سقوط الاتحاد السوفيتي السابق وانتهاء هامش المناورة واللعب على المتناقضات الثانوية بين الرأسمالية والشيوعية، أو المنظومة الغربية والمنظومة السوفيتية جعل من الصعب مواجهة المشروع الأمريكي بسهولة، وهذا المشروع يمكن أن نطلق عليه المشروع الأمريكي الصهيوني؛ نظرًا للدور الكبير وتحقيق أهداف صهيونية واضحة داخل هذا المشروع، وهذا المشروع استهدف ضمن ما استهدف القضاء على الحضارة العربية والإسلام معاً، وبصعود ما يسمى

بـ(الخطر الإسلامي) أصبح من الطبيعي وجود محاولة اختراق أمريكية للإسلام والمجتمع الإسلامي من داخله أو على الأصح تكثيف ذلك؛ لأن هذا الأمر كان موجودًا بالفعل، ومن ثم استخدام الأقليات في تلك المسألة، الأقليات الدينية كالأقباط في مصر والأقليات المذهبية كالشيعة في العراق وكالأمازيج في المغرب بل والنوبة في مصر، ومشاكل الأعراق في السودان، وغيرها مما لايمكن حصره، وقد يرى البعض أن ذلك ارتبط بحادث سبتمبر ٢٠٠١م ولكن الحقيقة أن الأمر ارتبط بسقوط الاتحاد السوفيتي، وشهدت الأعوام التي تلت تفكك المنظومة الاشتراكية في تسعينيات القرن الماضي جهدا أمريكيًّا دؤوبًا في هذا الصدد من ناحية رصد الأموال واختراق المنظمات التابعة لتلك الأقليات وتمويل المراكز الثقافية لنشر مايسمى بالثقافات البائدة كلغة الأمازيج ولغة النوبة، ووضع قواميس ومعاهد ودورات ومناهج تدريسية في هذا الصدد وكذا اختراق التشكيلات الشيعية والكردية وغيرها، بل ووصل الأمر إلى حد اختراق بعض المراكز الإسلامية السنية بهدف خلق مايسمى بالإسلام الليبرالي وفي الحقيقة فإن النجاحات الأمريكية في هذا الصدد كانت في موضوع الشيعية العراقيين والأقباط في مصر وخاصة أقباط المهجر.

مع معرفة الواقع العربي، بما فيه من تسلط الحكام وسيطرة الاستعمار وتحكم المصالح لفئات محددة ومحدودة بمصير الشعب العربي ومع معرفة الأوضاع النكبوية للحياة العربية على جميع المستويات الفردية والجماعية ومع معرفة مايعانيه المواطن العربي البائس حالياً من تكبيل وتنكيلٍ وتحكم بمقدراته وحياته بغية إضعافه وإذلاله، مع كل هذه المعرفة، فإن السبيل الوحيد للخلاص العربي الإسلامي يكمن في يقظة وطنية إسلامية عربية تتفجر في شخصية كل عربي مسلم، في كافة أنحاء العالم ومع أنّ بعض العرب قد اختصر الطريق، ويئس من نهضة العرب المسلمين فانتقل إلى الخندق المعادي للعرب المسلمين، إلى خندق اليهود،

خندق أعداء الإسلام العربي مبررين لأنفسهم سلوكهم بمختلف المبررات، إنّ هؤلاء يجب أن لايفتّوا في عضد العرب المؤمنين بالله وبنصر الله أ والعرب المسلمون في هذا الوقت الذي يتعرضون فيه الآن لأشرس حرب تستهدف وجودهم، هم في أمس الحاجة إلى مثل هذا الشعور، وذلك على الرغم من الإساءة التي تمت إلى هذا المفهوم في العقلية العربية، على الرغم مما حصل لمفهوم الوطنية في الذهنية العربية من محاولات تمييعٍ ومحوٍ وتفريغٍ وإزالة وتحويل وتبديل (في بعض المهرجانات الوطنية كانت العاهرات والدواعر تقوم بإنشاد الأناشيد والقصائد الوطنية!) على الرغم من كل ذلك، فإنه لا مناص للعرب المسلمين من الدفاع عن عقيدتهم الربّانية، وعن أنفسهم وعن أهليهم وعن مواطنهم من اللجوء إلى المفهوم الوطني الأساسي، بعد اللجوء إلى الله أ فالوطنية ليست اختراعاً حديثاً أو بدعة جديدة كما يظن البعض من عديمي العلم وعديمي التجربة الحياتية والذين لم يطلعوا على التاريخ الحقيقي ولاعلى تجارب الأمم والشعوب والذين لايفقهون شيئاً، خصوصاً الذين يعتمدون في كتابة التاريخ أو فهمهم للتاريخ على المصادر الأوربية المهودة أو الذين يقرؤون القرآن الكريم بعقلية غير عربية.

الحقيقة إن هذا التاريخ الأوربي سواءً في فترة ما قبل الميلاد؛ أم تاريخ الحروب الصليبية أم التاريخ العربي الإسلامي في الأندلس روايته غير صحيحة أبداً، وهي مشوهة تماما في الفكر الأوربي وفيها افتراء، إنه التاريخ المزور والمعمول وفق المصلحة الأوربية ـ اليهودية، وضمن البروتوكول والتفاهم، اليهودي ـ الأوربي، والمؤامرة المعقودة بينهم لطمس الحقيقة، حقيقة الفتح العربي الإسلامي وأسبابه الجوهرية الأساسية، القاضية بنشر الإسلام، الدين الرباني الإلهي والتوسع فيه، وتعميمه والقضاء على الطغاة والمستبدين في أنحاء العالم، وتحرير الشعوب التي كانت مقّيدةً وتابعةً للتوسع العربي الإسلامي.

لم يكن في البداية مزاجياً ولم يكن نابعاً من المصالح والأهواء كما يتوهمون، بل

هو إرادة إلهية، كانت هناك رسالة لدى المسلمين، كان عليهم إيصالها إلى كافة أنحاء العالم، من خلال الجهاد، وهذا هو السبب الذي دفع العرب المسلمين في ذلك الزمان، للذهاب إلى الأندلس متجشمين العناء، ومضحين بأرواحهم لنشر الإسلام أولا ولتعميمه وتبليغ الرسالة، وإلا فالبلاد التي كانت بحوزة العرب واسعة جداً ولم يكونوا في بداية الفتح؛ بحاجة إلى أراضٍ جديدة، لقد كانت معهم أراضٍ واسعة شاسعة؛ ولم يكونوا بحاجة إلى أموال ولا إلى مكتسبات مادية كما يتوهمون.

كانت عندهم أموال كثيرة، ومكتسبات لا حصر لها، فما الذي دفعهم إلى بلاد الأندلس للاستشهاد على بطاحها بعيدين عن الأهل والأصحاب هذه قضية لايستطيع لا أرنولد توينبي ولا غيره من المؤرخين الأوربيين فهمها وكيف يفهمون قضية التضحية في سبيل الله وأن المؤمنين يبذلون أرواحهم في سبيل هذا الأمر، وأن هذا الأمر خاصٌ بالمسلمين المعربين إنّ من الطبيعي أن تكون الرؤى مختلفةً ومتباينة حول التاريخ، بين نظرة العرب المسلمين حملة رسالة التوحيد، ونظرة الأوربيين الصليبيين المهودين؛ من الطبيعي أن يكون الفهم مختلفاً وأن يكون وصف الحقيقة التاريخية مختلفاً أيضاً، بين ما يراه المسلمون من العرب وبين ما يراه المهودون من الأوربيين ولكن من غير الطبيعي أن يحْمل العرب المسلمون ويحمّلون وجهات نظر أعدائهم، وآراء خصومهم، في العقيدة؛ والقضايا الأساسية التي تمس جوهر عقيدتهم ووجودهم! فهل قامت الإدارة الثقافية في الجامعة العربية في وقتٍ مبكر بترجمة وطباعة العديد من الكتب التي تتبنى الرؤى الأوربية اليهودية للعرب والإسلام؟ فكانت أول من قدّم كتاب (قصة الحضارة، بمجلداته الاثنين والأربعين ١٩٥٢) لليهودي ول ديورانت، وكتاب (مختصر دراسة التاريخ ١٩٦٠) للصليبي المهود، أرنولد توينبي وكتاب (العرب واليهود في التاريخ ١٩٧٠) لليهودي أحمد سوسة الذي كرس في كتابه المذكور، والذي أصبح مشهور جداً بعد أن أعلن المؤلف إسلامه، فكرس فيه اليهود، واخترع لهم وجوداً في التاريخ القديم؛ جنباً إلى جنب مع

العرب؛ وصدّر لهم في التاريخ أدواراً حضاريةً، لم يكن أحدٌ من قبل يعرف عنها شيئاً!! افتعلها زوراً وبهتاناً وصورها وغرسها في الذاكرة الحديثة للأجيال العربية الحديثة، فصاروا على يد (أحمد نسيم سوسة) بناة للهرم ولتدمر ولجرش وللحدائق المعلقة في بابل! ففي كتاب أحمد نسيم سوسة هذا تجد أن المؤلف بشكل غير مباشر يجعل من اليهود بناة التاريخ ومؤسسيه؛ فهل هذا صحيح؟ (راجع كتاب العرب واليهود في التاريخ لأحمد نسيم سوسة، طبعة وزارة الثقافة العراقية ١٩٦٨) هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الجزيرة الأيبيرية لم يكن فيها ولا يهودي واحد؛ وذلك قبل دخول العرب إليها، وأن اليهود قد دخلوها بعد دخول العرب إليها، هاجروا إليها من بغداد؛ لما عرفوا أن الحكم الإسلامي الأموي هناك مزدهر، ومتسامح ففضلوا العمل في ظل الأمويين، ودخلوا في طاعتهم في الأندلس، وفضلوهم على العباسيين في بغداد، لاسيما بعد اضطراب الوضع في الشرق العربي إبان انحطاط الدولة العباسية، وقيام الدولة البويهية وقدوم المغول والصليبية إلى المنطقة، فكيف يصور المؤرخون المهودون التاريخ ويزورونه وكيف يعيدون كتابته، لمعرفة المزيد راجع (صبح الأعشى في صناعة الانشا) لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ج ١٤/ وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب.

وفي كتابه يهود الخزر أو القبيلة الثالثة عشرة يقول آرثر ليستر: أنه إبان نكبة العرب المسلمين في الأندلس وعقب سقوط دولتهم في نهاية القرن الخامس عشر، تعرض المسلمون في الجزيرة الأيبيرية لما سميّ (بمحاكم التفتيش الوحشية) بما فيها من قتلٍ جماعي وإبادة وحشية وتعذيب للأسرى ولمن بقي من الأحياء من العرب المسلمين على كافة أنحاء الجزيرة مذابح لم يعرف العالم لها مثيلاً، لا من قبل، ولا من بعد، في غاية القسوة والوحشية مارسها ضدهم المسيحيون الكاثوليك المتشددون وذلك كان بهدف إعادة المسيحية إلى الجزيرة وهذا كان قد اقتضى من المسيحيين الكاثوليك المتشددين بإرهابهم أن يخيروا طائفة اليهود التي كانت متواجدة على أرض الجزيرة بين الدخول في الكاثوليكية أو الخروج من الجزيرة أو التعرض للقتل

والتعذيب ووجه لهم إنذار بهذا الخصوص وتمت بينهم مفاوضات ولم يعرف عن حادثة واحدة تعرض فيها يهودي واحد في الأندلس لمحاكم التفتيش التي تعرض لها جميع العرب المسلمين فقط عرقياً ودينياً، وبكل قسوة ووحشية وبربرية!

(لكن الإعلام اليهودي في أوربة قد قلب الحقيقة ولفق وأشاع بأن اليهود فقط هم الذين تعرضوا لمحاكم التفتيش تلك وقد استثمر افتراءه فترة طويلة كما زعم الكاتب اليهودي ديورانت في كتاب قصة الحضارة، والإعلام اليهودي يردد افتراءه ليل نهار وذلك لابتزاز أوربة والشعوب الغربية) ويسوق آرثر لستر في كتابه خبراً يقول فيه: إن اليهود عندما خيّرهم الكاثوليك وأجبروهم، وذلك في أواخر القرن الخامس عشر بين الدخول في الكاثوليكية أو الخروج من الجزيرة الأيبيرية أنهم (أي اليهود) قد بعثوا برسالة إلى حاخامهم الأكبر في أوربة يستشيرونه في أمرهم وأن هذا الحاخام الذي كان قد أبدى في البداية استغرابه من وجود يهود في الأندلس أشار عليهم في ذلك الزمن برأي كان من أخطر الأفكار التي أنتجها العقل اليهودي، بحيث تحول هذا الرأي فيما بعد إلى سلاح بيد اليهود في العالم وهو سلاح غير مرئي خطير وفتّاك يستعملوه اليهود ضد غيرهم من الشعوب، وما يزال هذا السلاح إلى الآن وسيبقى لا قدرة للشعوب في كافة أنحاء العالم على صده أو رده أو دفعه أو القضاء عليه.

فما هو هذا السلاح الخطير الموجود بحوزة اليهود وقد سيطر اليهود بواسطته على العالم، في كل المجالات بعد أن كانوا عبارة عن شرذمة منعزلة وقد أصبح العالم كل العالم، منذ ذلك التاريخ تحت سيطرة اليهود؛ وهيمن عليه اليهود منذ ذلك التاريخ عندما أرسل اليهود برسالتهم إلى الحاخام، حيث فوجئ بها واستغرب وجود يهود في الأندلس كما قال آرثر لستر، فأشار عليهم بأن يستعملوا ذكاءهم، ليحافظوا على ثرواتهم ومكتسباتهم وأن لا يضيِّعوها بغبائهم؛ وقال لهم أنّ بإمكانهم خداع الكاثوليك فيدخلوا في دينهم في النهار في العلن وأن يحافظوا على يهوديتهم

وعلى دينهم اليهودي في البيت سراً وطلب منهم أن يدخلوا في المسيحية بقوة، وذلك بغية خدمة اليهودية وأنّ عليهم العمل على نصرة اليهودية من داخل المسيحية والعمل على تدمير المسيحية من الداخل راجع كتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود العالم) لآرثر ليستر/ ت. أحمد نجيب هاشم،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤.

ومنذ ذلك الحين لمعت الفكرة الجهنمية الشيطانية في العقل اليهودي، وبدأ اليهود العمل بها على كافة المسارات المسيحية والإسلامية، وتقاسموا الأدوار في الجانبين، فدخل قسمٌ من اليهود في المسيحية الكاثوليكية حتى أصبح البابوات في الفاتيكان كلهم من الحي اليهودي؛ يعملون من فوق من أعلى الهرم على استصدار الفتاوى والقرارات العجيبة التي تخدم اليهود حتى باتت المسيحية تقدس اليهود وكتابهم التوراة ودخل القسم الآخر من اليهود إلى الإسلام فحملتهم السفن العثمانية وحدهم دون العرب من شواطئ الأندلس إلى ميناء سالونيك العثماني ودخلوا في خدمة الدولة العثمانية منذ ذلك الحين، وكانت لهم في ظل العثمانيين حظوة على اعتبار أنهم أسلموا على يد السلطان فهم في حماية السلطان، ودخلوا في الطرق الصوفية وتزوج منهم السلاطين العثمانيون كما هو معروف، وقد عرفوا بـ(يهود الدونما) ويقال إنهم كانوا سبب انحطاط وتخلف وانهيار الدولة العثمانية مطلع القرن العشرين وهناك قسمٌ من هؤلاء اليهود الذين كانوا في الأندلس، قد دخل المغرب ودخل في الإسلام فنال الحماية من إمبراطور المغرب ودخلوا السلك الإسلامي في المغرب منذ ذلك الحين، ويقال أنّ أسرة يهودية كانت بيدها الفتوى في المغرب، منذ القرن الخامس عشر، أن هذه الأسرة في عام ١٩٦٧م وغادرت هذه إلى فلسطين لتنضم إلى اليهود!

العروبة شعور رائع بالانتماء الحضاري إلى أمةٍ الأمم

معلوم أنّ العروبة ليست عرقاً، ولا جنساً مغلقاً أو مقفلا أو قومية محدودة، بل هي شعور رائع بالانتماء الحضاري إلى أمةٍ الأمم، وهذا الشعور ليس وقفاً على جنسٍ معين من البشر، بل يمكن لأي من الناس في العالم الدخول في الأمة العربية، فقط عليه أن يخلص الدين لله الواحد، ويصدِّق رسوله الكريم، وأن يحبّ العرب، وأن يتحدث على أرضهم بلسانهم، اللسان العربي المبين، فالعروبة جنسية مفتوحة، غير مغلقة، كما هي الحال في القوميات الأخرى، إن العرب المسلمين، ومنذ قرون، يتعرضون لاعتداء اليهود والاستعمار الأوربي، وهم يعيشون كفاحاً وجهاداً مستمراً ضد اليهود والاستعمار الأوربي الأمريكي المهود، بل يجب أن يعيشوا هذه المواجهة بطرق عديدة، مناهضة لليهود وعملاء اليهود والجهاد العربي الإسلامي لا يعني جهاداً بالحرب والقتال فقط، بل إنّ هناك أنواعاً من الجهاد والنضال متعددة يجب على كل عربي مسلم ممارستها جميعها ضد أعداء الله والعروبة في كافة الميادين وذلك بالإضافة إلى استمرارية الكفاح المسلح المشروع ضد أعداء الله سبحانه وتعالى ثمّ ضد أعداء الوطن، يجب على كل عربي مسلم تربية أولاده على حب العرب والإخلاص للعروبة المسلمة، وطناً منشوداً هو مركز الإيمان، وأمة مؤمنة لا أروع هي أمة الأمم وذلك على الرغم من الواقع المرير، وأن اليهود هم مصدر الفساد في العالم وعلى العربي المسلم أن يعمِّق إيمان أولاده بالله العظيم وانتماءه إلى العروبة وإحساسه بالعروبة وبالروح الوطنية العربية وأن يمجِّد انتماءه لهذه الأمة العظيمة ناقلا إليهم الحقد على أعداء العروبة وعلى ضرورة الانتقام من أعداء العروبة انتقاما شديداً، على أنّ العروبة هي مادة الإيمان ومعدنه وأن يثقوا بالله العظيم، وأن وعده الحق وأن النصر قريب.

إن هذا الوضع، الصراع بين العرب المسلمين واليهود، والصليبية المهودة لن ينتهي أبداً إنه موضوع عقائدي لدى اليهود، ولن ينتهي إلا إذا انتهى اليهود من الوجود وإذا خرج اليهود من اليهودية وهذا مستحيل! أو أن يخرج العرب من إسلامهم وعروبتهم وهذا مطلق مستحيل قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾الفتح، لذلك فإن القضية والمعركة بين العرب من جهة واليهود وأعوانهم من الشعوبيّة من جهة ثانية، مستمرة ولا يمكن أن تتوقف، أو أن تنتهي.

ويشير القرآن الكريم إلى وحدة الدين الحق، وهو يشير أيضاً وبوضوحٍ، إلى وجود تعدد في الشعوبٍ والقبائل، وذلك في الخلق والخلق وفي الطبيعة الخلقية وفي التركيب الاجتماعي الخلقي لقد ربط الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الاختلاف أو التباين، الذي هو موجود بين الشعوب، وبين الاختلاف أو التباين الذي هو موجود بين الذكر، والأنثى وذلك ليعلمنا بوضوح ولم يقل الله أنه خلقنا شعباً واحداً، ولم يقل قبيلة واحدة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾الحجرات، وقال عزّ من قائل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الحجرات.

فكانت الدولة في المدينة المثال الذي سيحتذى من قِبلِ المسلمين في العالم ليقيموا على منوالها، والرسول الكريم ﷺ منذ اللحظة الأولى لهجرته قد عمل على تحقيق كيانٍ للمسلمين العِراب المؤمنين بالله أولا ليكونوا في مجتمعهم الجديد،

المثال الإسلامي[1] الرباني الذي سيحتذى عند باقي الشعوب المسلمة ذلك أنه كان على العرب أولا تأسيس كيانٍ إسلامي، إنموذجاً يحتذى، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة[2]، بينما كان الشهيد هو الذي يجرئ القوم على التقدم، فكيف عالج كتّاب السيرة النبوية والمفسرون المفاهيم الإسلامية الأساسية؟

إنّ الشهيد في اللسان العربي المبين هو الثائر وهو المناضل وهو الذي يجرئ القوم على التقدم، وهو من يشهد له على السبق في الجهاد والكفاح والشهيد من

(١) للأسف الشديد فإنّ الوهن والتراخي والانحراف قد أصاب العرب المسلمين، بعد عصورٍ من الانحطاط، فطرأ على المفاهيم الأساسية في الدين الحنيف، تبديل وتحريف، فبينما كان الإسلام الحنيف عبارة عن مدرسة يدخلها الإنسان العربي لينهض وليرتفع وليرقى وليبقى دائما في الطليعة وفي حال نهوضٍ وارتقاء ففي الإسلام لا يوجد توقف وفي الإسلام لا يوجد خمول ولا مكان للخاملين، إنما هناك في الإسلام العربي استمرارية وديمومة في العمل والجهاد على كل المستويات والأصعدة وفي كل المجالات والاتجاهات والإنسان مطالبٌ خلال حياته في كل يوم أن ينجح،وأن يحقق النصر وأن يستمر في العمل على الارتقاء والنجاح، لتحقيق النصر، وليس مسموحاً في الإسلام العربي التوقف أو المراوحة في المكان إن الإسلام العربي بالمفهوم العربي دائما يرقى بالأنفس والعقول والحياة للدنيا والآخرة، وممنوعٌ فيها المراوحة في المكان، إن العروبة عملٌ مستمر ونضالٌ دائب، فهل كانت الصوفية أو السلفية أو الشيعة وفيّةً لهذا الجانب الأساسي من الإسلام العربي؟ وأين هو موضع الطائفيين في باقي الطوائف، الذين كانوا يتكنون بالإسلام، ويتمسحون له؟ والذين وقفوا في الماضي عند نقاط تجمدوا عندها ودخلوا معها إلى الثلاجة، ولم يعد بمقدورهم، بعددهم وعدتهم عمل أي شيء سوى الكلام، بل لقد أصبحوا مثل الكثبان الرملية، يخضعون للرياح والأعاصير العاتية، وأسلموا كلياً، على الرغم من حجمهم الواسع نظرياً لكن بالواقع فإنّ مصيرهم كله قد أصبح في يد الاستعمار، يتحركون وفق عصا (المايسترو) الاستعمارية.

(٢) أمة وسطاً أي: مجموعة مركزية تتجه إليها الأنفس وتشرئب إليها الأفئدة وتقتدي بها باقي الأمم وهي القدوة والمثال الذي سيحتذى، والله أعلم.

يبذل سعيه في السبق والجري، والشهيد هو الذي يسبق إلى الحرب ويضرب لقومه للمؤمنين بنفسه المثال شجاعةً وبسالةً، متحملا كل النتائج مضحيًّاً بنفسه بحياته، بغية حثهم على التقدم وتحقيق النصر والشهيد من استشهد في سبيل الله أو من قتِل مجاهداً في سبيل الله سبحانه وتعالى فالإسلام بطبيعته ثورةٌ، وثورةٌ مستمرة وحرقة وتوقٌ للحرية وانطلاقٌ لتحقيقها، فمن الذي جعل من الإسلام مجرد ركام يتلبد على قلوب الصوفية والسلفية؟

نعم لقد عمل الرسول العربي الأمي ﷺ على تأسيس هذا الكيان العربي الإسلامي النموذج، الحيوي المشرئب نضارة وسمواً ليحتذى عند باقي الشعوب، فيقتدون به منبعاً للسياسة الربانيّة كان ذلك إبان الهجرة المباركة مباشرةً ولكن من هو الذي قرأ القرآن الكريم ففقهه حقاً، أو هو وعاه وفهمه أو تأمل السيرة النبوية النضالية الجهادية فوعاها، والحقيقة أن الإنسان هو الثوري (الثورة هي عدم الجمود فكرياً وثقافياً وعلمياً وحتى في الفكر الديني فإن الثورة تشمل الفكر الديني أيضاً) لا غير وأن الإنسان الذي لم تكن نفسه تحدثه بالثورة والنضال والتغيير والانقلاب الفكري والثقافي والعلمي وبروحٍ وطنية عالية بطن الأرض أولى له من ظهرها، قال ﷺ «**من لم تحدثه نفسه بالجهاد فبطن الأرض أولى به**» أو كما قال ﷺ.

لأن التقدم والانتصار والحرية وانجاز الديمقراطية لايمكن تحقيقه من خلال الجزئيات والنتف والتنقيط البطيء غير الشافي ولا الناجع والذي لايؤدي إلى الإنبات الحقيقي والحضارة إن الإصلاح الجزئي فيه هدرٌ للطاقات وتبديدٌ وضياعٌ للأهداف، كذلك فعل كتّاب السيرة النبوية المعظمة عندما قام معظمهم بتجريد تلك السيرة من فقهها وفهمها العربي الثوري المبين، فصاغوها صياغة أعجمية جامدة وميِّتة غير مبينة وغير أساسية وغير أمينة وغير مؤثرة إلا سلبياً وعبر العصور؛ وغير ما كانت عليه، إنّ كتاب السيرة النبوية الشريفة كتبوها بما يناسب

أهواءهم وأذواقهم ومراميهم وأهدافهم، المعلنة والباطنية[1] فقاموا بتفصيل سيرة

(١) وكذلك تم افتراء وتزوير ما سميّ بالصحيفة (أو اتفاق الموادعة)! التي قِيل بأن الرسول ﷺ قد وقعها مع أهالي المدينة، بما فيهم اليهود عند وصوله إلى المدينة، إن هذا الادعاء باطل حتما وهو غير صحيح مطلقاً لأن الرسول الأعظم ﷺ والذي كان متصلا مع الله أ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾الأحزاب، وهو النبيّ، والرسول من الله ﷻ وكان معه القرآن الكريم وهو دستور الكون ودستور العالمين، وبالتالي فهو لم يكن بحاجة لأن يكتِب لليهود كتاباً آخر لينظِّم معهم العلاقة، إنّ علاقة الرسول ـ مع كل الأطراف كان ناظمها كتابٌ من اللهﷻ لا كتاب بين الرسول وبين اليهود! فالرسول الذي كان مؤيداً من الله لم يكن ﷺ، يحتاج لتأييد اليهود أبداً، وإلا لما كان رسولا ولما كان نبياً مؤيداً، إن الكلام عن موادعة أو صحيفة أو اتفاق بين الرسول ﷺ وغيره ممن كان في المدينة وهو كلام مفترى وفيه نظر، كذلك فهو غير منطقي ولا ينسجم مع طبيعة الأمور ويتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم تماما لقد ذمّ القرآن الكريم اليهود في ثمانية مواضع في السور الأوائل من القرآن العظيم، إن القرآن الكريم لم يذكر اليهود بخير أبداً، بل لعنهم وسخط الله عليهم والقرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ وليس كما يتوهم الناس الجهلاء من أنه نزل بحسب الطلب، والحقيقة أن أهل المدينة المنورة الأنصار كانوا جميعاً موعودين وكانوا ينتظرون نبياً، لقد كانت المدينة «يثرب» قاعدة الأنبياء السابقين جميعاً. كان سكان المدينة الأنصار على موعد مع ظهور النبي، إن انتظار ظهور النبي كان لسكان المدينة العرب الأنصار وليس لليهود كما تروج السِّير الشعبية والشعوبية! والله أعلم، فالرسول ﷺ والذي كان عند دخوله إلى المدينة قد أرخى زمام ناقته، لا يثنيها به، كان لا يمر بدار في المدينة من دور الأنصار إلا قالوا: هلمّ يا رسول الله إلى العدد والعدّة والمنعة، فيقول ﷺ : «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، كذلك فإن الرسول ﷺ كان قد سماها المدينة وكان اسمها (يثرب) ومعنى كل هذا أن الرسول ﷺ كان الآمر الناهي في المدينة وكان سكان المدينة جميعهم خاضعين لسلطته ولا حاجة لأن يكتب ﷺ كتاب موادعة لأيٍ من الأطراف، والإسلام الذي كان قد سبق في دخوله إلى المدينة، سبق وصول الرسول إليها بعشر سنين، كان مجتمع المدينة مهيّأً لوصول الرسول ﷺ وكان وعد الله الحق، وقد تفشّى الإسلام في المدينة كلها تمهيداً لوصول الرسول ﷺ.

ناهيك عن أنّ اليهود لم يكونوا طرفاً مؤثراً في المدينة أصلاً، فاليهود ليسوا من سكان المدينة =

كانت خلواً من كل ما يوجب على الإنسان القيام به أو التحرك إليه وباتجاهه؛ لقد باتت تدخل العقول وتخرج منها دون أي هدف؛ فقط كانت تحشى بها الذاكرة تلك الذاكرة العاجزة المجهضة والتي لاتقوى على الوقوف بله النهوض والتوجه بهدف شلِّها تماما ومنعها من الحركة لقد كتبوها لتكون أقرب إلى الرواية أو المسرحية التي تجعل هذا الإنسان وهو يستعرض أو يستمتع وعلى مرِّ الزمان! جعلته يسلو وينسى فقط أو يستمتع ويأسف على ما مضى فقط فيصرف حياته في السرد والاستماع إلى السرد ويدور في حلقة مفرغة ويكرر الاستماع غير المنتج؛ وغير الإيجابي؛ بل السلبي المثبط للعزائم والهمم والعادم، والمغيب في المتاهات وعدم الجدوى، إنّ كتّاب السيرة النبوية وكتّاب المغازي بدءاً من ابن إسحاق إلى ابن هشام إلى الواقدي إلى ابن سعد إلى ابن كثير الدمشقي إلى البلاذري الفاطمي وإلى معظم تلك الكتابات التي كانت عبارة عن طبخات طبخت في العصر الانحطاطي الشعوبي العباسي التي

أصلاً، وقد جاؤوا من قبل اليمن قبل مبعث الرسول ﷺ بحوالي مائة وخمسين سنة، سكنوا أطراف المدينة في القرى ولم يكن مسموحاً لهم السكن في المدينة بين العرب، وهناك فرق شاسع بين مفهوم اليهود وبين مفهوم (الذين هادوا) من العرب، ومعروفٌ موقف أهل المدينة عندما سأل الرسول الأنصار عن موضوع أن يعطوا بعض القبائل الأخرى من العرب قسما من ثمار المدينة، لضمان عدم اعتدائهم على المدينة أو لضمان وقوفهم على الحياد، وكان أهل المدينة في حينه في موقفٍ صعب أثناء الحصار في الخندق والأحزاب؛ فأجاب سعد بن معاذ η رسول الله ﷺ إن كان هذا الأمر من الله، فقال ﷺ: «بل هو شيء أصنعه لكم لأدرأ عنكم»، فقال زعيم الأنصار سعد بن معاذ η، قوله المشهور: لا والله لا نعطيهم شيئاً لقد كانوا من قبل لا يأخذون منا شيئاً أو قال نواة تمرة، أبعد ما أعزنا الله بالإسلام وبك يا رسول الله! فكيف ينسجم هذا الكلام مع خبر الصحيفة أو ما سميِّ بدستور المدينة التي أبرزها اليهود في خرا سان زمن البويهيين، مدعين أنهم وجدوها في غمدٍ لسيف أحد صحابة الرسول ﷺ، الحقيقة أنّ الإيمان كان قد تفشى في المدينة المنورة منذ بداية الدعوة في مكة، وقبل وصول الرسول η إلى المدينة بفترة طويلة، كان سكان المدينة جميعهم قد دخلوا في الإسلام؛ بينما بقي البعض من المنافقين لما يدخل الإيمان إلى قلوبهم، وهؤلاء القليل كانوا ثلاثة أقسام.

كتبت فيه، ثم أعيد تحضيرها وإنتاجها وتوضيبها في الفترة التي كانت وبامتياز شيعية فارسية محضة، أو صوفية شعوبية رومية محضة، وذلك من البرامكة إلى البويهيين إلى الفاطميين إلى القرامطة إلى السلاجقة إلى الصوفيين العثمانيين، بحيث إنهم فيما كتبوا من سردٍ قد استكملوا فيه صناعة الرواية المناسبة التي كان قد بدأها المفسرون الذين كتبوا في تفسيراتهم للقرآن العربي المبين أشياء كثيرة ما عدا الفهم الصحيح، الفهم الذي كان يوصل مباشرة إلى الحقيقة المبينة للنص العربي والفهم العربي الذي لم يكن يحتاج أساسا إلى تفسير أبداً، والحق أن التفاسير والسير وكتب التاريخ والفقه برمتها كانت وبالا على الفهم العربي الصحيح.

لقد كان المسلمون عامة بخير قبل تدوين تلك الكتب، التي أعاقت المسلمين العرب عن الهدف الذي كان واضحاً قبل كتابة السِير وقبل كتابة التفاسير؛ والذين كانوا بغنىً عن كل تلك الكتب التي أضنتهم وأعاقت وصولهم وسدّت أمامهم كل سبيل إلى الفهم والتعقل، ودمرت، على مر الزمن، الرؤيا الصحيحة والواضحة عندهم، أو التي كانت واضحة قبل التفاسير وقبل السير وقبل نشوء المذاهب وقبل نشوء المعتقدات والأيديولوجيات الشيعية والصوفية والسلفية وتفرعاتهم وطوائفهم ونحلهم التي هي جميعها (عللها)، كما كانت في ابتعادها بنسبٍ متفاوتة عن الأساس العربي المبين للنص الإلهي؛ وغاب عن بالهم أن الإسلام ليس عقيدةً خاصةً تعتقد، ولا هو معتقداً[1] وليس مذهباً خاصاً

(١) إن لفظة (عقيدة) لفظة غير إسلامية أساساً! ولا هي عربية ولم تنزل من السماء أبداً وهي دخيلة على الإسلام إلى دين الله ولم ينص عليها القرآن المجيد مطلقا ولا حديث الرسول ﷺ أبداً، وقد طبقت على الإسلام تطبيقا تعسفياً؛ فقالوا بمفهوم العقيدة الإسلامية، ظلما وعدواناً وذلك نظيراً للعقيدة المسيحية؛ والعقيدة اليهودية والعقيدة الإمامية، وكذلك العقائد في باقي الأديان الأرضية والطائفية، وكذا كانت المعتقدات السياسية (الأيديولوجيات) ذات المنشأ التعصبي الملي أو العرقي أو الإقليمي أو المصالحي، وكل هذه الأوهام كانت بعيدة عن دين الإسلام الحنيف العربي المبين
=

يتخذ أو يتمذهب فيه الإنسان، وليس أفكاراً أو رؤىً تشرع من أهواء الناس أو من مصالحهم أو عواطفهم أبداً (لقد شكلت التفاسير عند أهل المذاهب بديلا عن القرآن العربي الواضح والمبين لكي يتثنى لهم تمرير أغراضهم) بل الإسلام دين الله عزّ وجل الدين الذي ارتضاه لعباده منذ خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وإلى يوم يبعثون فسيبقى الإسلام دين الله الحق الذي لا إله غيره، وعلى

والذي أساساً هو رحمة للعالمين، فمن الذي ألبس الإسلام، الدين الرباني، تلك الأزياء العقائدية المعّقدة الخاصة والضيقة! والألوان والضجة الصاخبة والطقوس المليئة بالأوهام ومن غريب تأثير مفهوم العقيدة على الإنسان أنها تجعل هذا الإنسان مقلداً تقليداً أعمى غير واعٍ، فهي تطمس عقله، وفي لقاءٍ لي مع إعلامي جزائري بارز سألته إذا كان عربياً فقال لا أنا مسلم، فقلت ولكن ماذا تعني لفظة عرب في رأيك فأجاب إجابات عديدة ومختلفة أتى فيها على آراء جميع الفلاسفة والمفكرين الغربيين من روسو إلى نيتشة إلى ماركس إلى سارتر، وذكر كل الفلسفات القديمة بدءاً من التوراة اليهودية إلى الفلسفات اليهودية الحديثة واستعرضها جميعاً ولكنه لم يذكر القرآن أبداً ولم يعول عليه مطلقاً مع أن لفظة عرب قد نصّ عليها القرآن بمختلف الصيِّغ ٢٢ مرة فقلت له أيها المسلم العتيد أنت تتحدث بعقلٍ يهودي دون أن تدري، كذلك كان سؤالي لأحد المناضلين الفلسطينيين الأشاوس الذين كانوا قد أمضوا ستة عشر عاما في سجون الاحتلال وكان ذا لحية؛ سألته: هل أنت عربي وماذا تعني لفظة عرب في رأيك؟ كان أول شيءٍ نطق به هو يقول اسبيونوزا! ومعروفٌ أنّ (اسبيونوزا) فيلسوف يهودي يروج له اليهود على أنه كان مناهضاً لليهودية ومعروفٌ أن اليهود كانوا إذا أرادوا الترويج لبضاعة يهودية وأرادوا محاربة القيم والمبادئ العربية الإسلامية كانوا يجعلونها أو كانوا ينشرونها على أنها من شخصٍ منفصلٍ عن اليهود، وأنّ اليهود غير راضين عنه أو أن هذا الشخص هو معادٍ لليهود وبذلك كانوا يضعون السم في الدسم كان هذا الأسلوب يسري بها فيه كالنار في الهشيم كانوا يزرعون كل ما يريدون إيصاله وغرسه في الرؤوس الحزينة الرؤوس الفارغة والتي كان اليهود يعملون على ملئها بنظريات ومقالات مثل نظريات ومقالات اليهودي اسبيونوزا وداروين وفرويد واينشتاين وديورانت فكان جواب صديقي المناضل العتيد على طريقة اللهجة الغزاوية، الذي كان يفتخر بأنه من غزة هشام وأنه مسلم عربي عندها خطر لي سؤال وددت لو أنني سألته وسمّ اليهود يجري في عروقهم كيف يقاومون وقد حشيت عقولهم بالنظريات التوراتية والأفكار التلمودية والصور والشخصيات اليهودية كيف؟ ولكنني للأسف لم أستطع أن أسأل أحداً مثل هذا السؤال!

العباد الإيمان به كما نزل عربياً مبيناً؛ بجميع كتبه وبجميع أنبيائه من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، غير ذي عِوج وعلى البشر جميعاً حمل هذا الدين المبين الواضح وتجسيده حياتياً عطاءً لاينتهي عطاءً بلا حدود في كل اتجاه وعلى كل صعيد، في كل زمان وفي كل مكان، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾** ﴾النساء، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾** ﴾الأنعام، فالمسلم الأساس أنه سِراج منير، فلقد كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن ﷺ وكذلك كان صحابته الكرام المهاجرين والأنصار وكل التابعين بإحسان، القرآن العربي المبين، فكيف آلت السيرة النبوية على يد ابن إسحاق وابن سعد وصولا إلى عبقريات العقاد والذي أضاف إلى الركام ركام فتحولت السيرة إلى مجرد رواية أشبه بسيرة عنترة وأبي زيد الهلالي؛ غير مثمرة وغير فاعلة وغير منتجة فهي، هذه الروايات بأسلوبها الميت، وخلال خمسة عشر قرناً، خلال كل تلك المسافة التي فصلتنا عن العصر الأموي فإن السيرة لم تنتج عملياً إلا الهباب، ولم تعطى لأجيال العرب المسلمين إلا الخمول والتواكل، والنزاع والاختلاف والتخاصم والافتراق والعداء بين الفرقاء المفترقين والذين أساسهم جميعاً عرب موحدون!

وقد آن الأوان للعرب المسلمين لأن يعيدوا النظر في الأسلوب الذي كتبت فيه تلك السِير والذي لم يكن ذا جدوى أبداً وخلال ثلاثة عشر قرناً[1]، في حين

---

(١) ومثل ذلك أنه عندما تولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلافة المسلمين شكل مباشرة مجلساً لأهل الحل والعقد من الذين بقوا أحياء من أهل بدر، الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، امتثالا للنص القرآني الذي وعدهم الله ـ بالنصر والفتح القريب.. وقد كان سيدنا عمر بن الخطابس يؤثرهم ويتفاءل بهم في كل شيء ويستشيرهم ويجعل منهم الأمراء والقادة في كل مكانٍ وزمانٍ يتواجدون به؛ وخصوصاً في المعارك والمواجهات مع الأعداء، ولذلك =

فإن سيدنا عمر بن الخطاب أمر بأن يكون أبو عبيدة بن الجراح η هو الأمير في معركة اليرموك وليس خالد بن الوليد η لأن أبو عبيدة بن الجراح كان بدرياً وخالد بن الوليد κ لم يكن بدرياً، فكيف رويت السير وتناقلتها الأجيال (بعن عناتها)! وفيها أن سيدنا عمر بن الخطاب η كان حاقداً على سيدنا خالد بن الوليد η وأن هذا الحقد كان من زمن الجاهلية وصوروا للأجيال أن سيدنا عمر η قد جرد سيدنا خالد η من منصبه حقداً عليه وعملوا للقصة ذيولا طويلة وتخيلات لا تنتهي، وأيضا فإنّ ما صار يدعى بقصة (فدك) فإنها برمتها مختلقة مع ما لها من ذيول وتخرصات وتخيلات كلها موضوعة وموظفة لتخدم منهاجاً شعوبياً محدداً ومرصوداً كان قصده التشويه والإساءة، وكانت القصة من أساسها مختلقة لا وجود لها على الإطلاق، مثل ما روجوا لقضيةٍ كانت مختلقة ومفتعلة أيضاً و جيروا لها آيات القرآن الكريم عندما أرادوا تعليل أو اختلاق أسباب لنزول الآيات الأمر الذي لم يكن مطلوباً ولا مفيداً إلا للحاقدين الشعوبيين ونسوا أو تناسوا أن القرآن العظيم هو كلام الله ﷻ الذي في اللوح المحفوظ! وهي القضية أو الكذبة التاريخية التي أرادوا بها الإساءة إلى ذات الرسول ﷺ وحياته وصحابته φ القصة التي اختلقوها عن السيدة عائشة κ زوجة الرسول ﷺ بقصد إلحاق الأذى برسالة الإسلام وثلمها وخرمها وتشويهها وتلطيخ صورتها النقية الطاهرة المضيئة وقالوا بأنّ سورة براءة نزلت بخصوص تلك الحادثة التي لم تحدث أصلا ولا حصلت أساساً إلا في عقول أولئك الخونة الغادرين الذين تعمدوا الإساءة لمجد الرسالة الربانية الطاهرة والدليل هو أن الله أ قال لنبيه:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾﴾ المائدة، فكيف تتصورون أن تكون العصمة من الناس التي تكفل بها الله ـ لنبييه، ألم تكن عامة وشاملة؟ هل سيسمح رب العالمين لتجري مقاديره أ باتجاه تشويه صورة نبيه ورسوله وصحابته الكرام عبر التاريخ؛ الذين وعدهم رب العالمين بالحسنيين، وكان قد غفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، آلا ساء ما يتخيلون وساء ما يفترون، فهذه المفتريات التي وضعت في العصر الفاطمي والبويهي والصفوي والعثماني، قد دخلت في عصور الانحطاط كتب ومناهج الجهلة من أهل الشيعة والسنة أيضاً؛ وهي مفتراة من أساسها والله المستعان، وذلك تماما كما دخلت عليهم العديد و الكثير من القصص والأساطير القديمة التي افتراها اليهود لإفشال الإسلام وإجهاض مسيرته وتدمير =

أن السيرة النبوية المعظمة المفروض أن تكون مشعلا يشعِّل ويشغِّل ويحرك وينير ويدفع ويثّور(١) وينير ويفعِّل مخلوقات الله في العالم إيجابياً إلى الأمام والأعلى، فهل كانت السِّير التقليدية مصممة تصميما ومفصلة تفصيلا على مقاسنا، لتجعلنا

مستواه العظيم، وباتوا يعتقدون بها جازمين، وهي غير صحيحة بالمطلق ولم تحدث أبداً، من مثل قصة شق الصدر التي كان أصلها أسطورة قديمة موجودة في كتب الأساطير والآلهة القديمة، وهي قصة خاصة بالمتخلفين والمعوقين ولم يكن الإسلام المتقدم، إسلام الفكر والعقل إسلام الحضور الراقي للقيم العليا، هذا الإسلام العربي الذي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الأساطير التي هي من لوازم التخلف الحسي وحالة الجهل الذهني والنفسي والضياع المدمر للعقل البشري. والتي ليس لها مبرر أبداً؟ فالدين الراقي والإيمان الراقي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الترهات أبداً، ولكنها من لوازم الجهل والجاهلين للأسف الشديد والغريب أن الوعّاظ وعلماء العامة يؤكدون عليها ويتشدقون بها من على المنابر وفي المجالس دون وعي لما تسببه مثل هذه الروايات على عقول الأجيال، ما يؤدي إلى شلل العقول وتلف الأفكار والعجز الكامل والعقم، والعامة من الناس لا تدرك أن هذه الروايات أصلها موجود في أساطير ما قبل التاريخ وقصصها الوثنية! كذلك القصص التي اخترعوها عن أن الرسول ﷺ قد تعرض للسحر أو للتسمم، كل ذلك كان افتراء بافتراء كان قد وضعه الواضعين وقد تشربها الجهلة من أهل السنة الذين لم يكونوا ليدركوا فأدخلوها في كتبهم وأصّلوا لها جهالة منهم وكان من المفروض أن يرفضوها بقضها وقضيضها ومن الأساس لأنها لا تنسجم مع الإسلام الصحيح دين الله وخاتمة رسالاته، ولكن الجاهل يفعل بنفسه أكثر من ما يفعله عدوه به، إن الجاهل أقدر على الإضرار بنفسه وهو أخطر على نفسه من عدوه!.

(١) الأساس أن تكون الثورات الحقيقية في الحياة الإنسانية هي ثورات الأنبياء والمرسلين والمبعوثين من الله رحمة للعالمين لينقدوا الواقع السالب الخرِب في العالم الآسن المعتاد ويقلبوه ويغيروه للأفضل وليبنوا للناس مناهج ثورية فذة ترفض العبوديّة والذل والهوان وتعشق الحرية إلى الله الواحد القهّار ليعلموا الناس الخير، فكيف صوّروا وأبدلوا للناس وأفهموهم أن الفلاسفة اليهود مثل ماركس ولينين وكاسترو وغيفارا يمكن أن يحلوا محل الأنبياء؟ كيف صوروا لهم وأقنعوهم أن مثل هؤلاء يمكن أن يكونوا بديلا عن أنبياء الله وأن فلسفاتهم العقيمة يمكن أن تكون بديلا عن رسالات الله بلى فكل كلمة في القرآن المجيد الأساس أنها ثورة وثورة عارمة ولكن من الذي قرأ القرآن قراءة عربية؟

خاملين مرددين، نشتهر بالبلادة الفكرية؟ فهل نجحوا بذلك وإلى حدٍ بعيد؟ ولنا أن نتأمل الصوفية والسلفية والشيعة بمختلف أشكالهم، وكذلك كانت التفاسير العديدة والمتعددة التي لا تزال على حالها كما أنتجها لنا وكما صممها لنا وكما فصلها لنا ابن منبه وابن الكلبي وابن جرير الطبري القادمون من اليمن وطبرستان فكانت تأويلاتهم وتفاسيرهم قيوداً تقيد حركتنا وكمامات تكمم فيها عقولنا في حين حجروا على الأفهام العربية الحرة والمعروف أنه كانت هنالك وحتى نهاية القرن الثالث الهجري مئات الآراء والأفكار والنظريات والأفهام والتأويلات والشروحات ووجهات النظر العربية كلها تم الحجر عليها وتم محوها وتم تشويهها وتم تبديدها وإضاعتها بشكلٍ قصديٍ ومتعمد لصالح تفسير الطبري ولتسود آراء بعينها كانت أعجميّة شعوبية خاطئة وغير صحيحة حلّت محل الأصل العربي الصحيح ولم يعلموا أنه عندما يحضر الأصيل في يومٍ من الأيام فسيبطل حتما عمل الوكيل وذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى وهذا هو الحكم الإلهي.

كذلك جعلوا (النسيء) اختصاص عربي؛ فأولوا آيات الله سبحانه وتعالى التي في القرآن الكريم والتي نزلت للعالمين تنهاهم عن فعل النسيء وحصروا كل المثالب البشرية بالعرب فقالوا: كانت العرب وكانت العرب! (ويلاحظ على الوعّاظ والخطباء أنهم إذا أرادوا الحديث عن السلبيات والتخلف في هذا العالم تمثلوه بالعرب أو أصبح العرب هم النموذج المفضل عندهم! فيقولون: كانت العرب في الجاهلية تشرب الخمر؛ وكانت العرب قبل الإسلام تئِد البنات؛ وكانت العرب قبل الإسلام تغزوا بعضها بعضاً؛ وكانت العرب قبل الإسلام تعبد الأوثان!

وكأن هذه الأمور وغيرها كانت اختصاص عربي وكأن باقي الشعوب لم تكن بحاجة القرآن الكريم، وإذا أرادوا الحديث عن الإيجابيات وحدثونا باسم

المسلمين عامة وأتوا بالأمثلة من غير العرب، وغاب عن بالهم بأن النسيء كان في ذلك الزمن ديدن الروم والفرس والهنود والأحباش وغيرهم من الشعوب إلى جانب العرب، فلماذا يعملون على تصوير العرب قبل وبعد الإسلام على أنهم مصاصي دماء؟ وأنهم وحدهم عبدوا الأوثان وأنهم وحدهم كان لديهم عبيد وأنهم وحدهم كانوا يشربون الخمر وأنهم وحدهم كانوا يمارسون الغزو والغارات، لقد تناسوا بأن القرآن الكريم كان للعالمين وأن ما فيه من خطاب كان للناس كافة وبالتالي فكل الناس معنيين بما في القرآن وليس العرب وحدهم بل اليهود والشعوبية آلت على نفسها الطعن على العرب والإساءة إليهم وكلما سنحت الفرصة في كل ناحية وفي كل مناسبة لقد وظفوا آيات القرآن الكريم لتنفيذ أهدافهم الشيطانية الدنيئة والخبيثة.

القرآن الكريم والمشاعر الطبيعية والفطرية لدى الإنسان

ألم يؤكد القرآن الكريم على المشاعر الفطرية للإنسان ألم يخاطب الله المشاعر الفطرية لدى الإنسان وكان من هذه المشاعر حب الأفراد لذوي أرحامهم إن الناس الذين يفتقدون إلى هذا الحب الفطري وأشباهه من المشاعر والعواطف نحو ذوي الأفضال والأيدي البيضاء إن الذين يفتقدون إلى هذه المشاعر وأمثالها يعتبرون مرضى وأحياناً فهم يحْمِلون من الحقد ما هو مدمر فعلاً، لأنّ الافتقاد للمشاعر الإنسانية حب الأب لأولاده وحب الأم لأطفالها وحب الأطفال لآبائهم وحب الأصدقاء والزملاء والناس جميعا بما يرضي الله سبحانه وتعالى وبرهم أحياءً كانوا أم أمواتا وود الأقرباء من الأصول والفروع في العشيرة صلتهم صلة رحمهم وبرهم وحب البلدة أو البيئة القريبة الوطن الصغير، أو القريب التي ترعرع بها الإنسان فقد تأثر وأثر بها بمعطياتها العديدة ومزاياها الخاصة والعمل على خدمتها وصيانتها وحب الخير والتزمت له حب العدل والإنصاف والانتصار له؛ حب الجمال والنظافة والتعصب لها كل ذلك يعد من الإيمان إذا افتقد الإنسان إليه يعد فساداً

للفطرة وهو الصمم والعمى في البصيرة، وقد قِيل أنّ من لم يخشع قلبه عند سماعه للقرآن العظيم من لم يخشع قلبه لذكر الله سبحانه وتعالى من لم يخشع قلبه للجنازة، فهذا يعني أنه لا قلب له وعليه أن يبحث لنفسه عن قلب!

إنّ مثل هذا الإنسان يعد فاقداً للشعور فاقداً للإحساس لأي شعور ولأي إحساس وهو في الحقيقة غير قادر على الإحساس بالانتماء إنّ مثل هذا الإنسان غير جدير بالحياة، وسط الجماعة، فهو قتيل أنانيته، محرومٌ من الفضيلة، مطرودٌ من نعمة الخيرية، الأمر الذي أكد عليه وعلى ضرورة تحقيقه، في القرآن الكريم رب العزة ﷻ، وقد ربط لنا الله في محكم تنزيله، الإيمان بالله ﷻ بالعمل الصالح يحدث هذا الانسلاب غالباً لأولئك الذين يعشقون أنفسهم ويعبدون أهواءهم، الذين ليس لديهم انتماء وعن هذا الأمر تتحدث سورة محمد قال تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾محمد، فالاجتماع والمؤانسة يعتبر من أرقى صور الأخلاق وأكثرها فطرية وقد تبين أن الخير كل الخير فيما انشرح به وله صدر الإنسان وأنّ الشر كل الشر فيما يحاك في قلبه.

العروبة كيانٌ إسلاميٌ، ونموذج يُحتذى للأمم الأخرى

الحرب في العالم تجري الآن على الإسلام العربي فقط، فعلى أثر انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، أعلن الجنرال (جوهر دوداييف) قيام دولة الشيشان عام ١٩٩١ وذلك أسوة بباقي شعوب الاتحاد السوفيتي التي بادرت فعلا إلى إقامة دولها المستقلة، ولكن أمريكا والاتحاد الأوربي الذي كان قد قدم يد العون لـ(لتوانيا) و(الأرمن) وغيرها فإنهم على العكس من ذلك تماما قاموا بتحريض روسيا على قمع الشيشان وثائر شعوب (القف قاس) ووقفوا في وجه طموحاتهم لنيل الحرية والاستقلال عن روسيا أواخر القرن العشرين، ففرضت روسيا الحصار عليهم ١٩٩١ ثم شنت عليهم حرباً غاشمة١٩٩٤ وقامت قواتها بتدمير العاصمة (غروزني) والمدن الشيشانية الأخرى فوق رؤوس آلاف المدنيين العزّل، وذلك على مرأى ومسمع من العالم، وكان القادة الروس عام ١٩٩٤يستمرون في تنفيذ وصايا القيصر الروسي (نيكولا الثاني١٨٤٠م) والتي كشف عنها النقاب وهي تقول:(بأمر من سيد العالم، فإن قيصرنا السامي يأمر بتصفية هذا المرض، الذي يسمى الإسلام، يجب حرق قراهم، وإجهاض نسائهم الحاملات، وإبادة كل الرجال القادرين على حمل السلاح) لذلك فقد كانت عمليات الإبادة الجماعية، والمقابر الجماعية، وسياسة الأرض المحروقة كانت هي السياسة التي استعملتها واتبعتها بشدة القوات الروسية في قمع الشعب المسلم في الشيشان!

كانت القوات الروسية تقوم بسحق المقاومة سحقاً، بحيث انقلبت البلاد خلال فترة وجيزة إلى جحيمٍ عن طريق عمليات التدمير الشامل لكل المنشآت، بدون استثناء وحرّموا ومنعوا المساعدات الإنسانية التابعة للأمم المتحدة والصليب الأحمر أو أي شكلٍ من أشكال المساعدات أو مدّ يدِ العون بشكلٍ

كامل منعوها من الوصول إلى الإقليم أثناء وبعد المعارك الطاحنة، بما فيها محاولة رئيس وزراء ماليزيا (مهاتير محمد) الذي أعلن وقتها عن رغبته في أن يكون وسيطاً دولياً لحل المشكلة بين روسيا والشيشان، وقامت هناك عمليات إعدام جماعية، وكذلك عمليات التطهير العرقي للألوف المؤلفة من السكان، ولم تتوان القوات الروسية عن قصف سيارات الإسعاف و المشافي وعن تدمير أماكن العبادة وضرب القرى والأحياء الشعبية بشكلٍ عشوائي في المدن الشيشانية ومورست عليهم شتى صنوف التعذيب والاضطهاد في المعتقلات إضافة إلى الاغتيالات التعسفية وسلب وحرق القرى والبيوت والمزارع، وتم استخدام الأسلحة المحرمة دولياً بغية إرهاب الناس وإخضاع السكان كما حصل في المسألة الأفغانية تماماً، الأمم المتحدة اعتبرت أن المسألة الشيشانية شأن روسي داخلي! لذلك لم تتدخل شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوربي، لقد صمتت أمريكا صمتاً كاملا على ما كان يحصل في (القفقاس) في حينه، وبالمقابل صمتت روسيا على ما حصل في أفغانستان والعراق ولبنان لاحقاً، وقبل ذلك وبعد ذلك في فلسطين كذلك صمتت أمريكا على ما حصل في يوغسلافيا من المذابح التي قام بها الصرب للمسلمين مدعومين من روسيا ظاهرياً بالرجال والعتاد ومن الدول الأوربية الصليبية باطنياً ومن أمريكا المهودة إعداداً خفياً وترتيباً وتهيئة للأجواء لتتم عملية ذبح المسلمين في مشهدٍ علني واضح متفق عليه وعلى مرأى ومسمع من العالم كله ولكن دون أن يحزن عليهم أحد أو يعلن أحدٌ عليهم الحداد!

كذلك كان الأمر منذ أن قامت قوات القيصر الروسي في عام ١٨٥٦ باحتلال (القفقاس) مما أدى إلى عقد معاهدة باريس والتي اتفقت فيها دول الحلفاء وكافة الفرقاء في ذلك الوقت، على التزام الصمت تجاه ما قامت به القوات الروسية في (القفقاس) في ذلك الحين، من عمليات قتلٍ وتدمير

للمسلمين هناك، وعندما جوبه المندوب الإنكليزي إلى تلك المفاوضات في برلمان بلاده أثناء نقاش المعاهدة لِما أبداه من تسامح وتساهل في الاتفاق مع روسيا، أجاب إجابة تاريخية كان من المفروض على العرب الأعراب عدم نسيانها، بل وكان عليهم وضعها كالحلق في آذانهم لو كانوا يفقهون أو يعلمون أو لو كانوا حاضرين أو لو كانوا متواجدين أو لو كانوا واعين لما يجري أو لِما أعدّ، أو لما كان يعد لهم من نهايات! فقد قال المندوب البريطاني إذ ذاك: إنه لا يمكن أن نكون مسلمين أكثر من المسلمين أنفسهم! وهو يشير بذلك إلى الموقف التركي إذ ذاك، الذي سكت على قيام روسيا باحتلال (القفقاس) ولم يحرك ساكناً ١٨٥٦م كان هذا كلام المندوب الإنكليزي إلى اتفاقية باريس إذ ذاك والتي وقِّعِتْ بين الدول المتحالفة وروسيا، وفي عام ١٩٤٤م تعرضت شعوب الشيشان والأنغوش وقبل ذلك التتار، وهي المناطق الإسلامية القريبة من روسية في (القفقاس) إلى أكبر عملية نفيٍ واقتلاع جماعيٍ عرفته البشرية، حيث نقلوا وهجروا جماعياً إلى المناطق الشمالية من الاتحاد السوفيتي.

كذلك تم اغتيال الرئيس الشيشاني الذي كان قد عمل على تحرير افخاذيا ١٩٩٣م وذلك أثناء إجرائه مكالمة هاتفية مع وسيط دولي في جنوب البلاد عام ١٩٩٦ كانت روسيا تتهم شعوب المسلمين في القفقاس بالأصولية والإرهاب، لذلك ففي عام ١٩٩٧ أعلن الرئيس الشيشاني أصلان مسخادوف، أن بلاده أصبحت، ومنذ الآن جمهورية إسلامية، وباتت تحكم وفق الشريعة الإسلامية والدين الحنيف، وهدد بأنه سيعلن أنّ اللغة العربية ستكون، أو أنها يمكن أن تكون اللغة الرسمية في البلاد، إذا استمر التآمر على المسلمين من قبل روسيا المدعومة بمواقف الدول الصليبية المهودة في العالم فهل سمع نداءه أحدٌ من العرب هل أثّر قراره الجريء على أحدٍ من العرب هل كان لصوته صدى أي صدى من قبل أحدٍ من العرب الغائبين فلو كان قد أعلن عن رغبته في جعل

اللغة الصينية لغة رسمية في القفقاس؛ لنهضت الصين بأجمعها لنجدته؛ لو أعلن عن رغبته في جعل اللغة الفرنسية لنهضت فرنسة كاملة لنجدته؛ لكنه أعلن سيجعل اللغة العربية لغة القرآن العظيم، لغة لبلاده فلم يشعر به أحدٌ من العرب، ولم يستجب لندائه أحدٌ من العرب ولم يتفاعل مع إعلانه أي أحدٍ من العرب لماذا؟

إنّ الدين الحق والذي هو الإسلام والمتمثل بالقرآن الكريم يؤكد ويثبت ما كانت عليه العادات[1] والتقاليد الفطرية، العربية الأصيلة والأعراف والتقاليد

---

(١) في كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي وصفٌ دقيق لأعياد اليهود وعاداتهم وتقاليدهم وحتى لصلاتهم من الواضح جداً أنّ (المقريزي) كان خبيراً في شؤون اليهود إلى درجة كبيرة، ولكنه في وصفه للصلاة عند اليهود يصور الصلاة الإسلامية، الصلاة القديمة للعرب قبل بعثة الرسول ﷺ، إن هذه الصلاة صلاة بني إسرائيل وليست صلاة اليهود فصلاة اليهود معروفة اليوم وصلاة اليهود فيما مضى كان فيها بكاء وصياح ولطم وتصديةً،ونواح ودعاء بالبوار على الأمم الأخرى من غير اليهود وصلاة اليهود ليس فيها خشوع ولا تضرع، بل فيها كلام والتفات وحركات بدون قيود مفروضة (عن كتاب هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية، دار مكتبة الحياة بيروت)، وكانت بدون وضوء ثم إن اليهود الذين احتكّوا بالمسلمين تعلموا الوضوء من المسلمين وأدخلوه على صلاة اليهود كان هذا الأمر أيام استلمهم يهودي من المنطقة العربية واستمر ذلك على عهد ولده ثمّ لما آل الأمر إلى أشخاصٍ آخرين رجعوا عن الوضوء قبل الصلاة عندهم وصلاتهم لم يعد فيها لا ركوع ولا سجود وإنما يقرأ عليهم الحاخام فقرات من التوراة باللغة العبرية وهم في حالة لم يعد فيها جميع الحاضرين يكترثون لما يقول فليس لديهم خشوع ولا تضرع، إنهم لا يخشون إلههم (يهوا)! وهي موضّحة في كتاب (العبادات في الأديان السماوية) لـ عبد الرزاق رحيم صلال الموجي، كذلك كانت أعياد اليهود أعياداً وثنية الأساس وليست ربانية أبداً هذه الأعياد التي كانت أساساً عربية ربانية ثمّ إن اليهود حرّفوها فصارت عندهم عيد الفطير بدل عيد الفطر وهكذا! والدليل هو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ
=

وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا فَهُوَ خَيۡرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة، لقد فرض الصيام صيام شهر رمضان،على المؤمنين المسلمين، من قديم ولعله من أيام آدم عليه السلام وكان في نهاية شهر رمضان عيد لدى المؤمنين المسلمين، وهذا الأمر قديم قبل البعثة النبوية المحمدية، مثله مثل الصلاة التي كانت قديمة والحج أيضاً كان قديما من أيام إبراهيم، وربما من قبل والله أعلم وكذلك الزكاة التي كانت قديمة جداً. أيضاً، كانت كل هذه الفروض قد فرضها الله على عباده منذ الأزل، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ البقرة، وهذه الآيات تشمل جميع من آمنوا السابقين، الذين كانوا يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وكانوا ينفقون مما آتاهم الله من فضله أي كانوا يؤتون الزكاة، فالصلاة والزكاة فروضٌ قديمةٌ ومن سيؤمنون إلى يوم يبعثون،وكذلك صيام شهر رمضان كان قديماً، فحرفه اليهود عن موضعه واشتغلوا بالتخفيف منه، والتخفف، كما اشتغلوا بالتخفف من كافة الفروض الأخرى، وقاموا بتحوير مفهوم الصيام عن حقيقته وتدرجوا في ذلك حتى أصبح عند النصارى مجرد التوقف أو الامتناع عن أكل الدسم ويتشددون في ذلك ويكتفون به! ثم إن المفكرين العرب المسلمين العلماء صاروا يتصورون الحقيقة مقلوبة! وباتوا يتحدثون عن أنواع الصيام وكأن الله قد فرض أشكالا متعددة من الصيام كيف يفعل ذلك وهو ﷻ، واحد وكان دينه واحداً أليس الدين عند الله الإسلام؟ بلى والله.

لسلوك ومنفعة ومصلحة الجماعة العربية وبالتالي الإنسانية كافة والتي كانت دائما وأساساً منبثقة عن إيمان العرب الربانيين بالحق والعدل والخير والسلام والذي كان أساسه عندهم الإيمان بالله ﷻ فإنّ الحياة العروبية (الربانية) تقتضي أن يتحقق فيها تكافؤ للفرص لجميع القاطنين على بطاح الوطن العربي في جميع مجالات الحياة والنشاط الإنساني بحسب الكفاءات وفي الحدود القصوى من الحريات (الأصل الإباحة).

تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم والحياة الاقتصادية كي يظهر المواطنون في جميع مجالات النشاط الإنساني كفاءاتهم على وجهها الحقيقي وفي حدودها القصوى، مع مراعاة أن التعليم وكل ما له مساس بالتربية العربية (تربية الأجيال العربية) يجب أن يكون وقفاً على الكوادر العربية المؤمنة بالانتساب للأمة العربية، وبالتالي فهي كانت دائما مستمدة من الدين الحنيف (التآلف والانسجام في الحياة العربية بين جميع المنتسبين للأمة العربية) إنّ العروبة كيانٌ إسلاميٌ مؤمنٌ رائد ونموذج يحتذى للأمم الأخرى الأساس أنّ الله سبحانه وتعالى قد كلفهم جميعهم وقد هيأهم جميعهم وقد أعدهم جميعهم لهذا الغرض، لاشك في ذلك أبداً قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣** ﴾ البقرة، لذلك فإنّ اليهود والصليبية المهودة في جميع أنحاء العالم يعرفون ويدركون هذا الأمر تماماً.

استهداف العروبة

صرح (توني بلير) رئيس وزراء بريطانيا قائلا بأنه ليس ضد الإسلام ولا هو ضد المسلمين ولكنه أكد على مخاوفه من الإسلام العربي أن يجتاح بريطانيا! وقال بأنه يريد إسلاما ينسجم مع أوربة وتحديداً مع بريطانيا! وهذا ما سبق وأعلنه رئيس وزراء فرنسة منذ سنين إبان تأزم المشكلة في فرنسة مع المهاجرين العرب والمسلمين، قال بالحرف الواحد: إن الإسلام هو الدين الثاني في فرنسة، وبالتالي فهو ليس ضد الإسلام، ولا هو ضد المسلمين ولكنه طالب المسلمين في فرنسة أن يكونوا فرنسيين حضارة وولاء وأعلن صراحة عدم قبول الإسلام العربي ولا بأي شكلٍ من الأشكال وهذا هو تماما ما كان قد أوضحه الرئيس الأمريكي للشعب الأمريكي وللعالم في خطاباته العديدة إبان إعلانه الحرب على الإسلام أو على الإرهاب كما سماها.

كذلك دفِعتْ الأمور في الحياة العربية منذ مطلع القرن العشرين باتجاه إفشال وتفشيل وإجهاض وتجهيض أي محاولة للنهوض بين العرب، وتولت العمل على تحقيق هذه المهمة، مهمة الإجهاض، الدول والحكومات والأحزاب والتنظيمات المصطنعة، والتي كانت قد ورثت الاحتلالات لأجزاء الأراضي العربية، وكذلك المؤسسات والجمعيات الكثيرة الموالية والمعارضة الدينية والعلمانية التي تشكلت هنا وهناك على بطاح أرض العرب، في جميع الأقاليم العربية جميعهم أسهموا في المشروع الرهيب حيث أبقي على العرب مكبلين يرسفون في قيود الجهل والتخلف والأمراض المستعصية والفقر والحمق والمشكلات المفتوحة وعلى البؤس والحرمان المستديم.

كل ذلك عملوا على تكريسه في حياة العرب ليظل العرب قرناً كاملا من الزمان صامدين في مذلة وهوان تذبح أبناؤهم وتستحيا نساؤهم والعرب

مستبسلون ويقدمون التضحيات وهم صابرون يتلقون الضربات المؤلمة والموجعة والقاسمة للظهر ببلاهة ودون أن يفكروا بالرد الصحيح وهم إلى الآن لم يجمعوا رأيهم ولم يقرروا ضرورة القيام أو ضرورة التماسك والتوحد ليدفعوا عن أنفسهم الظلم بل وأعد العربي أخيراً ليقبل يد جلاده وقاتله ومغتصب حقه وفعلا وعلى امتداد القرن العشرين كانت قد برزت دعاوى مختلفة[١] ومتباينة لتصورات ونظريات سياسية ملأت وجدان الناس وأخذتهم كلّ مأخذ وأذهبتهم في شتى التيارات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ومن أعلى قمة إلى أدنى المستويات إن جاز التعبير، فلم تكد تتفكك الإمبراطورية العثمانية حتى أسف عليها كثيرون، على رغم مما كانوا قد عانوه منها ولكن فعلا لقد أسف عليها الكثيرون، حتى من الذين كانوا قد ثاروا عليها وذلك لِما عاينوه، فيما بعد من الويلات جراء الاستعمار الأوربي الحديث فولدت على الساحة العربية نظريات وجلبت نظريات سياسية دينية وفلسفات برمتها كانت عبارة عن ردود أفعالٍ على ما حصل إبان انهيار

---

(١) كذلك ظهر مؤخرا في مصر كتاب (زبور داوود) الذين ادعوا اكتشافه، والذي عثر عليه صدفة! في مقبرة (المضل) في مدينة بني سويف في مصر العربية؛ ثم بعد أبحاث ودراسات علمية استغرقت عدة سنوات، أكد الدكتور الفلاني صحة الكتاب وقيمته؛ وهو مكتوبٌ على الرق (جلد الغزال) وعملتْ وفي حينه كل الإجراءات الإعلامية والصحافية المطلوبة التي من شأنها تكريس الكذبة الكبيرة والتي ستجعل من الكذبة حقيقةً ثابتة ويعزف ناشرو ذلك الكتاب على المسائل نفسها؛ إنهم يكرسون جهودهم لتضليل العقل البشري لتعميم الخرافة ولا أظن أنّ هذه الأساليب يمكن أن تنطلي على العاقلين الأطفال؛ لكنهم يأملون أن تنطلي على شعوب العالم المتحضر والعرب إنّ كل ما يوردونه في هذه الكتب المدّعاة، والملفقة بطريقة غير ذكية مكشوف تماماً كما حصل في كتاب إنجيل برنابا الملفق، إن هذه المشاريع تتوافق مع ما في توراة اليهود وتكرس مقولاتها وتتناقض تناقضاً كاملا مع ما ورد في كتاب الله القرآن الكريم ويصدِّرون هذه الافتراءات بأسماءٍ مشهورةٍ كتاب أو باحثين مصنّعين خصيصاً لهذا الغرض ونستطيع أن نضيف إلى هذه الكتب، كتاباً آخر مشهور وجرت أو افتعلت حوله الضجة نفسها؛ وذلك في منتصف الثمانينيات وهو كتاب (أو ما سميّ مخطوطات قمران والبحر الميت).

الدولة العليّة العثمانية.

وكما هو معلوم فقد برزت الدعوة إلى القومية العربية أول ما برزت محاكاة لما هو مطروح في أوربا العلمانية وكان النصارى من العرب إذ ذاك، في طليعة الداعين إلى إقامة الدولة العربية! وما إن تمت عملية هدم الإمبراطورية العلية العثمانية حتى تحول أكثرهم إلى أنصار ومؤيدين وداعمين للإقليمية والفئوية[1]،

(١) المرحوم (أوسكار توما) كان صاحب وجه بشوش، كان دائم الابتسام من أثرياء منطقة باب توما؛ بدمشق (قلب العروبة النابض!) وكنا نعمل في ورشاته الصناعية أثناء العطلة الصيفية، عام ١٩٧٤م، كان خالا لصديقي منصور توما وصديقي هذا لا أزال أحترمه، كان صديقي (منصور توما) عربياً مسيحياً، محباً للعرب بشدة مدافعاً عنهم كان يؤمن بالقومية العربية ويحلم بالوحدة العربية فالسيد (أوسكار توما) خال صديقي، كان يحب النقاش الفكري والسياسي؛ وكنت أشعر عند نقاشي معه أنه يحب الاستماع لآرائي على الرغم من صغر سني في تلك الأيام وسنه الكبير، كان يقول بطريقة محببة (حتى أنت يا بروتس!) وفي ليلة من ليالي أواخر صيف ١٩٧٤، كنت أجلس عنده في محله الصناعي الكبير برفقة صديقي منصور توما، وحينها كنت المسلم الوحيد، ودار نقاش بينه، وبين ابن أخته عن العروبة وضرورة الانتماء للعروبة، وكان صديقي منصور يدافع عن العروبة بكل إخلاص واندفاع، كان يحاول أن يثبت لخاله وعلى حد تعبيره أن العروبة أو الدعوة إلى الوحدة العربية كانت بريئة من مقولات وسلوكيات المتخلفين والمتزمتين من المسلمين؛ أو من رجال الدين الإسلامي، كان منصور يحاول انتزاع شهادات مني على صحة حديثه، كان يلتفت إليّ، ويقول لي أليس كذلك؟ كوني عربياً مسلما (على أساس، وشهد شاهدٌ من أهله!) وكان منصور صديقي منفعلاً، يرفع صوته ليرد على خاله الذي انفعل عليه بدوره ثمّ ما لبث فجأةً أن قام الخال واقفاً بقامته المديدة ومدّ يده على طولها باتجاهي مشيراً إليّ! صارخاً في وجه ابن أخته منصور؛ قائلاً: ماذا تقول! عروبة؛ أنت لا تعرف شيئاً أنت لا تفهم شيئاً إنّ هؤلاء (وهو يشير إليّ طبعاً ـ بالنسبة له في تلك اللحظة ـ فأنا كنت أمثل أمامه جميع العرب المسلمين) قال صارخاً بأعلى صوته: إذا وافقنا على كلامك فإنّ هؤلاء سيبتلعوننا ثم أنه زاد من حدة الخطاب، فصاح بنا: هيا اخرجوا من المحل وطردني! (حدث هذا في قلب العروبة النابض) طبعاً أنا خرجت، وكنت بائساً وحزيناً ومنزعجاً جداً مملوءاً بالغيظ ما كنت أتوقع لنفسي أن ألقى مثل هذه التجربة، الطرد! والواقع أنني في تلك الليلة لم أستطع النوم، من شدة الأسف على ما لقيته في ذلك الموقف السخيف وفي صباح اليوم التالي وجدت نفسي أسير
=

يملؤني الحزن، أفكر في ما جرى بالأمس متثاقلا مهموماً، وذلك في حارة العازرية، ثمّ أنني انحنيت لأشرب من سبيل الماء، أول الحارة، وما كدت أرفع رأسي عن الماء، حتى وقعت عيني فجأة، على صورةٍ صغيرةٍ (لأوسكار توما)! كانت ورقة نعوته ملصقة فوق سبيل الماء، أذكر أنني في تلك اللحظة قد حملقت فيها طويلاً، وأطلت النظر والتأمل، لقد مات أوسكار توما، لقد زال سبب حزني الشديد، وقد غاصت تلك الحادثة في اللاشعور عندي وكدت أنساها مع مرور الزمن، ولكن في صيف عام ٢٠٠١م، في فترة الحصار على العراق، وفترة التحضير لغزو العراق زارني في مكتبي شخص محترم، كان في الستينيات من عمره وكان يلبس طقما من الجينز، لا أعرف أسمه كان ركيك العبارة، سألني أولا عن كتاب كان يبحث عنه وبعد ذلك مباشرة سألني عن معنى كلمة (عرب) فقال ما معنى عرب؟ فقلت له بكل طيبة قلب: العرب هم أمة من الأمم، ويعرب هو جد العرب فقال: لا هذه مجرد خرافات وقد آن الأوان لضحدها، ففي الغرب لا يعترفون على هذا الكلام مطلقاً لأنه كلام خيالي ويجب التخلص منه ويجب معرفة الحقيقة فقلت مندهشاً وما هي الحقيقة برأيك؟ فقال: إن مفهوم عرب ومفهوم العروبة عبارة عن ألفاظ مجرد ألفاظ كانت وليدة الاستعمار، مثل لفظ الأردن ولبنان وسورية والسعودية اخترعها الاستعمار (سايكس بيكو) وصرنا نتمسك بها! فقلت له: وما هي الحقيقة في رأيك؟ فقال الحقيقة هي أنّ هذه المنطقة كانت تعرف منذ القديم ببلاد الأشوريين وبلاد الكنعانيين، ولا شيء غير ذلك، وستعود كذلك، ويجب أن تعود كذلك وهناك في أوروبة ينظرون إلينا بشكل مختلف تماماً، إننا مجموعة من الأقوام المتنافرة ذوي أصول متعددة، فقلت له: وأنت هل أنت عربي؟ فقال: أنا لا لست عربياً أنا آشوري؛ أصلا كنت من الحسكة وأنا مقيم الآن في السويد منذ ثلاثين سنة والآن أنا أزور سورية زيارة سياحية؛ وسأعود إلى السويد ومستقبلا سأقيم بقية حياتي في اسبانيا، وذهب ولم يعد، ثم بعد أقل من أسبوع من هذه الحادثة صدفةً ومن غير ميعاد دخل إلى مكتبي رجلٌ في العقد التاسع من عمره، كان بطيء الحركة يلبس شورت جنز ويضع برنيطة على طريقة السائح الأوربي؛ وفقط سألني عن اسمي فأجبته، فقال هل أنت مدير هذا المكتب؟ فقلت بكل تواضع نعم؛ فقال: ولكن ما معنى يعرب؟ فقلت منشدهاً ومستغرباً، يعرب هو: جد العرب والعرب أمة، فقاطعني بحزم وإصرار واضح، قائلاً: لا لا هذه أوهامكم، فلا يوجد شيء اسمه عرب، عرب عاربة، وعرب مستعربة؛ بل هي أساطيرٌ تعشش في رؤوسكم، أنتم لا غير! فقلت له وأنت ألست عربياً؟ فقال لا أبداً، فقلت له فمن أين أنت؟ فقال: أنا من مصر، فقلت له مع ذلك أهلا وسهلاً، فأنت قبطيٌ إذاً! فقال نعم. وكيف عرفت!

كان صديقي في المدرسة مسيحياً عربياً ولكنه في درس التاريخ، كان يستنكر القول، إذا سمع =

عبارة الاستعمار الفرنسي أو الاحتلال الفرنسي، وكان يطالب بأن نقول الانتداب الفرنسي وكان يكرر القول: أن العثمانيين قد احتلوا البلاد العربية واستعمروها وكانوا سبب دمار الشعب العربي، فكيف نوحد آراء الأخوة العرب والأشقاء سألت هذا السؤال لنفسي منذ ثلاثين سنة وبعد، فإنّ السؤال المهم أو الذي أصبح مهماً، والذي صرت أسأله لنفسي دائما وهو: هل جاء ميشيل عفلق عام ١٩٢٨م بعد رحلته إلى باريس بفكرة القومية العربية العلمانية هل جاء بها لخدمة العرب المسلمين فقط؟ أو هل استطاع ميشيل عفلق، بفكرته العلمانية إقناع مسيحي عربي واحد أو تحويله، أو حرفه عن مساره الطائفي المحدود وفلكِهِ الطائفي الضيق والمرتبط بخيوط وتعقيدات، كانت دائما عصيِّة على الفهم وغير قابلة للاختراق وغير قابلة للذوبان والحل؟ إنّ ميشيل عفلق لم يستطع ومع مرور الوقت الطويل إخراج مسيحي واحد من المسيحيين العرب من قوقعته ولم يستطع دمجه دمجاً حقيقياً في فكرة القومية العربية العلمانية التي استوردها لنا طازجة من فرنسة وبالتالي فهل كانت مهمة ميشيل عفلق، فقط هي العمل مع المسلمين العرب هل كان ميشيل عفلق موجّهاً بشكل أساسي للمسلمين العرب؟ بدأ ميشيل عفلق بالعمل على الساحة العربية عام ١٩٢٨م، بعد عودته من بعثة ذهب بها إلى باريس برفقة صلاح الدين البيطار وكانا مدرسين في مدرسة جودت الهاشمي، أيام الاحتلال الفرنسي إلى سورية (١٩٢٠-١٩٤٦م) فهل كانت طروحاته عن العروبة العلمانية خاطئة خطأ مقصوداً؟ هل كان ذلك مقصوداً لتشويه حقيقة الفكرة، التي هي الإسلام العربي الصحيح بعينه؟ وكان كتاب العرب ودستورهم الحقيقي، ودون مواربة، هو القرآن الكريم؟ لماذا يتم تصوير هذه المسألة، للمسيحيين العرب على أنها الشر المستطير! هل عمل ميشيل عفلق في ظل الاحتلال الفرنسي، هل عمل على تضليل العرب بطرح العروبة، أو فكرة العروبة، طرحاً خاطئاً؟ النصارى العرب لا يعلمون أنّ القرآن العربي الكريم، يجب أن يكون كتابهم، بل هو كتابهم الحقيقي، لأنه بالأساس كان يستهدفهم، كونهم أعراباً، أعراباً متخلفين عن الدعوة إلى الحق، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦﴾ ﴾ الفتح، وهذا يعني أنهم، أولا وأخيراً، سينضمون إلى الدعوة العربية عاجلا أم آجلاً، النصارى العرب الأصلاء، الذين كانوا، ولا يزالون، تربطهم بوطنهم رابطة العروبة، والإيمان بالله الخالق الرحيم، والتي لا يمكن أن تنفصم أو أن تنحل أبداً، مع المسلمين العرب الأصلاء، الذين يحسون ويدركون المعنى الحقيقي للعروبة والذين يؤمنون بالله
=

لقد صبت الأفكار والنظريات صباً، وكانت بمختلف أشكالها عن، أو هي أشبه بألبسة وأحذية متنوعة مستعملة، جاهزة أحياناً تفصيل وطلب من العرب الدخول بها ومنذ ذلك الحين وعلى امتداد القرن العشرين لم يخرج منها مفكر واحد ولامتنوِّر واحد بحيث يطلب من العرب أن يفكروا أو يحثهم على التفكير أو أن يعملوا عقولهم ودائما كانت الأمور تجري بالعكس فتوضع العربة أمام الحصان لاأحد يفهم شيئاً ولاأحد يفقه شيئاً، ولاأحد يلاحظ شيئا، فقط المنظر وفقط الزعيم هو وحده الذي سيفكر ويخطط عن الملايين من العرب وباسمهم والله أعلم من أيّ المصادر أمليت عليه تلك الأفكار أومن أي من الجهات كان يستوحي تلك النظريات التي فرضت وسوِّقت على الساحة العربية وفي الشارع العربي، أشاعتها وعممتها بالترغيب والترهيب وأحياناً بالقوة كل هذا جرى في القرن العشرين تعمية للناس العرب وصرفاً لهم عن حقيقتهم وتبديداً لطاقتهم وهدراً ومضيعة لعمرهم وقتلا لوقتهم ونهباً لثرواتهم.

الخالق الرحيم، النصارى والمسلمون العرب بوعيهم الحقيقة، واتحاد هممهم، وبنبذهم لقضايا وأحداث وأفكار تاريخية معروفة، كانت قد سادت في فترة من الفترات بفعل التخلف والانحطاط الشديد إنهم بعودتهم للنبع الواحد، للإيمان الحقيقي يمكن أن يندحر أعداء العرب، قال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾ المائدة، فلماذا لا ينطلق الحوار العربي أولاً؟

العروبة ليست عرقاً أو جنساً مغلقاً

إنّ العروبة ليست عرقاً، ولاهي جنس مغلق أو قومية محدودة بل هي شعورٌ رائع بالانتماء إلى أمةٍ الأمم وهذا الشعور ليس وقفاً على جنسٍ معين من البشر بل يمكن لأي من الناس في العالم الدخول في الأمة العربية، متى أراد، فقط عليه أن يخلص الدين لله الواحد أ ويصدق رسوله ﷺ ويحب العرب وأن يتحدث على أرضهم بلسانهم ليصبح له ما للعرب وعليه ما عليهم، فالعروبة جنسية مفتوحة غير مغلقة كما هي الحال في القوميات الأخرى لأن العروبة بالأساس ليست موضوعاً سياسياً!

إن العرب ومنذ قرون يتعرضون لاعتداء اليهود والاستعمار الأوربي وهم يعيشون كفاحاً وجهاداً مستمراً ضد اليهود والاستعمار الأوربي الأمريكي بطرق عديدة مناهضة لليهود وعملاء اليهود والجهاد العربي لايعني جهاداً بالحرب والقتال فقط، بل إنّ هناك أنواعاً من الجهاد والنضال متعددة يجب على كل عربي ممارستها جميعها ضد أعداء الله والعروبة في كافة الميادين وذلك بالإضافة إلى استمرارية الكفاح المسلح المشروع ضد أعداء الوطن، يجب على كل عربي تربية أولاده على حب العرب والإخلاص للعروبة، وطناً منشوداً لاأروع وأن اليهود هم مصدر الفساد في العالم وعلى العربي المؤمن في جميع الحالات واجبٌ دائم، وهو أن يعمق وأن يعمل على تعميق انتماء أولاده وأصدقائه بالعروبة وإحساسهم واعتزازهم بالعروبة وبالروح الوطنية العربية وأن يمجد انتماءهم لهذه الأمة العظيمة، أن ينشر في العالم حب العرب، على أنه من الإيمان قال ﷺ : «**حب العرب إيمان**» ناقلا إليهم الحقد على أعداء العروبة، وعلى ضرورة الانتقام من أعداء العروبة، انتقاما شديداً، وأن يثقوا بالله سبحانه وتعالى وأن وعده الحق وأن النصر قريب، كذا فإن الأوطان هي المرابض والأماكن التي تؤوينا، ووطن في

المكان أي: اتخذه محلا ومسكناً يقيم فيه والميدان والميطان واحد وأين وطنك وأين ميدانك؟ واحد أي: أين غايتك والموطن المشهد من مشاهد الحرب قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ٢٥** ﴾ التوبة ووطنت الأرض: اتخذتها وطناً وتوطين النفس على فعل الطاعات هو حملها بالمواظبة والمثابرة.

والواقع أن مفهوم الوطن أوسع من أن يحد معجميّاً، لأنه يشتمل على مجاميع القيم والمبادئ والمثل العليا التي يمكن أن تملا كيان الإنسان، إضافة إلى المكان الذي يحِبّه الإنسان والمجتمع الذي ينتمي إليه لذلك كانت وعلى الدوام وعبر العصور كانت مواكب الشهداء تترى ولا تنتهي تندفع مضحية في سبيل الوطن مقدمة الغالي والنفيس في سبيل القيم الوطنية، دفاعاً عن الوطن وذوداً عن حياضه، وبالتالي فإن الدين السماوي الحقّ يؤكد ويدعم المشاعر الوطنية ويجعلها لازمة للإيمان، فلا إيمان حقيقياً دون شعور وطني ولا وطنية حقيقية دون إيمان بالله سبحانه وتعالى قال ﷺ : «**حب العرب إيمان، وبغضهم كفر**» على ذلك فإنه ليس هناك وطنية دون شرفٍ وليس هناك وطنية دون نخوة حقيقية ودون انتماء حقيقي للوطن انتماءً كلياً يستحوذ على مجامع الأبعاد المعنوية والوجودية للإنسان الأصيل.

إن الوطنية رجولةٌ حقه والوطنية ترفع من مستوى الإنسان المواطن وتجعله من صفوة الصفوة وتحمِّله أجمل وأثمن القيم وأنبل الأهداف والوطنية بالأساس ليست قضية سياسية، ولكنها روح تسمو بالإنسان وترفعه من مجرّد كائن حي عادي تافه، إلى كيان عظيم متميز خلاّق، والحقيقة أن الإنسان الوطني معنوياً مهما كان مستواه المادي الذي يحيا به، ومهما كان عمله الذي يعمل به، فإنه عند حمله معنوياً للروح الوطنية، فهو عند ذلك سيحمل صفات الملوك والأمراء

والقادة العظام، بل سيكون بحد ذاته قائداً وزعيماً، لأنه عندها ستنبع منه العدالة والحرية وبالتالي فهو وحده القمين بحراستها والدفاع عنها عند اللزوم، من كان لا يملك حبّاً للوطن، من كان لا يفهم عظمة الانتماء للوطن، فهو غير جدير بالحياة على أرض هذا الوطن والتمتع بخيراته ولاحتى شم نسيمه، بل الأمر عند ذلك سيكون بغاية الخطورة فمن كان لايملك روحاً وطنية ولايحب العرب وليس لديه انتماءٌ كليٌّ للعرب، فمواطنيته مجروحة ومشكوكٌ في أمره وقد فرز نفسه ووضعها في دائرة خاصة وربما في الخندق المعادي للوطن، مما يستوجب أخذ الحذر والحيطة منه، لذلك فإن الدين السماوي الحق يؤكد على محبة الوطن، وعلى تنمية المشاعر الوطنية لدى المؤمنين العرب.

إن الفساد الأخلاقي وانتشار الرشوة وشيوع الفاحشة وكثرة الجرائم والجنح والاعتداء المفرط على البيئة وتلويثها والتخلف بكل أبعاده، وجميع الأمراض الاجتماعية، تعتبر ناجمةً عن انحسار الروح الوطنية الصادقة، واضمحلال الشعور الوطني لدى المواطنين في أي مجتمع بحيث تحول الإنسان في الدولة إلى مجرّد كائن حي لا ينبض بالحياة همّه البحث عما ينفعه ويفيده شخصياً وآنيّاً ومباشرةً دون فهم ولاوعيٍ بالمصلحة العامة، والمشتركة الملزمة لجميع الأفراد في المجتمع الذي يحيا به أي: دون شعورٍ بالانتماء للوطن، لذلك فإن المجتمعات السعيدة والواعية تحرض دائما على تنمية الروح الوطنية[1] لدى التلاميذ في المدارس، والأطفال في المنازل

(١) في عام ١٩٨٤حدثني صحافي كبير في السن، متقاعد، كان في (موسكو) في عام ١٩٤٥، لتغطية الأخبار، قال لي: كنت أسير في أحد شوارع موسكو في عام ١٩٤٥، في ذلك الوقت، شاهدت امرأة روسية كانت تسير مع ابنتها الصغيرة إلى جانب سور إحدى الحدائق في (موسكو)، وأثناء سيرها مدّتْ الطفلة يدها وقطفت ورقةً من أوراق النباتات المتدلية عن سور الحديقة المحاذية للرصيف، فما كان من أمها إلا أن أوقفتها وأنّبتها وعنّفتها وضربتْها على يديها حتى جعلتها تبكي، وكانت تقول لها: لا يجوز أبداً إيذاء الشجر والنباتات، بل يجب عليكِ المحافظة على الشجرة وعلى الحديقة!
=

أولا ليخرج الإنسان إلى المجتمع بطلا متحفّزاً وواعياً واليهود وكل الصف المعادي للعرب يدركون أنه عندما يعي الإنسان العربي انتماءه وعندما يملك إيمانه، وعندما سيحمل الإنسان العربي الروح الوطنية الصادقة عندها لن يستطيعوا صهره واستلابه فاليهود والدول الاستعمارية والفئات الموالية لهم لايريدون للإنسان العربي أن يعي انتماءه للعروبة لأن وعيه الحقيقي لعروبته سيخرجه من حالة السكون والوجوم وسيقلبه إلى حالة المارد العظيم وهذا مالا يريده أعداء الوطن والمتربصون به الدوائر.

وبالتالي فقد كثر مدّعو الوطنية، ولم يبق عاهر ولا دعي، إلا وعملوا على تسويق بضاعتهم عن طريق الشعارات الوطنية والثقافة والفن الوطنيين وأقيمت المزادات وصارت البرامج الوطنية تبثّ حيةً من الملاهي الليلية والمطاعم الفاخرة وصار المطربون النشاز أبطالا ومثالاً، وتحولت الوطنية إلى مجرد عروض أشكال وأزياء ومهرجانات وهكذا قام الإعلام العالمي(الفضائيات والإذاعات) بخدمة هذا الهدف القاضي بتحطيم الروح الوطنية لدى العرب هذا الإعلام الطاغي الذي

وقال لي هذا الصحافي الذي والله أعلم، أنه أصبح الآن في ذمة الله، قال أنه في ذلك الوقت، وهو يسير في أحد شوارع (موسكو) أنه قد شاهد محلا لبيع العاب الأطفال وقال أنه شاهد على واجهة ذلك المحل الكبير لعبةً أعجبته كثيراً، فأحبّ أن يشتريها دخل المحل وطلب من البائعة أن تبيعه تلك اللعبة، فقالت له: لماذا تريد شراء هذه اللعبة؟ فقال لها، وهو مندهش من السؤال: لي بنت في دمشق، وأريد أن أشتري هذه اللعبة هديّةً لها! فقالت له ولكنّ هذه اللعبة للذكور وليست للإناث، إنها لا تصلح لابنتك، يجب عليك أن تنتقي لها ما يناسبها! فقال لها وهو مندهش من ردِّها له: نعم لديّ ولد أيضاً، ويمكنني شراء هذه اللعبة، وأن أهديها له! فقالت لا بأس، ولكن كم هو عمر هذا الولد؟ فقال: عمره نحو ثماني سنوات؛ فقالت له: ولكنّ هذه اللعبة معمولة لطفلٍ يافع لا يقل عمره عن إحدى عشرة سنة! فقال لها: يا سيدتي نحن في البلاد العربية ليس لدينا مشكلة، فكل الألعاب عندنا تنفع لكل الأطفال، وأرجوكِ أعطني هذه اللعبة، فأنا أحببتها وأريد أن ألعب بها!

أخذ يبث الحفلات غير الفنية ليلا نهاراً ناشراً الفساد في كل اتجاهٍ[1]، ضاغطاً على الجيل قاضياً على مستقبله عاملا على تسطيحه وتتفيه ناهياً أمره لاخراجه من روحه الوطنية!

الأمر الذي سيجعل الجيل والأجيال المقبلة[2]، من العرب، تنام مرتاحة على وسادة من البرامج الفنية، المرسومة والموّضبة والمنتجة والمصنعة خصيصاً لكي تقدم للأجيال العربية، مجاناً ودون أي ثمنٍ سوى استـنـزاف الوقت والزمن العربي، والمستهدف من قبل أعداء العرب، والذي على الأجيال العربية أن تهده وتضيعه وترميه إلى مزابل اليهود وأمريكا، هباءً دون أيّ فائدةٍ أو أيّ نتيجة.

إن اليهود، يعملون الآن من أجل تتفيه الأجيال العربية والحياة العربية وسحق عزيمتها من المهد إلى اللحد، وحتى من قبل الولادة، وذلك بصرفها عن أيّ شعورٍ بالوطنية والإيمان الحقيقي بالله سبحانه وتعالى فهل سيبقى العرب على الدوام مسطحين تحت عناية اليهود المشددة؟ أم أنه سيدب الإيمان والشعور

(١) بهذا الخصوص يمكن مراجعة كتاب (المفسدون في الأرض) المترجم عن الفرنسية الذي يعدد جرائم اليهود الاجتماعية والسياسية، في دول العالم وعبر التاريخ الوسيط والحديث، ويصف أدوارهم في تهديم الكيانات الإنسانية، وزعزعة الأمن والاستقرار، في جميع البلدان انطلاقاً من دورهم الرهيب في الثورة الفرنسية، إلى دورهم في الثورة البلشفية، في ميلادها وفي موتها إلى دورهم في صعود النازية في ألمانيا ثم في هزيمة ألمانيا وانكسارها، إلى دورهم في بناء الدولة العثمانية، ثمّ إلى انفراط عقد الإمبراطورية العثمانية؛ فكيف كانت ثمرات روح التسامح المطرد في النمو، في البلاد الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء المفسدون في الأرض.

(٢) لقد انحدرت إلى الهاوية الأجيال العربية، من جميع النواحي الخلْقيّة والخلقِيّة، فبينما أخذت التربية الوطنية دورها في تنمية الأجيال لدى باقي الأمم، غير العربية، والتي كانت تزرع فيهم الروح الوطنية وحب الوطن، أصرت القوى والفعاليات العربية الإسلامية خلال القرن العشرين على سلب الإنسان العربي المسلم روحه الوطنية، تحت حجج واهية، واهمة وغير صحيحة.

بالوطنية، في أوصال العرب المسلمين وسيعودون إلى الحياة مرةً أخرى نافضين عنهم كل هذه الظروف السيئة التي باتت تحيط بهم من كل الاتجاهات: إن الله على كل شيءٍ قدير.

لابد من قيام العرب ولابدّ من تحررهم، ولا بدّ من أن يستعيدوا سيادتهم على أرضهم وأنفسهم، وذلك بمجرد حصول الوعي بالوطنية العربية لأن القوة الوطنية كامنة في الروح الوطنية[١] لدى كل شعب من الشعوب، وهي تصنع العجائب، بحيث يتحول المواطن ذو الروح الوطنية إلى مبدع وخلاق ذي قوة جبارة ويصبح الوطن الذي يضم مثل هؤلاء المواطنين الأحرار الشركاء، وطناً حراً ذا سيادة مهابة بين الأمم بينما البلاد التي يفتقد أهلها إلى الروح الوطنية وإلى المشاعر الوطنية تكون عرضة للاستباحة والاجتياح من قبل الطامعين في كل حين فلدى الوطني لا تجوز المساومة على أيٍ من قضايا الوطن، ولا على حرية الوطن ولا يصح لدى الوطني محادثة الأعداء، ولايصح الاتصال بهم، كذلك فإن الوطنية لاتجوّز الاستعانة بالأشخاص غير الوطنيين أو الاعتماد عليهم في أي من الوظائف والأعمال حتى يبقى الوطن حرّاً شامخاً وبالسيادة الكاملة، ويجب

(١) من الثابت أنّ كل نشاطٍ إنساني في الوجود البشري في العالم، معنوياً كان أم مادياً إن لم يكن هادفاً إلى غاية وطنية سامية ونبيلة وشريفة وصادقة فهو بحكم العدم! ذلك أنّ علم العلماء وفقه الفقهاء وحكمة الحكماء وفكر المفكرين وأدب الأدباء وتنوير المتنورين ووعظ الوعاظ ونصح الناصحين وجهد المجتهدين وعمل العاملين، كل تلك الأنشطة الإنسانية الفذة، تصبح هباءً منثوراً وتخطيطاً في الهواء لا معنى حقيقياً لها غير ذات نتيجة إذا لم تكن تهدف إلى تحقيق غايات وأهداف نبيلة، وطنية عليا وسامية، إنها إذا كانت دون المسعى الوطني أو لم يكن فيها هدف وطني ينفع الناس في الوطن، منفعتهم في الدنيا والآخرة، فإن هذه الأعمال أو هذه النشاطات تصبح بلا قيمة حقيقية، فاقدةً لأي أهمية، بما في ذلك الوعظ الديني فالوعظ الديني، المفروض أن يشجِّع الناس ويدفعهم إلى الإحسان لأنّ الله ﷻ يحب المحسنين، أي أصحاب الإحساس الوطني وجوهر الإحسان إحساسٌ وطنيٌ عميق والله أعلم.

على العرب التأسيس لشمولية المعالجة للهموم وللقضايا والمشكلات الوطنية وللمصلحة العربية العليا تأسيسها في نفس كل مواطن حر واعٍ وحضاري ثقافة وعلما هادفاً، لا عشوائيةً ولا مضيّعةً وذلك في جميع أنحاء الأرض العربية وفي العالم، أما المعالجة الإقليمية والقبلية والطائفية والفئوية والفردية فهي غير مجدية ولا تؤدي إلى أي حل إلا إلى تكريس التشتت والضعف والعجز.

القسم الثاني: البربر

يمثل البربر[1] في المغرب العربي في كلٍ من المملكة المغربية و جمهورية الجزائر أنموذجاً مثاليا لصناعة وتحضير وتوضيب الأقليات سياسياً بواسطة المستعمر الأوربي، تلك الصناعة (صناعة الأقليات) التي أبدعها العقل الاستعماري بالاختراع والإيجاد (صناعة اللغة والفلكلور وتكريسها والتشديد عليها) حيث مسألة الأمازيغ[2] في المغرب العربي ككل، لم تكن لتشبه بحال من الأحوال مسألة

---

(١) في إطار الدعوات الاستعمارية الأوربية للإصلاح السياسي في الأراضي العربية قامت بعض المنظمات والجمعيات المأجورة أو المصنّعة والممولة أساساً من قبل تلك الجهات الغربية والإسرائيلية بالدعوة لمؤتمرات وندوات على البطاح العربية في المشرق والمغرب لما يسمى حقوق للأقليات سواء الدينية أو الطائفية أو العرقية (الحقوق التي أريد منها الباطل) وذلك من خلال طرح المشكلات بشكل خاطئ... وبذلك تم الوصول وباستمرار لحلولٍ ورؤى مفروضة وفاشلة؛ ونتائج واهمة خاطئة غير منتجة وغير صحيحة وغير واقعية ولا تقوم بذاتها!. وقد قوبلت هذه الدعوات والمشاريع الحثيثة بانتقادات حادة، لأنها مختلقة أساساً وهي لا تعبر ولم تكن تعبر عن واقع صحيح أو حقيقة حيّة مستمرة أو يمكن أن تستمر، واعتبِرتْ (هذه المشاريع) تكريساً للانقسام وإشعالا للخلافات التي كانت شكليّة أصلا وقد صنعت تصنيعاً، الأمر الذي قد يؤدي في النهاية إلى تمزيق كل دولةٍ عربية إلى عدة دويلات، وتنفيذا للأجندة الغربيّة الأمريكية اليهودية في المنطقة، فهل النبش في قضايا الأقليات وبذل الجهود لخلق شيء من اللاشيء؛ يعتبر من أولويات الإصلاح..أم لزعزعة الاستقرار..أم هي فكرة إسرائيلية الصنع لتفكيك الأمة العربية المحتمل انبعاثها في هذا العصر إلى دويلات كضربة استباقيّة وهل ستنجح تلك المخططات في الجهنميّة في زهق الحق هل سينجح الباطل في فرض شروطه؟

(٢) الأمازيع (البربر) جاؤوا من اليمن! وفيما يلي مقتطفات من كتاب الدكتور عثمان سعدي من الجزائر "الأمازيع عرب عاربة" الصادر عام ١٩٩٦ في الجزائر، وعام ١٩٩٨ في ليبيا. ود. سعدي من قبيلة النمامشة، أكبر قبيلة أمازيغية، وهو يجيد الأمازيغية والعربية، وهو مناضل قديم في جبهة التحرير الوطني الجزائرية، حصل على البكالوريوس من جامعة القاهرة في مصر عبد =

الأقليات التي في المشرق العربي فهي مسألة مضخّمة جداً لأن الكل هناك يتمسك بالإسلام تمسكاً كبيراً والإسلام هناك باللغة السياسيّة أو الاجتماعية يعني (العروبة) لا غير، أو هو عين العروبة، وأكثر ما نجده شائعاً من الأسماء بين المغاربة البربر ذلك الاسم المركب (محمد العربي) تيمناً بالرسول العربي ﷺ في عبارة تربط ببساطة بين الإسلام والعروبة[1] حيث لم تكن تلك القضية (قضيّة الأمازيغ) أو القضية الكرديّة في المشرق العربي موجودةً أو مطروحةً أو ملحوظةً في ما مضى، وذلك قبل قيام فرنسة وبريطانيا باحتلال المنطقة العربية... مستفيدا (الاستعمار) من تردي الأوضاع الإدارية والحضارية في أرجاء الوطن العربي عشية احتلالهم لأجزائه[2].

الناصر عام ١٩٥٦، وعلى الماجستير من جامعة بغداد عام ١٩٧٩، وعلى الدكتوراة من جامعة الجزائر عام ١٩٨٦، وقد عمل فترة في السلك الديبلوماسي في سوريا والعراق ومصر، وهو روائي وناقد أدبي بالإضافة لكونه لغوياً ومفكراً، وهو رئيس "الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية" منذ عام ١٩٩٠، وقد أصدر في الجزائر عام ٢٠٠٧ "معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية" الذي يضم تسعة آلاف مدخل، وقد نشره مجمع اللغة العربية في طرابلس، ليبيا، ويبين فيه أن الأمازيغية البربرية هي لهجة منحدرة من العربية الأم منذ آلاف السنين كالآشورية والبابلية والكنعانية والآرامية وغيرها، ويؤكد أن تسعين في المائة من كلماتها عربية: عاربة أو مستعربة، كما تقول موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت، أما كتاب (الأمازيغ عرب عاربة)، فقد سبقه عام ١٩٨٣ كتاب "عروبة الجزائر عبر التاريخ" الذي يثبت عروبة الجزائر والمغرب العربي منذ التاريخ القديم، كتاب "الأمازيغ عرب عاربة" الذي نقتطف منه أدناه "كتاب يؤكد عروبة الأمازيغ البربر، ويبين أن التشكيك في ذلك هو مناورة للاستعمار الفرنسي الجديد بهدف شق الوحدة الوطنية واستمرار سيطرة الفرنكفونية على الجزائر وبلدان المغرب العربي: تونس الجزائر المغرب، وموريتانيا من خلال هيمنه اللغة الفرنسية على دولها.

(١) ماجد الخطيب، ص ٧، المغرب العربي رؤيا سياسية، توزيع دار الوحدة بيروت ١٩٨٥.

(٢) فقد بات من المؤكد أن منطقة القبائل الجزائرية مرشحة لأن تكوّن إشكالا يزيد المسألة تعقيداً وذلك أنها مرشحة لتصبح ثلاث مناطق مستقلة في إطار تفتيت الجزائر وتقسيمها إلى ثلاث =

ويغيب عن بال أولئك دعاة الانفصال الشرس والمعادين بلا سبب للعروبة، أنّ العروبة صفةٌ ربانيّة أساسيّة فطريّة طبيعيّة للجميع، وأنها كانت مع الخلق الأول ومنذ الأزل وهي في كل زمان ولكل مكان، فهي موجودة ويمكن تلمسها طبيعيّةً مع الهنود الحمر سكان (قارة أمريكا) الأساسيين وأنها وجدت على قمم وأعالي جبال (الأنديز) ومع سكان استراليا الأولين في حياتهم الطبيعيّة وفي المحيط المتجمد الشمالي عند شعب الألسكا وهي موجودة أيضاً في أعالي (الهيملايا) فضلا عن أنحاء الهند وعموم أسيا وأفريقيا، لقد ثبت أخيراً أن سكان (جزيرة مالطة) إنما يتكلمون العربيّة وأنّ قِيمهم وعاداتهم وأخلاقهم عربية، مع أنهم قد فرِض عليهم الكتابة بالأحرف اللاتينيّة! وكذلك صقليا وجنوب ايطاليا وعموم الجزيرة (الأيبيرية) وفي شمال بريطانيا و(ايرلندا) وفي جميع الدول(الاسكندينافية) قد وجدت آثار العروبة وبقاياها؛ وأنّ لديهم جميعاً الألفاظ الأساسيّة العربيّة الأم وكل الثوابت والمتحركات في الطبيعة ألفاظها عربية أساسية وهي من عموم الخلق الرباني.

فأسماء أعضاء جسم الإنسان وأسماء الحيوانات والنباتات وطبوغرافيا الجبال والتلال والسهول والوديان وأسماء القرى والبلدات والمدن والبحار والشواطئ وأسماء الأنهار الأساسيّة والطبيعيِّة كلها عربيّة وذلك (لمن ألقى السمع وهو بصير) وعمل على تحليلها وربطها مع الأساس، وكذلك الجغرافيا والمناخ والفلك، كلها كانت ألفاظاً عربيّة أساسيّة مع بعض التحوير والاختلاف الطفيف، الطبيعي، وأنّ اللاتينيّة و السلتيّة أو الكلتيّة ومن قبلها الإغريقية والفارسيّة والتركيّة وماتفرع عنها

مناطق كيانيّة مستقلة ويسيطر فيها الجيش النظامي على منطقة الساحل والمناطق الداخليّة تكون تحت سيطرة الحركات الإسلامية المسلحة، والكيان القبلي، وفي هذه الحالة فإن الجزائر ستصبح (الجزائر سابقاً) كما هو حال يوغسلافيا اليوم. (صحيفة الهيرالد تريبون) ٢٦\٤\١٩٩٤،عبد الله الحسن الأقليات في الواقع العربي ص ٥٩، مرجع سابق.

من الألمانيّة والإنكليزيّة والفرنسية والإيطاليّة والبرتغاليّة والإسبانيّة واليونانيّة[١] وحتى الصينيّة واليابانيّة والروسيّة وغيرها مع بعد مراحل تحولاتها التاريخيّة،

---

(١) وتوجد أسماء باليمن متطابقة مع أسماء لقبائل بربرية كالأشلوح: اسم قرية وقبيلة باليمن والشلوح تجمع كبير للقبائل البربرية بالمغرب الأقصى والأكنوس، عشيرة من بني مهاجر باليمن، ومكناسة بالمغرب.

ومما يؤكد عروبة البربر، أن المغرب العربي لم يحكم بالخلافتين الأموية والعباسية، فقد أنفصل منذ وفاة عمر بن عبد العزيز وحكم البربر المسلمون أنفسهم بأنفسهم منذ ذلك التاريخ، من خلال أكثر من عشر أسر بربرية حكمت المغرب العربي حتى مجيء الأتراك، ولم يحدث أن قال حاكم واحد من هؤلاء أن المغرب بربري، وأن العربية لغة دخيلة وأن لا بد من ترسيم البربرية أي جعلها لغة رسمية بل عملوا كلهم على نشر العربية وتطويرها، بينما نجد الأتراك والفرس قد حكِموا من الخلافتين الأموية والعباسية أكثر من خمسة قرون، وبمجرد سقوط الخلافة العباسية، عاد الفرس فرساً بلغتهم، والأتراك أتراكاً بلغتهم.

وهل بقاء المغرب عربياً حتى الآن صدفة تاريخية؟ لا توجد صدفة في التاريخ. كما بينا فإن البربرية لم تكن لغة في تاريخها، وإنما كانت دائما لهجة أو لهجات إلى جانب لغة الحضارة والثقافة في شمال أفريقيا، التي كانت اللغة البونيقية. فالمؤرخ الفرنسي أندريه باسي A. Basset، ينشر كتاباً سنة ١٩٢٩ في باريس تحت عنوان "اللغة البربرية" La Langue Berbere يقول فيه: لم تقدم البربرية أبداً لغة حضارة لا في الماضي ولا في الحاضر، كما أنها لم تقدم لغة موحدة موزعة على مجمل البلاد، كما لم يكن لها آداب مكتوبة، أو مدارس تعلم فيها. لقد كانت ولا تزال لغة محلية. لقد فتتت البربرية إلى لهجات متعددة، مجزأة حسب كل قرية، لدرجة أنه لا توجد لهجات للبربرية، ولكن يوجد لها واقع لهجوي. بل إن التفاهم بين جماعة بربرية وأخرى قليل أو معدوم.

كما يقول المؤرخ الفرنسي غوتييه.F. GAUTIER: "ويلاحظ أنه لا يوجد كتاب واحد كتِب بالبربرية، كما أنه لا توجد كتابة حقيقية لها، بل لا توجد لغة بربرية منظمة. (E.F. Gautier: Consideration sur l’Histoire du Maghreb. Revue Africaine. Vol. 68 (1927))

أما عن الحروف التي تمتاز بها البربرية ولا توجد باللغة العربية فإن الكثير منها موجودة بالعربية كالزاي المفخمة التي توجد بالكتابة العربية الجنوبية فحرف X بخط المسند اليمني هو هذه الزاي المفخمة، التي يقول عنها ابن منظور صاحب قاموس لسان العرب: أنه حرف عربي قديم، =

إنما هي لهجات عربيّات تحولت عن اللسان العربي المبين ليس إلا إذن فأن كل الدلائل تشير إلى أن البربر عرب في أصولهم، وأن اللغة البربرية لهجة من لهجات العربية القديمة (أي لما يسمى خطأ باللغة السامية) كل المتخصصين في الدراسات البربرية أثبتوا أن (البربرية) واحدة من اللغات السامية (أي العربية القديمة)، فقد تكون مشتقة من اللغة البونيقية، مثلما يرى صراحة المؤرخ الفرنسي للحضارة العربية (غوستاف لوبون) وكل المكتشفات الأثرية المتعلقة بالنقوش والكتابات القديمة، تبين أن البربر أقرب إلى الحِمْيرِيين من حضارة حِمْير في اليمن إن هجرات عديدة تمت من الجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا، فالهكسوس مثلا شعب هاجر من الجزيرة العربية واستقر في مصر في الفترة مابين ١٧٣٠و ١٥٧٠ قبل الميلاد، وهي من هذه الهجرات السامية التي سجلها التاريخ، فالمؤرخ التونسي عثمان الكعاك يرى: أن البربر قدموا من الجزيرة العربية في زمن لايقل عن ثلاثين قرنا قبل الميلاد وأن الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الإفريقية المغربية، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولما كان البونيقيون عربا من بني كنعان، فقد اختلطوا بالبربر، الذين هم عرب من العاربة القحطانية،ويؤكد المؤرخون أن مدينة سوسة بتونس بناها العرب القادمون من جنوب الجزيرة العربية قبل٤٠٠٠ سنة وأعطوها

حذِف من العربية الحديثة"، ولا تزال البربرية تحتفظ به، وهذا يدل على الأصل العربي للبربرية. (كتاب عروبة البربر، ص ٢٩)

كما أن الكاف المعطشة بالبربرية ليست غريبة عن العربية، فاختلاف نطق الكاف ليس غريباً عن العربية التي تعتبر اللغة الوحيدة بالعالم التي تنطق فيها الكاف بعدة مخارج حروف، وفقاً للهجات العربية، كالكشكشة والشنشنة، وغيرها يقول الأستاذ محمد شفيق: إن البربرية صورة مثبتة مجمدة من لغة قديمة، تفرعت عنها اللغة العربية في وقت ما، وهذا يدعم وحدة اللغتين القديمة (كتاب عروبة البربر، ص ٣٠) وهذه اللغة القديمة التي يشير إليها الأستاذ شفيق، ليست سوى اللغة العربية القديمة، التي أطلق عليها خطأً اسم السامية.

اسم (حضرموت) ويسجل المستشرق الألماني رولسلر التشابه بين الأكادية والبربرية.(O. Rosler: Za, 50 (1952) Orientalia 20 (151) بل أن (محمد كاتي) الذي هو من مدينة (تنبكتو) بمالي، يقول في كتابه (طارق الفتاش)، الذي ترجم إلى الفرنسية في باريس سنة ١٩١٣، يقول في صفحة ٢٥: إن القبائل الساكنة على ضفاف نهر النيجر، حتى المحيط الأطلسي، جاؤوا من اليمن والذي يؤكد ارتباط البربرية بالحميرية أن وزن (أفعول) الذي تشتهر به البربرية، هو وزن حميري اشتهرت به هذه اللغة فقد نشر الباحث اليمني القاضي إسماعيل بن علي الأكوع مقالا بمجلة المجمع العلمي السوري (عدد نيسان ١٩٨٦) تحت عنوان (الأفعول وما جاء على وزنه في اليمن)، كما كتب الأستاذ (مظهر الإيراني) في مقال حول (نقش جبل أم ليلى) وردت فيه ثلاث صيغ على هذا الوزن وهي أسماء لفروع لقبيلة خولان باليمن القديم، وسجلت بالخط المسند وهي: أحنوب أعبوس أحبوس[1] مما يدلل بما لا يدع مجالا للشك أنّ العروبة هي الأم الطبيعيّة للجميع، جميع الناس في العالم، وبالتالي فإنّ من الجهالة بمكان معاداة العروبة أو كراهيتها، لأنّ كراهيته الإنسان، أي إنسان، للعروبة هي بالنتيجة كراهيّة لنفسه وذاته ولمكوناته الطبيعيّة الربانية الأساسيّة، ولأنّ العروبة فعلا مثل الشمس والماء

(١) الدكتور محمد بهجت القبيسي في كتابه القيّم (حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي القديم) دار طلاس ٢٠٠٦ حيث يشير إلى أنّ الحضارات القديمة للعرب كانت الحضارات البشرية الأولى وقد انساحت في العالم، وعدّد في كتابه القيّم أكثر من ثلاث وثلاثين حضارة متعاقبة ومتتالية وأحياناً متزامنة كلها كانت للعرب وكلها كانت قبل الميلاد بزمن بعيد وتوزعت في أنحاء المعمورة، وأنّ أكثر من عشرة من الأباطرة العرب كانوا قد حكموا (روما). راجع كذلك (الموسوعة الكلتيّة) للأستاذ عبد الرحمن غنيم حيث يثبت المؤلف أن الشمال الأوربي (ألمانيا وبريطانيا وجميع الدول الاسكندينافيّة) إنما هو شمال عربي وسكانه الأساسيون كانوا عرباً وقد خرجوا من بلاد الشام حصراً!

والهواء وهي عناصر ضروريّة لكل إنسان في العالم، حتى يحيى حياة طبيعّة، فهي ضرورية للحياة المثاليّة.

ولذلك كان التوقيت الأساسي في كافة أنحاء العالم عربي، وكانت جميع الكائنات في العالم من النباتات والحيوانات والإنسان تعمل وفق الإيقاع العربي، لا تحيد عنه أبداً وذلك على الرغم من كل المحاولات التي جرت وتجري حثيثاً لتصنيع (توقيت) مختلف يوافق أهواءهم غير التوقيت العربي وذلك في مؤتمر الوقت العالمي ١٩٢٨م، عند محاولة بريطانيا صناعة توقيت عالمي وتأريخ عالمي يلزم العالم وقد ألزموا الناس به، ولكن ما الذي حصل لم يستطيعوا ولن يستطيعوا وبالتالي سيبقى (الديك) يصيح في الصباح، وستبقى الطيور والعصافير تأوي إلى أعشاشها ووكناتها في المساء وستبقى الأسماك في البحار والأنهار والأشجار في الغابات، كلهم يسبحون لله وفق الإيقاع العربي والفطرة العربية التي فطر الله سبحانه الكون عليها.

وهي أساساً (العروبة) التي كانت للجميع والتي لم تكن في يومٍ من الأيام في مقابل اللهجة الكردية أو لهجة سكان الجبال أو اللهجة الأمازيغيّة أو لهجة السوس أو لهجة الريفيين أو غيرها من المشكلات العرقيّة والقبليّة[1]، التي أخذت

---

(١) السيد (هورو) صديقي كان طيباً جداً وكريماً، التقيته عام ١٩٨٢ زمن الاجتياح الإسرائيلي للبنان، كنت أنا وهو من (سحب واحد)، كان يعمل كسائق قطار بين حلب والحسكة كان يحمل على ظهره المسألة أو القضيّة الكردية وكنا نلحظ أنها من همومه الأساسية، كان يحاول جاهداً تقديم العون لجماعته وخدمتهم الذين بطبيعة الحال كانوا يصرون وهم بيننا أن يتحدثوا باللغة الكرديّة على الرغم من معرفتهم جميعاً وإتقانهم للغة العربية! كنت في خيمتهم في يومٍ من أيام الصيف الهادئة أحاوره فقلت له: يا سيد (هورو) نحن أصدقاء وأخوة أنا وأنت، فأنت عربي والأكراد كلهم عرب ولا فرق بين عربي وكردي بالأساس وكلنا في الهموم في هذه البلاد على صعيد واحد ونتعرض لنفس الضغوط والمأساة من الظلم والاضطهاد والحرمان، وليس الأكراد وحدهم في البلاد العربية من يتعرض لظلم الظلّام والظروف الصعبة والمعاناة بل العرب أيضاً =

تثار هنا وهناك على بطاح الوطن العربي على أسس عرقية وطائفية، تحت دعاوى (براغماتيّة) مستحدثة الإثنيّة والتعددية على الأسس الطائفيّة والعرقيّة الغرض منها لئيم وشنيع وينطوي على أهدافٍ غير شريفة لتكريس العرقيّة والطائفية لدى الفئات العربية والنفخ في الأوهام وتكثير المسألة والمشكلة الداخلية وإحلالها وتنصيبها محل الأساسية والكلية والحقيقية في حين كان ينبغي العمل على تقريب المسافات بين الأخوة وتذويب أو فك وحل كل العوائق التي تفصل بين الأخوة في وحدة الحال ووحدة المصير

فهل كان صحيحا القول بأنّ لفظ (الأمازيغي) من (الثمزغة) وأنها تعني الرجل الحر! فإذا كان هذا هو معنى الأمازيغي فما هو معنى (العربي) إذاً؟ وهل كانت فرنسة هي موئل ومنهل أصحاب النزعة (الأمازيغيّة) وكان موكّل إليها متابعة الملف الكردي وفيها الأكاديمية الأمازيغية والعديد العديد من المؤسسات ومعاهد الدراسات الأمازيغيّة؟

وكذلك فقد كانت ألمانيا هي المسؤولة عن الملف الكردي وكان الموكل إليها متابعة القضية الكردية في أوربة والعالم بحيث أنشأت في ألمانيا الأكاديمية الكردية والعديد العديد من المؤسسات والمعاهد الكردية مدعومة من بقية الدول الغربية وأمريكا وإسرائيل وقد بدأت العلاقة في نهاية الستينات عندما اشتد الصراع بين

وقبل غيرهم، والعرب والأكراد خلقهم الله سبحانه وتعالى من رحمٍ واحدة وهم تاريخّياً أولاد عمومة وبالتالي فهم يشكلون أمة واحدة فأنت مثلي عربي أيضا فقال : لا! قلت له : إذاً أنا أصبح كرديا فقال : لا يمكنك ذلك وهذا غير ممكن قلت له : هذا عجيب ! لأنني يمكنني وأن أحصل على أية جنسيّة أريدها في العالم وأن أصبح فرنسياً أو إنكليزيّاً أو أمريكياً بالقانون بعد خمس سنوات، ويمكن لأي إنسان في العالم أن يصح عربياً خلال ثوانٍ معدودة بل لمجرد أن يرغب في ذلك! فكيف لا يمكنني أن أصبح كرديّاً؟ فقال : أبداً لا يمكن.. لأنه حتى تكون كرديّاً أو حتى تصبح كردياً يجب أن تكون أمك كرديّة وأبوك كردي!

فقلت له : قضيتك إذاً قضية عنصرية! فقال نعم !

الحكومة العراقية والأكراد فقد ساندت الولايات المتحدة الأكراد بزعامة مصطفى البرزاني ووفرت لهم المال والسلاح بشكل سري وكما نسقت مع حكومة شاه إيران من اجل مساندة الأكراد في قتالهم ضد الحكومة المركزية في العراق والتي كانت تأخذ جانب الاتحاد السوفييتي في الحرب الباردة بين القطبين والحقيقة هي أن الدعم الأمريكي للأكراد العراقيين لم يكن يستند إلى اقتناع الإدارة الأمريكية بعدالة القضية الكردية أو مشروعية مطالب الأكراد وإنما جاء هذا الدعم لتحقيق مصالح أمريكية في العراق وهي إضعاف الحكم العراقي والضغط عليه لإخراجه من تحالفه مع الاتحاد السوفييتي والاستجابة للتوجهات الأمريكية - الإيرانية هو ما كان بتوقيع اتفاقية الجزائر مارس عام ١٩٧٥ حيث تنازل العراق عن شط العرب لإيران وأقر العراق بنوداً سياسية غير معلنة مقابل تخلي إيران وأمريكا عن دعم المقاتلين الأكراد، غير أن أمريكاً ظلت تستخدم ورقة الأكراد كورقة ضغط وسلاح ذي حدين (الثواب والعقاب) في تعاملها مع العراق وتركيا بشكل خاص وفي هذا السياق تستخدم الإدارة الأمريكية المتعاقبة المال لكسب ولاء الأكراد حتى تمدها بالمعلومات الاستخباراتيه وإقامة شبكات الاتصال لمواجهة أية تحركات عراقية حكومية من جهة ولنيل ثقة الأكراد من جهة أخرى.

والأخطر من ذلك عندما أكد وزير الخارجية الأمريكي في رسالة للأكراد من أنهم الحلفاء في الحملة الأمريكية المقبلة لمكافحة الإرهاب على العالم وكانت إشارة واضحة في تقسيم العراق والبحث عن كرزاي عراقي يحكم العراق، إن لجوء أمريكا إلى ترسيم خارطة دويلة كردية في المثلث الخطر المشرف على الشام و إيران و بغداد سوف يسمح حتما بتصدير القلاقل عن طريق إثارة الجيوب الكردية التي ربما ستتعاطف مع إعلان الدولة الكردية في هذه المناطق علما بأن عدد الأكراد في العراق لا يتجاوز مليون كردي، وهم أقلية مقارنة مع أكراد تركيا الذي يبلغ ٣.٨ مليون ويعتبر حزب العمال الكردستاني في تركيا أن بريطانيا

وأمريكا تناوبتا على صنع الخديعة الكردية الكبرى بإقناع الأكراد بأن شمال العراق حصراً هو مركز تاريخي صالح لإقامة دولة كردية لإنهاء معاناتهم المعاصرة، وتعتبر أمريكا وبريطانيا وتركيا أن نضال حزب العمال الكردستاني بمثابة إرهاب منظم في حين تتعامل مع مسعود البرزاني وجلال الطالباني في شمال العراق و كأنها بعض الفصول المشرّفة في النضال من أجل الحرية وتحقيق المصير للأكراد في شمال العراق، ويتجه الحلف الأمريكي الجديد إلى إحاطة حوض النفط الأضخم في العالم (قزوين والخليج بذراع استراتيجية في الشمال تضم تركيا ودولة كردية في شمال العراق وثم اوزبكستان وتركمانستان وهي دول موالية لأمريكا وتشكل حربه في عمق آسيا الوسطى تسمح لأمريكا أن تسيطر على حقول النفط الشمالية من كركوك والموصل وحتى بحر قزوين، وكما تسمح لها بالسيطرة على شبكة الأنابيب التي امتدت مؤخراً من تركمانستان وكازاخستان عبر تركيا والبحر الموسط. ٢- الذراع الثاني: في الجنوب وتضم اسرئيل الأردن وجنوب العراق وهذه المنطقة المتصلة جغرافياً تسمح بالسيطرة على نفط الخليج، كما أنها تفسح في المجال لتأمين الحركة اللوجستية للقوات البرية بحيث تتصل القوات الأمريكية في الخليج بمستودعات الأسلحة في إسرائيل وجنوب العراق المحتل و بذلك اعتقدت أمريكا أنها أحكمت كماشتها الاستراتيجية في الاتجاهين وحاصرت أي محور إقليمي مناوئ لمصالحها.

إنهم يعملون الآن على تحقيق وانجاز الوحدة الأوربيّة على الرغم من الاختلاف الكبير بين الشعوب الأوربيّة، بينما يعملون على تمزيق كيان العرب الذي من المفروض أن يكون واحداً، وهم طبعاً لو كان العرب، جيوشهم هي التي تحاصر أوربا وأمريكا، لما صارت هذه الأقليات تطالب مع من يحرِّضها بالانفصال، بل لربما كانت تطالب بالعكس من ذلك!

في حين أنّ العروبة هي الحقيقة الربانية الأساسية وهي البيان المبين قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾الشعراء. وهي ضد العجمة وعدم الوضوح، والعروبة ليست عرقيّة ولا قبائليّة وهي لم تكن كذلك، بل كونها الله سبحانه وتعالى وأنزلها للناس جميعاً وتنزّلت عبر آلاف السنين، وهي مختلفةٌ تماما عن (المشكلات) الوجوديّة الاختيارية أو المزاجيّة و الأحوال المؤقتة المصنعة على مقاسات خاصة، المفتعلة، غير الثابتة التي يمكن أو تتكون لدى البعض في بعض الأحيان؛ نتيجة المصالح والرؤى البشريّة المحضة، فالعروبة ليست (فلكلوراً) ولا هي مجرد عادات وتقاليد، كذلك فهي ليست مجرد لغة خاصة بقواعد مخترعة يلغو بها البعض هنا وهناك وفيها هذه اللغات من الأسرار (المسرسرة) وتستخدم بينيّة و(تقيّة) أو مؤامرة على الآخرين إذ يبلغ عدد المسلمين في فرنسة اليوم أكثر من ستة عشر مليون نسمة بين حاصل على الجنسيّة الفرنسية وغير حاصل عليها و(بحسب حديث الرئيس السابق للجالية الإسلامية في فرنسة ـ إذاعة لندن، برنامج خاص عن الأحداث التي جرت في باريس (إحراق السيارات ٢٠٠٥ م) فقال إن أكثرهم من العرب وهم جميعاً، ليس لهم أي اعتبار في سياسة فرنسة الداخليّة، والحكومة الفرنسية لا تقيم لهم أي وزن، ولا تحسب لهم أي حساب، وليس لهم أي أثر، ولا أي أهميّة في الحياة الفرنسية.

بل وعلى العكس من ذلك تماما فإن الحكومة الفرنسية تتحكم بالجالية العربية المقيمة على أطراف وضاحية مدينة باريس وفي ضواحي المدن الفرنسية الأخرى وتزدريها في ظروفٍ سيئة ومعاملة رديئة وتعتبرهم مواطنين من الدرجة الثانية وليس لهم حقوق المواطن الفرنسي فلا يوجد لهم ممثل يمثلهم في البرلمان الفرنسي، وليس لهم أصوات في الانتخابات، وهم ممنوعٌ عليهم دخول الوظائف في الحكومة الفرنسية خصوصاً إذا كانت من الدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة فقط لكونه عربياً مسلماً وذلك على الرغم من حصول الأكثرية منهم على الجنسية الفرنسية ومع ذلك تبقى لهم

معاملة خاصة والسلطات الفرنسية تضع الجالية العربية دائما تحت السيطرة وتخضعها دائما لقوانين خاصة بحيث تنكل بأفراد الجالية العربية والإسلامية، وكل واحد منهم معرض دائما أو هو مهدد بالسجن أو بالطرد؛ تحت ذريعة التخوّف من الإرهاب، والحذر من الأعمال الإرهابية المفتعلة.

بينما يبلغ عدد اليهود في فرنسة أقل من أربعمائة ألف يهودي، ولفظة يهودي باللغة الفرنسية لا تزال تعني ما تعنيه من الدلالة على المراوغة والمكر والخديعة! ولا تزال لفظة يهودي في الفرنسية بالنسبة للفرنسي، تحمل معنى القذارة والإهانة والاحتقار! ولكن القرار الفرنسي في النهاية بمجموعه، القرار السياسي، والقرار الاقتصادي والإعلامي كله في يد اليهود واليهود في فرنسة يتحكمون بكل مناحي الحياة الفرنسيّة والنشاطات، وطائفتهم هي الطائفة الذكية، وتراعى مصالحها ومشاعرها وتحترم إلى أقصى الحدود وهي (أي السياسة الفرنسية) دائما تصبّ في صالحهم! فكيف يهمّش ستة عشر مليوناً من المسلمين أكثرهم من العرب ويصبح القرار الفرنسي بمجموعه بيد اليهود وعددهم أقل من أربعمائة ألف؟ هذه المعادلة ذاتها تتكرر في معظم الدول الأوربية! إنكلترا وإيطاليا وإسبانيا والدول الإسكندنافية وألمانيا وأمريكا (الشمالية والجنوبية) وأستراليا، وفي جميع الدول تتكرر المأساة نفسها بالنسبة للجاليات العربية الإسلامية؛ فما هو السبب! ويضيف المتحدث برأيه الهام جداً حول هذا الموضوع فيقول: (إن اليهود في فرنسة يمارسون نشاطهم اليومي في مختلف المجالات وهم فرنسيون تماماً ولا يستطيع أحدٌ تمييزهم عن غيرهم من الفرنسيين، لا في مأكل ولا في مشرب ولا في لباس ولا في حديث ولا في العادات والتقاليد ولا في رأي وهم بذلك فرنسيون مئة بالمائة في العمل وفي الشارع وفي الطريق وفي المدرسة وفي النادي وفي جميع الأماكن خارج البيت فهم في مظهرهم فرنسيون ولا يبدون شيئاً ينافي ذلك أبداً ولكنهم إذا دخلوا إلى بيوتهم مجرد دخولهم إلى البيت، فإن اليهودي ينقلب إلى

يهوديته رأساً على عقب ينقلب ١٨٠ درجة كل شيء في بيت اليهودي يصبح يهودياً الطعام والشراب واللباس والحديث والعادات والتقاليد، والآراء، كل شيء يصبح يهودياً صميمياً وفق تعاليم التلمود والحاخام خصوصاً تربية الأولاد والعلاقة الأسرية والعائلية.

واليهودي لايمكن أن يتزوج إِلا يهودية أبداً واليهودية تتزوج يهودياً حتماً ويمكن أن تتزوج من غير اليهود إذا ضمِنتْ تهويد الزوج والأولاد؛ أو لغاية كان فيها مصلحة لليهودية العالمية واللغة البينية بينهم تصبح العبريِّة وهم لا يرون على شاشات التلفزيون في حياتهم الداخلية إِلا القنوات اليهودية الخاصة ولا يسمعون حتى في الأغاني والموسيقا إِلا ليهود، ولا يقرؤون إِلا كتباً خاصة بهم وبالعبرية ولا يستعملون كل تلك الأجهزة الحديثة أو الألعاب أو المجلات أو الجرائد أو الأطعمة أو ألعاب الأطفال غير الهادفة لهم ولا يدخلون كل هذه الأشياء إلى بيوتهم أبداً مع أنهم كيهود يمكن أن يكونوا أصحاب معاملها وفباركها ولكنهم يعلِّمون أولادهم أن هذه الأشياء إنما هي صنعت وعملت لغير اليهود؛ وبالتالي فيحرم على اليهود التعامل معها بتاتاً؛ والعرف اليهودي يقول: المهم أن يكون اليهودي يهودياً في البيت، وبعد ذلك فلا مشكلة عندهم إذا كان اليهودي خارج البيت أي شيء آخر، فرنسياً أم إنكليزياً أم أمريكياً! على أن يكون كل سلوكه في النهاية خدمة لليهود، لكن خارج البيت فقط؟ ويضيف المتحدث قائلاً: بينما تجد العرب المسلمين في فرنسة على العكس من ذلك تماما فهم في خارج بيوتهم يعملون على إظهار المظاهر العربية والخصائص العربية ففي اللباس يتميزون باللباس العربي وفي المأكل يبحثون عن المطعم العربي، والطعام العربي وفي الحديث فإنهم يحاولون أمام الفرنسيين التحدث باللغة العربية ويحاولون استعراض العضلات في إبراز العادات والتقاليد العربية والعبادات الإسلامية خصوصاً في رمضان، بما فيها الحجاب وقراءة القرآن الكريم، جميع العبادات الإسلامية،

يمارسها العرب في الشارع الفرنسي الممارسات الخارجية، يمارسها العرب في فرنسة على الطريقة العربية وفقط من أجل استعراض العضلات والإغاظة للآخرين والمماحكة، ولكنهم أي العرب إذا دخلوا إلى بيوتهم أصبحوا فرنسيين أكثر من الفرنسيين وانقلبوا في حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى فرنسيين أكثر من الفرنسيين أنفسهم؛ يتحدثون مع زوجاتهم وأولادهم وأصدقائهم من العرب باللغة الفرنسية؛ يلبسون ونساؤهم وأولادهم الأزياء الفرنسية؛ بل ويرسلونها إلى بلدانهم العربية بما فيها الكرافة والستيان والعطور والبارفانات والمكياجات الفرنسية ويأكلون الطعام الفرنسي وعلى الطريقة الفرنسية وبالقواعد الفرنسية ويشربون المشاريب الكحولية الفرنسية ووفق الأصول الفرنسية ويعيِّدون وفق الأعياد الفرنسية الدينية والوطنية ويشترون شجرة الميلاد ويعملون بابا نويل وهم يضحكون على الطريقة الفرنسية، عاداتهم وتقاليدهم كلها فرنسية.

وهم يحمِّلون أولادهم العادات الفرنسية والتقاليد الفرنسية والثقافة الفرنسية والآراء الصليبية المهودة ليصبحوا في المستقبل يهوداً أكثر من اليهود، وإضافة إلى ذلك، فإن العرب في فرنسة يفتقدون إلى الحد الأدنى من التضامن، أو وحدة الهدف، فهم لا رابط حقيقياً يربطهم ولا يوجد لديهم هدف مشترك، إلا جمعيات مفككة غير هادفة ولا تملك القرار ولا يخضع لها الناس بل شكلت فقط بمعرفة السلطات على الأغلب وهي مخترقة قامت أساساً لتكريس الوضع القائم لدى المسلمين العرب وليس لتطويره أو تغييره وهي لا تعمل لمصلحة العرب المسلمين فعلاً إذ كيف تعمل هذه الجمعيات لمصلحة العرب، والعرب أنفسهم لا يدركون ماهية مصلحتهم من هم وماذا يريدون وأنت تجد العربي هناك، وحده لا همّ له إلا تحقيق أهدافه الخاصة ومنفعته القريبة الخاصة وهو على الأغلب، غير معني بأمر العرب والمسلمين إنه منتمٍ إلى الواقع انتماءً كلياً وقد اتخذ قراراً نفسياً، وموضوعياً وعملياً في حياته لا رجعة فيه ألا وهو الانخراط في

البوتقة الفرنسية، فهل عرفتم أيها السادة الفرق الكبير بين الكتلة العربية الإسلامية وبين اليهود، والسبب الذي يجعل اليهود يمسكون القرار الفرنسي والأوربي، بينما العرب على كثرتهم يعانون في أوربة وفي أمريكا معاناة مزمنة، فأين اللوبي العربي سأل هذا السؤال وأنهى البرنامج! ولا يجوز مطلقاً وضع العروبة والتي هي حقٌ مبين في مقابل المشكلات الشعوبيات الكرديّة والأمازيغيّة والأرمنية والشركسيّة والتركيّة والصربيّة أو حتى الإنكليزية والفرنسيّة ولايجوز أبداً حتى المقارنة أوالمقابلة بين العروبة وبين الشعوبيّات والطوائف وكيف نقارن بين ما هو طبيعي وبين ما هو مصنّع؟ بينما يقوم وحده وبين ما يحتاج دائما وباستمرار لما يقيمه ويقوِّمه؟ قال تعالى: ﴿ **هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١** ﴾ لقمان، إنّ هذا كله لا يعني أننا نحن العرب (العروبيون) ضد المطالبة بالحريّة لكل كائن حي على سطح الكرة الأرضيّة، وأنّ من حق كل كائن حي ولد في هذه الدنيا (من القرب) أن يحيا الحياة الحرة الكريمة، أن يأخذ جميع حقوقه ويتاح له دون أية عوائق تحقيق كل أمانيه وأن يحقق كل أبعاده الحضاريّة وأن يخوض الصراع ليكون الأول في جميع الميادين وعلى كل الأصعدة وأن يحاول فعل المستحيل، وأن يأخذ كل حقه بعد أن يسدد جميع واجباته.

عروبة البربر

ولكن من الذي عمل على تجريف الحقيقة وتبديلها؟ على عكس ما يوحيه البعض، فإن تعبير (بربر) غير تعبير (البرابرة) الذي كان يستخدمه الرومان لوصف غير الرومان، والذي بات يعني الهمجية والتخلف عن ركب الحضارة أما تعبير بربر فشيء أخر مختلف تماما أصله غير معروف، وهو يستخدم لوصف الأمازيغ السكان الأصليين للمغرب العربي، ذوي الأصول اليمنية كما تدل المراجع التاريخية وكما يوثق د. عثمان السعدي.

نقدم هذه المادة في سياق التأكيد على عروبة كل الأرض العربية، وعلى حقيقة الوجود القومي العربي، من العراق وبلاد الشام إلى مصر والسودان إلى بلدان المغرب العربي، فثمة مؤامرة اليوم لوصف الوجود العربي خارج الجزيرة العربية كاحتلال، ولاختراع هويات محلية أصيلة مناهضة للعروبة، وسابقة لها، على ما زعموا، في كل الأقطار العربية خارج الجزيرة العربية وإذ نقدم هنا صفحات موثقة من عروبة البربر (الأمازيغ) القديمة فلأن التاريخ القديم للمغرب العربي يتعرض للتشكيك والطعن بعروبته أكثر من غيره، أكثر من العراق وسوريا الكبرى مثلاً، وأكثر من مصر والسودان والمستشرقون الغربيون حرصوا على اختراع أصول أوروبية للأمازيع (البربر) كجزء من مشروع شطب هوية الوطن العربي القومية والحضارية ففي موسوعة ويكيبديا على الإنترنت مثلا تجد بالإنكليزية تحت مدخل بربر تعريفاً يقول أنهم قومٌ أقرب للأوروبيين منهم للساميين والعرب وهو الأمر الذي يهدف لسلخ المغرب العربي الكبير عن أمته، فإذا أثبتنا أن الأمازيع (البربر) عربٌ أقحاح، فإن إثبات عروبة الباقي، من مصر للعراق لسوريا للسودان لأريتيريا (التي يأتي ذكرها هنا) يصبح أمراً أسهل منالا ونشجع كل عروبي أصيل أن يبحث عن المواد التي تثبت عروبة القطر

أو المنطقة التي يأتي منها، من البحرين إلى المغرب وأن ينشر هذه المواد على أوسع نطاق ولو كان الأمر يتعلق بشجرة عائلته أو تاريخ عشيرته أو قريته، وقد ظن بعض الإسلاميين عن حسن نية ربما أن من الأفضل شطب التاريخ العربي قبل الإسلام، باعتباره تاريخاً جاهلياً، فاعتبر أن التاريخ يبدأ مع الإسلام فقط، وهي النزعة التي شجع على انتشارها عن سوء نية بعض الشعوبيين أيضاً من مدعي الإسلام المعادين للعرب لكن هذا المنطق السطحي الذي يتجاهل دور العروبة والعرب واللغة العربية في الانتشار السريع للإسلام في أرجاء الوطن العربي وخارجه وفي جعل العرب مادة الإسلام وفي جعل العربية لغة الإسلام وفي جعل معركة القادسية امتداداً لذي قار، وفي جعل معركة بلاط الشهداء وفتح الأندلس امتداداً منطقياً لتطويق البطل العربي هنيبعل للإمبراطورية الرومانية عبر جبال الألب السويسرية، هذا المنطق السطحي الذي يفصل تاريخ العروبة قبل الإسلام بشكل تعسفي عن تاريخ العروبة بعد الإسلام هو بالضبط ما يجعل بعض الأفاقين والمغرضين اليوم يعتبرون الفتح الإسلامي احتلالاً، لا تحريراً من الفرس والروم وتوحيداً للأمة يقدم الأستاذ عثمان السعدي خلاصةً جميلة عن تأثير الفينيقيين بالبربر، فتظن للحظة أنه يربط عروبة البربر بتأثرهم بالفينيقيين قبل حوالي ألفي عام، ليعود بعدها ليقدم الدلائل على عروبتهم وعروبة لغتهم منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، مما يفسر لم تفاهم الأمازيع مع الفينيقيين وتحاربوا مع الرومان، ولو كانوا من أصول أوروبية، كما يزعم المستشرقون كان يفترض أن يحدث العكس تماماً!

باختصار الأمازيغ جاؤوا من اليمن، قبل ثلاثة آلاف عام، ولغتهم ترتبط مع اللغة العربية القديمة بوشائج متينة تلك هي الخلاصة لمن لايرغب الخوض بالتفاصيل. فهذا الوطن وطنٌ واحدٌ منذ آلاف السنين، وهو الوطن العربي، موطن الأمة العربية والتوحيد نزعة عربية أصيلة فالإسلام ازدهر في هذه

الأرض لأنها تهيأت تدريجياً لاحتضانه قبل قرونٍ من المولد النبوي، كما يوضح الأستاذ ميشيل عفلق في (ذكرى الرسول العربي) أما المسيحيون العرب، فيظهر د. عثمان السعدي أنهم كانوا في المغرب العربي ذوي نزعات إسلامية توحيدية معادية للرومان منذ ما قبل الإسلام، وهي القصة نفسها التي نجدها عند مسيحيي بلاد الشام والعراق ومصر. من مقال للأستاذ عثمان السعدي (الأمازيغ عرب عاربة ج٤).

أساساً البربر قدموا من اليمن والجزيرة العربية ودليلنا على ذلك هو تسمية المنطقة بـ(المغرب) فهي مغرب العرب، في مقابل (المشرق) مشرق العرب، وقد أطلق سكان وادي النيل من العرب القدماء (الهيك سوس) و(العموريين) وكذلك سكان شواطئ المتوسط القدماء من العرب من (بني كنعان) و(الكلبيين) كانوا قد أطلقوا على هذه البلاد: بلاد المغرب العربي (أمانتي) أي عروس المغرب، وذلك من الأمنيّة، وسماها اليونانيون كما القدماء من الرومان (بالهيسبيريا) أي المغرب فوصفوها بنفس الوصف العربي مع أنها بالنسبة لهم ليست في المغرب... ولذا فالعرب أولا هم الذين أطلقوا على تلك البلاد اسم (المغرب) فهي بالنسبة لهم فعلا تقع في مغربهم أو في مغرب شمسهم! وقد عرف (البربر) بهذا الاسم من لدن الرومان (اللاتين) و(هنالك عشرة أباطرة عرب حكموا روما وربما كانت اللغة اللاتينيّة أساساً عبارة عن لهجة عربية قديمة) وكان الرومان ينظرون إلى (إفريقيا) كبراري وأدغال وغابات (بريّة) وإلى سكانها على أنهم (بربر) على اعتبارهم ساكني تلك البراري؛ وقبل ذلك عند العرب الكنعانيين الذين أسسوا (قرطاجة) وباقي المدن والبلدات والقرى المغاربيّة، فإنّ العرب الذين سكنوا تلك البقاع ونظرا لاختلاف البيئة (الأرض والمناخ) مما أدى إلى اختلاف الألسن والألوان عند سكان (المغرب العربي) فاكتسبت ألسنتهم، بالإضافة إلى سكناهم – البريّة – السرعة في الكلام، ووْصِفوا بالبربر؛ أو لأنهم كانوا يمثلون بالنسبة ـ لمن استوطنوا شواطئ نهر النيل ـ القبائل الرحل الذين

يسيرون من محل لآخر، وقد تركت (قرطاجة) الكنعانيّة أثراً بالغاً في المحيط البربري، إذ إنه على الرغم من احتفاظ البربر بلهجتهم كلغة خطاب بينيّة واسعة الانتشار في شمال إفريقيا (وهي أنواع كثيرة ومختلفة وتنقسم إلى قبائلية وحضريّة) ومع ذلك فقد اكتسبت اللهجة العربية الشرقية (الفينيقية) الكنعانيّة الأساس وضعيّة مميزة في شمال إفريقيا كلغة ثقافيّة وحضارية، بحيث لم يستطع التواجد الروماني الطويل نسبيّاً ذو اللهجة اللاتينية أن يفرضها في تلك البقاع أو أن يغيِّر كثيرا من وضع هذه (اللهجة) العربية الأمازيغيّة الضاربة في القدم، التي قاومت نفوذ (اللاتينية) الآتية من الشمال السكوني الجامد عهوداً طويلة إلى أن دخل العرب الفاتحون إلى هذه البلاد ذات الطبيعة العربية ليخلِصوها مما شابها من العجمة وليعيدوا تعريبها (جعلها مبينة) على نطاق واسع.

وقد خضع (المغرب العربي) للفتح الإسلامي مثل باقي الأقاليم العربية الأخرى وأفاد من الزحف العربي، فاستمر الاندماج بين قبائلٍ من العرب الفاتحين وقبائل من العرب البربر، وأنشئت جامعة القرويين بفاس وجامع الزيتونة بتونس والكتاتيب الكثيرة وسارت القوافل من أرجاء المغرب ووجدت رحلات علمية منه إلى المشرق فكان التعريب شاملا وانتشرت العربية في الحواضر وأقل من ذلك في جبال (أطلس) وشواطئ موريتانيا[1] والسانيغال[1]

---

(١) لقد ساهمت (فرنسة) إلى أبعد الحدود بدايةً في تأسيس الكيان الموريتاني برئاسة (مختار ولد دادا) والذي كانت دولة (المغرب) ترى فيه مجرد امتداد لأراضيها التي فككها الاستعمار، وقد تركت فرنسة (موريتانيا) في ظروفٍ داخليّة معقدة، والاقتصادٍ منها، يصعب على الموريتانيين التغلب عليها، وبقيت كل الأمور الصغيرة والكبيرة بيد العسكر الذين تلقوا تكوينهم العسكري في فرنسة؛ ودائما كانت الرواتب العليا حكراً على خريجي المعاهد الفرنسيّة وعلى حملة الثقافة واللغة الفرنسيّة، وهم الذين استمروا في إدارة لعبة الحكم واقتسام السلطات والمصالح إلى اليوم، شأن العديد من دول المغرب العربي التي باتت تغمره الطوابع (الفرانكفونيّة) المشهد المدعوم عموما من قبل فرنسة طبعاً.

وفي الجنوب في بطن الصحراء العربيّة بين الطوارق (البداة من الأمازيغ العرب في الصحراء العربية الكبرى) من سرير نهر النيل والواحات إلى شواطئ المحيط الأطلسي، وقد شهِدت مسيرة التعريب (حديثاً) وعقب مرحلة الاستعمار الفرنسي الذي اشتغل طوال عهده على محاولةِ فرْنسةِ المغرب العربي وطمس هويته العربية، كما عمل فترة حكمه، على إحياء (اللهجات الأمازيغيّة) وشجّع الحركات الانفصالية في المغرب العربي[2] قال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾** ﴾ الأنعام

لكنّ الطرح الخاطئ والبداية غير الصحيحة (لقضيّة التعريب في بلاد المغرب العربي وخصوصاً في الجزائر) بما فيه من اتباع مقصود لأساليب متخلفة وطرق سقيمة غير مجدية، أخذت توصل وقد أوصلت مسألة التعريب في المغرب إلى نتائج قد تكون كارثيّة وخيمة، بل ومعاكسة تماما للأهداف التي كانت أساساً مرجوةً من سياسة التعريب، بحيث أجهضت مشروع التعريب وبددت كل

---

(١) وكذلك دولة (السنغال) الذي كان عربياً إسلاميا فقامت فرنسة إبان احتلاله بشل التوجه العربي الإسلامي الذي كان سائداً فيه وعملت على فرنسته، وكبحت فيه كل توجهٍ إلى العروبة والإسلام، وقد قام بتلك المهمة الرئيس السنيكالي (إيكور سنكور) الذي كان قد أخلص لفرنسة إخلاصاً عجيباً حتى أنه في النهاية اعتبر نفسه مواطناً فرنسياً وتزوج من فرنسيّة شقراء ومات ودفن في فرنسة، ويقال أنه كان نادما على ما فعل!

(٢) لاشك أن المواجهة التي تخوضها الأمة العربية بكل شعوبها أمام تحديات هذا العصر تضعها الآن بين أن تكون أو أن لاتكون ولئن كانت سمات ومعالم (التعريب) قد أخذت تظهر في الجزائر منذ سنة ١٩٦٨ عندما تقرر إبعاد أي موظف أو عامل لايعرف العربية، فإن المزيد من التعريب وتحفيظ القرآن الكريم، ونشر العدد الكافي من المدارس لتعليم اللغة العربية ومدارس إعداد المعلمين لهذه اللغة بمناهج وطرق تربوية سليمة لايزال مطلوباً بعد أن أخذت الميادين والطرق والشوارع تحمل أسماءها العربية، وبعد أن ترجمت أكثر لافتات المتاجر إلى العربية.

الآمال فيه، فهل كان ذلك مقصوداً؟ هل كانت فرنسة وعملاؤها طوال تلك الفترة وراء تعقيد المسائل وضياع وتبديد الجهود وإجهاض عملية التعريب؟[١]

لقد مرت جهود التعريب الحديثة بمرحلتين بارزتين بدأت أولاهما بانتشار الإسلام نتيجة لقدوم القبائل العربية الجديدة في الفتوحات الإسلاميّة، والتي جددت العروبة لدى القبائل من العرب القدماء من البربر،[٢]وقد دخل البربر في الإسلام وأسهموا في الجهاد وانتشار الإسلام، وخصوصاً في فتح الأندلس أيام (موسى بن نصير) و(طارق بن زياد) وهم من العرب البربر، هذا وقد رافق الإسلام توسع في تعلم العربية الفصحى لتدبّر قراءة القرآن، وكان نظام (الولاء) يوفر للأفراد وللجماعات مجال انتساب إلى القبائل العربية القادمة حديثاً من الشرق فكان ذلك بداية توحيد العرب شرقاً وغرباً، وكان لنفوذ العرب المجتمعين في شمال القارة العربية (إفريقيا) من الشرق والغرب إبان الفتوحات الإسلاميّة واختلاطهم هناك وتجانسهم وتكوينهم للثقافة العربية الإسلاميّة الفذة لـ(السبيكة العربية الإسلامية) ولاحترامهم جميعاً للسان العربي المبين (القرآن الكريم) دور واضح في تعريب جماعات من البربر وصهرهم في البوتقة العربيّة.

---

(١) لقد كانت سياسة التعريب التي عملت عليها الجزائر وسارت على دروبها الدول المغاربية خاطئةً، وقد مشت بأوعر طريقٍ للتعريب وكان لديها الاستعداد للبذل على درب " الجلجلة " غير المجدي على الإطلاق. محمد عابد الجابري، حفريات من الذاكرة، مركز دراسة الوحدة العربية ٢٠٠٤ص ٢٣٥.

(٢) وهذا الكلام ليس من قبيل التخمين، فهناك ما يرجحه ويدعمه بالاعتماد على ما تقوله قبائل الطوارق عن نفسها، من كونها قبائل مهاجرة ذات أصول شرقية إذ هي فروع منحدرة بالأساس من صنهاجة ولمطة وهوارةوهذه القبائل كانت موجودة كما يذكر مراحل (كذا في النص) والراجح أن صنهاجة ولمطة قد امتدتا إلى الجنوب عبر تشاد والنيجر، بدليل وجود كثير من الأسماء والكلمات ذات الأصل الحميري على خط السير هذا.

والمدهش حقاً أن تجد الآن في بلاد المغرب العربي العديد من القبائل والعشائر ذات الأصل العربي الواضح والحديث من (بني هلال) مثلاً وقد (تأمزغت) أو أصبحت من الأمازيغ، وأنّ قبائل عديدة من (الأمازيغ) تفاخر بأنها عربية المحتد[1].

وقد كان انتشار اللسان العربي المبين (التعريب) وأصبح أرسخ قدما حول المراكز في المدن والبلدات والقرى الحواضر، وبتأثير الجماعات العربية (الحديثة) خاصةً في المدن الساحلية، ولا يعني ذلك أن الهجرات العربية الحديثة من الشرق كانت من الكثافة بحيث تؤثر ديموجرافيّاً في التركيب العربي الفطري الأساسي للسكان الأقدم، بل يعود انتشار العربية الفصحى في القرون الأولى للهجرة ولاتخاذ البربر (العرب القدماء) ثقافة (العرب الأحدث ـ الفاتحين) وأبرز عناصرها الإسلام ثم العربية ـ اللسان المبين وحتى القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) كان للتجار وللمراكز التجارية أثر محدود في نشر (العربية الفصحى) في منطقة القبائل (العرب الأقدم) بينما كان انتشار العربية في المدن شاملا عن طريق أعمال الفتوحات ونشاطات الأسواق والقوافل والحجيج[2].

---

(١) أما من الناحية السياسية فأنا اعتقد أن كل من يوظف "الأمازيغية " في الصراع السياسي بالمغرب العربي فهو يضع نفسه موضع الأقلية، في حين أنّ المغرب كله تقريبا أمازيغي، وحتّى القبائل المعربة في (الشاوية) و (دكالة) و (عبدة) هي قبائل أمازيغية) محمد عابد الجابري ـ حفريات من الذاكرة مرجع سابق.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ وقال أيضاً أنها (أم القرى) وكذلك فقد أسماها (البيت العتيق)، ثم يتمطى باحث كردي ليكتب تاريخ الأكراد فيقول إن قرية (جارمو) القريبة من جمجمال هي أقدم قرية ثم يقول وتشير التوراة؟ أنظر كيف تتم صناعة وتلفيق التاريخ وتم لهم توظيف التاريخ لحسابهم، ومن هو الذي يقول لهم لا؟ كذلك يقول الإعلام (أكذب اكذب حتى تصدق)، وهكذا طمسوا لهم الحقيقة التي تقول أن الناس ـ جميع الناس ـ من سكن هذه الأرض العربية عليه أن ينتسب إلى العروبة بدون قيد أو شرط وليس =

وبعد إخماد الثورات التي قام بها (العرب الأقدم من البربر) ضد الفاتحين من العرب الأحدث (المسلمين أو حاملي رسالة الإسلام والقادمين من الشرق) في نهاية القرن الأول الهجري، فقد أصبحت حركاتهم تدور في فلك الخلافات (الداخلية) مع إدارة البلاد وحول مدى التزامها بالإسلام، وقد انفجرت ثورة البربر (العرب الأقدم) ضد سياسة الوالي عبيد الله بن الحجاب من عرب الشرق الذي حاول عامله على طنجه (تخميس البربر أو استراقاق الخمس) باعتبارهم فيئاً للمسلمين! كون بلادهم بدايةً قد فتحت حرباً، وهذا ما أورده وفد البربر إلى دمشق على لسان قائدهم (ميسرة) وهو عربي بطبيعة الحال وكان قد عدد المظالم وختم حديثه قائلا: فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ولما لم يجدوا أذنا صاغية في حاضرة الأمويين آنذاك واصلوا ثورتهم في عام١٢١هـ/ ٧٣٩م[1] هذا وإنّ لفظ (مسلمون) هنا في المغرب يعني (عرب)...

هنالك من طريقٍ آخر، فهل سينجحوا في إيجاد شيءٍ من اللاشيء!

(١) ويبدو أن الإسلام كان قد عمّ المغرب في القرن ٢هـ/ ٨م فقد كتب عبد الرحمن بن حبيب إلى المنصور العباسي (أن أفريقيه اليوم إسلامية كلها وقد انقطع السبى منها).وما أن أهلّ عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م حتى كانت المرحلة الثانية من مراحل إعادة تعريب المغرب العربي قد أذنت بالبدء، فقد قرر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله تأديب قائده (المعز بن باديس) الذي استقل بحكم أفريقية وحوّل ولاءه إلى الخليفة العباسي، فأرسل اليازورى وزير المستنصر لابن باديس قائلاً: وأما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا عليها رجال كهول ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، هذه الرسالة المسجوعة كانت تشير إلى ما عرف تاريخياً (بالغزوة الهلالية)، إذ وجّهت الخلافة الفاطمية بعض القبائل العربية النازلة بمصر إلى ما وراء حدودها الغربية بعد أن زودتها بالسلاح والعتاد والمال، ضاربة (عصفورين بحجر واحد) فهي تتخلص من مضايقات العرب لسكان الريف وجنود الخلافة، وتقضي في الوقت نفسه على تمرد المعز بن باديس.وقد انساح العرب في ممتلكات زناته بطرابلس وابن باديس (الزيريون) بالقيروان وأنحاء تونس وقضوا على دولة بني حماد، ووصلت القبائل العربية في غزوتها إلى ولاية قسنطينه بالجزائر وامتدت إلي سهول جنوب شرقي الجزائر وبلغ أمدهم الغربي وادي الساحل جنوب منطقة القبائل الذين كانوا قد صبغوا وغمروا =

أو كان يعني في تلك الأيام عرب....، ففي تاريخ الطبري أن القائد الفاتح (كتيبة بن مسلم الباهلي) وكان في المشرق على حدود الصين كان قد أرسل إلى عامله المتقدم أمامه ليرسل له الخراج، فأرسل له عامِله قائلاً:(من أين لنا الخراج وقد أصبح جميع من هاهنا عرباً) لقد كان لفظ الإسلام في تلك الأيام يعادل لفظ (العرب)[1]، وقد خلّدتْ قصة (بني هلال) المشهورة في الأدب لدى العرب في المغرب العربي بشقيهم القدماء والمحدثين الغربيين والشرقيين وأصبح شعرهم ومحاضراتهم وكتبهم العلمية والأدبية جميعها بهذه اللغة العربية الربانية الرائعة وأساسها القرآن الكريم، بل دافعوا عنها باعتبارها لغة الدين والعلم والحضارة وذلك دون الشعور بأي عقدة، فالعربية والتي هي اللسان المبين يجب أن تبقى وأن نحافظ عليها اللغة الرسمية للبلاد العربية ولغة التداول البيني بين جميع المواطنين العرب ساكني الأرض العربية على أن تكون اللغة الوحيدة المعترف بها رسمياً في الكتابة والدواوين والتعليم والثقافة العربية أما من كان يعتبر نفسه وافداً على الأرض العربية، ومكوثه فيها مؤقتاً ويفكر بالرحيل عنها من كان لا ينتمي صراحةً إلى الأمة العربية والوطن العربي، فهذا يمكنه التحدث بما يشاء من اللغات على أن لا يعمل على التآمر على العرب.

والغريب أن أمريكا التي تتيح لجميع الوافدين إليها التحدث أو التفاهم فيما بينهم بما يشاؤون من اللغات، ولكنها لا تسن القوانين الرسمية لتجعل في بلادها أكثر من لغة وكذلك تفعل كل الدول ذات السيادة! فما بال الأخوة من (الأكراد) والأخوة من (الأمازيغ) يعملون بالدفع الخارجي على جعل اللهجات المحلية العتيقة التي بقيت في بعض المناطق التي كانت أساساً نائية عن التطور

تلك البقاع غمراً بالعروبة الصافية وصاغوها نهائياً في بوتقتها المجيدة.

(١) راجع كتاب الانتماء الحضاري والهويّة الثقافيّة في ضوء عروبة القرآن، أو الإسلام العربي، لعلاء الدين المدرس دار الرقيم بغداد ٢٠٠٨.

وبعيدة عن الحضارة ما بال البعض ينساق دون تفكير وراء الأهداف المعطلة والمعادية وغير النبيلة، والتي كان غرضها فقط مناوئة القرآن المبين والإسلام الحنيف.

في الوقت الذي احتفظت اللهجات العربيّة القديمة (البربرية) فيه بتراثها الفني الشعبي في الشعر والغناء والموسيقى وبمكانتها التلقائيّة كلهجة خطاب شعبي محكي قديم، وبانسجام وتكامل حيث لم يكن هنالك مشكلة بين انتشار اللسان العربي المبين الرباني الإلهي الإنساني الأساسي وبين اللغة (اللهجة) القديمة المحكيّة في كل إقليم، وذلك لملايين السكان في الجزائر والمغرب وبدرجة أقل في ليبيا وتونس، وقد تحسس الاستعمار الفرنسي منذ بواكير احتلاله لأقطار المغرب العربي أنّ الخطر الداهم على مصالحه يأتي دائما من استمساك الأهالي في (إفريقيا العربية) عموما وخصوصاً شمالها وغربها بهويتهم العربية الإسلامية، وان هذا الخطر لا تنحصر دائرة فعّاليته في الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا فحسب[1].

بل يمتد ليمس بشكل مباشر وجوده في غرب أفريقيا (القارة العربيّة) عموماً، أو ما يعرف (بالسودان الغربي) وشرقها وشمالها وجنوبها عموما بما فيها وسطها وما يعرف بالصحراء العربية الكبرى ولذلك عمل جاهداً على محو

---

(١) ومن رحم (الفرنكفونيّة) نشأت النخبة العسكرية الموريتانية التي وجدت نفسها صاحبة الحل والعقد في دولة كان كل سكانها من العرب المسلمين، فعملت جاهدةً على طمس الهوية العربية الإسلامية للشعب الموريتاني الذي لا يزال يحافظ على أصالته وقد لعب أجداده دوراً كبيراً في إيصال الإسلام واللغة العربية إلى إفريقيا في الجنوب، لذلك كانت كل التيارات السياسية الوطنية الموريتانية إلى الآن تنهل من العروبة والإسلام وتتحرك من منطلق إرجاع موريتانيا إلى دائرتها الأساسية في العروبة والإسلام، وذلك على الرغم من اندفاع الطبقة الحاكمة باتجاه التطبيع مع إسرائيل ومحاولة فتح سفارة (لإسرائيل) في (نواكشوط)

العروبة من كل ركنٍ من أركان القارة العربية السمراء فهل نجح في مسعاه وإلى أي مدى؟

امتدت سلطة دولة المغرب في شمال وغرب القارة العربية السمراء إلي زهاء ثلاثة قرون كاملة، حيث وجدت خلالها بالفعل حضارة مغربية عربية زنجية متميزة شاء لها القدر أن تلعب دورا مميزاً وهاما في تطور نحو سبع مساحة أفريقيا وعشر سكانها، وقد حكم هناك تاريخياً حوالي ١٨٠حاكما سموا بالباشاوات أو الكواهى ينتسبون كلهم تقريباً لعائلات عربية مغربية معروفة في مراكش ودرعه وفاس وسلا ويروي القصص الشعبى المصادمات العنيفة التي حدثت بالمغرب الأقصى بين قبائل بني هلال العربية الآتية حديثاً إلى المنطقة وزناته من البربر القبائل العربية الراسخة في المكان منذ القدم، متمثلة في الصراع بين البطل أبي زيد الهلالي وعدوه خليفة الزناتي.

وعلى الرغم من أن الدولة الفاطمية لم تنتفع بانتصارات القبائل الهلالية على الزرين والحمادين، لعودة القبائل إلى تناحرها المعهود، إلا أن هذه الغزوة الهلالية كان لها دور كبير في نشر العروبة في الأرياف، وهكذا يمكن الإشارة إلى خطين من بين الخطوط العديدة للنشر المتجدد للعروبية، البداية القديمة لا شك أنها كانت مع بني كنعان (الكنعانيين والكلبيين) بناة (قرطاجة) وباقي المدن في المغرب العربي وحتى جنوب أوربا (ليل، مرسيلياء، اشبيلياء...)، ثم ما هو موروثٌ عن عرب المدن ويرجع للفترة بين القرنين الأول والثاني للهجرة، ومن بعد كان خط الهجرة البدوية المنظمة الذي حمل العربية المبينة إلى الأرياف والسهول.

وعندما حلّ الفرنسيون بأقطار المغرب العربي كان الميزان اللغوي قد مال بشدة لصالح العربية المبينة، فعلى الرغم من أنّ اللهجات البربرية العربية القديمة كانت منتشرة في المغرب العربي بنسب مختلفة في منطقة القبائل والأطلس والريف،

إلا أن العربية المبينة والواضحة كانت متأصلة في الفكر والممارسة الثقافية الحياتيّة في المغرب العربي بأسره حتى أصبح من الصعب فصل العرب الجدد عن البربر (القدماء من العرب) بعد تعلمهم العربية المبينة وتفكيرهم بها واستعمالها كلغة وجودية للتعليم وللثقافة والإدارة والعقود والتدوين، ولقد نبغ علماء (أمازيغيون) العرب الأقدم في علوم العربية لغة ونحوا وأدبا فألفوا فيها وكتبوا باسم سلاطين المغرب أو باسم الجيش المغربي مع الاستمرار في الدعاء للسلطان في المساجد وقد انكسر آخرهم (الكاهية محمد الرامي) أمام الجيش الفرنسي وسلمه مفتاح مدينة (تمبوكتو) عام ١٨٩٤م، وقد نتج عن هذه السيطرة المغربية امتداد لتأثير المغرب الثقافي حتى مجاهل أفريقيا السوداء وكانت العربية هي الوسيلة لنشر الإسلام وعلوم العربية في أفريقيا الغربية فأصبحت لغة الثقافة والعلم والحياة العامة وكانت الوسيلة لنقل الإسلام والثقافة العربية من نيجيريا حتى النيجر وتشاد ومالي والسنغال وساحل العاج.

ويكفى لتبيِّن حجم التأثير المغربي أن نعرف ان قبيلة (صنهاجة) أعطت أسمها لبلد الزنج (أو الزناجة) بينما النهر الكبير الغربي المعروف باسم (السنغال) هو أيضاً اشتقاق من كلمة صنهاجة وتدل حفائر كومبى صالح أنّ عاصمة مملكة غانا الإسلامية كانت مدينة لاتختلف في شيء عن سائر المدن الإسلامية المعروفة في العصور الوسطى.

وقد كانت الخشية الفرنسية من تضامن أهل المغرب مع المسلمين في غرب أفريقيا قائمة على حقائق لا يتطرق إليها الشك إذ على الرغم من عدم وجود دولة مغربية قوية ترعى انتشار الإسلام والعربية في هذه الأنحاء، كانت العربية تزحف تدريجيا لتلتهم اللهجات واللغات الأفريقية المحلية، وعندما بدأت فرنسا بتعليم الفرنسية في السنغال عام ١٨١٦م، وجدت مقاومة من اللغة العربية التي كانت شائعة قبل ذلك بمدة طويلة بل أن لغة (الولوف) المحلية صارت بفضل القرآن

لغة تثقيف وتربية وقد أقحمت عدة ألفاظ عربية في معجمها كما عمل شعراؤها بقواعد العروض والأغراض الشعرية العربية، وتشبه لغة الولوف هذه العربية في أوزانها إضافة إلى أن بعض الكلمات رغم ما طرأ عليها من تحريف صوتي حافظت على بنيتها الدلالية في العربية وذلك بحذف أو تحريف بعض الأحرف العربية، وإلى أبعد من ذلك فإن بعض الممالك الأفريقية كانت تدين بالولاء لحكام المغرب، فعلى الرغم من تناحر باشاوات (تمبوكتو) من فاس ومراكش وشراكه، فانهم أمام غزو الجنرال الفرنسي (أرشنارلسيغو) عاصمة البطل الشيخ أحمادو، فإنهم لم يجدوا من يستنجدون به سوى (المولى الحسن الأول) فوصل مبعوث باشا تمبوكتو إلى فاس في نهاية القرن ١٩م ليطلب من المولى إرسال جيوشه لإنقاذ جزء من ممتلكاته الشريفة.

ولذا فقد عمد الاستعمار الفرنسي الذي نظر إلى الشمال الأفريقي وما وراءه غرباً عبر الصحراء الكبرى باعتباره (وحدة حضارية) إلي تفكيكه عن طريق إقامة منطقة حاجزة (bufferzone) يتوقف عندها مد التعريب والإسلام، ولما كان من الصعوبة بمكان (اصطناع حدود) وخفرها بجنود الاحتلال في هذه الصحراء الشاسعة فقد لجأ الفرنسيون إلى إقامة حاجز بشري من البربر يعوق بعد إعادة تشكيله استعمارياً انتشار العربية والإسلام، (هذا الهاجس الأفريقي) كان وراء جهود فرنسا لاصطناع الأقلية البربرية، وهو ما عبر عنه صراحة (ايتان) رئيس لجنة أفريقية الفرنسية عندما صرح عام ١٨٩٢ متحدثاً عن أهمية (التشاد) بقوله: أن من يملك بحيرة (التشاد) يصبح هو سيد دواخل إفريقية، وتأتي أهمية التشاد هنا ليس لكونه واحدة من نقاط الالتقاء بين أفريقية العربية وأفريقية السوداء العربية أيضاً، وليس لأنه يمثل أحدى النقاط التي انطلق منها الإسلام إلى بعض المناطق في دواخل أفريقيا فقط ولكنه أيضاً يعتبر البطن الرخو للعالم الزنجي.

اذن فالسياسة البربرية للاستعمار الفرنسي مثلما تمثل في أحد أوجهها محاولة لتقسيم وتفتيت المجتمع العربي في المغرب بأقطاره، وتشكل في جانب آخر (الصيغة الاستعمارية) للفصل بين العروبة والزنوجة في أفريقيا لمنع العروبة والإسلام من الانتشار بها، بل ولافتعال الصراع بينهما وتغذية التناقضات الثانوية مثلما وقع في محاولة فرنسا لسلخ موريتانيا عن الجسد العربي[١].

ومن ناحية ثالثة، فقد كانت السياسة البربرية ترمى إلى تغيير هوية السكان البربر وإلحاقهم بالحضارة الفرنسية ليكونوا خير سند ومعين للمخططات

(١) وكثيراً ما استغل البرتغاليون الصراعات المستفحلة بين (البراكنة) و (الطرارزة) وهما قبيلتان تنتميان إلى (العرب الحسانيين) وذلك لبسط سيطرتهم على موريتانيا الصراعات نفسها خدمت الهولنديين ومن بعدهم البريطنيين الذين استولوا على أقطار المغرب العربي، وكانت فرنسة وبريطانيا تتقاسمان النفوذ في موريتانيا وفي سنة ١٨٥٤ خطت فرنسا خطوة كبيرة في موريتانيا عندما أشرف الوالي الفرنسي (فيدريب) على تجهيز حملة عسكريّة على قبيلة (الطرارزة) والتي كانت شرسة في معارضة للوجود الغربي في موريتانيا، وكان هدف الحملة الفرنسية بزعم الفرنسيين إعادة الأمن والاستقرار إلى موريتانيا! فتمكنت فرنسة من فرض شروطها على أمير الطرارزة محمد الحبيب الذي خضع للفرنسيين حفاظاً على موقعه، وهذا ما دفع الموريتانيين المناوئين للاستعمار الفرنسي إلى اغتياله سنة ١٨٦٠، فصدر ١٨٩٩ قرار فرنسي بتأسيس دولة موريتانيا الفرنسية، ولإسكات إسبانيا التي كان لها وجود في موريتانيا اتفقت فرنسة معها عام ١٩٠٠ على أن يمتد النفوذ الإسباني إلى الصحراء الغربيّة شمال الرأس الأبيض، وفي مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي انعقد عام ١٩٠٦م بمشاركة الدول الأوربية فرنسة وبريطانيا وألمانيا وإسبانيا تقرر أن تكون منطقة شمال وغربي إفريقيا تحت السيطرة، ومن أجل إدماج موريتانيا بشكلٍ كامل في فرنسا أصدرت فرنسا قراراً يقضي بأن موريتانيا يحق لها ترشيح نائب واحد يمثلها في الجمعيّة الوطنية الفلانسية (البرلمان) وفي سنة ١٩٥٦ أخذت فرنسا تفكر في إدارة مستعمراتها في الشمال الإفريقي بطريقة مغايرة حتى تتمكن من التصدي للثورة الجزائرية التي باتت تهدد الوجود الفرنسي برمته في الشمال الإفريقي، فأنشأت فرنسا في موريتانيا مجلساً حكومياً رئيسه فرنسي ونائب رئيسه موريتاني وكان هذا الموريتاني هو زعيم الاتحاد التقدمي مختار ولد داده.

الاستعمارية،خاصة بعد فشل الاستعمار الفرنسي الذي دفع المسيحيين اللاتين ليحلوا مكان السكان الأصلين على غرار ما حدث في كوبيك بكندا والشعوب اللاتينية بأميركا الجنوبية، وفشل سياسة تجنيس اليهود والجزائريين والجاليات المالطية والطليانية، ومادام المغاربة يرفضون التجنيس فلابد من (تمسيح) الجزء الأكبر من السكان البربر وعزلهم عن العرب وما جاؤوا به من لغة وقضاء وثقافة.

السياسة الفرنسية في الجزائر

اعتمد الاستعمار الفرنسي في سياسته (البربرية) بالجزائر على إظِهار سوءات الحكم العثماني الذي قسم البلاد طبقياً إلى أتراك وقولوغلان ثم بنية السكان، في الوقت الذي لم يفلح فيه في نشر سلطته لأبعد من المناطق السهلية المطلة علي ساحل المتوسط فتجمد تبعاً لذلك وضع اللهجة البربرية كلغة تخاطب في الأطلس والريف.

وكانت خطة فرنسا تقضى منذ الأيام الأولى للاحتلال بتحويل الجزائر إلى (ولاية فرنسية) عن طريق محو الهوية العربية فيذكر تقرير رسمي فرنسي إن ايالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية، والعمل الجبار الذي يتعين إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الفصحى الدارجة بينهم.

ومنذ عام١٨٣٠م، واجه الفرنسيون الثقافة الوطنية العربية، وقد اعترف أحد قادتهم في سنة ١٨٣٤م بأن: كل العرب في البلاد تقريباً يعرفون القراءة والكتابة باللغة العربية وفي كل قرية جزائرية توجد مدرستان على الأقل وحتى عام ١٨٩٠م حارب الاستعمار الفرنسي، بكل وسائل القهر والتدمير، نظام المدرسة التقليدية العربية في الجزائر لأنه كان عنصراً أساسياً في المقاومة الوطنية الثقافية والحضارية ضد التدخل الاستعماري الفرنسي في البلاد، وتمثلت المقاومة الجزائرية في ظهور مدرستين ثقافيتين:

المدرسة الأولى هي جماعة الميزابيين في الجنوب الجزائري التي لم تعان أصلا من الاستعمار الثقافي الفرنسي نظراً لبقاء الاستعمار محصوراً لفترات طويلة في الشمال المطل على البحر وبسبب شدة المقاومة في الداخل (١٠٠٪من الميزابيين

الآن يتقنون اللغة العربية) والمدرسة الثانية هي جماعة العلماء في الشمال والتي لاقت كل تنكيل من الاستعمار الفرنسي.

وقد اتخذت (فرنسة) منطقة القبائل البربرية طابعاً مركباً اعتمد على فصل سكانها عن بقية سكان الجزائر وإدماجهم فرنسياً تحت دثار الحفاظ على هويتهم القومية المميزة، وذلك في سياق رهان الاستعمار على تفكيك المجتمع الجزائري بالإلحاح على التمايز بين العرب والبربر. فكتب الكابتن كارنيت عام ١٨٤٨م (إن بلاد القبائل التي ظلت حتى الآن تقع خارج دائرة الاتصال المباشر بنا والتي بقيت في حال صراع ضد جميع السيطرات السابقة يجب أن تصبح من هنا لبعض سنوات المساعد الأكثر ذكاء لمشاريعنا والشريك الأنفع لأعمالنا).

وفي إطار المسعى الفرنسي لصنع الأقلية البربرية وفصلها عن محيطها الحضاري الإسلامي، أقدمت فرنسا في عام ١٨٥٩م علي إنشاء ما يعرف بمحاكم الجماعة في منطقة القبائل وهي محاكم تستمد أحكامها من العرف البربري القديم بدلا من الشريعة الإسلامية وبرر الفرنسيون ذلك بأن البربر لم يبلغ الإسلام في قلوبهم مبلغاً كبيراً وانهم بحاجة إلى الرجوع إلى أعرافهم ومحاكمهم الخاصة بهم بدلا من الاستمرار في التعامل على الشريعة الإسلامية.

وقد حرص الاستعمار الفرنسي للجزائر منذ احتلالها المبكر سنة ١٨٣٠ على محو السمات العربية والإسلامية للجزائريين، وفرض الاستعمار لغته الفرنسية على كثير من المثقفين في الجزائر وشمال أفريقية، حيث يأتي واحد مثل(لويس ماسينيون) ليصور للجزائريين أن الحلاج الذي أدعى الإلوهية، على أنه صورة من المسيح عليه السلام، وما كان ذلك إلا لإحداث الفرقة بين المسلمين في الجزائر، وتوهين اعتقادهم في دينهم وتراثهم. وقد صحب ذلك قضاء فرنسا على المراكز الثقافية العربية الإسلامية المزدهرة في الجزائر منذ القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، فأغلقت على بطاح الجزائر نحواً من ألف مدرسة

عربية، مما حمل أحد الكتاب الفرنسيين وهو (بولار) على أن ينسب إلى فرنسا مسؤولية تأخر الجزائر عن القرن الحالي حيث يقول: (لقد أشاع دخول الفرنسيين في الأوساط العلمية والأدبية في الجزائر اضطراباً شديداً فهجر معظم الأساتذة الأفذاذ مراكزهم هاربين) وعملت فرنسا من أول الأمر على ألا تفتح مدرسة قرآنية إلا بشروط مهينة تسخر بها التعليم لخدمتها، وقد وصف محمد فريد الوطني المصري ذلك في جريدة اللواء في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠١ قائلا: (لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما لا تدرس اللغة العربية بالمرة حتى مع مضي الزمان...)، وهذا ما حدث تماماً، إذ قضت فرنسا على اللغة العربية، وعملت على (فرنسة) الجزائر قرناً كاملاً، وأضحت مأساة الغزو اللغوي، وضياع اللسان القومي مشكلة ذات أبعاد واضحة، وجوانب صعبة، وصار أدباء الجزائر يكتبون باللغة الفرنسية من أمثال: محمد ديب وكاتب يس ومالك حداد ومولود معمري، وآسيا جبار وغيرهم!

إن حرب الاستعمار الأوربي للسان العربي المرتبط بالقرآن الكريم قديمة، حتى لا تنهض بهذا اللسان نهضات إسلامية تسد الطريق على هذا الاستعمار، وهكذا نجد أنه عندما وطئت أقدام فرنسا أرض الجزائر لم يكن بها أحد يتكلم الفرنسية ولكنها لم تلبث أن شرعت في الاتصال بالرأي العام باستئجار الأقلام المأجورة، ثم بدأت في برنامج المسخ والغزو ابتداءً من فرنسة أجهزة الحكومة ودوائر العمل ثم فرنسة التعليم فرنسة كاملة لم تترك للغة العربية المنهج المدرسي سوى ساعتين في الأسبوع خصصتا لتدريس اللهجة العامية بوصفها لغة ثانوية إضافية بعد الفرنسية، وكوسيلة أيضاً لمحاربة ،إقصاء الفصحى لغة القرآن الكريم والثقافة العربية الإسلامية.

بهذا عملت فرنسا من أول عهد استعمارها على تحقيق هدفين كل منها شر: مثلما فعلت إنجلترا بأستراليا ونيوزيلندة، ومثلما تشهد قطعة من وطننا المعذب وهي فلسطين حين تحاول الصهيونية أن تهودها وأن تمحو معالمها لغةً وأرضاً وحضارة! ولم يستسلم العرب الجزائريون إلى هذه الجرائم التي كان منها هدم المساجد وإضعاف القضاء الشرعي والاستيلاء على أموال الأوقاف وتشجيع التبشير والتنصير فقامت حركات عديدة للمقاومة كثورة الأمير عبد القادر الجزائري، ومالك بن بنى والإبراهيمي ومحمد المقراني، وقامت جمعيات عديدة مثل جمعية نجم شمال أفريقية، ثم أسس مصالى الحاج (حزب الشعب الجزائري) إلى أن قامت الثورة الكبرى سنة ١٩٤٥، وقامت حرب التحرير سنة ١٩٥٤ [١]

ويبدو أن تلك الخطوة كانت بمثابة مرحلة انتقالية لفَرْنسةِ البربر نهائياً وضمهم للدولة المستعمرة، فقد كتب أحد أنصار سياسة ضم الجزائر إلى فرنسا وهو (وارنييه عام ١٨٦٥م) ينتقد سياسة نابليون الثالث في الجزائر: (لو أن نابليون الثالث بدل أن يطلب من المعمرين احترام القومية العربية، وهو احترام يتنافى مع الحضارة، طالب بالحقوق الشرعية للقومية البربرية، لكان المعمرون كلهم صفقوا لذلك) ورغم أن ثورة المقراني قد اجتاحت منطقة القبائل بعد ثورة ١٨٧١م، فقد طالب بعض الفرنسيين (بدمج سكان منطقة القبائل وجعلهم فرنسيين لأن دمجهم في العنصر الأوربي يجنبهم مصير العنصر العربي المحكوم عليه حتما بالانقراض أمام الحضارة)

---

(١) هذه الفقرات من الدراسة التي سجلها الدكتور يوسف حسن نوفل مدرس الدراسات الأدبية بكلية البنات بجامعة عين شمس.

ولم يمضِ على إنشاء محاكم القبائل ٢٥ عاما حتى كانت فرنسا قد كشفت عن خبيئتها، فقامت عام ١٨٧٤م بإحلال المحاكم الفرنسية محلها وبخاصة في منطقة (جرجره) من أجل تنصير وفرنسة سكانها، كما منعت علماء المسلمين من الوصول إلى هذه المناطق لتدريس القرآن الكريم، إضافة إلى محاربتها للغة العربية ومنع التكلم بها وتدريسها لقطع صلة البربر باللغة العربية وكل ما يتصل بها من القرآن الكريم.

ووجد رجال التبشير أنهم ممن ينطبق عليهم قول الشاعر (خلا لك البر فبيضي واصفري)، فضاعفوا نشاطهم بمنطقة القبائل بإقامة المستشفيات والمدارس ومراكز التبشير من أجل تنصير هذه المنطقة وفصلها عن بقية السكان حتى بلغ مجموع الكنائس المسيحية في الجزائر (٣٢٧ كنيسة)مقابل ١٦٦ مسجداً لا غير.

ورغم ذلك كله لم يتردد (الكاردينال لا فيجرى) في اتهام الإدارة الفرنسية بأنها هي التي أعاقت مسعى تمسيح (تنصير) البربر بعد فشل الكنيسة في ذلك!، وإلى جانب ذلك فقد حاولت المدارس الفرنسية بجهود ذات طابع ثقافي (أكاديمية المظهر) أن تؤكد رؤيتها عن (لاتينية البربر) فظهرت مجلة تحمل عنوان (أفريقيا اللاتينية) كانت تصدر بالجزائر وتركز على الهوية الغربية واللاتينية المسيحية للعالم البربري، ولايزال جماعة من الباحثين الفرنسيين الجامعيين يرعون حتى اليوم هذه النظرية ويشجعونها بما يكتبونه من أبحاث ذات شكل علمي تتناول الجانب العرقي واللغوي والفني والتاريخي للأمازيغيين لإثبات نظرية مسبقة هي انفصال البربر عن العرب في كل هذه المقومات، ومن المؤسف انهم يطبعون أبحاثهم هذه بطابع سياسي قوامه إثارة العداء والصراع بين العنصرين العربي والبربري في المغرب، وتتركز مجموعة من هؤلاء الباحثين المنظرين الآن في المركز الجامعي للبحث العلمي في جامعة (aix en – provonce) بفرنسا،

وعن هذا المركز تصدر الأبحاث والدراسات التي توجه الفكر إلى انفصال البربر عن العرب عنصراً وحضارة ولغة بكل ما يعنيه ذلك من توجيه خطير لتمزيق وحدة شعوب المغرب العربي.

وقد آتت السياسة البربرية أكلها بعد استقلال الجزائر، خاصة وان الصلات الثقافية لم تنقطع مع فرنسا التي أخذت تغذي وتشجع الاتجاهات البربرية، مستفيدة من تعثر مسيرة التعريب بالبلاد، خاصة وان الفرنسيين قد حاولوا قبل رحيلهم خلق قوة سياسية ثالثة تمارس الحكم لفائدة الاستعمار، إما بانتزاع زمام المبادرة من جبهة التحرير الوطني أو بالاندساس والعمل في الخفاء من وراء الجبهة إنْ تعذر الحل الأول وقد نجح المؤهلون علمياً في الوصول إلى مسؤوليات إدارية معتبرة وساعدهم على ذلك السباق المحموم لإنشاء المدارس منذ أكتوبر ١٩٦٢دون التفكير المعمق في إعداد البرامج التعليمية التي أغفلت المضمون الروحي المعنوي والمحتوى التقني وهكذا تحطمت حلقة مهمة من حلقات تكوين الأجيال الجديدة مما أدى إلى إن يصل الطالب إلى المستوى الجامعي غير محصن بالقيم التي كانت أساس الانسجام الاجتماعي للشعب زمن الكفاح، فيسهل عليه الانجذاب والانبهار بنظريات وقيم يميل إليها بعنوان (التحرر من العقليات المتحجرة) فكيف إذا أضيف إلى ذلك وجود محيط عدائي هو المحيط الاستهلاكي الغربي بإغراءاته العديدة وما يتولد عن ذلك من تقليد ببغائي لمجتمعات مستقرة أشبعت حاجاتها الأساسية منذ زمن طويل؟ وبالفعل فقد تفجر الموقف في ربيع عام ١٩٨٠ بجامعة (تيزي أوزو) وشهدت منطقة تيزى أوزو مظاهرات واضطرابات قام بها البربر، عززت بعد ذلك بوثيقة أصدرها أنصار البربرية، في قرية (يكورن) الجبلية التي تقع غير بعيد عن مدينة تيزي أوزو، أكدت وثيقة يكورن التي تلقفتها الدوائر الفرنسية على أحداث (تيزي أوزو) إنها حركة ثقافية تتمحور حول مشكل الهوية الحقيقية للشعب الجزائري

والاعتراف الرسمى بلغته تامازيفت والعربية الجزائرية وأرجعت الوثيقة بواعث هذه الحركة إلى (إنكار الحركة الوطنية الجزائرية منذ ١٩٥٤للواقع الامازيغي للأمة) وهيمنة الايديولوجية العربية الإسلامية على حساب البعد التما زيفي للأمة.

هذا في الوقت الذي أشارت فيه مصادر حكومية إلى دور أصابع فرنسا في تحريك واستغلال الاتجاه الذي عبر عنه ملتقى يكورن، بينما يرى البعض وبينهم (محمد حربي) أن انتفاضة (تيزي أوزو) تستهدف الدولة التسلطية وتطرح أمام الجزائريين كل مشكلات الديمقراطية والحق في التغاير، وإن أي عملية إدماج وطني تهمل التنوع فإنها تكون ضد وحدة الجزائر التي لا يشك فيها، على حد قوله، بربري واحد، ويحمِّل حربى نظام الحكم بالجزائر جزءاً من المسؤولية عن أحداث تيزى أوزو، لأنّ القادة من بعد وفاة بومدين يحاولون استعمال الحس الجهوى (الإقليمي) للضباط في مصالحهم، ويفسر ذلك تلك الحملة الصماء التي ينظمها العقيد بالهويشات ضد العقيد مرباح (من أصل قبلي) وإبعاد ضباط كالطاهر والزغود أو آية أو يحيى والعرب الحسن للتخوف من احتمال تكون فئة من المشعوذين الذين لعبوا بدون مبدئية ورقة الطبقة ضد الأخرى والذين لايتورعون اليوم عن مواجهة جهات الجزائر ببعضها من أجل البقاء في الحكم)، ولايمنع التسليم، جزئياً، بأثر الحكم الجزائرى على تفجر أحداث تيزي أوزو من التمييز بين ثلاث نزعات مختلفة ضمن الظاهرة البربرية في الجزائر.

النزعة الأولى ترفض المركزية الحكومية باسم التعدد الثقافي، والمسألة هنا لاتصل إلى حد معارضة سياسة التعريب بقدر ما تطالب بالاعتراف الرسمي بحق الأقلية في الاحتفاظ بلغتها وثقافتها الخاصتين.

والنزعة الثانية هي التي تتمحور حول معارضة سياسة التعريب كلية، وهي في الواقع تمثل سياسة الحس الأمازيغي التي تعتبر العربية لغة أجنبية، ومن السهولة بمكان مقاومة هذه النزعة لتمركزها الإثني وقلة واقعيتها.

أما النزعة الثالثة داخل المعارضة البربرية، فهي لا تحدد نفسها في إطار مواجهة ثقافية على صعيد سياسي فهي تقاوم احتكار القرار السياسي وكذلك ادعاء النفوذ المركزي، تأطير ومراقبة كل جوانب الحياة الوطنية، فهم يدرجون حركتهم داخل آفاق العمل من أجل (دمقرطة) الحياة السياسية معتبرين أن مسائل اللغة والثقافة لا تمثل مسائل تهم الدولة بقدر ما هي تفاعل القوى الاجتماعية التي يمكن أن تلعب فيه الدولة دور الوسيط لا دور المراقب.

عشية الاحتلال الفرنسي لمراكش كان معنى الإسلام قد امتزج بالعروبة حتى أصبح من الصعب التمييز بين العربي والمسلم نظراً لمكانة لغة القرآن ولانعدام الأقليات غير المسلمة التي تتحدث العربية إلا اليهود الذين كانوا ينطقون العربية بلهجة خاصة تنم عنهم نظراً لقلة التجمعات المسلمة التي لاتعرف العربية أو يتثقف المثقفون منها بغير العربية، ورغم الأصول البربرية فلم يشهد التاريخ أي صراعات ذات طابع عرقي أو عنصري إلا الصراعات القبلية المعتادة.

لقد أولت الدوائر الاستعمارية والاستشراقية منذ بدايات القرن الثامن عشر أقليات الوطن العربي اهتماما خاصاً، بأن عني المؤرخون واللغويون بتاريخ ولغات وثقافات هذه الجماعات، ولم يكن ذلك بعيداً عن الدوافع والغايات الاستعمارية إذ نظر لتلك الجماعات كأدوات محتملة لاختراق النسيج الاجتماعي العربي المتميز بقوة الجذب بين عناصره، ولقد استغلت في ذلك، ولاتزال،الممارسات السلطوية الخاطئة والنزاعات الأهلية ودائما كان للتدخل الخارجي الدولي والإقليمي، دور مؤثر في إثارة تلك النزاعات والشهادات

التاريخية على ذلك كثيرة.

وليس في التاريخ العربي، ولا في معطيات الواقع المعاش، ما يدل على أن أياً من هذه الجماعات عاشت عزلة قسرية أو انعزالا اختيارياً وغالباً، إن لم يكن دائما تجاوزت نسبة مشاركتها في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية نسبتها العددية أما بالنسبة للمشاركة السياسية فهي والأكثرية في محدودية المشاركة، أو انعدامها سواء، وفي كثير من الأقطار يحتل منتسبو الأقليات مواقع ممتازة بين بطانة صانع القرار لظنه أن ليس لهم عصبية تشكل خطراً على تفرده بالسلطة وصناعة القرار، وأن تكون تلك هي حقائق التاريخ، وهذه هي معطيات الواقع، ففي ذلك دلالة انعدام التناقضات العدائية فيما بين أغلبية جماهير الأقليات ذات الوجود الطبيعي والتاريخي في الأقطار العربية وبين جمهورها الوطني والجمهور العربي العام، وبالتالي فإن مصالح الجميع وأمنهم وأمانهم في تناقض رئيسي مع سياسة "الفوضى الخلاقة" الأمريكية، لتناقض مصالح الأغلبية، من الأكثرية والأقليات، في كل قطر عربي مع مصالح التحالف الأمريكي الصهيوني، الأمر الذي يحتم على القوى الحريصة على تماسك النسيج الاجتماعي ووحدة التراب الوطني، وتواصل السلام الأهلي، في كل قطر عربي الدخول في حوارات معمقة وصولا لتعزيز ما بينها من قواسم مشتركة وتحجيم الآثار السلبية للتمايزات القائمة، والعمل لإقامة الجبهات الوطنية الملتزمة بأهداف الاستقلال الوطني، والتكامل القومي، والديمقراطية، والتنمية المستقلة، والعدالة الاجتماعية، والتجدد الحضاري، والحرص على عدم الانجرار لدعوات الفتنة التي يروجها الغلاة من الطرفين الذين يخدمون، بوعي أو بلا وعي، مخطط التفتيت الأمريكي الصهيوني.

لقد هدفت السياسة البربرية التي اتبعتها فرنسا في المغرب (كما في الجزائر) إلى القضاء على الدين الإسلامي بتبني أعراف توهم البربر أنهم ليسوا عرباً في الأصل وذلك بالقضاء على الإسلام والعروبة في نفوسهم ونشر المسيحية لإدماجهم في

الأمة الفرنسية، يقول روجيك دولا سول: نترك المسيحية تؤثر في نفوس البربرية كما أثرت من قبل في نفوسنا من غير أن نساعد عملها بوسائل شديدة أو رسمية ولكن بإفساح المجال لها وعدم تشجيع ما يعاكسها وهذا ما يسهل بغير شك تفكيك عرى الكتلة العربية وبالتالي القضاء على الإسلام في أفريقيا الشمالية لفائدة حضارتنا وجنسنا وقد ظهرت الفكرة نفسها في بعض الأوساط المسيحية الفرنسية بالمغرب وكان منشؤها في مقر النائب الرسولي بالرباط الذي استخلصت حاشيته من تمسك سكان الجبال في المغرب بالتقاليد البربرية أنّ إسلام هؤلاء ليس متيناً ويمكن تحويلهم بسهولة إلى المسيحية لأنهم، عندما يصبحون مسيحيين يكونون أشد معارضة للعرب.

ويعترف (جودفرى دونيين) بأن اللغة العربية كانت هي اللغة الاقتصادية والدينية والإدارية بالمغرب عند الاحتلال وأن البربري يعتبر اللغة العربية لغة عليا، ولذلك فقد دعا إلى أن تقوم اللغة الفرنسية لا البربرية مقام اللغة العربية كلغة مشتركة للمدنية، ولقد لخّص (مسيو جلاي) أحد موظفي الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب الخطوط العامة للسياسة البربرية بقوله يجب أن نحذف تعليم الديانة الإسلامية واللغة العربية في مدارس البربر وأن تكتب اللهجات البربرية لاتينية، يجب أن نعلِّم البربر كل شيء ما عدا الإسلام، وعمل الاستعمار الفرنسي من أجل تمهيد السبيل لتحقيق سياسته في تقسيم السكان واصطناع أقلية منهم تتناقض مع الأكثرية وتدين بالولاء السياسي والتبعية الحضارية له في الوقت ذاته، فعمل على إقفال الكتاتيب القرآنية والمساجد في المناطق المستهدفة في سياسته البربرية والحيلولة دون الفقهاء ورجال الدين وبين التجول في هذه المناطق لتعليم الناس أحكام دينهم وفي مواجهة المخاطر التي تلوح نذرها في أفق أكثر من قطر عربي مطلوب البحث في الإشكاليات الراهنة، بكل موضوعية لإرساء قواعد التعامل الديمقراطي مع شركاء المسيرة والمصير المتمايزين سلالياً أو دينياً أو مذهبياً عن الأكثرية في أقطارهم

وبما يضمن لهم كامل حقوق المواطنة على قدم المساواة التامة مع مواطنيهم، وما يوفر لكل قطر عربي من متطلبات الحفاظ على تماسك نسيجه المجتمعي ووحدة ترابه الوطني.

وألاحظ بداية أن الجماعات محدودة النسبة العددية في أي من أقطار جامعة الدول العربية، وذات الوجود الطبيعي والتاريخي في القطر الذي تنتسب إليه، كما هي حال الأمازيغ (البربر) في المغرب والجزائر، والأكراد في العراق وسوريا، والتركمان في العراق، والأفارقة في جنوبي السودان، هذه الجماعات إنما تنتسب لأقوام تعرّب غير يسير من بنيها وشكلوا بعضاً من النسيج القومي عربي اللغة والثقافة وأنماط السلوك، فضلا عن عيشها لقرون في الفضاء العربي الإسلامي، وهي بالتالي ترتبط بالأكثرية العددية في أقطارها، وعلى المدى القومي، بوشائج تراثية وثقافية، جعلت منها عبر التاريخ شريكة مسيرة ومصير، الأمر الذي انعكس إيجابياً على التاريخ العربي بحيث تميز بدرجة عالية من غياب المواقف المعادية للجماعات المتمايزة عن أغلبية مواطنيها سلالياً أو دينياً أو مذهبياً، وذاك ما توثقه الدراسات المختصة ككتاب المستشرق البريطاني سير توماس أرنولد (الدعوة إلى الإسلام)، وكتاب الباحث العربي المدقق د. جورج قرم (تعدد الأديان وأنظمة الحكم).

وحيث تبلورت الأمة العربية بالانتماء الحضاري وليس الانتساب السلالي جاءت ذات طبيعة تركيبية تضم التنوع ضمن إطار الوحدة. وذلك ما أساء قراءته أغلبية المستشرقين وتلامذتهم العرب، بتصويرهم الوطن العربي لوحة فسيفسائية من أعراق وأديان ومذاهب شتى، متجاهلين قرابتها السلالية واللغوية، فضلا عن تناقض ادعائهم مع كون الوطن العربي من أكثر مناطق العالم تجانساً واندماجاً على محاور السلالة التاريخية واللغة والدين والمذهب. إذ العرب لغة وثقافة وأنماط سلوك نحو ٨٨٪ من مواطني الوطن العربي

وبما لا يقل عن ٧٨٪ في أي قطر فيها المسلمون ٩١٪ على الصعيد القومي وبما يجاوز ٧٠٪ في أي قطر)[١].

ودشن التدخل الفرنسي السافر لاصطناع الأقلية البربرية في الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام ١٩١٣م بظهير (قانون) استصدره الماريشال ليوطد، بدعوى احترام الأعراف والتقاليد البربرية، ثم أردف الفرنسيون هذا القانون بآخر عرف بالظهير البربري الذي صدر في ١٦ أيار (مايو) ١٩٣٠، واستهدف هذا القانون التفريقي بين المناطق التي يسكنها العرب والمناطق التي يسكنها البربر أو بالأحرى الذين يستخدمون البربرية كلغة تخاطب وهو تقسيم شبه إداري لأن الامتزاج كان تاما بين العرب والبربر، وقد قام التفريق بين العرب والبربر على أساس اللغة والحكم والقضاء وقانون الأحكام بما فيها الأحوال الشخصية ثم محاولة نشر المسيحية في المناطق التي تسكنها أغلبية من البربر، وقد جرد الظهير البربري الحكومة المغربية من سيادتها على القبائل البربرية وأحدث محاكم فرعية لم يعرفها المغرب في تاريخه بحال، حيث عمد الى الجماعات القبلية التي كانت مهمتها الدفاع عن القبيلة وادارة مصالحها المحلية وتمثيلها أمام ولاة الملك، فقلبها إلى محاكم، وجعل مما بقي من بعض الأعراف الجاهلية قانوناً ثابتاً مع إحالة الجنايات إلى المحاكم الفرنسية ذاتها، ونص القانون على إنشاء محاكم استئناف بربرية تشمل صلاحياتها الأنشطة المدنية أو التجارية سواء تعلقت بالمنقول أو العقارات، وكذلك الأحوال الشخصية، كما نصت المادة (٦) من القانون على أن التشريع الفرنسي هو الذي يعتمد لقمع جرائم الجنح المرتكبة في بلاد البربر مهما كان مرتكبها.

---

(١) من مقال للأستاذ عوني فرسخ ـ إشكالية الأقليات في الوطن العربي) موقع حقوق الأقليات في الوطن العربي.

وعلى صعيد التعليم أنشأت فرنسا ما عرف، باسم المدرسة البربرية التي يصفها ويحدد أهدافها القومندان (مارين) أحد كبار رعاة البربرية قائلاً: إن المدرسة الفرنسية البربرية هي مدرسة فرنسية بتعليمها وحياتها، بربرية بتلاميذها وبيئتها، إذن فليس ثمة واسطة أجنبية، كل تعليم عربي وكل تدخل من قبل الفقيه وكل ظاهرة إسلامية يجب منعها بصراحة تامة فنحن نبتعد تلقائياً عن كل مرحلة إسلامية.

وعلى أثر استصدار الظهير البربري انتفض الشعب المغربي في سلا والرباط وفاس وغيرها من المدن وتعرض الكثيرون للاعتقال والحبس (ومن بينهم علال الفاسي) ولم ينج من الاعتقال وفود البربر التي كانت تفد للاحتجاج على الإدارات المحلية، وتقدم أهل فاس بمقترحات تهدف إلى إلغاء الظهير وما يماثله وتكوين قضاء موحد لجميع المغاربة مما أضطر الإقامة العامة الفرنسية إلى تصريح بأن الحماية تقبل إخراج كل قبيلة تطالب بالقضاء الشرعي من حظيرة القبائل التي يشملها الظهير ولكن هذا الأمر لم يكن الا ذراً للرماد في العيون فقد تقدمت قبيلة (ايه يوسي) من نواحي صفرو قبيلة (زمور) بالخمسيات وغيرها بإرسال وفود تطالب بتحقيق هذا الوعد فما كان من ولاة المراقبة إلا أن القوا القبض على رجالها.(١)

---

(١) يكثر الحديث في هذه الأيام عن البربر: عن أصلهم، عن لغتهم، عن تاريخهم مع العرب ومع العربية ومع الإسلام وأنا هنا أستعرض تاريخ المسألة البربرية، عبر مراجع فرنسية لتعزيز رأيي الوارد في الكتاب، والمتمثل في أن البربر من العرب العاربة، استقروا في المغرب ضمن هجرات سابقة للفتح الإسلامي، على أساس أنهم عرب عاربة، أي من العرب القدامى؛ بسبب بطلان التسمية السامية لتاريخنا، بإجماع المؤرخين، هذه التسمية التي أطلقها المستشرق اليهودي النمساوي (شلوتزر SHLOTZER) في الربع الأخير من القرن الثامن عشر. مستوحياً هذه التسمية من التوراة، ويستبدل المؤرخون مصطلح الساميين بالأقوام العربية القديمة أو العروبية إن نبي الله نوح في القرآن ليس له إلا ولد واحد وقد أغرقه الله سبحانه وتعالى في الطوفان.

=

وعلى الرغم من (الفشل الواقعي) الذي أصابته السياسة البربرية في المغرب الذي يمكن ترسمه في قناعة مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بأن لغة المغرب الأقصى هي أقرب فصاحة وما يبرر ذلك هو أن العامية المغربية لم تتأثر بما طرأ من تداخل اللهجات الأخرى أو بغير العربية، ويعلل ذلك أن البلاد لم يقع اكتساحها أبدا إلا عند انتصاب الحماية الفرنسية في مطلع هذا القرن على الرغم من هذا الفشل فقد أدت السياسة البربرية إلى خلق جماعة من البربر ممن تثقفوا بثقافة فرنسية وأسسوا حزباً خاصاً بالقبائل البربرية يؤمن بضرورة إحياء الثقافة والحضارة البربرية واعتبار اللهجة البربرية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية. ويضم هذا الحزب المعروف باسم حزب الحركة الشعبية معظم القبائل

على كل حال فإنّ البربر يعيشون في حوض حضاري، ولا أقول (عرقي)، يقع في هذا الامتداد الجغرافي، من سلطنة عمان شرقا على المحيط الهندي بحر العرب، إلى موريتانيا نهاية الصحراء العربية الكبرى على المحيط الأطلسي غرباً، وكان هذا الامتداد مسرحا لمد بشري، منذ عشرات آلاف السنين، في الاتجاهين: من المغرب إلى المشرق، ومن المشرق إلى المغرب، فالمؤرخ الفرنسي " غوتييه E. F. GAUTIER" في كتابه : "ماضي شمال إفريقيا"، يرى أن "الاحتمال الكبير هو أن الإنسان الذي عمّر وادي النيل هاجر من الصحراء الكبرى". (E.F. Gautier: Le Passe de l'Afrique du Nord, p.23) كما أن ششنق الأول البربري اتجه سنة ٩٥٠ قبل الميلاد، من المغرب العربي الذي كان يسمى ليبيا ذلك الوقت، وحكم مصر الفرعونية، وأسس البربر الأسرتين الفرعونيتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، كما انطلق البربر من بلاد القبائل بالجزائر وأسسوا الدولة الفاطمية، و أنشؤوا القاهرة، إذن فأن البربر يعيشون وسط هذا الحوض الحضاري الكبير الذي عرف تبادل الهجرات منذ التاريخ القديم، ومن الغريب أن (البربريست) [أي أصحاب النزعة البربرية الشعوبية المعادية للعرب، افتعلوا ما يسمى بالتقويم البربري بمناسبة توجه ششنق إلى مصر، وسموه التقويم الششنقي، فزيفوا التاريخ وحولوا هذه المناسبة من عنصر تاريخي موحد بين مشرق هذا الامتداد الجغرافي ومغربه، إلى عنصر مكرس لانفصالهما. ويطالب " البربريست " باعتماد هذا التاريخ كرأس للسنة البربرية، والاحتفال به كعيد وطني، مقابلا لعيد المولد النبوي الشريف، بينما لا يعرف تاريخ البربر هذا التقويم أو أيّ مناسبة لهذا العيد.

البربرية في المغرب الأقصى بقيادة اليوسى وأحرضان والدكتور الخطيب ويطرح الحزب أهدافه في المطالبة بإحياء الثقافة البربرية التي هي الثقافة الأصيلة قبل دخول الإسلام والتي استطاعت أن تساهم في بناء الحضارات القديمة إضافة إلى اعتبار اللهجة البربرية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية وإقامة الحكم على أساس إسلامي برئاسة الملك صاحب السلطة الروحية، وتدعو جريدة هذا التكتل إلى الثنائية اللغوية في التعليم وتطالب بتعليم اللغة البربرية(١) في المدارس.

وتعد الحركة الشعبية من أخطر الأحزاب التي تهدد عروبة المغرب، خاصة وأنها قد استطاعت أن تعمق الاتجاه البربري في المغرب، أما على المستوى الرسمي فقد تمكنت من تأسيس معهد لدراسة التراث الشعبي البربري ونجحت في جعل

---

(١) ويلخص الكاتب الفرنسي (فلوريان) التطابق الكامل بين العرب والبربر، فيما يلي:"أصل مشترك، لغة واحدة وعواطف واحدة، كل شيء يساهم في ربطهما ربطا متيناً" أما عن (تسمية البربر) فالنقوش الأثرية المكتشفة تشير إلى أنّ كلمة (بربر) وجدت في اليمن (فجزيرة بربرة): جزيرة تابعة لليمن توجد في مضيق اليمن، كما وجد اسم (قبيلة البر) مكتوبا بالخط الصفائي، ويقول محمد شفيق، من المغرب الأقصى، وهو متعصب للبربرية:"كتب المؤرخون العرب وجزموا بأن البربر من أصل يماني من العرب العاربة، وتكمن فكرة التأكيد اليوم على القرابة القديمة المحتملة بين الأمازيغيين واليمانيين، في ثلاث قرائن:

أولاً: أن عددا لا بأس به من أسماء الأماكن، على الطرق الذي يمتد من المغرب الكبير واليمن لها صيغ أمازيغية واضحة، منها في صعيد مصر (أبنو، أسيوط) وإيخيم وتيما في جبل حوران في سوريا، وتيما في شمال السعودية، وتاركما، وأتبار وتيمرايين في السودان، وأكسوم، بأسمرا، وأكولا، وأكوؤدات (أكوؤضاد) في اريتريا، وجزيرة أنتوفاش في اليمن.

ثانياً: لقد عثرت على عدد من الألفاظ العربية التي قال بشأنها صاحب لسان العرب، أنها حميرية، أو يمانية، وهي الألفاظ التي لها وجود في الأمازيغية، إما بمدلولها الحميري، أو بمدلول معاكس (الأضداد) وقد درج العرب القدماء على وصف الأشياء بأضدادها كما هو معروف، ثالثا: بين حروف التيفيناغ القديمة، ومنها التوارقية، وبين حروف الحميريين (الأبجدية الحميرية – المسند) شبه ملحوظ". (محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغيين، عن كتاب عروبة البربر).

اللهجة البربرية تدرس الى جانب اللغة العربية، إضافة إلى إصدار مجلة دورية باللغة الفرنسية اسمها (امازيغ) وحاولت الحركة إعطاء اللهجة البربرية حروفاً أبجدية لاستخدامها في الكتابة بدلا من الحروف العربية، حيث توجد أسماء باليمن متطابقة مع أسماء لقبائل بربرية كالأشلوح: اسم قرية وقبيلة باليمن، والشلوح تجمع كبير للقبائل البربرية بالمغرب الأقصى والأكنوس عشيرة من بني مهاجر باليمن ومكناسة بالمغرب.

ومما يؤكد عروبة البربر أن المغرب العربي لم يحكم بالخلافتين الأموية والعباسية، فقد انفصل منذ وفاة عمر بن عبد العزيز، وحكم البربر المسلمون أنفسهم بأنفسهم منذ ذلك التاريخ، من خلال أكثر من عشر أسر بربرية حكمت المغرب العربي حتى مجيء الأتراك (وكذا لم يستطع الأتراك السيطرة على المغرب الأقصى، ولا على اليمن أبداًا!)، ولم يحدث أن قال حاكم واحد من هؤلاء أن المغرب بربري وأن العربية لغة دخيلة، ولا بد من ترسيم البربرية أي جعلها لغة رسمية بل عملوا كلهم على نشر العربية وتطويرها بينما نجد الأتراك والفرس قد حكِموا من الخلافتين الأموية والعباسية أكثر من خمسة قرون وبمجرد سقوط الخلافة العباسية، عاد الفرس فرساً بلغتهم، والأتراك أتراكاً بلغتهم، فهل بقاء المغرب عربياً عريق العروبة صدفة تاريخية؟ وبالطبع لا توجد صدفة في التاريخ. كما بينا فإن البربرية لم تكن لغة في تاريخها، وإنما كانت دائما لهجة أو لهجات إلى جانب لغة الحضارة والثقافة في شمال أفريقيا، التي كانت اللغة البونيقية فالمؤرخ الفرنسي أندريه باسي A. Basset، ينشر كتاباً سنة ١٩٢٩ في باريس تحت عنوان، اللغة البربرية La Langue Berbere يقول فيه: لم تقدم البربرية أبداً لغة حضارة، لا في الماضي ولا في الحاضر، كما أنها لم تقدم لغة موحدة موزعة على مجمل البلاد، كما لم يكن لها آداب مكتوبة، أو مدارس تعلم فيها. لقد كانت ولا تزال لغة محلية لقد فتتت البربرية إلى لهجات متعددة، مجزأة حسب كل قرية،

لدرجة أنه لاتوجد لهجات للبربرية، ولكن يوجد لها واقع لهجوي بل إن التفاهم بين جماعة بربرية وأخرى قليل أو معدوم.كما يقول المؤرخ الفرنسي غوتييه E.F. GAUTIER: ويلاحظ أنه لا يوجد كتاب واحد كتِب بالبربرية، كما أنه لا توجد كتابة حقيقية لها، بل لا توجد لغة بربرية منظمة E.F.Gautier:Considerationsurl'HistoireduMaghreb) (Revue Africaine. Vol. 68 (1927

أما عن الحروف التي تمتاز بها البربرية ولا توجد باللغة العربية فإن الكثير منها موجودة بالعربية كالزاي المفخمة التي توجد بالكتابة العربية الجنوبية، فحرف X بخط المسند اليمني هو هذه الزاي المفخمة، التي يقول عنها ابن منظور صاحب قاموس لسان العرب: أنه حرف عربي قديم، حذِف من العربية الحديثة ولا تزال البربرية تحتفظ به، وهذا يدل على الأصل العربي للبربرية كما أن الكاف المعطشة بالبربرية ليست غريبة عن العربية، فاختلاف نطق الكاف ليس غريباً عن العربية التي تعتبر اللغة الوحيدة بالعالم التي تنطق فيها الكاف بعدة مخارج حروف وفقاً للهجات العربية، كالكشكشة والشنشنة وغيرها، يقول الأستاذ محمد شفيق: إن البربرية صورة مثبتة مجمدة من لغة قديمة، تفرعت عنها اللغة العربية في وقت ما وهذا يدعم وحدة اللغتين القديمة وهذه اللغة القديمة التي يشير إليها الأستاذ شفيق، ليست سوى اللغة العربية القديمة، التي أطلق عليها خطأً اسم السامية[١] بدأت هذه المخططات فعلها منذ الاحتلال الفرنسي للمغرب العربي، وخاصة في العقود الأولى من القرن العشرين

فالبربر من الوحدات العربية أو الجماعات العربية أو من العرب الذين تأثروا بالدعوات الانفصالية وهم أكبر عدداً في الوطن العربي، وقسمٌ منهم من الطوارق موجود في جنوب الصحراء العربية الكبرى في النيجر ومالي والسنغال

---

(١) الأستاذ محمد على مادون (كتاب عروبة البربر، ص ٢٩ ـ ٣٠).

وغيرها، والبعض منهم تولّدت لديهم نزعات قومية انفصاليّة نتيجة فهمهم الفهم الخاطئ (للعروبة) أو الانتماء للعروبة على أنها قضية عرقيّة، لقد فهموا العروبة أو أفهموها على أنها قضيّة عنصريّة وهو غير صحيح فالعروبة ليست قضية عرقيّة عنصرية مثل الأمازيغيّة أو الكردية[1] ولايجوز النظر إليها (إلى العروبة) على أنها عرقية قبائلية مثل الإمازيغيّة أوالكرديّة أو غيرها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام، وهم عربٌ قدماء أصلاء جمعهم الإسلام بالموجة العربية الجديدة، ولذلك سادت العربية بينهم وسرتْ ـ باعتبارها لسان القرآن الكريم وبيان الشريعة المبينة ـ فقد سادت أوساطهم الشعبية والعلمية بالسرعة الهائلة من قمم جبال الأطلس إلى عمق الصحراء العربية الكبرى... إنها ليست بغريبةٍ عنهم إنها لغة أجدادهم الغابرين وكانت تمثل جذور لهجتهم وأساسها، لكن المخطط الاستعماري قد استهدف فصل الإسلام عن العرب والعربية وفق ما هو معلن منه بأقلام أصحابه أي المخطط الفرنساوي) وذلك حتى لايرْبِط الإسلام العربيّ العظيم العرب البربر (الأمازيغ) بالأمة العربية الأم، إنّ بعض المؤرخين مثل (أحمد سوسة) العراقي و(بيير روسيه) الفرنسي، يرون أن الموجات البشرية الآتية من الجزيرة العربية هي التي عمّرت الشمال الإفريقي وحوض الأبيض المتوسط بشماله وجنوبه، وذلك منذ بدء المرحلة الدافئة الثالثة في التاريخ الجيولوجي للأرض، أي قبل عشرين ألف سنة والتي نجم عنها ذوبان الجليد في أوروبا وحوض المتوسط، وزحف الجفاف على شبه الجزيرة العربية، التي كانت تنعم قبل بدء هذه المرحلة، بمناخ شبيه بمناخ أوروبا حالياً، وتعتبر هجرة الفينيقيين إلى المغرب واحدة من هذه

(١) بل العروبة هي الفطرة التي خلقنا الله تعالى عليها.

الهجرات المتأخرة للأقوام العربية من الجزيرة العربية التي سبقت بهجرات سابقة لها لم يسجلها التاريخ كما سجل هجرة الفينيقيين وتنقّل الفينيقيين من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، ومن بلاد الشام إلى المغرب العربي، جاء عفوياً ليؤكد تبادل هذا المد البشري في هذا الحوض الحضاري الكبير.

ويؤكد المؤرخون والعلماء الأوروبيون، من خلال استقراءاتهم لعلم الآثار والنقوش والكتابات القديمة المكتشفة، أن استيطان الفينيقيين منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد (أي منذ ٣٥٠٠ سنة) هو الذي مهد لسهولة قبول البربر للغة العربية والدين الإسلامي في القرن ٧ الميلادي، ويرون أن اللغة البونيقية Punic Language التي هي عربية قديمة استمرت قائمة بالمغرب العربي كلغة ثقافة وحضارة ودواوين، حتى بعد تدمير قرطاج، وخلال الاستعمار الروماني، وإلى أن دخل العرب المسلمون؛ فحدث الوصل بين البونيقية التي هي عربية قديمة وبين العربية التي هي لغة حديثة طورها القرآن الكريم والإسلام.

إنّ البونيقية لهجة من لهجات اللغة الفينيقية، كانت سائدة في شمال أفريقيا والفينيقية لهجة كنعانية، وهي بالتالي من جدات اللغة العربية واللهجة الفينيقية الكنعانية كانت سائدة في لبنان وساحل سوريا ومنطقة الجليل في فلسطين وفي مالطا واللغة المالطية الحديثة بالمناسبة خليط أكثره من اللغة العربية والقليل من الإيطالية والإنكليزية وتكتب بالحرف اللاتيني لكن أساسها لغة عربية، كما أن هؤلاء المؤرخين يرون أن الديانة الفينيقية، أي القرطاجنية التي اعتنقها البربر، المؤسسة على شبه توحيد، هي التي جعلت نفوس البربر جاهزة لاستقبال الدين الإسلامي بهذه السهولة، بل وبهذه العفوية إن إمبراطورية قرطاج وحضارة قرطاج الراقية التي استمرت سائدة في حوض البحر المتوسط وفي العالم عدة قرون، تأسست نتيجة للتزاوج بين شعبين عربيين: الشعب الفينيقي القادم من لبنان والشعب البربري الذي كان موجودا بالشمال الإفريقي، إلى أن جاء العرب المسلمون فأقاموا عملية

الوصل بين حلقتي الحضارة العربية وسأعرض نصوصاً لمؤرخين فرنسيين متخصصين في الدراسات البربرية والسامية تؤكد هذه الحقيقة فمحررو مادة الجزائر في الموسوعة الفرنسية يقولون: بدأ تاريخ المغرب الأوسط بوصول الفينيقيين الذين سجلوا حضارتهم كأول حضارة بالمدن، حيث تركت بها آثاراً مكتوبة فأسسوا مبكراً في القرون الأخيرة للألف الثانية قبل الميلاد، مراكز تجارية. وتطور الفينيقيون إلى قرطاجنيين، ولم يستعمروا داخل البلاد، ولكنهم طوروا هذه المدن الساحلية التجارية، والتي استمرت قائمة حتى بعد تدمير قرطاج تحمل تسميات سامية كمدن راسكو رو (دلس) وروس كاد (سكيكدة) وروس قونية (ماتيفون) وكان الرؤساء البربر المسيطرون على داخل البلاد حلفاء وزبائن تجاريين للقرطاجنيين يمدونهم بفرق عسكرية وبخاصة بالفرسان النوميديين المشهورين وبالفيلة الحربية والجنود، وانتشرت اللغة البونيقية (اللهجة الفينيقية الكنعانية السائدة في شمال أفريقيا) والحضارة الفينيقية بعمق في البلاد وظهرت مدن للأهالي وأضرحة ومزارات دينية، بنيت أحياناً من طرف فنيين قرطاجنيين، وهكذا فقد كان البربر تلاميذ للفينيقيين الذين علموهم أساليب زراعية وصناعية، كصناعة الزيت، والنبيذ، وصناعة الأدوات من النحاس وعلموهم على الخصوص ديانتهم، واستمر البربر يعبدون آلهة قرطاج، حتى أثناء الاحتلال الروماني لدرجة أن بعض المؤرخين يرون أن المسيحية، ثم الإسلام لم يقبلا من البربر بهذه السهولة، إلا بسبب دخول هذه الديانة القرطاجنية المغرب التي هي ديانة سامية، واستمرت اللغة البونيقية متداولة حتى بعد القرن الثالث الميلادي، حيث لعبت دور الوصلة إلى اللغة العربية.

وهكذا عمل (المخطط الاستعماري في المغرب العربي) على الفصل بين الشريعة الإسلاميّة (وهي الدين الإلهي والنظام الرباني) وبين النشاط البشري والحياة العامة، مع أنهما (الشريعة الإسلامية والحياة الربانية النظام الرباني للحياة

والحياة العامة كونها الخلق الطبيعي والفطري الممتثل لأمر الله والتسبيح بحمده إنهما (الشريعة الإسلامية والحياة) رئتا الإسلام الأساسي والصحيح وعلى الأخوة (العرب البربر) إدراك ذلك الأمر الخطير ألا وهو العلاقة العضويّة أو السر بين الإيمان بالله تعالى و الانتماء إلى الأمة العربية إذ لا مندوحة بتاتاً ولافصل للدين الإسلامي الحق عن الشريعة الأساسيّة النظام الحياتي المثالي وهما معاً يشكلان رئة الإسلام وجامع جوامع البربر (الأمازيغ) وغيرهم بالأمة العربية الأم الكبرى.

هذا وإنّ (اللهجة البربرية) أو ما يسمى بـ(اللغة الأمازيغيّة أو (تفناغ) وهي حروف الأمازيغيّة إنها ليست واحدة بل هي أكثر من سبعة أنواع متباينة ومختلفة تعتبر (القبائليّة) أكثرها اتساعاً واستعمالاً، وذلك من رؤوس وقمم جبال الأطلس إلى بطون الوديان على امتداد الصحراء العربية الكبرى كما هو معروف، وإن شئت فهي متدرجةٌ إلى جميع الاتجاهات في إفريقيا (القارة العربية) وهي ليست ولم تكن لغةً حضاريّة ولا هي لغة علم ولا أدب بل كانت على الدوام عبارة عن لهجة عربية محلية قديمة متعددة متدرجة على المدى في إفريقيا من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وهي غير متناهية في التنوع والتباين متماهيةً كألوان الطيف، وبحسب البيئة والطبيعة ليس لها حدود أو تضاريس تحدها وقد ظلّ الناس في المغرب العربي يلهجون بها كلغة عربية قديمة بقيت بينهم سريّة يتفاهمون بها فيما بينهم وقد استمرت على حالها منذ آلاف السنين بدائية لم تتطور، وهي بالنسبة للسان العربي المبين (لسان القرآن العظيم) بدائيّة جداً ومتخلفة جداً ولا حاجة البتة لاستعمالها إذ أنّ الله ﷻ قد أبدل البشرية ألسنتهم القديمة باللِّسان المبين (هذه القضيّة بالتأكيد لن يتفهمها دعاة الفرنكفونيّة).

وهكذا انتقل البربر في العصر الحديث وبتأثير شديد وحثيث من عملية (الفرنسة) التي مارستها فرنسة وبقوة أثناء الاستعمار الفرنسي للمغرب العربي

أي منذ أواسط القرن التاسع عشر وإلى الآن (يوجد في الحكومة الفرنسية الآن وزير خاص يدير الدوائر من أجل متابعة نشر اللغة الفرنسية والهيمنة في الدول الأخرى في إفريقيا وآسيا ووزير آخر يتابع انتشار اللغة الفرنسية في شمال أوربة وكندا والأمريكيتين) وهكذا انتقل البربر من اللغة (اللهجة) البربرية غير المكتوبة والعاجزة عن تلبية حاجات العصر إلى اللغة الفرنسية، وحتى ينتقلوا من(الأعراف المحليّة) العربيّة إلى القانون الفرنسي فكان يجب عليهم (الدوائر الاستعمارية وأتباعها) العمل على فكِّ روابطهم مع العروبة ومع كامل الإسلام، فإذا أصبح القانون علمانياً وأصبحت اللغة فرنسية هي اللغة المتداولة، فقد تم الفصل والتفتيت.

لذلك فقد استمات المستعمرون وأعوانهم عبر تلك الحقب على فرض السياسات اللغوية الاستعمارية المعاصرة؛ أو فرض الرهانات التي تحملها والعاملة على إحياء الموات أو اتباع اللهجات المنقرضات أو الكتابة الغزيرة والمأجورة ونبش الماضي السحيق أو اختراع ماضي ومحاولة الدفاع عن شرعيّة (المشاريع الفرانكفونيّة) والقول بشرعية استمرار التحدث، بلغات غير عربيّة على بطاح الوطن العربي تعتبر أساليب وألوان في الثرثرة غير المجدية على المدى البعيد وهي تستهدف دائما إلى تشتيت ذهن القارئ والسامع وإيهام عقل البسطاء والسذج من الناس وإقناعهم؛ وهي بالنتيجة عبارة عن متاهات لن تصل إلى نتيجة مهما تعددت ومهما طال الزمن ولكن للباطل جولة.

إن معنى هذا أن لغة الكاثوليك، المذهب الرسمي للاستعمار الروماني، وبالتالي لغة القديس أوغسطين، كانت اللاتينية، وأن لغة المذهب الدوناتي مذهب الشعب بالمغرب العربي، كانت البونيقية، وقد ظهر هذا المذهب المسيحي في المغرب في القرن الرابع الميلادي، على يد الأب دونا الذي كان يسميه الرومان (دوناتوس) الذي توفي سنة ٣٥٥م وارتكز هذا المذهب على عنصرين أساسيين الأول: اعتماد

التوحيد ورفض الثالوث الذي يرى فيه بدعة دخيلة على المسيحية والعنصر الثاني: اعتماد الدين المسيحي كدين جاء لرفع الظلم عن المظلومين، ولهذا فلا بد أن يساعد المغاربة على تحريرهم من الاستعمار الروماني، وهذا هو الذي جعل المؤرخ الفرنسي سانتاس يقول: كانت الدوناتية مقدمة لإلغاء الإسلام للمسيحية، والثقافة الرومانية بالمغرب والمعروف أن الأب دونا قد سجنه الرومان بل ومات في سجنهم دون أن تعتبره الكنيسة ومؤرخوها في ذلك الوقت، شهيدا للمسيحية فتضيف لاسمه كلمة القديس.

والمعروف أن الأب دونا استشهد في السنة نفسها التي ولد فيها القديس أوغسطين، الذي سبق أن كتبت رأيي فيه وهو أنه كان عميلا كبيراً للاستعمار الروماني، سخر المسيحية ضد نضال شعبه البربري من أجل التحرر من الاستعمار وحرض السلطة الاستعمارية على الغاء الدوناتية واضطهاد أتباعها والإلقاء بأساقفتها في السجون سنة ٤١١م، حيث ماتوا فيها واستمر أتباع هذا المذهب يمارسونه في الخفاء إلى أن جاء الإسلام فوجدوا فيه ضالتهم فاعتنقوه وقد كانت القبائل البربرية قبل الإسلام، تمارس طقوس الديانة البونيقية باعتراف الكاتب البربري المشهور (أبوليوس) الذي كتب باللاتينية، والذي اعترف بأن أباه كان مسيحياً، وأمه وثنية. ومعنى ذلك أيضا أن البونيقية كانت قبل الفتح الإسلامي، تقوم بنفس الوظيفة التي صارت تقوم بها اللغة العربية، بعد الفتح الإسلامي وأن دخول العربية جاء ليخلف البونيقية بأسلوب تطوري طبيعي، من لغة عربية قديمة إلى لغة عربية حديثة، طورت على يد الإسلام.

ويستمر المؤرخ مارسييه فيقول: أن فاليروس (VALERUS) قال: سمعت الفلاحين يثرثرون بلغة أجهلها، ويرددون كلمة (ثالوث Salus)، وعندما سألتهم عن معناها أجابوني: معناها (ثلاثة) والملاحظ أن القديس

أوغسطين لم يشر أبدا إلى اللغة الليبية (البربرية) وعندما هربت العذراء (ديميترياس) من روما بعد احتلالها من طرف الغوت، علق القديس جيروم على دخولها الرهبنة المسيحية بقوله: من يتبع عرسك غير أصوات مصرصرة باللغة البونيقية تودعك بفاحشة مقيتة ويقصد بكلمة ستريدور اللاتينية الزغرودة البونيقية التي ترافق الزفاف، وهذا يشير إلى ان الزغرودة المعروفة بالوطن العربي مشرقا ومغربا، هي عادة عربية قديمة كانت مستعملة لدى الساميين (العرب القدامى).

ويروي الكاتب النوميدي البربري المشار إليه قبل قليل، أبوليوس ١٢٥ـ١٨٠م في كتابه دفاع Apologie أن ربيبه سيسينيوس كان لايعرف اليونانية ويجهل اللاتينية أو يرفض استعمالها، وكان لا يتكلم إلا البونيقية، وسيرد في الكتاب رأي المؤرخ المصري رشيد الناضوري، حول علاقة البربر بالفينيقيين ومصر الفرعونية، ولا ينبغي أن يتملكنا العجب من التأثير الفينيقي في المغرب.

أساساً ما هو مفهوم (اللغة) وما هي دلالته وما المقصود بلفظة (لغة) وهل اللغة مجرد ألفاظ وتعابير وكلام وأصوات أم كان المقصود منها الأحرف والكتابة! وبالتالي ما هو المطلوب حِيال (الأمازيغيّة) وهل هي بالفعل لغة بين اللغات؟

إنّ كل من يرصد الأوضاع اللغوية في العالم سيلاحظ أنّ (الأمازيغيّة) قد جرت المحاولات لتصنيعها ولخلقها وابتعاثها وهي تحتاج إلى المساندة والمساعدة والدعم المستمر (لخلق شيء من اللاشيء أقامت فرانسة في فرانسة الأكاديمية الأمازيغية) وستسقط الدعوى لها حالا عندما سيتوقف هذا الدعم وهذه المساندة، ويتبغي أن نتذكر أنّ اللغة الطبيعيّة الحضارية أساساً لا تحتاج إلى العكاكيز، ولكن في حال غياب الأصيل سيحل محله الهامش، وهو يستدعي أن

تتطاول الأقزام، فما هي دواعي إحياء الأمازيغيّة وما هي دواعي وجودها وغيرها من اللغات القديمة إذا كان لديناأكمل لسان في الكون وأفضل لسان في العالم، بل إذاكان لدينا اللسان الرباني قال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ الشعراء.

أم أن سياسة المنع أدت إلى استفحال الموضوع وذلك لعدم وجود أي محاولة نقدٍ له؛ أو أي ردٍ مناسب وصحيحٍ عليه؟ لكنّ الجاهل عدو نفسه، وربما أضرّ الجاهل بأهلهِ أكثر بكثير مما يمكن أن يضر بهم العدو.[١]

بينما كانت كافة اللغات الإفريقيّة هي عبارة عن لهجات عربيات أو هي انحدرت من اللسان العربي المبين ثمّ ابتعدت عنه قليلا أو كثيراً، ففي (اريتريا) يتحدث الناس بالعربيّة وإلى جانبها باللغة التجرينينية) وهي لغة عربية قديمة كانت سائدة في جنوب الجزيرة العربية[٢]، وفي الصومال أيضاً يتحدثون العربيّة و(السويحليّة) وهي لهجة عربية قديمة كما هو معلوم أيضاً، وفي إثيوبيا يتحدث الناس العربية وإلى جانبها بـ(الأمهريّة) وهي عبارة عن لهجة عربية قديمة، وكذلك في النيجر و نيجيريا و التشاد والسنغال ومالي فإن الناس هناك يتحدثون

(١) تواجه أغلبية الأقطار العربية تحديات اعتماد الإدارة الأمريكية سياسة (الفوضى الخلاقة) وذلك لتفتيت بناها الاجتماعية، كما هو حاصلٌ في العراق الذي كان محتلاً، وهي سياسةٌ غايتها المضي بالوطن العربي من التجزئة القطريّة إلى التفتيت العرقي والطائفي، لإقامة (الشرق الأوسط الجديد) المشكل من كنتونات عرقية وطائفية، يجمعها إطار إقليمي فاقد للانتماء القومي العربي، يدور في الفلك الأمريكي بقيادة "إسرائيل"، ولتحقيق هذه الغاية تحظى قضايا الجماعات المصنفة تجاوزاً "أقليات" بتركيز إعلامي، متجاوزةً حقائق التاريخ ومعطيات الواقع، بحيث صورت وكأنها جميعها قد همشت وأهدرت حقوقها، وأخضعت لممارسات عنصرية تسببت في فسح المجال للمداخلات الإقليمية والدولية، وتحميل أنظمة الحكم المسؤولية التاريخية عنها.

(٢) حامد صالح تركي (اريتريا والتحديات المصيرية ـ دراسة وثائقيّة في الشعب الأرتيري وكفاحه المسلح) ص ٤٢٧ دار الكنوز الأدبيّة بيروت ١٩٧٩.

العربية ويفهمونها بدرجات تتناسب مع الألوان، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم، وإلى جانبها لكل قبيلة لديهم لغة محلية قديمة استسهلوا التحدث بها في ما بينهم واعتادوها ولكنها لا تضارع العربية ولم تكن موضوعة في منافسة مع اللسان العربي المبين ولم تكن هنالك مشكلة بين العاميّة واللسان العربي المبين والناس يدركون ذلك على طول الزمن إلى أن جاء الاستعمار الحديث وفرض بالقوة أساليبه وخططه وسياساته على (إفريقيا العربيّة) فهل نحن مضطرون للانقياد لمخططاته؟

إنها أشبه بعملية خلق شيء من اللاشيء (بعث اللغة الأمازيغية في المغرب العربي واللغة الكردية في المشرق العربي) إنها عمليّة غير علمية ولا منطقيّة ولا داعي لها، (عملية اشغال وتشاغل غير منتج) الحقوق التي أريد منها الباطل، لكنهم عملوا على خلق الدواعي، وطرحوا المشكلات بدايةً بشكل خاطئ وفهموها وأفهموها بشكل خاطئ واستنتجوا رؤى خاطئة ونتائج كارثيّة خاطئة، إن سياسة التعدديّة القسرية الثقافيّة واللغويّة (الفلكلور) التي لم تكن موجودة أو لم تكن ملحوظةً أو لم تكن مهمةً والذين عملوا على استيلادها وإيجادها واستيرادها وركزوا عليها وعلى رفع مستواها من كونها مجرد لهجة قديمة متخلفة إلى لغة تناهض العربيّة وتعوض عنها! ويعملون على كتابتها بالحرف اللاتيني[1].

---

(١) وبالتالي ما هي أهمية التأكيد على (عيد النيروز) علما أنه ليس سراً أن يقال عنه أنه كان عيداً فارسياً قديما ومنشأه وثني وأنّ له علاقة بعبادة النار والشمس، وكانت كل الشعوب القديمة في العالم القديم تحتفل به تحت مختلف المسميات، في وادي النيل (عيد شم النسيم) وكانت تقدم فيه الأضاحي للآلهة ولنهر النيل، وفي بلاد فارس يكون فيه صخب وضجيج وإشعالٌ للنار (عبادة النار)، واستبدله الإسلام للمسلمين بأعيادٍ ربانيّة (عيد الفطر) و(عيد الأضحى) وعليه تم الصراع في بداية انتشار الإسلام، حول الدعوة للدين الحنيف عندما أصرّ المسلمون على نبذ =

وما هي دواعي وجودها وغيرها من اللغات القديمة إذا كان لدينا أكمل لسانٍ في الكون وأفضل لسانٍ في العالم، بل إذا كان لدينا اللسان الرباني المنشأ وهو حصيلة عشرات آلاف السنين من التطور الإنساني الحضاري الهادف، وهم يدرون أو لايدرون أنهم يتبعون وينفذون سياسة تفرضها الدول الاستعمارية ودوائرها العامة على الدول المتخلفة والشعوب المغلوبة على أمرها، إنها سياسة خطيرة ووبالها على تلك الشعوب شديد، لأنها تعمل على ربط تلك الشعوب وأبناء تلك المناطق بالدول المستعمرة ربطاً مستديما لا ينفك بعد تكريس الانفصال والفرقة بينها، وهذا ما يسعون إليه، ويدفعون من أجله الأموال االطائلة ويبذلون من أجله قصارى الجهد، ويعملون على دسترة الأمازيغيّة وجعلهالغةرسميّة ووطنيّة بدل اللغة الربانيّة وكأن الله سبحانه وتعالى لم يقل: (بلسان عربي مبين) أو أنه تعالى لم يقل: (قرآناً عربياً غير ذي عوج) أو أنه تعالى لم يقل (وكذلك أنزلناه حكما عربياً) إنهم يتناسون كل ذلك ويتخيلون العكس تماما ويصرون على ذلك على الرغم من علمهم أنها الأمازيغيّة) ليست لغة دين ولاهي لغة حضارة ولا هي لغة أدب ولا هي لغة علم، ولكنهم نكايةً ولجهالتهم فإنهم يعمهون ويعملون على إبراز الخطأ مقابل الحق، ويعلن عن ذلك المخطط الكاتب الفرنسي (فيكتور بيكيه) في كتابه (العنصر البربري) الصادر سنة ١٩٢٥ـ فيقول (إننا نشاهد أنّ اللغة في السهول، حيث السكان العرب، هي لغة

العادات الوثنية والأعياد الوثنية، وأصرّ الوثنيون في حينه على عاداتهم الوثنيّة، وفي النهاية انتصر الحق على الباطل (بل لا يزال الملف مفتوحاً إلى الآن) وصار المسلمون جميعاً لديهم عيدان، عيد الفطر وعيد الأضحى، ولكنّ على ما يبدو فإنّ ـ الوثنية في العصر الحديث ـ أخذت تنمو وتصعد إلى السطح مرّةً أخرى، وصار لها أنصار يصرّون عليها ويبدو أن ملف معركة اليرموك ومعركة القادسية بين العرب والعجم لم يغلق أساساً أو أنه قد فتح من جديد!

القرآن. وقد لعبت (الكتاتيب) دوراً هاما في الاستعراب ولذلك، فإن كل جهودنا يجب أن تصب على تعليمِ البرابرة (الفرنسية) بلا واسطة لغة أخرى، لقد هيأنا سنة ١٩٢٣م للمدرسة برنامجاً فرنسياً بربرياً له روح فرنسية كاثوليكية، وهذه خطة حسنة لوقف التعامل مع اللغة العربية على أنها لغة التفاهم، ويمكننا بسهولة كتابة البربرية بالحروف الفرنسية، كما فعلنا بالهند الصينية ولكنّ الاستعمار يتعامى عن الحقيقة الدامغة وهي أن أفريقيا بمجموعها كانت دائما عربية، وخصوصاً في غربها وشمالها وإلا فأين سيذهب ذكر تاريخ دولة المرابطين وتاريخ دولة الموحدين و(ابن تاشفين) و(معركة الزلاقة) و(ابن خلدون٧٣١ـ ٨٠٨هـ)[1] ولي الدين عبد الرحمن بن محمد وتاريخه الكبير! هذا

(١) كان عملاقاً من عمالقة المؤرخين، وواحداً من أهم المنظرين في التاريخ والتأريخ قديما وحديثاً، كونه أول من أشار إلى ضرورة إعمال العقل والفكر والمنطق في المعطيات من المعلومات والأخبار ومن المناسب أن نشير هنا إلى أنّ الغرب وأوربة، كانوا قد اعتنوا كثيراً بابن خلدون، فقد بلغت الدراسات الغربية وباللغات الأوربية عن ابن خلدون وكتابه (المقدمة)، وذلك حتى عام١٩٧٠ أكثر من ١٧٥ دراسة وترجمت إلى اللغات الأوربية، بينما لم تتجاوز الطبعات العربية لمقدمة ابن خلدون حتى تاريخه عدد أصابع اليد الواحدة، بما فيها الدراسات الجامعية، كذلك فإن الدولة العثمانية كانت لا تعيّن والياً من الولاة، ولا موظفاً من الموظفين في الدولة إلا إذا حفظ وفهم كتاب (مقدمة أبن خلدون) ويذكر ابن خلدون نفسه أن قائد المغول كان قد التقاه أثناء حصاره لدمشق؛ وأعجب به وأكرمه، واطّلع على مقدمته، كلهم استفاد من ابن خلدون إلا العرب، ولكن ما سر إعجاب الغرب بابن خلدون، وما سر إبرازهم واعترافهم به على غير عادتهم (لقد امتص الغرب وتمثل جهود جميع المبدعين والمكتشفين والعلماء العرب وفي جميع المجالات، النظرية والتطبيقية، ولكنهم أنكروا جميلهم وجحدوا صنيعهم، وسرقوا كل منجزاتهم في وضح النهار وادعوها، إلا في حالة ابن رشد، وابن خلدون، فإنهم يدينون لهم ولا ينكرون صنيعهم ولا معروفهم، فلماذا وما السبب ربما إذا عرفنا السبب بطل العجب؛ ومعروفٌ طبعاً أن ابن رشد كان فيلسوفاً، وقد ناصر الفلسفة، واشتغل بالفلسفة اليونانية، وكان صريع الفلسفة، وهذا كان كافياً لدى الغرب واليهود؛ بالنسبة لهم، حتى يقوموا بتسليط الأضواء على ابن رشد، مع احترامنا وتقديرنا لابن رشد، لكن الغرب ينظر إليه، إلى ابن رشد، أو هو يتصوره، على أنه كان =

العبقري الفذ والذي كان من أهم المنظرين في التاريخ، ألم يكن عربياً مع أنه كان قد كتب تاريخ البربر، هل سبق وقال عن نفسه أنه بربري غيرعربي؟ وإذا لم يمكننا عقد الأمل على رجوع البربر عن الإسلام، ونبذهم لهذا الدين لأن جميع الشعوب لا تبقى بدون دين في مرحلة تطورها، فيجب أن لا نخشى من ذلك، خاصة إذا تمكنا أن نفصل بين الإسلام والاستعراب وفصل الدين عن القانون المدني، مثلما حدث بإدخال تغييرات هامة سنة ١٩١٧ م في قانون الأحوال الشخصية وعلى هذا لايهمنا كثيراً أن تضم الديانة الشعب كله، أو أن آيات من القرآن يتلوها رجال بلغة لايفهمونها فالديانة الكاثوليكية تستعمل اللغة اللاتينية والإغريقية والعبرانية في قداديسها وهذا ما حاول التأكيد عليه (محمد أركون) الجزائري المتفرنس والحائز على الجنسيّة والجوائز الفرنسيّة طوال حياته (كانوا يسمونه في فرنسة المفكر الإسلامي) كان يدعو إلى نبذ اللغة العربية على أنها لم تعد لغة علميّة ويدعو إلى التحدث باللغة الفرنسيّة على أنها اللغة العلمية القابلة للتطور، قال محمد أركون شخصياً هذا الكلام في مقابلة تلفزيونية أجراها مع التلفزيون العربي السوري قبل مماته بسنة واحدة)، فسلخ البربر عن الأمة العربيّة ومخططه علمنة الإسلام وفرنسة اللغة فإذا أصبح القانون علمانياً، وأصبحت

يقف في مواجهة الفكر العربي والإسلام وهذا بالنسبة للغرب واليهود كان كافياً ليجعلهم يعترفون بأن ابن رشد علم من الأعلام تصنع له التماثيل، أما ابن خلدون، فيوجد لدى الغرب واليهود سبب يسيل لعابهم ويجعلهم لا يقدرون على تجاهله، وهو أنّ ابن خلدون رحمه الله وغفر له، بالإضافة إلى أنه كان عالما جليلا ومبدعاً، إلا أن ما خلطه في مقدمته بين مفهوم (عرب) وبين مفهوم (البداة)، جعله يبدو للغرب وكأنه كان معادياً للعرب، أو أنه كان ناقما على العرب، واصفاً إياهم بالتخلف والبدائية والتوحش، وهو بذلك كان يخلط بين مفهوم عرب ومفهوم البداة، ولا يخفى كم وكم ركزت الشعوبية والغرب واليهود، وسلطوا الأضواء على ابن خلدون ونظريته، ومعها على شهادته على العرب؛ فكم وكم استعرضوا رأي ابن خلدون بالعرب.

اللغة فرنسية، فلا خطر من (الدين الإسلامي) ولا من آيات قرآنية تتلى بعربية لايفهمها المتفرنسون، فمثلها كمثل قداس كاثوليكي باللغة اللاتينية الميتة!.

وإذا كانت (الأعراف البربرية) بنظر الشريعة الإسلامية، هي مصدر من مصادر الأحكام فلقد خطط الفرنسيون لدمج الأعراف البربرية في القانون الفرنسي، بدلا من دمجها في الشرع الإسلامي لاستبعاد الشريعة الإسلامية لأنها رباط حياتي موحد للأمة، وعن ذلك كتب (جورج سوردون) ـ أستاذ الحقوق في معهد الدروس العليا بالرباط في كتابه (مبادئ الحقوق العرفية المغربية) الصادر بالرباط سنة ١٩٢٨م يقول: يجب جمع العادات البربرية لئلا تضمحل في الشرع الإسلامي إذ يندمج في القانون الفرنسي من أن نراه يندمج في القانون الإسلامي، لأن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية، وهذا يخولنا اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد)! وهذا (الفكر) الذي صاغه (الأساتذة) الفرنسيون مخططاً لسلخ البربر عن العرب والمسلمين لم يقف عند حدود (الفكر) وإنما وضعته سلطات الاحتلال في الممارسة والتطبيق، (فالمقيم العام الفرنسي) في المغرب المارشال (ليوتي) يصدر الأمر إلى وزارة العدل بالعمل على استبعاد اللغة العربية، لأنها هي رباط البربر بالإسلام وأمته والعمل على الانتقال بالبربر من البربرية إلى الفرنسية مباشرة!.. فيقول في هذا الأمر: إنه لخطأ فاحش التصرف بشكل يساعد على إعادة إحياء العلاقة بين العرب والبربر ولاحاجة لنا في تعليم العربية للبربر، فالعربية هي رائد الإسلام، لأن هذه اللغة تعلِّم من القرآن ومصلحتنا هي أن نمدن البربر خارج دائرة الإسلام وأما ما يتعلق باللغة، فيجب علينا أن نضمن الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية بدون واسطة! وتوجّه السلطات الاستعمارية في الرباط ـ الإقامة العامة ـ إلى الحكومة الفرنسية في باريس مذكرة ـ رقمها ٣٨٨٨ـ وإشارتها ch وتاريخها ١٣يونيو سنة ١٩٢٧ م تقول فيها:إن مبدأ استقلال العرف البربري ودوائر

اختصاصه عن الشرع الإسلامي يحقق أكبر مصلحة سياسية لفرنسا وإن إبعاد الشرع الإسلامي، من جميع بلاد البربر بشكل نهائي ومطلق يسمح لنا في يوم قد لايكون بعيداً بإنشاء نظام معقول للعدلية البربرية في اتجاه فرنسي خالص!.

وكما تجسد هذا التخطيط لسلخ البربر من الانتماء للأمة، باستبعاد الشريعة الإسلامية واللغة العربية من حياتهم، كما تجسد هذا التخطيط في ميدان التعليم فلقد تجسد في ميدان القانون فصدر (الظهير المرسوم البربري) في ١٦ مارس سنة ١٩٣٠ م ليحل الأعراف والعادات المحلية محل الشرع الإسلامي، حتى في المواريث والأحوال الشخصية ـ الأسرة وذلك دمجاً للعرف البربري بالقانون الفرنسي، بدلا من الشريعة الإسلامية، فلقد استعصت الروابط التي وحدت البربر في كيان الأمة على التفكيك فشاركوا العرب من منطلقات عربية إسلامية في مقاومة الاستعمار الفرنسي وانخرطوا جميعاً في السعي لتحصيل الاستقلال الوطني وقدموا شهداء الحرية والاستقلال جنباً إلى جنب دونما تمييز بين عرب وأمازيغ حدث ذلك في الجزائر وفي المغرب على حد سواء!، ومع ذلك، وحتى بعد ثورات وانتفاضات الاستقلال والتحرير الوطني واصل الاستعمار الفرنسي رعاية هذا المخطط التفكيكى فجامعة (فاسان) الفرنسية باريس ـ تقيم في سنة ١٩٧٦م (الأكاديمية البربرية) كما تحتضن فرنسا في جامعاتها ومؤسساتها الثقافية والإعلامية نفراً من البربر، الذين انسحقوا في الحضارة الغربية وذابوا في الثقافة الفرنسية وأصبحوا دعاة لما يسمى (البربريزم) ـ والذي يعني عملياً، أكثر من رفض العروبة والإسلام ـ يعني ـ فوق هذا القفز من مباشرة البربريزم إلى (الفرنسة) وتحقيق ما قاله (ليوتي) عن (الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية) و(دمج العرف البربري في القانون الفرنسي، بدلا من اندماجه في الشرع الإسلامي) كما قال (جورج سوردون) سنة ١٩٢٨م! فدعاة (البربريزم)، الذين يحتقرون تراث العروبة والإسلام لانظنهم يرون في التراث البربري البديل

العصري الكفيل بالإقلاع الحضاري! وإنما القضية عندهم، هي الإلحاق والالتحاق بالغرب والثقافة الفرنسية.

والكاتب القصصي (مولود معمري) ـ وهو جزائري بربريي ـ يعبر عن هذا الاتجاه الذي يحقِّر من تراث العروبة والإسلام ويدعو للانطلاق من (العهد الاستعماري فيقول: (إن التراث العربي الإسلامي قد تم تجريده من كل المصادر الحية للوجود إنه شكل فارغ وهو في أقل الأحوال، مجرد ديكور عبثي ولعبة خاوية وإن المنجزات التي تحققت في العهد الاستعماري وألوان الرقى المادي والتقني التي تسبب فيها مكن الثقافة الهاشمية أو المتعرضة للهيمنة (مثل البربرية) من الأدوات الحاسمة لتحريرها)!

فهذا الذي يحتقر تراث العروبة والإسلام ـ وهو تراث أبدعه البربر والعرب معاً ـ أتراه يعلِّق الآمال على بديل بربري، للغة غير مكتوبة، بل إنها عبارة عن (لهجات متعددة، وبعضها يستعصى فهمه حتى على بعض قبائل البربر.. على حين أن معظم البربر يتحدثون العربية وبعضهم يجيدها إجادة تامة، ليس فقط كوسيلة للتخاطب، وإنما أيضاً كأداة لأرقى أنواع التعبير الثقافي والابداع (من أدب وشعر وفقه) ومن الصعوبة بمكان التمييز بين العرب والبربر، فالعروة الوثقى التي تربطهم، منذ القرن السابع الميلادي، هي الإسلام..)!

إن اتجاه (البربريزم) لايعدو أن يكون (الثمرة المرة) للمخطط التفكيكي الاستعماري، الذي أفصحت عن معالمه كتابات وأوامر وقوانين غلاة المستعمرين الفرنسيين، وهي ثمرة يواجهها جمهور العرب والبربر معاً بالرفض والنقد والتحذير

فالسياسي المغربي البارز ـ الفقيه : محمد البصري ـ يواجه هذا المخطط بوعي عميق، ومنطق دقيق فيقول: أنا من أصل بربري، ومع ذلك، فإن تاريخي النضالي، على مدى أربعين عاماً، قد ارتبط بالوطنية المغربية والقومية العربية.

لا توجد مسألة بربرية بالمعنى السياسي الحقيقي للكلمة.. فالبربر مندمجون تماما في مجتمعهم، بسبب الرابطة الإسلامية وبسبب التزاوج المستمر والمشكلة، في نظري، هي مشكلة مصالح اقتصادية سياسية، ومشكلة ديمقراطية، فالذين يثيرون (المسألة البربرية) مثلما هو الحال في الجزائر مثلاً ويفعلون ذلك حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية والوظيفيّة في جهاز الدولة والإدارة الجزائرية، وهؤلاء هم بربر منطقة القبائل الذين (تفرنسوا) لغةً منذ وقت طويل، ومن ثم مكنهم الاستعمار من شغل كثير من المواقع.. ومع استمرار موجة التعريب، بات هؤلاء يشعرون بالخطر على مصالحهم، فرفعوا شعار الثقافة البربرية حيناً وشعار الثقافة الجزائرية حيناً في مواجهة التعريب والثقافة العربية(في الواقع فإنّ ما يميز أصحاب الدعوة إلى (بربرة) المغرب العربي الحزلقة والزحلقة في الخطاب واستعمال واصطناع واختراع الألفاظ المولّدة والتماهي والتخفي والاستقواء ثقافياً بالآخر والاستعارة منه بطريقة استقباحية بغية الظهور الغرائبي المتمطي وعدم إيضاح أو وضوح الهدف (أنظر كتابات د.محمد أركون وتلامذته ومن تأثر به وأمثالهم من المتفرنسين) فلو أنّ الدكتور المتفرنس محمد أركون (وكانوا في فرنسا يقدمونه ويصفونه بـ(المفكر الإسلامي)؛ لو كان قد كتب كتاباته بالأمازيغيّة التي كان يدعو إليها؛ لأراحنا من كثيرٍ مما كان قد تقيأه من (فذلكات وصياغات لألفاظ ما أنزل الله بها من سلطان) التي سيثبت الزمن القريب أن لا طعم لها ولا أهمية).

وفي الواقع فإن من يدعو إلى ثقافة بربرية، في مواجهة الثقافة العربية، ينتهي موضوعياً إلى الدعوة إلى الثقافة الفرنسية، حتى عن غير قصد فحيث إن البربرية

لغة غير مكتوبة، ولا يوجد لها تراث مكتوب، فإن المناهضة للعروبة والعربية ستنتهي حتما إلى الأخذ بإحدى اللغات العصرية الأخرى، ولما كانت الفرنسية هي الأقرب والأقوى، وهي المتاحة على أي الأحوال، فإن هؤلاء الدعاة سيأخذون بها ومن هنا، ليس صدفة أن فرنسا هي المشجعة الأولى والرئيسية لحركة الثقافة البربرية وإذا كان لي، كبربري أن أختار لغة وثقافة غير بربرية فالعربية هي اختياري، وهي اللغة الوطنية، وهي لغة الإسلام، وهي وسيلتي إلى تراث العرب والمسلمين، ووسيلتي إلى مستقبل قومي عربي مشترك مع بقية الشعوب العربية)

وإذا كان إمام العروبة والإسلام، في تاريخ الجزائر الحديث، وهو الشيخ (عبد الحميد بن باديس) ١٣٠٧- ١٣٥٩ هـ ١٨٨٩-١٩٤٠م، من أصل بربري! وإذا كان الذي عهدت إليه الدولة الجزائرية بمسئولية التعريب ـ بعد الاستقلال وهو المفكر البارز (مولود قاسم) هو الآخر من أصل بربري! فإن المفكر السياسي الجزائري البارز، الأستاذ أحمد بن بله، يعبر عن موقف الجزائريين، عرباً وأمازيغ، من اتجاه (البربريزم) فيقول: (الثقافة البربرية ـ لأنها قديمة جداً ـ فهي تختلف في وجوه هامة عن الثقافة العربية الأحدث وقد عاشت الثقافتان طوال أربعة عشر قرناً، في تمازج وتآلف ومحاكاة وهذا يعني أن استمرارية الأوضاع وانسيابيتها التاريخيّة كان لها وظيفة اجتماعية تؤديها أو حكمة ربانية، ولا مانع من تنمية هذا الإرث والمحافظة عليه بشرط ألا يتناقض ذلك مع الأساسيات في الجزائر... فلا يعني المحافظة على البربرية إلغاء العربية، أو محو عروبة الجزائر، والعروبة عندي كما هي عند الكثيرين انتماء حضاري إلى أمة الأمم وليست قضية سلالة أو عنصر... فنحن جميعاً، في المغرب الكبير، أصلا من العرب القدماء (البربر) ولكن أغلبيتنا أصبحت الآن من

البربر[1] الأحدث (عرباً)، وبحكم تبنى اللغة العربية والإسلام.. والخلاصة، هي أنني أؤيد المطلب البربري الثقافي، ولكنني أرفض الاستعمار الفرنسي وأنا أحذر الإخوة البربر دائما من من مغبة انزلاق المطلب البربري إلى حظائر أجنبية!.. والأقليات دائما مهيأةٌ لمد يدها للشيطان الخارجي إذا ما شعرت بالخطر الداهم، وهذا يحدث عندنا كما يحدث عند غيرنا، لذلك، فبقدر ما أحذر الإخوة البربر من الوقوع في هذه الحظيرة أقول هناك فرنسيون وخاصة من الرهبان، ولهم مآرب أخرى في تأييد وإذكاء البربرية وأنا لا أتهم أي جزائري في وطنيته سواء كان عربياً أم بربرياً، ولكن مطالب بعض الفئات المشروعة تستغل أحياناً بواسطة قوى أجنبية، ويصدق عليها عبارة علي بن أبي طالب: «**حق يراد به باطل**»!

تلك هي حقيقة المشكلة (الموقف ـ والمواجهة) على جبهة البربر الأمازيغ العرب أصلا ولكن حالياً هم أكبر الأقوام (الفئات) أو المشاريع الفئوية الإنفصالية، عدداً في الوطن العربي ـ ١٥،١ مليوناً ـ والذين ظلوا رغم المخطط التفكيكي الاستعماري (جزءاً من الثقافة الإسلامية في المغرب) رغم (الرشح) الذي حدث من هذا المخطط الاستعماري على بعض الرؤى والتوجهات لشريحة من أبناء البربر، نجحت سياسة الفرنسة الاستعمارية في (سجنهم) داخل اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، فسعوا ويسعون ـ تحت شعار (البربريزم) إلى فك الارتباط المقدس والحضاري بين البربر وبين العروبة وأحياناً الإسلام أيضا! ولكنّ العاقل يدافع عن الشيء الهام والعظيم والمقدس فعلاً، وهو لا يدافع عن الأشياء الفارغة، أو الأشياء التي ليس لها قيمة، والتي ليست مقدسة فعلاً، ولا هي هامة في الحقيقةً، حتى ولو كانت هذه الأشياء بحوزته، ومعه وملكه

---

(١) إنّ لفظة (البربر) قد أطلقها الأوربيون على سكان المغرب العربي وشمال إفريقيا؛ وذلك إبان العصر الروماني، ثم أنّ الأستعمار الأوربي الحديث قد راقت له هذه التسمية فعمل على تكريسها وأعتمدها في أبحاثه عن هذه المنطقة العربيّة الأصيلة.

وقريبة منه وتعيش معه، وقد اعتاد عليها فإذا اكتشف عدم جدواها وعدم وجود قيمة لها وعدم أهميتها، إذا أدرك، أو لمجرد أن يدرك الحقيقة، رجع عن خطئه، وأعاد تقويم ما حوله على الصحيح.

إن العاقل يدافع عن دينه وعرضه وشرفه وكرامته، وعن أرضه وعن ماله، وعن أهله وولده، عن كل هذه الأمور الهامة، والتي يجب أن تكون هامة، والتي إن كانت مجتمعة، تشكل مفهوم الوطن أو الوطنية، أما الجاهل والأحمق فيتمسك بأشياء فارغة خالية من كل مضمون، ويدافع عنها بشراسة؛ فهو لا يدافع عن القيم أو المبادئ، أو المثل العليا، إن الجاهل لا يستطيع ولن يستطيع أن يدافع عن الأمور المقدسة حقيقةً، لأنه لا يستطيع أن يتحسسها، ولا يستطيع التعرف عليها، ولا هو يعيها، ولا يستطيع تمييزها، لذلك تراه يدافع عن أشياء ليس لها أصل أو معنى حقيقي، إنه يدافع، أو هو يهاجم، لمجرد الدفاع والهجوم، أو هو يدافع عن الأشياء أو الأفكار، لمجرد وجودها عنده أو معه! بالمصادفة! ودون التأكد من أهميتها أو ضرورتها، فقط لأنه وجدها معه أو عنده، حتى ولو كانت صندوقاً فارغاً، فهو غير مستعد ولا يجرؤ على فتحه خوفاً من هول الحقيقة، أو إدراك الحقيقة، إنه طوطمي إن صح التعبير، فعلى العرب المسلمين، أن لا يتحرجوا من ذلك، فلم تختلف سياسة الاستعمار (فرنسة ـ بريطانيا) تجاه أقطار المغرب العربي عن سياسته تجاه شقيقاتها من بلدان المشرق العربي عندما اتبع حيالها التقسيم والتجزيء في اتفاقيّة (سايكس ـ بيكو).[1] ففي بلدان

(١) أعتقد أننا لكي نفهم الجهود التي يبذلها الغرب في تقسيمه للمنطقة العربية على الصورة التي نراها اليوم، ينبغي أن نعود بالذاكرة إلى تكوين أوربا الحديثة وتفكيرها الحضاري، إنّ أوربا الغربية تنتمي في حضارتها المعاصرة إلى دائرة الحضارة اليونانية ـ الرومانيّة (إغريقية من أصل إفريقي ـ لاتينية (اللات أساساً آلهة من المنطقة العربية) وهي عربية أيضاً، لأنّ (السلت) و(اللاتين) عبارة عن هجرات عربية باتجاه الشمال ولكنها كانت سحيقة في القدم وبذلك تكون =

(المغرب العربي) حيث تتماثل العروبة والإسلام و يفْتقد التعدد الديني والمذهبي لجأ الاستعمار الفرنسي إلى اختراع سياسة (فرِّقْ تسدْ) وأبدع فيها في إبراز (المسألة البربرية) ونشرها وذلك عندما تحسّس الفرنسيون منذ بواكير احتلالهم لأقطار (المغرب العربي) أن الخطر الداهم على مصالحهم هناك يأتي من تمسك سكان المغرب العربي بهويتهم العربيةالإسلامية. وأدركوا أن فعالية هذا الخطر

حضارتها غربيّة خالصة لا تعترف فيها لمؤثر شرقي غير (اليهوديّة)، وفي هذا الزعم مغالطتان الأولى اعتبار الحضارة اليونانيّة حضارة بدئية مستقلّة مع أن هيرودوت وأرسطو طاليس يعترفان بأن اليونان قد استمدوا آلهتهم وعلومهم من مصر الفرعونيّة، والمغالطة الثانيّة أنّ أوربا الحالية تعرفت إلى المدنيّة من طريق الأندلس والحروب الصليبية، فالحضارة الغربية المعاصرة منحدرة مباشرة من الحضارة الفرعونية، القفز عن الحضارة العربية ينطوي على إنكار وجودها وحذف الوجود العربي ـ الإسلامي وكأنه لم يكن، واعتبار الحضارة اليونانية الرومانية مستمرة خلال التاريخ إلى حين ظهور الحضارة الغربية الحديثة، وذلك عن طريق حذف المنجزات العربية ومحوها من الوجود، لتعود المنطقة إلى صورتها التوراتيّة، فلو طبقنا خريطة التوراة للتوزيع القومي على خريطة التقسيم السياسي للوطن العربي، لوجدنا الخريطتين متطابقتين تطابقاً مدهشاً على النحو التالي : بين النهرين سكان بابليون وآشوريون وقبلهم السومريون، فأقيمت دولة العراق الحديث، وقد أنتشر الفينيقيون على الشواطئ اللبناني السوري فأقيمت دولة لبنان الكبير، وفي سوريا الداخلية على تخوم الصحراء سكن الآراميون في دمشق وحمص وحماة وحلب فأقيمت دولة سوريا، وفي فلسطين احتل الكريتيون السواحل ولقبوا بالفلسطينيين في حين سكن الكنعانيون والعموريون (وهم آراميون) فلسطين الداخليّة، وقد غزا العبرانيون الكنعانيين حين خرجوا من مصر وأقاموا مملكتهم بين غزة وحيفا وجعلوا القدس عاصمة لهم ثم بعد وفاة الملك سليمان انقسمت إلى دولتين مملكة يهوذا وعاصمتها القدس، ومملكة إسرائيل وعاصمتها نابلس وبناءً عليه أعطي اليهود حق إقامة وطن قومي على سواحل فلسطين (بعكس الصورة التاريخية) وتركت للفلسطينيين (فلسطين محاصرة متصحِّرة وبدون ماء) أرض داخلية يديرون فيها شؤونهم، وأقام الأنباط مملكة لهم في وادٍ في الأردن فأنشئت المملكة الأردنية الهاشمية وتشدد الغرب في المحافظة عليها لتكون دولة عازلة بين إسرائيل ومنابع النفط في شبه الجزيرة العربية والقوة العسكرية في العراق). محيي الدين صبحي، عرب اليوم صناعة الأوهام القومية ص ١٦٢ ـ ١٦٤، رياض الريس للكتب بيروت ٢٠٠١.

لا تنحصر في بلدان المغرب العربي فحسب، بل تمتد لتمسّ وبشكلٍ مباشر وجودهم في جنوب وغرب القارة الإفريقية العربيّة السمراء حيث ينتشر الإسلام العربي، فلجأ إلى محاولة تقسيم وتفتيت المجتمع العربي المسلم في المغرب العربي من جهة، ومن جهة أخرى فقد عمل على خلق حالةٍ من الفصل بين العروبة والزنوجة في إفريقيا العربيّة؛ وذلك لصدِّ العروبة والإسلام معاً عن الانتشار ولافتعال صراعٍ دمويٍ بينهما! مثلما حدث خلال محاولة فرنسا سلخ موريتانيا عن الجسد العربي.

كما هدفت فرنسا من وراء إثارة المسألة البربرية تغيير هوية السكان البربر لا لحاقهم في الحضارة الفرنسية، ليكونوا أدوات فاعلة في مخططات الهيمنة الفرنسية، بعد أن فشلت في دفع المسيحيين اللاتين ليحلوا مكان السكان الأصليين في الجزائر، على غرار ما حدث في إقليم كوبيك الكندي وقد سخر الفرنسيون الكثير من طاقاتهم العلمية والأكاديمية في خدمة المسألة البربرية فقد كانت منطقة القبائل الكبرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مجال لنشاط تبشيري واسع كان من رموزه الكاردينال دي لافيجري من مؤسسي حركة (الآباء البيض) التي مابرحت تلعب دوراً رائداً في تعليم اللغة الفرنسية وتنشر الكاثوليكية، وفي سياق إثارة وتأجيج المسألة البربرية أنشأت فرنسا ما يدعى الأكاديمية البربرية في باريس سنة١٩٦٧، سعت من خلالها إلى وضع حروف لاتينية للهجة القبائل، وإثراء قاموسها بكلمات جديدة بعدما كانت تثرى طبيعياً بمفردات عربية، لم يستطع جبروت الاستعمار، وبكل ما أوتي من وسائل القوة، ونجاح في تمزيق الوطن العربي إلى كيانات قطرية أن يمحوا الموحدات الحضارية الكبرى الحاكمة للتاريخ العربي، اللغة العربية، الإسلام الثقافة المصير الواحد التاريخ الجغرافية، هذه الموحدات التي تجعل الوطن العربي مهيأ دائما للاستجابة

لمركز سياسي واحد، والتي تستثار حينما توجد (فكرة) أو (دعوة) ذات أفق حضاري وزعامة كاريزمية.

كما بذل الأكاديميون الفرنسيون جهوداً كبيرة وقدموا أبحاثا عديدة تتناول الجوانب اللغوية والعرقية والتاريخية (للأمازيغ) في محاولة لإثبات نظرية مسبقة تقول بانفصال العرب عن البربر،[1] لكن رغم كل هذه الجهود الاستعمارية،

---

(١) واتبعت فرنسا المنحى السياسي نفسه حيال المغرب العربي، ووضعت في صدر اهتماماها القضاء على الدين الإسلامي، لان وجوده هو وجود العروبة، وذلك بتبني آراء توهم إن البربر ليسوا عربا في الأصل، لإثارة النعرات والصراع ليتسنى لفرنسا تحقيق هدفها المنشود في القضاء على العروبة في نفوس البربر، وإتاحة المجال كمقدمة لنشر المسيحية لدمجهم في الأمة الفرنسية، ويعبر الفرنسي، روجير دولاسول عن هذه الحقيقة بقوله: نترك المسيحية،تؤثر في نفوس البربر كما أثرت من قبل في نفوسنا، من غير أن نساعد عملها بوسائل شديدة أو رسمية، لكن بإفساح المجال لها، وعدم تشجيع ما يعاكسها، وهذا ما يسهل بغير شك تفكيك عرى الكتلة العربية، وبالتالي القضاء على الإسلام في إفريقيا الشمالية، لفائدة حضارتنا وجنسنا وقد استند التفريق بين العرب والبربر على أساس اللغة والحكم والقضاء وقانون الأحكام بما فيها الأحوال الشخصية (؟) كما أنشأت فرنسا على صعيد التعليم ما عرف بالمدرسة البربرية التي يصفها ويحدد أهدافها القومندان "مادين " احد كبار رعاة البربرية قائلاً: إن المدرسة الفرنسية البربرية هي مدرسة فرنسية بتعليمها وحياتها بربرية بتلاميذها وبيئتها إذن فليس ثمة واسطة أجنبية، كل تعليم عربي وكل تدخل من قبل الفقيه، وكل ظاهرة إسلامية يجب منعها بصراحة تامة فنحن نبتعد عن كل مرحلة تكون إسلامية. وان ابرز تعبيرات سياسة فرنسا (البربرية) لخصها (مسيو جلاي) احد موظفي الامانة العامة الفرنسية بالغرب بقوله:يجب أن نحذف تعاليم الديانة الإسلامية واللغة العربية في مدارس البربر، وان نكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينية، يجب أن نعلم البربر كل شيء ماعدا الإسلام.

لكن وبالرغم من الفشل الذي منيت به السياسة البربرية، في إحداث شرخ في النسيج الوطني المغربي، لاسيما أن ابرز رموز الوطنية المغربية عبد الكريم الخطابي، قائد ثورة الريف كان من البربر إلا أنها خلقت جماعة من البربر ممن تثقفوا بالثقافة الفرنسية، ونجحوا في تأسيس حزب خاص بالقبائل البربرية يؤمن بضرورة إحياء "الثقافة والحضارة البربرية" واعتبار اللهجة البربرية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية، ويطلق على هذا الحزب اسم "الحركة الشعبية "
=

انخرط المهاجرون إلى فرنسا من أبناء منطقة القبائل بكثافة من حركة (نجم شمال إفريقيا) والتي عملت بعد عام ١٩٣٧ باسم (حزب الشعب الجزائري) وهي حركة معروفة بنزعتها العربية الإسلامية.ومن الملفت للنظر أن مكتبها السياسي كان يضم خمسة أعضاء "أربعة منهم من منطقة القبائل وكان هؤلاء يعتبرون (النخبة) التي تتطلع إلى الاندماج في المجتمع الفرنسي، ومع ذلك لجأت فرنسا خدمة لاستراتيجيتها إلى منح منطقة القبائل أفضلية على الصعيد الاجتماعي، واستخدمت الشرطة الفرنسية لغة خطاب تجاه السجناء ممن تبدو عليهم أمارات الضعف المعنوي، هي الآتي: مادامت الحركة الوطنية تطالب باستقلال الجزائر فاعلموا أن هناك استعمارين، استعماراً سابقاً هو الاستعمار العربي ـ الإسلامي، واستعمارا قائما هو استعمارنا نحن، ويعتبر الاستعمار الأول اخطر من الثاني لأنه يمس شخصيتكم لذا عليكم أن تبدؤوا بمحاربته قبل محاولة محاربتنا.

بدأت الإثارة الأولى لهذا العمل الإيديولوجي السياسي المكثف بالظهور سنة ١٩٤٨اثر نكبة فلسطين والتي ترافقت مع حملة دعائية على العرب في الإعلام الغربي، ووجدت بعض أطراف القبائل في ذلك فرصة للطعن في الاتجاه العربي الإسلامي لـ(حزب الشعب الجزائري) وقد جاء هذا التحرك في الوقت الذي كانت "المنظمة الخاصة" الجناح العسكري لحرب الشعب بقيادة حسين آيت احمد تعلن في تقرير قدم إلى اللجنة المركزية في أواخر ١٩٤٨ استعدادها لإعلان الثورة وتجسد تحرك هذه العناصر في محاولتين الأولى ـ محاولة الانفصال عن حزب الشعب الجزائري وتأسيس (حزب الشعب القبائلي) والثانية ـ محاولة الاستيلاء على فرع

وهي تعتبر اخطر الحركات التي تهدد عروبة المغرب، لاسيما أنها استطاعت أن تعمق أخطر الحركات التي تهدد عروبة المغرب، وأنها استطاعت أن تعمق الاتجاه البربري، بتأسيس دراسات التراث الشعبي البربري، فضلا عن نجاحها في جعل البربرية تدرس إلى جانب العربية. ويضاف إلى تلك إصدار الحركة مجلة دورية باللغة الفرنسية "

حزب الشعب الجزائري في فرنسا وهو فرع مهم باعتباره نواة الحزب التأسيسية، غير أن قيادة الحزب في الجزائر تحركت بسرعة وجندت الوطنيين من منطقة القبائل مما مكنها بعد صراع عنيف من إعادة الأمور إلى مجاريها وقد سمْيّ هذا التحرك محلياً في فرنسا تاريخ الحركة الوطنية باسم(الأزمة البربرية) وفي أثناء ثورة التحرير الوطني (١٩٤٥-١٩٦٢) استمرت النزعة البربرية في المحافظة على طابعها النخبوي، بفعل تصدي الوطنين من أبناء القبائل، وقد ارتكز هذا على موقف علماء الجزائر المنحدرين من أصل بربري، ضد الاستعمار الفرنسي، ومحاولة شطب هوية الجزائر العربية ـ الإسلامية بإعلان تمسكهم بهذه الهوية، ومن أهم هذه الرموز الشيخ عبد الحميد بن باديس البشير الإبراهيمي والعربي التبسي الذين رفعوا شعار الإسلام ديننا‌والعروبة لغتنا والجزائر وطننا وهم الذين حسموا انتماء الجزائر للعروبة، حسب ما جاء على لسان ابن باديس: شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب.

ويمضي الدكتور يوسف نوفل في تتبع مراحل هذه المأساة الواعظة للأمة العربية على أرض الجزائر في صحوتها المعاصرة للجهاد عن لغتها ودينها ووحدتها، فيقول: وأسس علماء الدين جمعيتهم وقد قام رائدها (عبد الحميد بن باديس سنة ١٨٨٩ـ١٩٤٠) بنشاط كبير في حركة الجهاد الوطني واللغوي والديني، كان يقول قوله المشهور (نحن أمازيغ عربنا الإسلام) وكان من أبرز مواقفه في سنة ١٩٣٠عندما أرادت فرنسا أن تحتفل بمرور مائة عام على احتلال الجزائر وإدماجها وفرنستها أنه وقف ينادي بعروبة الجزائر، ويعلن رفض الشعب الجزائري العربي أن يكون جزء من فرنسا، وكان يدافع عن العروبة والإسلام، كما كان هذا شأنه في خطبه ورسائله وندواته ودروسه ونثره وشعره كله ووضعت جمعية العلماء خطتها لنشر التعليم العربي الإسلامي في المدن والقرى وذلك في مرحلتين: مرحلة شملت المدارس التي أعدّها الاستعمار

لتكون غريبة وهي في وطنها، والمرحلة الثانية منذ عام ١٩٤٧ عندما تم إنشاء معهد علمي يجمع أبناء الجزائر الذين كانوا يشدون الرحال إلى جامعة القرويين في فاس، أو الزيتونة في تونس، ولقد قاومت فرنسا بشدة نشاط (ابن باديس) كما قاومت جماعته في جمعية العلماء، ولكن (ابن باديس) لم يلن، ومضى يستحث الجزائريين ليثبتوا على مقاومتهم وعلى جهادهم، وهو يتحدث إلى العلماء في هذه الجمعية بقوله: (إن جمعيتكم أمينة على حفظ الإسلام ولغة الإسلام في هذه الديار) وقوله (لا تفتأ جمعيتكم إن شاء الله دائبة في سبيل الإسلام، في هذه الديار) وقوله (لا تفتأ جمعيتكم إن شاء الله دائبة في سبيل الإسلام والعربية لغة الإسلام في دائرة القانون العام، وإن لحقها في ذلك كل ظلم وعدوان)!

ومن هنا فإن القومية العربية التي احتفظت بمظاهرها الحية الوضاءة منذ فجر التاريخ تمتاز على جميع القوميات الحديثة التي ظهرت أخيراً في عصر القوميات الأوربية منذ بداية القرن التاسع عشر والتي دارت حول نظريات :اللغة أو المصالح المشتركة أو التاريخ والعادات أو الوحدة الاقتصادية. إنها تمتاز بكل هذه الروابط والأواصر مجتمعة ومنسقة في لغتها المعبرة لقومها عن الديني في شريعة لا تتبدل، ونظام أخلاق لا يتغير وهكذا فإن علاج الأزمة اللغوية في الجزائر يرتبط كبيراً بصحوة هذه القومية التي تربط الجزائريين بوطنهم الأم، وبلغتهم الفصحى بهذا الوطن وبكتاب الله المحفوظ الذي نزل بهذه الوطن وبكتاب الله المحفوظ الذي نزل بهذه اللغة فكما تفوقت العربية قديما على اللغات التي واجهتها بعد الإسلام على أرض الوطن العربي، من فارسية ويونانية ورومية، فإن اللسان العربي لشعب الجزائر لن يعود فيقوى عوده وتخضر أغصانه، إلا بقوة هذا الرباط القومي والديني، وبهذه الصحوة إلى الوحدة اللغوية العربية كما تنبه إليها قوة الانتماء القومي العربي.

إن جميع الألفاظ المفهومة والتي لها معنى، في جميع اللغات، أو اللهجات الإنسانية التي في العالم (كألفاظ،وليس ككتابة، لأنّ الأحرف والكتابة لتلك الألفاظ، قد تكون اختراعية، أو متفقاً عليها، في فترة ما من التاريخ) إن جميع هذه الألفاظ، كألفاظ من الممكن الوصول إلى أصلها الأصيل العربي المبين، وذلك أولاً، بمحاولة تحويل اللفظ إلى المنطوق العربي، مع ملاحظة أن اليونان واللاتين، وفي كثيرٍ من الحالات كانوا يدمجون عدداً من الكلمات العربية، أو جملة عربية كاملة، يلصقون مفرداتها بعضها إلى بعض، لتصبح عندهم لفظة واحدة!

إن جميع المفردات عندهم ذات الحجم الكبير، أصلها جملة عربية؛ كانوا قد دمجوها، فينبغي على الباحث الحصيف الانتباه إلى هذه الناحية، ومحاولة تفريد اللفظة الأعجمية أولاً؛ وكتابة هذا اللفظ كما يلفظ ولكن، بالحرف العربي المبين، ثم بإزالة المزيّد، وفك المضعّف، ثم وبعد ذلك، يمكن دراسة اللفظ، من خلال محاولة استبعاد أحرف العلة، وهي الألف والوأو والياء، ويكون الأصل ثلاثياً، أو ثنائياً، وقد يحتاج الأمر إلى معرفة ما اعتادت عليه العرب في بعض المناطق، ما اعتادت على قلبه من أحرفها، مثل الميم مع الباء، مثل مسكة، بسكة و (مكة ـ بكة) والقاف أو العين مع الكاف، (مثل عود ـ كود وكيف تحول لفظ عود إلى كيتار) (أو الفاء، والصاد مع السين، صوفي ـ سوف) والضاد مع الدال،أو التاء، (في الصين، واليابان، يقال عن العنب، بيوت أو بيود، وذلك بدل بيوض!) والحاء مع الهاء، وغيرها، وأيضاً يحتاج الأمر لمعرفة الإدغام وعلومه، كما في علم التجويد، وينبغي إدراك الحقيقة المعروفة، أن الشعوب البعيدة عن المركز، وهو مكة المكرمة، كانت دائما غير قادرة على إخراج الأحرف الحلقية وكانت تستبدل بها الأحرف الأقرب فالأقرب، إلى الإخراج من الحلق! والله أعلم، مثال لفظة باسكت بول الإنكليزية، الأساس أن تقول باسكت تبول وواضحٌ أن معنى لفظة تبل هي طبل التي أصبحت طابة، عند الإنكليز في أقصى الشمال بينما باسكت

أصلها في العربي مسكة وكانت متداولة في البابلية القديمة بمعنى سلة، وقلبت الباء ميماً، كما في التجويد؛ فصارت باسكت تبول، ثم دمجوا بين اللفظتين، كعادتهم في دمج الألفاظ فصارت باسكتبول، وهي (كرة السلة)، ولفظة (تيبل) وتعني طاولة، وأصلها العربي طاولة، لكن حرف الطاء حلقي، يصعب عليهم لفظه، فتحولوا إلى تاء.

ومثل (فورمات) وتعني الذي مات، أو الذي انتفى أو كل شيء ينتمي إلى العدم أو المسح من الوجود والأكمة العربية، التي تعني التلة الصغيرة، كيف تحولت إلى جبل لدى الإنكليز والحبل كيف أصبح كبل، والبنان اللفظة العربية والتي تعني الأصابع كيف أصبحت تعني الموز، إن الباحث الذي عليه أن يقوم بهذه المهمة الهامة يجب أن يكون على دراية كاملة بالمعاني العربية المبينة وخاصةً الألفاظ القديمة والألفاظ الموجودة حالياً في الكثير من اللهجات العربية! وبأشكالها المتعددة، لأن العرب قد يكون لديها للمعنى الواحد أكثر من لفظة وقد تكون الألفاظ التي في لغات العالم ذهبت إلى هناك، من هنا أو هناك! وواضحٌ أنّ الألفاظ في إنكلترّا ذهبت إلى هناك من العراق أولاً، ومن مصر وبلاد الشام ثانياً، بينما في ألمانيا الألفاظ هناك كانت قد ذهبت إلى ألمانيا من العراق أولا ثمّ من بلاد فارس، أما في روسيا فقد يكون الأمر معقداً أكثر لتضافر المصادر، أما في إسبانيا وإيطاليا فقد كانت عملية الانتقال أكثر مباشرة، وكانت عملية انسيابية، وكان الجميع من أساس واحد، وأيضاً فإن الباحث العربي يجب أن يكون ملما باللغة الأساسية التي يقوم بدراسة اللفظ الآتي منها، والانتباه أن الشعوب، البعيدة قد تكون قد أخذت المعاني، وركبت لها ألفاظاً (وبشكل نسبي وبحسب البعد عن مركز الانطلاق، أول بيت وضع للناس، أم القرى؛ البيت العتيق، مكة المكرمة، كما يقرر ذلك القرآن الكريم، كتاب الله، الكتاب الكوني، والله أعلم) كانت تلك العشائر كلما بعدتْ في انتشارها عن المركز، كانت بطبيعة الحال، تخضع وتتأثر في

ألوانها؛ وألسنتها؛ إلى القوانين الطبيعية، التي أوجدها، خالق هذا الكون الله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الروم، لقد ثبت علمياً أن كل سم[٢] مربع من سطح الكرة الأرضية له خصائص خاصة، هذه الخصائص، تؤثر في كل شيء يعيش على هذا السطح أو هذه المساحة الخاصة، والخصوصية من سطوح... هذه الكرة الأرضية، إن جاز التعبير، فإنه يعيش عليها، كائنات من نبات أو حيوان أو إنسان!

وبطبيعة الحال، فإن الإنسان، كائن وكيان حي، يعيش على هذه الأرض وبالتالي فهو خاضعٌ بطبيعة الحال، لنفس الظروف التي تخضع لها باقي الكائنات، من ضغطٍ جويٍ ودرجةِ حرارة وكثافة وجاذبية وهواءٍ وتربة واختلاف في المأكل، وغيرها من الاختلافات التي لا ندركها، الله أ يعلمها، إن سكان الوديان، هم غير سكان قمم الجبال، وسكان خط الاستواء غير سكان المحيط المتجمد الشمالي، وهم غير سكان المحيط المتجمد الجنوبي وسكان الصحارى والبوادي، هم غير سكان الشواطئ، والجزر الصغيرة التي في عرض البحر! هناك اختلاف بينهم بالألسنة، من خلال انطلاق أو عدم انطلاق الألسنة، قدرتها على الإفصاح، أو عدم قدرتها على الإفصاح والبيان، واختلاف الألوان والأشكال والطباع والأمزجة والعاطفة والألسن في العروبة والعجمة، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾الشعراء، وهذا يعني أنه يوجد ألسنة عربية غير مبينة؛ إن الفارسية، واللاتينية، والسنسكريتية، والصينية، وغيرها وما تفرع عنها! ألسنة عربية غير مبينة، نتيجة انكماش الحنجرة البشرية، وعدم قدرتها، أو انغلاقها على بعض الأحرف، في مناطق معينة، وفي ظروف مختلفة، خصوصاً الحلقية منها، كذلك نلاحظ اختلاف اللهجات بين سكان الإقليم الواحد، نتيجة سكناهم في ضياعٍ مختلفة، بين قرية وقرية رغم القرب الشديد بين هذه القرى، والله أعلم، فكيف

نستوعب علمياً، اختلاف أشكال وألوان وطعم النوع الواحد من الحبوب أو الفاكهة، لمجرد اختلاف مصادر أو أماكن إنتاجه! علما أننا مقتنعون، أن الأصل واحد، فمثلا الرز الصيني غير الرز المصري، وهو غير الأسترالي وهو غير الأمريكي؛ وكذلك المنكا المصرية والسودانية هي غير المنكا الهندية شكلاً، وطعماً، نتيجة اختلاف البيئة التي نبت بها، ونستوعب ونتفهم الفرو قات في أشكال النوع الواحد، من أنواع الحيوانات، لمجرد معرفتنا تنوع أماكن حياتها والبيئة التي رعت فيها! فمثلا الفيل الإفريقي، هو غير الفيل الهندي في الحجم والسلوك علما أننا نعرف، ونؤمن أن الأصل واحد، والدب القطبي هو غير الدب الذي يعيش في غابات الهند أو غابات أفريقيا، والنمر الهندي غير النمر الأمريكي وهكذا فإن التباين والاختلاف سيصيب كل الكائنات الحية التي تعيش على سطح الكرة الأرضية نتيجة اختلاف البيئة وذلك بمشيئة الله أ ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلۡعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الروم.

ومعروفٌ أن الضفدع في شمال أوربا، يبقى له ذيلٌ قي جميع مراحل حياته بينما الضفدع في بلاد الشام يختفي ذيله عند مرحلة بلوغه ولازلت أذكر التجربة الرائعة والتي كانت موحيةً، والتي أجريت في الستينيات من القرن العشرين، حيث جلب ضفدع من إنكلترّا إلى بيروت وأخذ ضفدع من بلاد الشام إلى إنكلترّا وكانت المفاجأة، وهي أن الضفدع الشامي في إنكلترّا نبتت له ذيل والضفدع الإنكليزي في بيروت اختفى ذيله!

يجب الاستفادة من دراسة نظرية التحولات، التي تطرأ على الألفاظ العربية واللسان العربي المبين عند انتقالها من المركز باتجاه المحيط؛ في كافة الاتجاهات الشمال والشرق والغرب والجنوب، كيف أصبحت يونانية، في المرحلة الأولى ثم لاتينية رومانية في المرحلة الثانية، ثم كيف تشعبت إلى باقي اللهجات أو اللغات،

في أوربة في المرحلة الثالثة، وكيف أصبحت فارسية ثم تركية مختلفة، في المرحلة الأولى، ثم اللغات الهندية المختلفة في المرحلة الثانية ثم إلى الصينية، ثم تشعبت منها إلى باقي اللغات واللهجات في أسيا وشرقي وجنوبي أسيا، وكذلك الحال، ماحصل في إفريقيا من شمالها إلى جنوبها وهذا ما يجب الاعتقاد به، أنه حصل باتجاه أمريكا من شمالها من الإسكيمو إلى تحت إلى أقصى جنوب أمريكا كيف تحولت الألفاظ والكيفية التي انتقلت بها في رحلنها الطويلة منطلقة من اللسان العربي المبين من المركز، مركز الدائرة، إن هذه الفكرة ستيسِّر على الباحثين اللغويين العرب قبل غيرهم اكتشاف معاني المفردات الهاربة أو البعيدة عن الاستخدام في العصر الحالي وفي الحقيقة، فإنه لا يوجد شيء في اللسان العربي المبين، نقول عنه أعجمي!

ذلك القول الذي اعتاد على ترديده الكثير الكثير من الباحثين والدارسين العرب الكسالى الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء التفكر والتفكير؛ فقالوا عن لفظ إبراهيم أبو العرب والذي سماهم مسلمين، قالوا عنه أنه لفظ أعجمي وكذلك قالوا عن إسماعيل وإسحاق ويعقوب واستبرق وسندس...، وكلما كان يصعب عليهم لفظ قالوا عته أنه أعجمي؛ والقرآن الكريم يقول غير ذلك؛ القرآن الكريم يقول أنه بلسانٍ عربي مبين، وأنه قرآن عربي غير ذي عِوج، ويصر الإمام الطبري على غير ذلك! والحقيقة أن جميع الألفاظ التي في القرآن الكريم عربية مبينة، لاريب في ذلك.

وهكذا فإنه إذا كان عدد من ألمع أدباء الجزائر القدامى قد كتبوا وأنتجوا باللغة الفرنسية، فإن على الأدباء المعاصرين بالجزائر أن يتوجهوا بنشاطهم الأدبي وجهة قومية من خلال صحوته الفكرية واللغوية والدينية والإنسانية ذلك أنه إذا كان الأدب بمستوياته المختلفة قد رافق معارك القومية العربية منذ أقدم العصور، فإن على الأدب الجزائري المعاصر أن يقدر مسؤوليته الوطنية

فلا يقتصر على تحقيق ملامحه العربية لنفسه فحسب، بل عليه تحقيقها فيما حوله، وفيمن حوله، وإذا كان الأديب الجزائري قد استطاع أن يعبر عن آمال شعبه في مرحلة مأساته الوطنية واللغوية الماضية، بلغة فرنسية، داخل الجزائر وخارجها، بل داخل فرنسا أيضاً، فليس صعباً عليه أن ينشط لأداء رسالته في هذا العصر، بلسان عربي فصيح، داخل وطنه وبطريقةٍ فعّالة، وبهذا الأدب العربي العظيم في البناء الثقافي والحضاري الوطني المغاربي، ثم مشاركة أوسع بهذا الأدب الحي باللغة الفصحى المفهومة في كل الشعوب العربية، في هذه المعركة القومية والحضارية.

وإذن... وبعد أن تجاوزت الجزائر مأساتها خلال قرن وربع القرن، وانتقلت إلى مرحلة من كفاحها أكثر أمناً وأوسع أملاً، وذلك على الرغم ممن تخاذل من أبنائها عن نصرة لغته ودينه، أو تواطأ مع المستعمر، أو وقف موقفاً سلبياً منه فإن كل هذا الذي وقع أمام أعيننا لشعب شقيق، وقد كنا في مصر أكثر أشقائه قرباً إليه، ومشاركة له، إنما يقدم لنا ولكل الشعوب العربية ما لا ينبغي أن نغفل عنه من العبرة والعظة التي يزداد معها الحذر في مقاومة مثل الخطر، خطر موت اللغة وموت العقيدة بموت اللغة، وموت الحرية بموت العقيدة..!

وبكل الوضوح.. لعل ما وقع من مأساة فرنسة الجزائر بالأمس، والتي لاتزال تجر آخر ذيولها إلى اليوم من بقايا مشكلات التعرب والتعريب ـ أن يكون للأمة العربية كلها عظة وذكرى تنفع المؤمنين، وتذكر الغافلين، بكل هذه المخاطر المحدقة التي لا تزال ـ تحت مسميات جديدة للعدوان من الشرق والغرب ـ تهدد بقايا العرب على أرضهم، هذا البقاء الحر العزيز الذي يحملون به بكل أصالتهم ومقوماتهم، أمانة المشاركة في آمال العصر وهم يحققون بألفة قلوبهم ووحدة شعوبهم وقوة إيمانهم وفصحى لسانهم، نعمة التقدم ونعمة الرخاء ونعمة السلام.

المسألة الكرديّة

في صيف عام ٢٠٠٨ زارتني في مكتبي بدمشق شخصيّة رائعة ومدهشة تركت لديّ انطباعاً لن أنساه ما حييت؛ وقد عرف عن نفسه بدايةً فقال: أنه كرديٌ من كردستان في العراق، وأنه أكاديميّاً ويعمل عميداً لأحدى الكليات في جامعة أربيل وأنه يشرف على طلاب شهادة الدكتوراه هناك، وقد جاء إلى دمشق باحثاً عن كتب ومراجع تتعلق بالفتوحات الإسلاميّة، وهو يريد أن يشتري كل كتاب أو مرجع يبحث في الفتوحات الإسلاميّة بشرطٍ أساسي وهو أن تخلو هذه الكتب وهذه المراجع من ذكر العرب نهائيّاً (كتب ومراجع الفتوحات الإسلاميّة!) لأنهم في كردستان العراق لم يعودوا يريدون سماع كلمة عرب مطلقاً هذا على حد تعبيره، وطبعاً في حينه أصابتني الدهشة وأذهلتني المفاجأة وكدت أفقد صوابي ولكنني تمالكت أعصابي وتحاملت على نفسي وأجبته متسائلاً: وهل سيادتك مقيمٌ في دمشق لفترة طويلة؟فقال لا أنأ مقيمٌ في فندق قريب هنا في (ساحة المرجة) وسأغادر غداً بعد الظهر إلى (كردستان) وليس لدي وقت! فقلت له هذا جيد سأعمل على تأمين الكتب لك غداً قبل الظهر، ولكنني سأعطيك الآن كتاباً حول الموضوع تقرأه في الفندق وناولته كتاب (الحرب على العرب) وذهب، وفي اليوم التالي أتيت إلى مكتبي متأخراً وإذ بي أراه ينتظرني أمام المكتب وشكله كان متحفزاً للقائي ومعه حقائبه وأمتعته، وبمجرد أن وقعت عينه عليّ بادرني بالعتب على تأخّري عن فتح المكتب؛ فتأسفت وقلت له أنني لم أتفق معه على موعد محدد ولكننا اتفقنا فقط على أن أسلمه الكتب قبل الظهر، وقد جمعت له على كل حال كتباً كثيرةً عن الفتوحات الإسلاميّة ولم أخلف معه

موعدي! فقال: ليس هذا ما قصدت وإنما أعني أريد أن أسألك ما هذا الكتاب الذي أعطيتني إياه بالأمس؟

فقلت: هو كتاب (الحرب على العرب) يبين للناس المعنى الجوهري والأساسي لمفهوم (العروبة) في القرآن الكريم، وفي الحياة، أنها (العروبة) ليست عرقاً أو جنساً أو طائفة أبداً ولكنها تعني (كل ما هو، أساسي فطري وطبيعي، كما خلقه الله سبحانه وتعالى على الفطرة، وهذا ما تقصده الآيات الكريمة في القرآن الكريم، قرآناً عربياً وحكما عربياً ولساناً عربياً، وهذا معنى (الطب العربي) و(الحصان العربي) و(الصمغ العربي) و(السمن العربي).

فقال: بلى بلى، والله ما كنت أعلم هذا من قبل وأنا مسلمٌ والحمد لله وأؤمن بكلام الله تعالى الذي في القرآن الكريم، ونحن في (كردستان) نساير الخطة؛ ولكننا لم نكن ندري أن لفظ (عرب) موجود في القرآن ١٢ مرة، وأعراب١٠، وهذا شيء بالنسبة لي مهم جداً، وكنت بالأمس أصلي في هذا المسجد القريب، ودخلت صدفةً إلى هذه المكتبة، ونحن في (كردستان) لا نستطيع الآن التحدث بهذا الحديث أبداً (المفهوم الحقيقي للعروبة) ولكنني إن شاء الله تعالى سأبدأ من الآن في بحث هذا الموضوع، أرجوك أعطني كل شيء يتعلق بالمفهوم الأساسي للعروبة! وبعد حوالي ثمانية أشهر من لقائنا عاد إلى دمشق الأستاذ الدكتور المدرس في جامعات (كردستان) والذي لازلت اجهل اسمه، عاد لزيارتي، ولما ألتقينا عانقني وكانت قد دمعت عيناه وقال لي نحن في (كردستان) الآن نعتبر كل ما يمت لـ (العرب) أعداء ونحن والله ما ندري أنّ مفهوم (العروبة) مفهوم رباني قرآني أساسي وهو إيجابي ونبيل، ومعنيٌّ به كل إنسان في العالم مؤمن بالله العظيم، ولكنني عاتبٌ عليك! فقلت: خير إن شاء الله، فقال: أنت تتحيز للعرب وتتعصب لهم وتدافع عنهم؛ وهذا واضح جليٌ في كتاب (الحرب على العرب) فقلت: نعم أنا منحازٌ لك ولكل كردي أيضاً، أنت ألست عربياً أليس كل كردي

عربي أيضاً، فأنا منحازٌ لهم جميعاً وهم (عرب وأكراد) يعنونني وضمن دائرتي (العروبة) واهتمامي.

وهل تعلم أنّ لفظ (أربيل) وهي عاصمة (الانفصال الكردستاني) وأسمُ لجامعتك هل تعرف ما معناها بالأكادية؟ فقال لا، فقلت إنها باللغات العربيات القديمة تعني: (عرب الله) مثل (عربين) وهي بلدة بالقرب من دمشق وتعني عرب الله أيضاً، وطلب مني أن أتلطف في أسلوبي لأنه أحس أثناء قراءته للكتاب بتعصّب الأسلوب وانحيازٍ للعرب، فقلت له يا دكتور وهل ممنوع أن يتعصب الإنسان إلى الحق والخير والعدل والسلام وأين هي المشكلة إذا كنت أنا متعصبٌ لك؟ ألست عربياً؟

فقال نعم !

ففلت أين هي المشكلة إذاً؟

فقال أبداً لا مشكلة !.إنّ المشكلات العديدة التي أخذت تثار هنا وهناك على بطاح الوطن العربي على أسس عرقية وطائفية، تحت دعاوى (براغماتيّة) مستحدثة (الإثنيّة والتعددية وعلى أسس طائفيّة عرقيّة وما صار يدعى بالفسيفساء الطائفي) الغرض منها لئيم وشنيع، وينطوي على أهدافٍ غير شريفة لتكريس العرقيّة والطائفية لدى الفئات العربية أساساً، في حين كان ينبغي العمل على تقريب

المسافات بين الأخوة وتذويب أو فك وحل كل العوائق التي تفصل بين الأخوة على الأرض العربية في وحدة الحال ووحدة المصير[1]؛

---

(١) من أين جاءت كل هذه الطوائف أو النحل أو المذاهب إلى الإسلام، ومتى ظهرت وكيف حدثت؟ وما هو سبب ظهورها؟ هذا السؤال سألنيه أحد المستشرقين، منذ خمس سنوات، وأجبته بالكلام التالي: ينبغي أن ندرك أنه قبل بعثة رسول الله محمد ﷺ كانت الجزيرة العربية =

واليمن وبلاد الشام وما يليها والعراق وبلاد فارس وما يليها ووادي النيل وإفريقيا والعالم القديم بأثره، كان يعج بديانات ومعتقدات قديمة وعديدة ومختلفة النصرانية بطوائفها الكثيرة والمجوس بتنوع أصنافهم زردشتيون ومانويون وقبيل اليهود والوثنيون والمشركون وعبدة القمر وعبدة الشمس وعبدة النار بالإضافة إلى الصابئة والموحدين الأحناف الذين كانوا لا يزالون على خطى سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الواقع أنهم كانوا جميعاً منبثقين، أو منحرفين عن الإبراهيمية، كانت لدى أكثرهم، جذور أو أصول مشتركة، عن التوحيد، في هذا المناخ، الذي كان فيه كلٌ منهم، بما لديهم فرحون، بعِث الرسول الأعظم ﷺ أرسله رب العالمين، ليكون هدى للناس كافةً، كان ذلك في مكة أولاً البيت العتيق وكان الجميع يعرف مكة وكانت مكة مركز إشعاع وحضارة وحاضرةٌ للعالم كافة وفي البداية كان الدخول في الإسلام، دخولا اختيارياً نوعياً بحيث كان على من يريد الدخول في الإسلام والإيمان برسالة الإسلام، كان عليه أولا أن ينظف جسمه ونفسه وفكره وعقله، من كل الأوساخ والأدران الانحطاطية السالبة، من العقائد والمعتقدات السابقة من أجل حمل الرسالة الجديدة، كان المؤمنون الأوائل من الصحابة الكرام عند دخولهم في الإسلام، يتعرضون لصعوبات وعقبات جمة، وامتحانات خطيرة، لا يستطيع تجاوزها إلا المؤمن الحقيقي، وتجاوزوها بفضلٍ من الله تعالى، لذلك كانوا قد أخلصوا لله إيمانهم، هذه هي المرحلة الأولى من الإسلام، كان لكلٍ مصحفه، الذي خطّه وكتبه بيده ودرسه بعقله، حتى صار خلقه القرآن العربي!

تلك المرحلة، كان فيها الدخول في الإسلام دخولا إيمانياً نوعياً، بينما في ما بعد، لاسيما في زمن الفتوحات، سيكون الدخول في الدين دخولا جماعياً، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ النصر، وخلال فترة وجيزة؛ كانت العشيرة، أو القبيلة بأثرها تدخل في الإسلام، لمجرد أن أعلن شيخ القبيلة موافقته على الدخول في الإسلام، وفي بعض، أو كثيرٍ من الأحيان، كانت القرية أو المدينة بأثرها تدخل الإسلام بين ليلة وضحاها، ففي العصر الأول وصدر الإسلام، كان المسلمون الأوائل، لديهم خطط ومناهج يعملون من خلالها لمتابعة المسلمين الجدد، الذين دخلوا الإسلام حديثاً، لم تترك الأمور سدى ففي عصر الخلفاء الراشدين وفي العصر الأموي، كانت الأمور تسير سيراً حسناً، وكانت منظمة إلى حدٍ بعيد، كان يخصص لكل مدينة ولكل قرية ولكل عشيرة من يعلمهم القرآن العربي، ومن يعلمهم ويشرح لهم الدين الحنيف، ومن يجاورهم، ومن يفقههم ويقنعهم، فكان للكوفة مقرئها
=

وقاضيها وواليها وللبصرة مقرئها وقاضيها وواليها وكذلك للبحرين وكذلك لليمن ودمشق وحمص ومصر وغيرها (وكتب التاريخ التقليدية الشعبية تصور الأمور تصويراً بدائياً مغلوطاً وهي لا تصلح لأن تكون حتى كتباً للحكواتية!) وهكذا فإن الصحابة الكرام، وكانوا بالآلاف، قد توزعوا في البلاد وجاهدوا أنواع الجهاد وصار لهم تابعون، قد تعلموا منهم وأخذوا عنهم، ففي البداية كانت الأمور منظمة، تنظيما عالياً، كما كان قد نظمه رسول الله ﷺ في المدينة، ولم تكن الأمور تسير عشوائياً، كما يتوهم البعض، كان يسيِّر مع المجاهدين، في فتوحاتهم، حفظةٌ للقرآن، ومقرئون، ومعلمون للدين الحنيف، ومعلمون لااللسان العربي المبين، وكان الناس كل واحد يكتب بيده مصحفه العربي، ويقرأه، ويتخلّق بخلقه، ويتعلم منه؛ هكذا كان ينتشر الدين أول أمره، ولذلك سمعنا كيف تحولت البصرة والكوفة وحمص والفسطاط وقرطبة وخراسان وبخارى، والري وترمز، بعد مكة المكرمة وبعد المدينة المنورة، إلى مدن للعلم، وموئل للعلماء ومنارات للهدى، خلال فترة قصيرة؛ ويصف لنا التاريخ أنه كان يجتمع لسماع أبي الدرداء ﷺ، في دمشق، أكثر من ألفٍ وستمائة، في زمن يزيد بن أبي سفيان وزمن معاوية بن أبي سفيان،

وكذلك كان المعلمون المسلمون في كل مدينة أو مصرٍ يعلمون الناس وينشرون الدين الجديد دين الحق بحيث لم يعد للأديان الأرضية السابقة، مجال لتبرز أو أنّ المناخ الجديد، النور الساطع، لم يعد مناسباً لها، العادات والتقاليد السابقة، المعتقدات بكافة فروعها، وأصنافها بكافة أشكالها، الآراء السابقة الأفكار السابقة جميعها أين ذهبت؟ إنها في البداية غرقت إلى تحت، إلى الباطن، فليس لها مكان على السطح، في النور، ولا تستطيع الصمود أمام الحق والعدل وقوة التوحيد، لذلك فهي، تراجعت وهذا الشيء هو الوضع الطبيعي؛ للباطل أن يخبت وأن يتراجع وأن يزول وأن يزهق أمام الحق، وكان يجب أن يستمر التقدم في نشر الإسلام وتبليغه وتعليمه وتطبيقه على منهج الأوائل ووفق الخطط والبرامج التي من المؤكد أن الإسلام الأول كان له مركز، وكان له قيادة وكانت له خطط وبرامج ومنهاج عمل، كان لكلٍ من الصحابة الكرام والمؤمنين الأوائل دوره الموكل إليه، لتحقيق الهدف، كان هناك إعدادات معدة بتنسيق عالٍ ليستمر التقدم للحق وللأمام وبالتالي ليستمر تراجع الباطل للخلف وإلى الوراء لكن الأمور لم تستمر على هذا الحال، واليهود والفرس المجوس والرومان واليونان والمشركون والكفار والمنافقون والمرجِّفون وعبدة الشيطان وعبدة الطاغوت والسحرة والمشعوذون وأصحاب المصالح والدجالون ممن ذهبت، أو فقدوا مراكزهم أو فقدوا أهميتهم والتي لم تكن حقيقية وذلك بمجيء الإسلام الدين الحقيقي دين الله الحنيف، الذي هدم الأوثان وأزال قدسية الأشخاص والمقامات والأضرحة وألغى العبودية إلا لله الدين الذي أنار بهداه عقول الناس وقضى على الجهل والخرافة وأقام =

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام هو السقوط النهائي للنظريّة العرقيّة التي كانت تقول بـ(الساميّة والحاميّة والآريّة).

فهل بارك المسئولون في العراق وبعض الدول العربية وفي جامعة الدول العربية انفصال الأكراد في شمال العراق، إن من يدْعوْن اليوم بالآشوريين

العلم والمعرفة والمنطق والعدل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحقق للإنسان حريته وربطه ووصله بخالقه برب العالمين، وهكذا انتشر الإسلام الحنيف العربي الدين الأساسي للبشرية، وخمدت كل تلك القوى المناوئة وذهبت إلى الباطن وكمنت وترصدت الفرص السانحة لتعاود الهجوم والانقضاض على دولة الإسلام والمسلمين، أو لتعاود البروز من جديد بهيئة جديدة ولبوس جديد قال تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة عندما وهن العرب المسلمون، وفتّ في عضدهم، إبّان زوال الدولة، أو السلطة العربية الأموية، أن عاودت الأديان الأرضية السابقة بنحلها المختلفة وطوائفها المتعددة، ما لبثت أن عاودت الظهور، بلبوسٍ جديد مختلف، ظاهره الإسلام الشكلاني، وباطنه المعتقدات القديمة! لقد وجد أصحاب المعتقدات السابقة، بمختلف أشكالهم، وفرقهم ونحلهم، الفرصة سانحة، فبرزوا، وكان ظاهرهم إسلام، وباطنهم شيء أخر غير الإسلام، إن المتأمل لعقائد مختلف الطوائف، التي تتصف بالإسلامية الشكلانية سيجد أن عقائدها وعوائدها، لكل طائفة عبارة عن خليط من الإسلام والعقيدة السابقة، التي كانت سائدة لدى هذه المجموعة قبل الإسلام! لقد جرت عمليات تطعيم، بين قيم الإسلام الحنيف، الذي بات سائداً ومنتشراً وعقيدته الواضحة والذي كان قوياً في المجتمع الإنساني متمكناً لفترة محددة مدعوما بالحق والمنطق وبين ما هو موجود كامنٌ في الباطن لم تنمحِ آثاره من الوثنيات والشركيات والخرافات إنها المعتقدات القديمة؛ التي عادت باسم الإسلام.

أو(الآثوريون)[1] وهم (الآثوريين) ليسوا سوى قبيلة عربية قديمة، والسريان كذلك، والكلدان والتركمان والأكراد[2] عرب الجبال، أو من سكن الجرد

---

(١) لا أظن أن هناك خرائط سياسية آشورية في ذهنية دعاة القومية الآشوريين أو على أجندة الأحزاب الآشورية لكيان قومي آشوري في بلاد آشور، (الأثوريين بالحقيقة كانوا يعدّون أجداداً للعرب) لكن لا ننفي أن يكون بين الآشوريين من بقي منفرداً عرقياً وطائفياً أسير الماضي الآشوري العريق (بتأثير مقالات المستشرقين) ولم يتحرر بعد من عقدة سقوط (الدولة الآشورية) وضياع الوطن التاريخي للآشوريين في (بلاد ما بين النهرين)، منذ أكثر من ٢٥ قرناً، إذ يوجد داخل الأحزاب الآشورية خاصة الموجودة منها في المهجر ممن يحن إلى ذاك الماضي الآشوري ويعيش فيه، يرفض التسليم بالحقائق والمعطيات الجديدة على الأرض العربية وفي (بلاد ما بين النهرين) وعدم قبول بالواقع الجديد، حيث بات الآشوريون اليوم أقلية قومية ودينية في وسط شعوب عربية إسلامية و(المنظمة الآثورية الديمقراطية) وهي التنظيم الآشوري الأساسي في سوريا ترى أن الشعب الآشوري في سوريا بكل طوائفه هو جزء أساسي وأصيل من النسيج الوطني العربي، وهي ترى أن مصير هذا الشعب هو من مصير الشعب العربي بكل فئاته.

(٢) أثناء فترة الحصار الأمريكي للعراق زارني في مكتبي أحد الباحثين في الأنساب يسأل عن إمكانية طباعة كتابه، وكان يحمل في يده بحثاً بعنوان (أنساب قبائل العرب والأكراد في بلاد الشام والعراق) والواقع أنني فوجئت في هذا البحث، وبهذا الباحث وسألته مندهشاً عن سبب قيامه بمثل هذا المشروع العجيب في هذه المرحلة الحرجة فقال: إن له وضعاً خاصاً، فهو من الحسكة من أبٍ كردي وأم عربية! وأنّ أباه ρ كان يحب أمه، وأن أمه رحمها الله كانت تحب أباه، وهو يحب أباه ويحب أمه وسألته عن نتيجة بحثه فأجاب بأنه يبحث في هذا الموضوع منذ زمن طويل وقد وصل بالنتيجة إلى حقيقة أنّ سكان ما يسمى أو ما عرف (بإقليم كردستان) أكثر من ستين بالمائة منهم، أنسابهم عربية صريحة واضحة من قبائل عربية معروفة ومشهورة وأن الباقي منهم من العرب القدماء من بقايا الدول العربية القديمة أثورية وحثيه وكلدانية والقليل من أصول فارسية وتركية وقد أجبر الناس في ذلك الإقليم على تناسي أنسابهم الحقيقية وأجبروا على تجاهلها بالقوة وذلك خوفاً من ممارسات تلك الأحزاب والتنظيمات التي نشأت في تلك المناطق أثناء وبدعمٍ من الاحتلال الإنكليزي للعراق والتي كانت تهدف كحركات للانفصال عن العروبة.

وقال بالحرف الواحد، أنه من أجل إتمام هذا البحث في مناطق شمالي العراق، كان قد طلب الاجتماع مع السيد جلال الدين الطالباني، والسيد الملا مصطفى البرزاني، ولما ذهب لموعده مع السيد جلال =

والمناطق الجبلية، ومن الطبيعي أن يكون لديهم لهجةً خاصة ومتميزة، متأثرين بسكنى المناخ الجبلي الخاص بمعطياته العديدة، والمسحوبة أساساً من اللسان العربي المبين، ومعروفٌ، أو معروفةٌ الظروف التاريخية والسياسية التي مرت على المنطقة والتي جعلت من بعض هؤلاء العرب الأكراد[1] (سكان الجبال، الكرد

الدين الطالباني في بيته، طلب منه في حينه أن ينتظر في قاعة الانتظار، وهناك لاحظ أنّ لوحةً للأنساب كانت قد علقت على الجدار فيها شجرة أنساب، فأخذ ينظر إليها، وقرأ أن السيد جلال الدين الطالباني بن فلان بن فلان بن فلان إلى أن اتصل بنسبه بأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه! ويقول هذا الباحث أنه لاحظ الملاحظة نفسها لما ذهب لمقابلة السيد مصطفى البرزاني، وهما زعيما الحركة الانفصالية في شمال العراق. (بدون تعليق) وأضاف أن كون المنطقة في هذا الإقليم الواقع على التخوم الشمالية الشرقية لأرض العرب، ولما كانت هذه المنطقة الجبلية القاسية بعيدة وبمنأى عن وجود سلطة قوية تدير أمورها أو تحكمها، سمحت هذه الظروف التاريخية والجغرافية لأولئك السكان بالسياحة المستمرة والاختلاط مع سكان الأقاليم المجاورة من الفرس والأتراك، وبالتالي نشأت هناك لهجات خاصة هي خليط بن المفردات العربية والتركية والفارسية، وكذلك كان تزاوج الناس واختلاطهم من الشعوب الثلاثة، وقال إن ما سميّ (اللغة الكردية) ليس سوى اللهجة العربية (القديمة) التي كانت سائدة في تلك الجبال قبل ٢٠٠٠سنة، وكانت تكتب بالحرف العربي، مثل ما كانت تكتب فيه من قبل اللغة التركية، ومثل ما كانت تكتب فيه اللغة الأوردية، ومثل ما تكتب فيه الآن اللغة الفارسية، وأضاف أنه في عام ١٩٣٥ـ حضر إلى بغداد اثنان من المستشرقين، ومكثوا فترة في مقر السفارة الإنكليزية في بغداد، وقاموا بتحويل الكتابة عند الأكراد في لهجتهم من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني.

(١) بدأت الدعوة بين (العرب الأكراد) للانفصال عن الجسم العربي في مطلع القرن العشرين، عندما قدم اثنان من الجواسيس اليهود بجنسيات بريطانية، مطلع القرن العشرين، قدموا إلى شمال العراق عام ١٩٠٥م تقريباً، ودخلوا إلى تكية (مسجد) كان الملا البرزاني (الشيخ الذي يملي العلم) هناك في أقصى الشمال الشرقي، من الأرض العربية، على التخوم مع الفرس والأتراك، لم تكن هناك في المناطق الجبلية أية سلطة مركزية، كان الملا البرزاني الشيخ في التكية (المسجد) وكان لديه في المنطقة مريدون (مجموعة من الأتباع الدينية والطريقة الصوفية)، كان هذا الوضع مناسباً وبيئة جيدة لعمل جاسوسين من اليهود البريطانيين، ومنذ ذلك الحين بدأت الدعوة إلى كيان كردي مستقل، وكرسوا لهذه الدعوة شتى السبل من خلق وكتابة التاريخ الكردي للحضارة الكردية القديمة إلى استيلاد اللغة الكردية الآرية!
=

الجرد، في الإقليم الشرقي الشمالي لبلاد العرب) مجموعة تطالب بالانفصال عن الجسم العربي الأم، ومن الجدير ذكره أنّ العديد من العشائر ذات الأصل العربي الصريح أصبحت كرديّة، مثل (البرزنجيّة) والبابان والجادري والطالباني وغيرهم كثير، وكذلك فإنّ الكثير والعديد من العشائر العربية أصبحت وقد (تكرّدت) إن صح التعبير نتيجة الظروف الموضوعيّة وأعرف صديقاً كنيته (أبو عرب) وإذا سئل عن نفسه يقول أنه كردي الأصل؛ وأعرف صديقاً آخر كنيته (كردي) ويقول عن نفسه أنه عربي ويفتخر بانتسابه للعروبة[1]-[2]!

إلى إعداد الظروف السياسية المناسبة، من مجيء من يعمل على اضطهاد تلك الفئة ليصبح المبرر قوياً! كانت الأمور تسير في اتجاه إقامة دولة كردية من اللاشيء (راجع القضية الكردية، لإسماعيل العرفي، وكتاب النفط مستعبد الشعوب ليوسف إبراهيم يزبك).

(١) هناك أسطورة ارمينية تقول أن الكرد لم يظهروا إلا في القرن العاشر وبعد تزعزع سيطرة العرب في القرن العاشر وازدياد عدد الأمراء في مختلف البلدان هاجر السيتيون الذين كانوا يقطنون الجانب الآخر من بحر قزوين والذين كانوا يدعون بالأتراك هاجروا بصورة جماعية إلى فارس وميديا وانتشروا فيها و غيروا معتقداتهم وصاروا فرساً وميديين ديناً و لغة، وقد تجمع العديد منهم حول أمراء ميديين وغزوا أرمينيا في المناطق المحاذية للكاردوخ والملوك واستولوا عليها ثم استقروا فيها، وامتزج بهم الكثير من المسيحيين بالتدريج واعتنقوا دينهم وقيل أنهم من أصول إيرانية (هندوأوروبية) وقد ارتحلوا في القرن السابع ق.م إلى منطقة البحيرة الأوروبية صوب منطقة (بوهتان)

(٢) وكان البعض منهم (كما هو معروف) يعبِّر عن إنزعاجه من ظن البعض بأنه كردي بينما يعتبر نفسه عربياً، فتأمل يا رعاك الله! لكن المسألة الكردية مع المسألة الأرمنية كانت مسألة سياسية تضافرت فيها جهود (الأقليات) نكاية بالدولة العثمانية ثم تطورت المسألتان إلى مشاريع تدعو إلى الإستقلال كلياً عن الدولة العثمانية، وللعلم كانت تلك الحركات بداية داعمة للعروبة ومؤيدة لها ولكنها منذ الأربعينيات من القرن الماضي مالتا إلى التآمر على العرب والكيد لهم وذلك بإيحاءٍ من دول الغرب وروسيا (الإتحاد السوفيتي وحزبه البلشفي وبتكليف من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي)؛ لا سيما في عمله الجاد لصناعة اللغة الكردية وخلقها من العدم، وتولت دول الغرب صناعة التاريخ الكردي ونسبوا له المثيولوجيا؛ كذلك من العدم، وتولت =

لكن اليهود الآن يفكرون بطريقة مختلفة، فهم يجب عليهم الآن أن يطْلِعوا الشعوب على خرافات التوراة، ويجب أن تقتنع الشعوب بأباطيل التلمود، بل ويجب أن تمحى الذاكرة القديمة التي لدى العالمين وما بها من حقائق دامغة وساطعة، يجب أن ينتظم الفكر البشري على قدر معطيات التوراة وبأبعاد تلمودية، فلن تعود القيم هي القيم، ولن تعود المثل هي المثل، ولا التاريخ سيكون كما كان، ولا الجغرافيا(١)، ففي التاريخ الغاصب سيكون بطلاً، حتى السرقة سيكون لها مبرر، وفي الجغرافيا سيتم تغيير أسماء الأقاليم في العالم وأسماء البحار والمحيطات والشعوب والدول والمدن والجبال والسهول والقلاع والحصون، كل ذلك سيكون وفق ما تحدده التوراة، من أحداث ومن تسميات ومن أخلاقيات وعلاقات الناس، وحتى الأزياء والشعارات كل ذلك سيكون على قاعدة التوراة، ومن منظور التلمود(٢).

دولٌ أخرى رسم جغرافيا محتملة (لكرد ستان الكبرى والصغرى) وكذلك عملوا على خلق شيءمن اللاشيء! (تماما كما قالوا بلا خوفٍ ولا وجل) كما قال الباحث والبرفسور الكردي (عرب شموا في مذكراته) وكانت من أبرز المحاولات تبعتها عدة محاولات؛ وكان جوهر العملية أن يكون هذا الاختراع (اللغة الكردية) بالحرف اللاتيني! والأمر الآخر أنهم كرسوا القول بأنها من اللغات الآرية (الاستشراق الروسي) أو الهندو أوربية (الاستشراق الأوربي والأمريكي) وذلك إمعاناً في سلخ الأكراد عن الجسم العربي.

(١) نسب اكتشافها ظلما وبهتاناً إلى (كريستف كلمبس) بينما كانت قارة أمريكا معروفة منذ فجر التاريخ، ولا ندري كيف تم تلفيق مثل هذا الموضوع، راجع كتاب أحسن التقاسيم.

(٢) يقول الأستاذ عوني فرسخ: كثيرةٌ هي المؤشرات التي تدل على اهتمام الإدارة والأجهزة الأمريكية بالقضية الكردية في العراق ومحاولة توظيفها في تنفيذ مشروع "الشرق الأوسط الكبير"، ومنذ مطلع خمسينيات القرن الماضي توالت التقارير حول تغلغل "الموساد الإسرائيلي" في كردستان العراق، ولقد جاء (سيمور هيرش) بمقالته في صحيفة (نيويوركر) الأمريكية بتفاصيل وافية، استناداً لمصادر معلومات أمريكية وألمانية و"إسرائيلية" عن تطور التغلغل الاستخباراتي والسياسي والعسكري "الاسرائيلي"، واتخاذ كردستان العراق مركزاً للتأثير في أكراد سوريا وإيران والتجسس =

فمثلا أطلق على الحضارات العربية القديمة تسمية (الساميون) اعتباراً من منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وعلى وجه التحديد عام ١٧٨١م، حين استخدم هذه التسمية ولأول مرة العالم اليهودي الألماني (أوجست لودفيج شلوتسر) مستهدياً بما تضمنته لوحة الأنساب الواردة في سفر التكوين (١٠/ ٢١

على البلدين، وليس ممكناً الطعن بشهادة هيرش إذ هو باحث مشهود له بدقة مصادره، فضلا عن أنه يهودي متعاطف مع "إسرائيل" ومنذ احتلال العراق والقادة الأكراد يمارسون أدوارا في مجريات الأمور على مختلف الأصعدة تتجاوز كثيرا ما تؤهلهم له إمكانياتهم الذاتية ونسبة الأكراد في المجتمع العراقي وما كان ذلك ليكون لولا شعور كل من سلطة الاحتلال والقيادات الكردية الضالعة معها بأهمية الدور الكردي في تنفيذ المخطط الأمريكي – الصهيوني، ليس في العراق المحتل فقط، وإنما أيضا في محيطه العربي والإسلامي وما كانت القيادات الكردية لتغالي بمطالبها بفرض الفيدرالية بالشروط الكردية، وتمارس عملية طرد العرب والتركمان من كركوك، لولا أنها واثقة من أهميتها عند صناع القرار الأمريكي والصهيوني على السواء وكان طبيعياً والحال كذلك أن يكثر في أوساط المعلقين السياسيين العرب والأجانب الحديث عن احتمالات أن تقيم الإدارة الأمريكية "إسرائيل" جديدة في كردستان العراق، واحتمال توظيف القضية الكردية بمثل ما وظفت به المسألة الصهيونية، برغم التمايز الكيفي بين الحقوق الكردية المشروعة وغير المرفوضة عربيا وبين الادعاءات الصهيونية غير المشروعة والمرفوضة من الأمة العربية جملة وتفصيلا. بل وأن يسخِّر الأكراد في خدمة الاستراتيجية الأمريكية في وسط آسيا الإسلامي كما الصهاينة مسخرون في خدمة هذه الاستراتيجية في الوطن العربي والأسئلة المحورية التي تفرضها الظاهرة الكردية الراهنة: هل من الممكن أن تغدو كردستان العراق "إسرائيل" الثانية، وأن يلعب الأكراد دورا مماثلا لدور الصهاينة في المنطقة أم أن تمايز الظروف الموضوعية لكردستان والذاتية للأكراد عنها بالنسبة لفلسطين المحتلة والتجمع الاستيطاني الصهيوني فيها، يجعل تحقيق الأمرين مستحيلا عمليا وهل إن كلا من النخب السياسية القائدة والفكرية والإعلامية المؤثرة، العربية والكردية على السواء، وفي العراق على وجه الخصوص، تدرك حقائق الواقع الكردي المتميز كيفيا عن الواقع الصهيوني، وقادرة على التعاطي مع القضية الكردية في ضوء ذلك، لتحول دون التداعيات الخطرة التي تلوح نذرها في الأفق أم أن مثل هذا الطموح أمنية رغائبية صعبة التحقق في واقع من ابرز معالم أزمته المستعصية تخلف النخب الأشد تأثيرا في صناعة القرار وعجزها عن توظيف الإمكانيات المتوفرة لدى الأمة العربية في تقديم الاستجابة الفاعلة في مواجهة التحدي الإمبريالي الصهيوني؟

ـ ٣١) التي أشارت إلى أن سام ابن نوح هو أبو آشور وآرام و...عابر! وإلى عابر سينتسب العبرانيون! على أنهم من سلالته.

ومع أن هذه التسمية لا تنهض أساساً على علم السلالات البشرية، كما أوضح ذلك العالم الأنثروبولوجي السويسري (إيوجين بيتار) حين يتناول الساميين في كتابه (الأجناس والتاريخ)، وكما أوضح الدكتور فيليب حتي في (تاريخ العرب المطول) (ج١ ص٩) عندما قال: إن لفظة (سامي) قد دخلت إلى اللغات الأوربية عن طريق التوراة وترجماتها المتداولة، وهو يرى أن التفسير التقليدي المألوف الذي يذهب إلى أن الساميين قد تحدروا من كبير أبناء نوح، قول لا تؤيده الأبحاث العلمية الحديثة، ومع ذلك فقد شاع هذا الخطأ وصار معتمداً! حتى من قبل العرب وجامعاتهم وعلمائهم وعليه بنيت النظريات العديدة، مثل القول باللغات السامية.

وعروس هذه اللغات بالطبع اللغة العبرية! مع أن هذه اللغة لم تكن قبلا ذات قيمة، لا هي لغة أدبٍ، ولا هي لغة حضارةٍ، لم تكن سوى كلام يرطن به اليهود القاطنون (الغيتو) خارج المدن في أوربة، ثم تحول هذا المدلول ليصبح أخيراً دلالة على شعب الله المختار، اليهود أيضاً! كذلك مفهوم الشرق الأوسط، هذا اللفظ التوراتي الأصل، أو المستوحى من التوراة اليهودية، كان أول من أطلقه على المنطقة العربية وبلاد المسلمين صحافي يهودي إنكليزي، في القرن التاسع عشر ١٨٦٠م، مستوحياً هذا اللفظ من التوراة، حيث يتكرر لفظ الشرق، لكونه مكان الأرض التي وعد بها (يهوا إله اليهود!) وكان هذا الصحافي اليهودي يكتب عن البلاد العربية، في الصحف الإنكليزية، وقد استخدم هذا اليهودي تعبير الشرق الأوسط، أول مرة دلالة على بلاد الشام جغرافياً، ثم تطور هذا المفهوم سياسياً واستراتيجياً، وصار يطلق على المنطقة الممتدة من المغرب

العربي من شمال إفريقية إلى اليابان، وصار يقال الشرق الأوسط، والشرق الأدنى، والشرق الأقصى.

إن كلمة (الشرق) عادة كانت تطلق من الغرب على المنطقة الممتدة بين المغرب الأقصى في شمال إفريقية إلى اليابان، وكان مفهوم (الشرق الأدنى) يعني الدول العربية، و (الشرق الأوسط) يعني إيران والهند بالتحديد، ثم الصين واليابان ودول جنوب شرق آسيا، وشرقي آسيا، يطلق عليها (الشرق الأقصى).. ويذكر في هذا السياق، أنّ (الإذاعة البريطانية)، وحتى أربعينيات القرن العشرين، كانت تبث برامجها العربية، لتغطي البلاد العربية حصراً، وعبر محطة القدس (محطة الشرق الأدنى) كان تعبير الشرق الأدنى بالنسبة للغرب يعني الدول العربية، ثم لما قامت (دولة اليهود)؛ واعتباراً من عام ١٩٤٨ بقدرة قادر، تبدل اسم الشرق الأدنى، وصار يدعى الشرق الأوسط، لتصبح دولة إسرائيل في قلب الشرق، في المركز ولتشرف على الشرق كله! لقد سارع الإعلام اليهودي لتصحيح الخطأ. وهكذا قام اليهود بمصادرة الحقيقة من العقل والفكر والذاكرة البشرية، وأحلوا محلها أشياء أخرى وهكذا انطبق الوعد المزعوم على واقع مصطنع[١]، صنعه اليهود لأنفسهم، والعرب غائبون، غائبون عن مصيرهم وهم

---

(١) ما من شكٍ في أن دور القوة ودور المصالح ومواقف الدول السياسية جميعها تؤثر في الصراع العربي اليهودي، هو الدور الحاسم الذي يصنع اليهود ويصنع هيمنتهم الحالية وإدارتهم وتحكمهم بهذا الصراع، ولكن.. في الصراع العربي اليهودي القديم الحديث، الشاهد الوحيد بالنسبة لليهود هي التوراة المزيفة التي كتبوها بأيديهم؛ وإن هذا الشاهد يعتبر بالنسبة للعرب شاهد زور مزعوم لا يعترفون به على الإطلاق لا به ولا بتواريخه ولا بوقائعه ولا بأسمائه ولا بقصصه ولا بتشويهه للدين الحنيف! إن كتاب التوراة المزورة، بالنسبة للعرب لا يعني شيئاً ولا يعبر عن حقوقهم التاريخية وهو ليس بشيء ولن يجعلهم يتنازلون بأي حال عن حقوقهم في استرجاع أرضهم وتحريرها كاملة مهما طال الزمن، إن جميع الكتب التي بنت على التوراة، العربية والأجنبية، هي كتب باطلة مزيفة مردود كل ما فيها وقد كانت جميعها تروج للفكر =

يغطون في سبات عميق، لقد سيطر اليهود في مخططاتهم التي استغرق تنفيذها زمناً طويلاً، «بدأ منذ القرن الرابع عشر تقريباً ولا يزال إلى الآن، يسيطر على العقل البشري، العقل الجمعي الذي صنعوه» وعليه كان اليهود قد أسسوا في أوربا في القرن التاسع عشر معاهد الاستشراق، و(مراكز أبحاث)[1] عملت على الاستكشاف والاتصال بالشرق، فمهدت وأسست لقدوم اليهود إلى هذا الشرق، وذلك بالتحالف مع الاستعمار، الذي كان يعنيه أكثر ما يعنيه نهب الثروات والانتقام من العرب، وقد قدم اليهود صورة جديدة لليهود واليهودية؛ وقاموا

اليهودي، ولن تغيير من الحقيقة، رغم كل ما يعتري هذا الواقع من تناقضات لأن العرب يعرفون ويقدرون أن للباطل جولة، وعندما يأذن الله أ للعرب بفجرٍ جديد، سوف يكون اليهود هباءً منثوراً، علما أن ذلك سيتم بعد استعادة العرب لذاتهم، العروبية الخالصة، وحملهم لرسالة الله أ، بقوة خارقة.

(١) وهكذا فإن الشيء بالشيء يذكر، لقد تم استخدام الأقليات لتكون جزءًا لا يتجزأ من الاستراتيجية الأمريكية فيما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وحتى الآن، وإذا قرأنا تقارير مراكز الأبحاث التي تصدرها المراكز الأمريكية في هذا الصدد وجدنا موضوع الديمقراطية المزعومة وتحريك الأقليات ودعم مشاركة المرأة هي السمات البارزة في هذا الصدد وبالطبع بطريقة جزئية ومنحرفة وليست نزيهة والاستراتيجيات التابعة للمؤسسات عن مشروع الشرق الأوسط الجديد أو الواسع أو الممتد أو الكبير أو غيرها من أسماء المشروع نفسه كلها تنمو النمو نفسه، وهي مشروعات رسمية نسبت إبان صدورها إلى وزراء خارجية أمريكية مثل وزير الخارجية السابق كولين باول، أو كوندليزا رايس، أو هيلاري كلينتون، أو الرئيس الأمريكي نفسه، وحتى وثائق المحافظين الجدد المعروفة والمنشورة منذ عام ١٩٩٧م وحتى الآن، والتي رصدها عدد من الكتاب الأمريكيين "نورمان بورهوردز" في صحيفة كومنتري، والكاتب "ديفر بيت" في النيويورك تايمز"، وصاحب كتابي "الحرب على العراق، والصمت أكبر جريمة"، فإن استخدام (الأقليات) محور مهمٌ من محاور مشروع هؤلاء المحافظين الجدد، والوثيقة المنشورة عام ٢٠٠٠م والمنسوبة إلى رموز تلك الجماعة مثل ديك تشيني، وإليوت أبرامز، وريتشارد بيرل وغيرهم، والتي تتحدث عن الإمبراطورية الأمريكية والقرن الأمريكي وضعت شروطاً لتحقيق ذلك هي إعادة صياغة الإسلام، وتحطيم الأكثرية، ودعم الأقليات.

بطرحها على العالم من جديد، مما اقتضى الهجوم الشامل والشرس على الإسلام والعرب، واقتضى أيضاً عملية تفتيت وتحويل لعقيدة المسيحية؛ وكل ذلك كان أولا عبر كتابة عشرات آلاف الكتب، لقد قام اليهود بكتابة عشرات آلاف الكتب في جميع المجالات، لمؤلفين يهود من جنسيات مختلفة أو مستكتبين من غير اليهود؛ كذلك من جنسيات مختلفة، ثم كانت هذه الكتب تترجم إلى اللغات المختلفة!

ثم تعود هذه الكتب والتي هي من جميع الاختصاصات ومن جميع المجالات، تعود لتترجم وبكل أمانة وحرفياً، إلى اللغة العربية، على أنها كتب لعلماء! يسوقون فيها الأفهام، كانت هذه الكتب جميعها تصب في صالح اليهود، ومع أن هذه الكتب كانت تحتوي على بهتان وزيف عقائدي، إلا أنهم عملوا على تشميلها بعض النواحي العلمية أو الدينية مما أوهم العالم، فوضعوا السم في الدسم، ونجحوا في إشاعة الخطأ، ونجحوا في إقصاء الحقيقة ونجحوا في إبعاد الحق إلى أبعد مدى ممكن، بحيث بات من العسير على العلماء بله الناس البسطاء وضوح الطريق، عملية مركزة لغسل الأدمغة، قام بها اليهود في العصر الحديث، ونجحوا إلى حدٍ بعيد، وبعد، فهل وصل الفكر العربي الإسلامي هل وصل المفكرون والعلماء والمخلصون من العرب المسلمين الوطنيين الاصلاء، هل وصلوا إلى الحقيقة التي لا بد منها، ولا بد من الوصول إليها؟ هل أدركوا ما يرمي إليه اليهود في حربهم الشاملة على العرب، ولماذا العرب؟.

وهل أدرك العرب ما يرمي إليه اليهود؟ اليهود الذين كان ويبقى هدفهم القضاء على العرب وإزالة شأفتهم، ومحو آثارهم من الوجود، هل أدرك العرب أن عداء اليهود للعرب، عداء قديم يعود إلى زمنٍ بعيد من قبل الإسلام، وأنّ اليهود في نيتهم الاستمرار في طحن العرب وتقتيلهم عن آخرهم، وشعارهم كان ولا يزال أدفع دولاراً تقتل عربياً، وأن اليهود تعاقدوا مع الشعوبية الدولية،

وترابطوا مع كل أصنافها، أو عقدوا المؤامرات، واتفقوا على العرب، وعقدوا العزم جميعا، وتواطؤوا على حرب العرب من كل اتجاه.

فيعملون على تصغير شأنهم، وإنقاص فضلهم، ومناصبتهم العداء، وشن الحرب العصبية عليهم، وتقليب الشرذمات من الداخل، واستجرار الجيوش من أنحاء العالم. يناهضونهم وينكرون عليهم، ينتقصون من شأنهم، وشأن حضاراتهم العظيمة، وتاريخهم التليد، ويعملون على تهويد أجيالهم، وتحويلهم عن طريق تتفيه حياتهم من شتّى وجوهها.

(أوركســـترا) الشعوبــيات

هل عرفتم أيها السادة كيف طرح الإعلام العربي الموجه والثقافة العربية الموجهة وعلى مدى القرن العشرين مسألة الشعر الحديث والشعر الحر، وكيف شنّت جهات عديدة الحرب على الشعر العربي النشيد، وعلى القصيدة العربية النشيد، عاملة على تحطيمها شكلا ومضموناً وتقويضها من أجل تتفيه الشخصية العربية، و تتفيه وجودها، وإفقادها لأيِّ معنى، أو قيمة، وذلك من جميع النواحي الأمر الذي أدى أخيراً، إلى انحسار النشيد وآثاره من الحياة العربية، حتى حلت محله الركاكة والميوعة مما يسحب القوة من الأجيال، ويوهن العزيمة ويفقد الشباب والرجال القدرة والمقاومة، والله سبحانه وتعالى وحده يعلم ما سيؤول إليه مصير الأجيال العربية، وما سيحل بالعرب إذا استمر الحال العربي هاوياً على هذا النحو من الانحدار. والانتحار الذاتي على صخرة التبعية والتعلق بأذيال الأجنبي وكذبة الأمم المتحدة وهي حكومة العالم التي يديرها اليهود ومن والاهم ممن يؤمن بأدبيات توراتهم وخرافاتهم.

والتي عمِل على أساسها المستشرقون! (ليس هنالك أبداً أي باحث كردي أبدع في دراسة هذه المنطقة أو قام بإجراء أبحاثٍ مستقلة، وإنما قاموا دائما بترداد ما جادت به قريحة المستشرقين واستمروا يرتعون ما يتقيأ به هؤلاء المستشرقون مع أن تلك الدراسات أساساً لا تتطلب مخابر ولا مواد أولية نادرة ولكن للعقول النيِّرة ـ للأسف) في رسمهم لخارطة المنطقة العربيّة؛ وبالتالي فإنّ القول بأنّ (الأكراد)[1] هم شعبٌ (آري) أو أنهم منحدرون من (العرق الآري)

---

(١) كان لموقع العراق بين أراضي الفرس والأتراك أثره في ظهور المشكلة (الكردية) في شماله وقضية =

أو القول بأنهم غير عرب، النظرية التي ثبت خطؤها، قال المستشرقون: أنّ (الأكراد) عبارة عن سلالة منحدرة من أصل قديم كان يتكلم باللغة الأندو أوربية، وقد جاؤوا إلى المنطقة التي عرفت باسمهم (كردستان) من آسيا عبر إيران وحافظوا على أسلوب حياتهم هناك واشتهروا بالاستعداد للخدمة العسكرية شأنهم في ذلك شأن سكان الجبال، {لاحظ الإصرار على إبعاد الأكراد عن العرب مع أن اللغة الكردية كما هو معلوم أن فيها أكثر من ٧٠٪ من الألفاظ أساسها عربية، وقد اختلطت ببعض (العجمة) تركية وفارسية بحكم الجوار وتكتب بالحرف العربي مثلها مثل الفارسية والتركية التي اشتغل الاستعمار على تحويلها، لاغير}

إنّ هذا القول قد أصبح باطلا بطلاناً تاما وهو غير علمي مطلقاً[(١)] ولم ينزِل الله به من سلطان، وقد سار خلفه الكثيرون بدون شك، لكنه كان مجرد وهم

أراضي (عربستان) في جنوبه، وعلى الرغم من تباين المواقع الجغرافية والنتائج السياسية للإقليمين العربيين، فانه يصعب تاريخياً، إغفال مابين (كردستان) و(عربستان) من تزامن وتأثير وتأثر، فإذا كان العراق في مجمله قد تعيّن كساحة قتال بين الدولة الصفويّة في فارس والدولة العثمانية في الأناضول، وقد تبادل الطرفان السيطرة على تلك الأقاليم العربيّة ردحاً من الزمن حتى استقر الأمر للعثمانيين، لكنّ أطراف العراق الشمالية والجنوبية على حد سواء (وهي عربية ملاصقة لأراضي فارسية وتركية) لذلك ظلت هذه الأقاليم ميادين معارك لا تهدأ بين الطامعين في السيطرة على أراضي العراق حتى ترك ذلك الصراع التاريخي أثره على الخارطة السياسية للمنطقة بأسرها، ففي الشمال العراقي حيث تركزت القبائل الكردية، تبادل الفرس والأتراك استمالة الأكراد وإخضاعهم لمخططاتهم ونفوذهم بينما تراوحت سياسة العثمانيين تجاه الأطماع الفارسية القديمة في (عربستان) بين مقاومة النفوذ الفارسي وإضعاف النفوذ العربي الذي كان يقاوم سيطرتهم على العراق، حتى تمت تسوية المشاكل المعلقة بين الفرس والأتراك على أساس اقتسام مناطق النفوذ بينهم فاعترف العثمانيون بسيطرة الفرس على (عربستان) وتخلي الأتراك لهم عن بعض مناطق الأكراد في السليمانية.

(١) مايزال أصل الأكراد التاريخي يطرح اليوم مشكلة على علماء الجنس الكردي، فبالنسبة لبعضهم =

مثل (البروفسور مينوركسي) قد يكونون السلالات المباشرة للميديين الشعب الهندي الأوربي (إيراني)! الذي بعد أن احتل منطقة جنوب بحيرة أورمياه في القرن الثامن قبل الميلاد أسس ميديا (أذربيجان في أيامنا) انتشر نحو الغرب (سقوط نينوى الأشوريين أمام الملك الميدي كياكزاريس حليف البابيلونيين في عام ٦١٢ ق.م على ذمة الراوي) ويرى آخرون على ذمة راوي آخر (البروفسور مارّ) في الأكراد محصلة للاختلاط بين هؤلاء الفاتحين الميديين أنفسهم بشعب الكاردوخيين الأصلي الأوراتيون وهو شعب من آسيا السالفة التي سبق لنا أن رأينا دورها في التركيب العرقي الأرمني، فيكون الأكراد على هذا النحو وثيقي القرابة جداً بالأرمن وأياً ما كان من الأمر فإن الخاصية الفارسية في الأكراد والإسهام الميدي (على شكل أو آخر)لم يعودا منكرين اليوم، فاللغة تتضمن ثلاث لهجات هي: الكورماندجي وتسمى أحياناً خطأً زازا يتكلمها٦٠٪ من الأكراد والسوراني أو الموكرياني ويتكلمها٣٠٪ واللوريباختياري (١٠٪) التي، بخلاف اللهجتين السابقتين، لا تكتب، لاحظ الإصرار على إبعاد الأكراد عن العرب، مع أن الأكراد يتحدثون أربع لغات أهمها:

١- اللغة الكرمالنجية ويستخدمها٧٠٪ من أكراد تركيا، ٢- اللغة الصوراتية ويستخدمها أكراد العراق وإيران. ٣- يقرأ الأكراد ويكتبون بثلاث أبجديات وهي، اللاتينية في تركيا والعربية في إيران والعراق، والكيريلية في أرمينيا وجورجيا وأذربيجان وجميع هذه اللغات فيها أكثر من ٧٠٪. عربية وقد اختلطت ببعض (العجمة) تركية وفارسية بحكم الجوار لاغير.

من وجهة النظر الدينية، الأكراد هم بمعظمهم من المسلمين السنة وأقلية شيعية، وتدرج غالباً في عداد الأكراد الفرقة اليزيدية وعددها ٧٠٠٠٠ نسمة، وهناك أخويات دينية هامة تدخل بينهم عرفت دائما بتطلعها إلى دور سياسي مثل أخوية القادرية التي تنسب إلى عبد القادار الجيلاني (١٠٧٨ـ ١١٦٦) وهو كردي الأصل، والأخوية النقشبندية وهي فرقة صوفية مؤسسها محمد بهاء الدين البخاري (١٣١٧ـ١٣٨٩) ويرجع أصله إلى منطقة بخارى (في الاتحاد السوفياتي سابقاً) المنتشرة في سوريا وتركيا وإيران وجمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقاً وحتى إلى الهند والصين والنوركولار وهم جماعة أخرى منشقة من النقشبندية، وأخيراً أهل الحق أو (أهل الحقيقة) أو (العدل) وهم يشكلون فرقة شيعية لها عقيدة وعبادة خاصتان بها. تعترف بسبعة تجسيدات إلهية (احداها علي) يصاحبها في كل مرة أربعة ملائكة تمثل الصفات الإلهية وقد حددت هذه التجسيدات دورات إيقاعية لتاريخ الفرقة، ويقر أهل الحق بالتناسخ وعلى ظهور خيولها في إيران والعراق وتركيا متنقلة تشمل الطائفة القبلية الكردية الهامة: السنجابيين (في إيران) وعشائر الكلهور (مينشي) والغوران، وفي تركيا يعتبر بعض الكيزيلبا منها. من كتاب =

وخيال وأساطير من اختراع المستشرقين، الذين كانوا يرومون بالنتيجة إلى تمزيق المنطقة والحؤول دون قيام أية قوة في المنطقة تهدد الغرب.

ونظراً للوضع العربي العام من جميع النواحي والذي لم يعد يسِرّ الصديق أبداً، فقد يكون مبرراً ـ في الوقت الحالي ـ تنصّلِ البعض (من أبناء المنطقة العربية) من انتسابهم إلى العروبة؛ إنّ هكذا وضع قد يكون طبيعيّاً الآن، فالسفينة الغارقة من الطبيعي أن يحاول كل من ركابها أن يقفز منها، وطبعاً لم يكن هكذا وضع (تبرؤ الكثيرون من العروبة وتهجمهم على العرب) لم يكن ليحدث لو أن العرب الآن هم المنتصرون أو أنهم هم الغالبون وأنهم كانوا الآن أصحاب السيادة في العالم حضاريّاً وسياسياً وعسكرياً! ولكنّ الوضع غير المبرر أبداً... هو ذلك العداء السافر للعرب والعروبة، والذي أخذت تبديه مؤخراً بعض الفئات (والتي هي بالحقيقة عربية) وقد اصطفّت دون أن تدري أو كانت تدري في الصفوف المعادية للحق والعدل والخير والحرية، وتشترك (هذه الفئات) فعلا في مؤامرة كبرى تحيط بالعرب من كل الجهات، وهي تبرر سلوكها بناءً على الأوهام، وقد تعرضت هذه الفئات للسحر الأسود، بما أخذت تبديه بدون سبب، من الحقد على العرب والكراهيّة للعروبة، لكن تجارب التعايش المديد بين العرب الأكراد وباقي الشعوب العربية، في ظل هذه العقود، جعلت الحلول الانفصالية والنزعات التفتيتية عند كل مشروع تتراجع ويفتضح أصحابها كما جعلت الكثيرين من الذين خاضوا الكثير من هذه التجارب، يدركون أنهم ضحايا الاختراقات، وليسوا بأي حال من الأحوال محل عطف قوى التدخل و الاختراق، ودائما كانت ترتفع أصوات العقلاء، بالتأكيد على الروابط التوحيدية،

(سياسة وأقليات في الشرق الأدنى) لورانت وآني شابري ص ٣٤٢مكتبة مدبولي ١٩٩١القاهرة.

ورفض نزعات التعصب والانفصال وقرأنا لزعيم الحزب الكردستاني (مسعود البرزاني) قوله: نحن لسنا دعاة انفصال عن العراق، ولسنا أعداء للأمة العربية ولسنا مناهضين للوحدة العربية إننا لم نعارض أبدا في دخول العراق في أي من المشروعات الوحدوية العربية وأثناء مباحثات الوحدة الثلاثية بين مصر و سوريا والعراق سنة ١٩٦٤م أرسلنا رسلا ورسائل إلى الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، تؤكد تأييدنا لمشروع عربي وحدوي، وللوحدة العربية عندنا مكانها اللائق لقد كان كل كردي يؤمن بأن عبد الناصر متعاطف مع آماله المشروعة.

وقال: للأمانة لا يمكن أن أنفي انه توجد بين بعض الأكراد اتجاهات عنصرية شوفينية معادية للعرب والعروبة ولكن هذه العناصر محدودة جدا من الناحية العددية وليس لها نفوذ معنوي أو سياسي. إن الجماهير العربية تعرّضت وتتعرض لنفس القهر والاضطهاد وإن اختلقت الدرجةإننا، كحركة تحرر وطني نؤمن إيماناً راسخاً أن موقعنا الطبيعي والتاريخي هو مع الأمة العربية وهذه من أقوال مسعود البرزاني.

لقد تناست تلك الفئات ـ في المنطقة العربية ـ أن الأوربيين وإبان حملة نابليون إلى مصر هم الذين كتبوا تاريخ المنطقة، التاريخ السياسي والاجتماعي والديني؛ الحديث والقديم والوسيط، على هواهم ووفق مصالحهم، وقد طبع أول ما طبع على مطابعهم في ألمانيا ومطابع الإرساليات في بيروت، وقد فصّلوا في هذه المنطقة (قوميات) رسموا لها خرائط تاريخيّة ومخططات سياسية (دول) على حسب التوراة، وكتبوا لها مثيولوجيا وأساطير وملاحم وعملوا واخترعوا واختلقوا وافرزوا لها آداباً وفلكلوراً بغية فرزِها عن الكيان الأساس، لقد بذلوا جهداً كبيراً وكثيراً لخلق شيء من اللاشيء، فالأمم والقوميات لا تخلق بالنظريات ولا تبعث في المختبرات.

لأنّ الدراسات والأبحاث قد يستلزمها بالفعل، وكما هو معلوم الرسم والإعداد والتخطيط ولكن ليس كلّ ما يرسم على الورق قابلا للتحقيق؛ فإذا قلنا أو فصّلْنا أن (الشجرة الطبيعيّة) تتألف من جذر وساق وأغصان وأوراق وأزهار وثمار مثلاً، فهذا لا يعني أننا إذا جهّزنا الجذر والساق والأغصان والأوراق وكافة الملحقات أنه صار بإمكاننا أن نخلق (شجرة طبيعيّة) لأنّ (الشجرة الطبيعيّة) مخلوق طبيعي، الظروف الطبيعيّة هي التي ستسهم بتكونه، وكذلك الأمة والقومية (التي هي من القوام والقيام) فهي تقوم وحدها طبيعية، وهي لا تولد بالصنع والتوضيب أو التحضير ومحاولة التخليق القسري التي تحتاج على الدوام للمساندة والمساعدة والدعم غير المتناهي، لأنها بمجرد وقف الدعم فإنها ستسقط لا محالة(١).

فالأكراد كالبربر عرب ومسلمون يجمعهم مع العرب جامع العروبة والإسلام، الذي يوحِّد الأمة كلها في العقيدة والشريعة والحضارة والدار.. والعربية كانت على الدوام أكثر شيوعاً وأكثر أهمية في حياة الأكراد وفكرهم من اللغة الكردية (اللهجة المحلية)(٢).. والعربية هي اللغة التي فقهوا بها القرآن

---

(١) وهي – والحالة هذه ـ هذه الفئات وكياناتها المصنّعة ستبقى أسيرةً ومستعبدةً وخادمةً لأسيادها على الدوام تنفذ ما يعهد إليها من الأوامر مهما كانت، لا تستطيع المخالفة قيد أنملة، مثلها مثل الذي أدمن على المخدر، فلا يستطيع التوقف عن تعاطيه واستمداده تحت ضغط المعاناة المركبة والمنشّأة الخارجيّة والداخلية، والتي كان هو قد أخضع ووضع نفسه تحتها وباختياره، ولكنه سيتوهم أنه لم يعد بإمكانه التخلص منها أبداً.

(٢) لكن سقوط الخلافة الإسلامية، وقد اقترن به تراجع الصيغة العروبية الإسلامية للتعايش بين الشعوب في المنطقة في دار الإسلام، كان ذلك بدعمٍ غير محدود من القوى المعادية للعروبة والإسلام هو الصيغة التي رأت إحلال التمايز القومي، المؤسس على التمايز اللغوي والفلكلور، آية من آيات الله في الاجتماع الإنساني! ليحل محل الصيغة الأساسية، وهكذا تشكل الفكر القومي المشبع بمضامين غربية غير طبيعيّة، رشحت عليها النزعات العنصرية، الأمر الذي أدى =

الكريم والشريعة والعبادات.. وهي لغة الفقه والعلم والثقافة عند مثقفيهم وعلمائهم ومفكريهم الذين أبدعوا في الفكر العربي الإسلامي إبداعات بارزة، والذي لا يميزهم مميز عن العلماء المنحدرين من أصلاب عربية قرشيّة... بينما الكردية، لغتهم المحلية والتي ربما كان من حقهم الاعتزاز بها وبتراثها (هي مجموعة متفرقة من اللهجات، يستعصى على بعض الأكراد أنفسهم فهمها أو التحدّث بها جميعاً، فالأكراد في شمال وغرب إيران يتكلمون بلغة لا يفهمها أكراد شمال العراق؛ وكذلك أكراد الجبال في جنوب غرب تركيّا فإنهم يتكلمون بلغة قد يستعصي على الأكراد الآخرين فهمها!) فالعربية، للأكراد كانت على الدوام لغة الدين والعلم والإبداع في الفكر والثقافة والحضارة.

ومعلومٌ أنّ الرسول العربي ﷺ وفي فترة مبكرة، من الدعوة المعظمة، (في السنة السابعة للهجرة) كان قد وجه رسائل فيها دعوةٌ إلى الإسلام، وذلك إلى مختلف الأباطرة والملوك والزعماء والرؤساء والمسؤولين في ذلك الوقت، إلى القيصر، الإمبراطور في روما، وإلى هِرقْل عظيم الروم في بلاد الشام والمقوقس عامل قيصر على بلاد مصر ووادي النيل، وإفريقية في الإسكندرية، وإلى النجاشي ملك الحبشة، ثم إلى كسرى ملك الفرس، في المدائن، وإلى عماله، في بلاد العراق واليمامة والبحرين ونواحي الجزيرة، وإلى الرؤساء في بلاد اليمن، كل تلك الرسائل، كان قد وجهها الرسول الأعظم ﷺ في فترة مبكرة من بعثته ﷺ، وكان محتوى جميع تلك الرسائل الدعوة إلى الإسلام، أن أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، والملفت أنها كانت هذه الرسائل جميعها مكتوبةٌ باللسان العربي المبين؛ والسؤال هو، لماذا لم تكن تلك الرسائل تكتب بلغات الشخصيات الموجهة

ـ بهذه المفاهيم القومية العنصرية المستوردة ـ إلى فتح ثغرة، عندما تبنى نفر من أبناء المنطقة؛ ذات المفاهيم الغربية العنصرية المستوردة في الانبعاث !...

إليها؟ مع قدرة الرسول الأعظم ﷺ على فعل ذلك، ألم يكن لديه سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي ﵃ وجميعهم كانوا يكتبون، ألم تكن كتابة تلك الرسائل باللغات المرسل إليهم، ألم يكن أضمن لتقرأ بشكل جيد أو بشكلٍ أفضل! والمثير فعلا هو ما جاء في أخبار تلك المرحلة، وهو أن هذه الرسائل، كانت قد قرئت على أصحابها باللسان العربي المبين بدون ترجمة، وأنها فهمت بشكل جيد من قبل كسرى ومن قبل قيصر ومن قبل هرقل ومن قبل المقوقس، ومن قبل النجاشي! وذلك بدليل ردود الأفعال؛ إن الرسول الأعظم ﷺ كان قد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة إلى جميع أنحاء العالم القديم، أنسه وجنه في آسيا وأوربا وأفريقيا وباللسان العربي المبين، ونستنتج من ذلك أيضاً ما يلي: إن اللسان العربي المبين، كان في ذلك الزمان، لسان الأمم الأساسي، بما فيهم الفرس والروم ومصر والحبشة والسند والهند، كان الجميع يقرؤون اللسان العربي المبين ويفهمونه، على الرغم من وجود لهجات خاصة، لكل منطقة (مثل ما هو موجود في هذه الأيام!) أو ما سميِّ باللغات، يرطنون بها في أقاليمهم الخاصة، مثل اللاتينية والفارسية والحبشية والسويحلية والسنسكريتية والكردية والأمازيغيّة.

كانت هذه اللغات في البداية، عبارة عن لهجات منبثقة عن اللسان الأم، اللسان العربي المبين، لم يكن قد برز التعارض بين اللسان الأم، واللهجات المحلية، ثم تحولت بعد ذلك، هذه اللهجات المحلية إلى لغات؛ ويعزز هذه الحقيقة، أن جميع هذه اللغات كانت وبقيت تكتب بالحرف العربي إلى وقت قريب؛ كذلك فإن في التاريخ القديم، ما يثبت ذلك بجلاء، وهنالك أخبار موثقة، عن لقاء كسرى الفرس، بعدد من حكماء العرب، أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين وعمر بن الشريد السلمي وعمر بن معد يكرب والحارث بن ظالم المري، عن مساجلة فلسفية

وأدبية بين حكماء العرب من جهة وكسرى الفرس من جهة ثانية، وألقيت فيها الخطب العربية والمواعظ العربية والأشعار العربية والحِكم العربية والأمثال العربية باللسان العربي المبين!

كان كسرى يفهم ما يقال، ويرد باللسان العربي المبين، بشكلٍ بليغ، يوازي ويفوق بلاغةً الحكماء العرب في لقاء مباشر ومثير ومدهش!

كذلك فإنّ أخبار أمرىء القيس، الشاعر الجاهلي المعروف، والتي تقول بأنه لجأ إلى قيصر الروم، وأن قيصر كان قد أستقبله وأكرمه، وأنزله قصره فلماذا؟ أليس لأنه شاعر معروف ألم بكن قيصر يستمع إلى شعره؟ والقصة معروفة، كيف أن أخت القيصر كانت قد أعجبت به وكيف دبروا أمر قتله، هل كان امرؤ القيس يتحدث إليهم باللاتينية ويلقي عليهم الشعر باللاتينية إن أكثر النظريات الحديثة تذر الرماد في العيون، وتبعد العقل عن الحقيقة، ألم يعتلِ عرش روما أكثر من سبعة من الأباطرة العرب من حمص ودمشق وشهباء وغيرها؟ ماذا كانوا يتكلمون بأي لغة؟! لقد كانت الأمور مختلفة في صدر الإسلام، مختلفة عما يصوره لنا الكتّاب اليهود في العصر الحديث، أو الفكر اليهودي، أو الثقافة، أو العلم اليهودي.... والأمة العربية على تنوع تضاريسها فإنها تختص بمزايا تجلت في نهضاتها المتعاقبة وفي أقاليمها كافة؛ بما فيها (الكرد) والتي لا تزال تتسم بالخصوبة الحيوية والإبداع والقابلية للتجدد والانبعاث العروبي المتحد، هذا الانبعاث المتناسب دوما مع حرية الفرد ومدى الانسجام بين تطوره وبين المصلحة الوطنية العربية.

لقد كان من الخطأ الفادح طرح المشكلات العربية و(القضايا العربية العليا) كان من الخطأ إخضاعها والنظر إليها من خلال المحلي أو الإقليمي أو المصالح الضيقة أو الاعتبارات الفئوية أو الطائفية أو القبلية، كان من المفروض وعلى الدوام النظر إلى المصلحة العربية على أنها مقدمة وعليا، ومن الجدير بالذكر في

هذا المقام أن علماء الدين والشريعة الذين تسنموا الفقه والفتوى وتدريس علوم الدين الإسلامي لاسيما في سورية والعراق على امتداد القرن العشرين، كان جلّهم من الأخوة الأكراد العرب كالشيخ (سعيد النورسي) المشهور في تركيا[1]

---

(١) وبعد إلغاء مصطفى كمال للخلافة (١٩٢٤) شاركت اللجنة في إعداد انتفاضة عامة وضعت تحت إدارة الشيخ سعيد وهو كردي رئيس أهم أخوية صوفية من النقشبندية، فأعطى للثورة المسلحة هدفاً دينياً دقيقاً: وهو بعث الخلافة بعد إسقاط النظام الكمالي،جامعاً بهذا إلى تأييد قضيته... أتراكاً بوجه خاص، الأتقياء.

لم يكن الشيخ سعيد هذا يتمتع بأي شيء من صفات القديس، كما أنّ كثيرين من مشايعيه تخلوا عنه أمام وحشيات ارتكبهتا جيوشه بحق أشخاص لم تكن لهم أية علاقة بالسلطات التركية وانقض القمع التركي على القرى الكردية (نيسان / أبريل ١٩٢٤) فتم تمشيط ودك ٢٠٦ منها ولقي ١٥,٠٠٠ كردي في ذلك مصرعهم، وحلت الجمعيات الكردية وحرم عليها العمل ومنع الأكراد من الاحتفالات والاجتماعات وأقفلت جوامعهم وحظر عليهم ارتداء اللباس القومي التقليدي، فآثر العديدون من الأكراد الهجرة إلى إيران وإلى العراق ويوريا، أما الاتحاد السوفياتي سابقاً فقد أغلق في وجههم حدوده، وفي عام ١٩٢٧ انفجرت ثورات مسلحة (الثورة التي قادها إحسان نوري وهو ضابط تركي قديم، في ضواحي جبل أرارات) وفي عامي ١٩٣٠و ١٩٣٧ (ثورة سيد رضا، وهو شيخ آخر من شيوخ النقشبندية في درسيم ـ طوندجلي). وبعد هذه الثورة الأخيرة، التي تجلت فيها لأول مرة وحدة ما للأكراد (بالتقاء أكراد تركيا وأكراد سوريا بتشجيع من فرنسا) لزمت الجيوش الحكومية مكانها لفرض الإدارة المدنية على المنطقة، وبالتدريج جرد الأكراد من أسلحتهم، وأصبحت اللغة التركية إجبارية، في حين اتخذت إجراءات معينة للبدء بتفكيك الروابط القبلية في تلك القائم قاميات جميع المشايخ أبعدوا، وألغيت جميع ألقاب الشرق الكردية والقبائل، وقد نشطت على هذا النحو، شتت على قائم قاميات عديدة (قانون ٥ أيار/ مايو١٩٣٢حول تنزيح الأكراد، الآخذ من جديد بأحكام القانون المطبق عام ١٩١٤) حتى عبارة (كردي) نفسها أبطلت من المصطلح الرسمي وأصبح الأكراد وفقاً للتعبير الذي صار شهيراً هم (الأتراك الجبليون) وقد نسوا التركية لغتهم الأصلية، اللغة الأم). وأخمدت السلطات التركية أي لون من ألوان الإعلام بمقاومة الأكراد (المسلحة) التي عارضوا بها هذه الإجراءات ففي سوريا كان الأكراد والمقدر عددهم بـ ٢٥٠٠٠٠ (هذا العدد مبالغٌ فيه جداً من قبل مؤلف الكتاب بالنسبة للفترة الفرنسيّة، لأنه أصلا لا يتناسب مع عدد سكان سوريا في ذلك الوقت) فقط يشجعون من قبل السلطات الفرنسية على التفكير بعبارات الاستقلال الكردي، ولكن =

(واسمه يدل على عروبته) والشيخ (الغزنوي الكردي في الجزيرة العربية السورية أيضاً) والشيخ (أمين شيخو الكردي) والشيخ (أمين كفتارو الكردي) والشيخ (أحمد كفتارو) والشيخ (محمود الرنكوسي الكردي) وكان في دار الحديث بدمشق، وأكثر مشايخ الصوفيّة، والشيخ (الملا رمضان البوطي الكردي) ونجله الدكتور (محمد سعيد رمضان البوطي) واسع الصيت في العالم، والذي كان قد أعلن صراحة وأثناء درسه في (مسجد الايمان) بدمشق إبان الغزو الأمريكي للعراق (عندما أظهرت عند بعض الأفرقاء في العراق آنذاك النزعة المعادية

السماح بتنظيماتهم السياسية لم تكن شاملة كاملة فضلا عن أنه لم يكن في وسعهم حمل السلاح. وإذ لم يكونوا على تماس كثير مع أكراد العراق فإنهم كانوا قليلي التأثير بمجريات الأحداث فيه. وبالمقابل احتجوا بحدة على إرهاب الأتراك ووحشياتهم ضد الأكراد (نساء وأطفال وشيوخ محتجزون في الكهوف أو يحرقون أحياء في الغابات) إبان قمع ثورة درسيم المسلحة (برقية بكري قوطرش إلى عصبة الأمم) وأما في إيران فإن حالة الأكراد كانت دوما مختلفة تماما عن حالتهم في تركيا، فلم يكن ليفوت الحكومة أن تشدد على ما بين الشعبين الإيراني والكردي من (قرابة) عرقية وعلى ما بينهما من تجانس، يشهد عليها أقدم التواريخ إلا ان طهران لم تكن أقل حدة في تدخلها لقمع كل ثورة كردية: ثورة خليل آغا جيلالي من جهة آرارات، وثورة إسماعيل آغا سيمكو (زعيم آغا شيقاق) الذي تمرد في أعوام ١٩٢٠و١٩٢٠و ١٩٢٦ و١٩٣٠وثورة جعفر أغا سلطان عام ١٩٣٢ فجميع هذه الثورات وإن كانت تنتسب إلى (الكردية) فقد وصفت من قبل السلطات الإيرانية بأنها (أعمال قبلية) يدفعها الطموح الشخصي لرؤساء قبائل وبعد عام ١٩٣٠ باشر الجيش الإيراني الجديد وقد صار أكثر تشبثاً في أسسه، اختراقه المنظم لجبال الأكراد حيث قام بشق الطرق وإنشاء مراكز شرطة دائمة واستقدم المشايخ الذين لهم بعض التأثير أو الذين يستشم منهم ميول انفصالية، إلى طهران كرهائن تقريباً أو يوضعون في إقامة تحت المراقبة خارج مناطق نفوذهم القبلي في حين اتخذت من جهة أخرى إجراءات تطبيقية لتثبيط أية ظاهرة قومية، فقد عمِل على هجر كل شيء من لغة وعادات ولباس نوعي خاص بالأكراد وكل شكل من أشكال التمييز الثقافي من شأنه إبراز صفة خاصة بالأكراد (سياسة وأقليات في الشرق الأدنى) لورانت وآني شابري ص ٣٤٢مكتبة مدبولي ١٩٩١القاهرة.

للعرب والعروبة والإسلام، وأخذوا يعلنون ذلك بعد استقوائهم بالأمريكان، فأعلنوا في حينه براءتهم من العروبة والإسلام بل وعن عدائهم السافر للعروبة والإسلام).

عندها قال الشيخ (الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي) وعلى رؤوس الأشهاد: أنه قد (يستغني عن كرديته إذا تعارضت مع الإسلام؛ أو هكذا قال..) والمشايخ الأكراد عموماً، الذين كانوا قد تسنموا قيادة دفة الدين الإسلامي في مختلف المناطق العربية في القرن العشرين وإلى الآن؛ هل كانوا يبدون أية نزعة كردية؟ أو هل كانوا يتكلمون صراحة وأمام الناس باللغة الكردية؟ لا نعتقد ذلك، ولو كانوا قد فعلوا ذلك صراحةً لما كان لهم كل هذا الانتشار والشهرة وكل هذه الحشود من الأتباع العرب! فمن الذي كان يتكلم العربية في المسجد فقط ومع الطلاب في الجامعة؛ بينما كان في بيته ومع المقربين يتكلم بلغة أخرى ومن الذي صار بجهالة مطبقة (مؤخراً في بعض المؤتمرات) مثل طائر العقعق[1] ينكر الصفة العربية لـ(سوريا العربية) وأخذ يطالب بإزالة وإلغاء القول بالجمهورية العربية السورية! وقد طالب أيضاً بجهالة ليس لها مثيل، طالب بحقه لجعل اللغات غير العربية لغات رسمية في سورية العربية، بحجة الفسيفساء الطائفي والتنوع العرقي هذه الحجج الافتراضية والتي ليست صحيحة إلا في مخيلتهم، كذلك فإنّ (الأكراد) في سوريّة صحيح أنهم أساساً كانوا قليلين (مطلع الأربعينيات) بالنسبة لباقي المناطق ولم يكن يتجاوز عددهم في حينه بضعة آلاف ولكنهم تدفقوا إلى سوريا من تركيا، وعلى مراحل ودفعات، بعد الحرب العالمية الأولى وإبان حكم كمال أتاتورك وبِنائِهِ لتركيا الحديثة' وكانت السلطات التركية ولاتزال تدفع بهم باتجاه الأراضي

---

(١) معروف أنّ طائر العقعق لا يبني لفراخه الأعشاش؛ ولكنه يبيض في أعشاش الطيور الأخرى وعندما يفقس بيضه فإن أفراخ العقعق ما تلبس أن تقوم بإلقاء البيوض الأخرى والأفراخ الأخرى من العش، وهكذا يقوم الطائر المنكوب برعاية وبإطعام فرخ غيره؛ فراخ العقعق!

السورية، وقد وجد الأكراد وغيرهم في الأراضي السورية الملاذ الآمن[١] لذلك

(١) أنظر إلى هذا السوأل كيف يسألونه وكيف يحارون في إيجاد الجواب، أو كيف يختلقون جواباً واهماً، من هم الأكراد، ومن أين جاءت كلمة الكرد؟ وجوابهم هو:
لقد اختلف المؤرخون في إعطاء الفصول الأولى من تاريخهم واصولهم ومنشأهم. ودراسة تاريخ الكرد يحتاج إلى عناية مركزة في البحث عن جذور هذا الشعب وموطنه الاصلى! (فالأكراد) أبناء المنطقة وهم أساساً عرب أصلاء قدماء، بينما المؤرخون المعاصرون (المستشرقون) يختلفون فى تحديد أصل (الكرد) وقد ذكر المؤرخ ماكدويل المختص فى تاريخ الكرد، أنّ كلمة (الكرد) لاتعنى إسما للعرق بل كان يطلق على المرتزقة البارتيين الساكنين فى جبال زاكرو؛ وبعض المؤرخين اشاروا الى أنّ أصلهم مشتق من الكردوخيين، كما جاء ذلك فى كتاب (الاكراد ملاحظات وانطباعات) للباحث مينورسكى الصادر عام ١٩١٥. وقد تغير هذا الاعتقاد فى الفترة الاخيرة، لان الكردوخيين ليسوا من أصل آرى، بل يعتبرون الكورتيين الذين يعيشون فى القسم الشرقى من بلاد الكردوخيين، جبال زاكوروس، هم من أجداد الكرد (مينورسكى) اما المؤرخ ماكدويل المختص فى تاريخ الكرد فإنه يرفض هذا الاستنتاج ويقول: إن إصطلاح كورتي كان يطلق على المرتزقة البارثيين والسلوسيين الساكنين فى جبال زاكاروس، وانه ليس اكيدا إن كانت تعنى لغويا اسما لعرق، اما عن علاقة الكردوخيين بالكورتيين فيرى مار انه من الامور التى يصعب الحكم عليها! لقد روج الغرب فى بداية القرن العشرين لكلمة الكرد والشعور القومى الكردى، والغريب انهم بالغوا كثيرا فى تفسيرها، وعمموها الى جميع القبائل الجبلية التى تتكلم لغات مختلفة، الذين لم تجمعهم لغة واحدة، وعنصر وعرق واحد، فمثلا اللغة السورانية التى يتكلم بها بعض الاكراد تختلف من حيث القواعد والكلمات عن اللغة البادينانية. فاللغة الفارسية اقرب الى السورانية. وهناك ايضا اللغة الكرمانجية والزازاكى فى تركيا تختلف عن باقى اللغات الكورانية والفيلية. وقد نشر الاستعمار البريطانى الافكار القومية بين الشعوب الاسلامية وذلك بهدف خلخلة اركان الامبراطورية العثمانية، ومحاربتها فى نهاية الامر فظهر الشعور القومى عند العرب اولا، كما ظهر عند الكرد، ويقول ماكدويل إنّ الكرد ظهروا كقومية فى المنتصف الثانى من القرن التاسع عشر، بينما يرى المؤرخ برنارد لويس ان الشعور بالهوية الكردية وثم القومية ظهر فى بداية القرن العشرين، وتطور هذا الشعور عندهم تطوراً سريعاً لعدة عوامل، منها اعتبار الامبراطورية البريطانية أنّ الكرد قضية أمة متكاملة يستوجب على الغرب الدفاع عنها؛ وتعاطف الكتّاب الغربيين مع الكرد، مما جعل الاكراد يبالغون فى وحدة أصلهم ولسانهم وتاريخهم ووطنهم. وان حداثة ظهور الكرد كقومية تحت الايحاء الغربى المبالغ =

فيه مما جعل الشعب الكردى يترك الحياة القبلية والبداوة فى المرتفعات والجبال الشاهقة، مما أوجد فى عقلية المثقف الكردى من نشوء تصورات خيالية عندهم حول كمال عرقهم وعظمتها، وإنّ وطنهم التاريخى الخيالى احتله العرب! والفرس والاتراك.!
ويقول الباحث ماكدويل (انه من المشكوك فيه جدا أن يكوِّن الاكراد مجتمعاً عرقياً منطقياً مترابطاً من ناحية النسب. وإنّ عدم وجود ثقافة مدنية كردية وأدب قومى كردى فى بدايات القرن العشرين كانت تعتبر من العوائق القاتلة فى تعريف الكرد كقومية. فى حالة الاكراد الشعور بالتماسك القومى ينبع من فكرة – من المحتمل زائفة - النسب واللغة المشتركة يواجه الكرد هنا صعوبة العملية المبنية على عدم وحدة اللغة، والحداثة فى نشوء الأدب، وعدم استعمال كتابة واحدة) وهذا الشعور القومى الكردى الذى نمى بصورة غير طبيعية جعل من الاكراد يندفعون فى محاربة الدول التى يتواجدون فيها لإرجاع مجدهم الضائع بعد ان اقنعهم وكذب عليهم الغرب بوجود وطن اجدادهم (كردستان). واول من اطلق كلمة كردستان وخاصة فى مناطق سكناهم الأصلى فى إيران هو السلطان السلجوقى سنجر. فقد ذكر الباحث الغربى (لى سترينج) فى كتابه الأراضى فى الشرق ـ عصر الخلافات) الصادر عام ١٩٣٠حيث يقول: (فى وسط القرن السادس للهجرة، الثالث عشر ميلادى قسّم السلطان السلجوقى سنجر مقاطعة الجبال الى قسمين، وأعطى للقسم الغربى وبالتحديد المناطق الخاضعة لكرمنشاه اسم كردستان، وعين ابن اخيه سليمان شاه حاكما عليها).اما تسمية شمال العراق بكردستان العراق فيرجع الى القرن السابع عشر، عندما حاول الانكليز تجزئة الامبراطورية العثمانية. ويعتبر الكابتن البريطانى (جون ماكدونلد كيز) أول من اطلق مصطلح (كردستان) فى كتابه بعنوان (رحلة إلى أسيا الصغرى وارمينيا وكردستان) عام ١٨١٨. ثم جاء بعده المقيم البريطانى فى بغداد (كلاويدوس جيمس ريج) الذى يعتبر من الأوائل البريطانيين الذين زاروا شمال العراق، واطلق ايضا كلمة كردستان لأراضى عراقية، وعين حددودها فى كتابه (قصة الإقامة فى كردستان، وفى خرائب نينوى القديمة) وقد حدد بدقة حدود ماسماه بت (كردستان العراق) فيقول (حصلت من عمر اغا – احد اشراف الكرد فى السليمانية. على قائمة مذكورٌ في حاشيتها جميع مقاطعات هذا القسم من (كردستان) الذى يبدأ من حدود بغداد؛ بعض الكتاب الاكراد يحرفون الكلام من مواضعه، ويمارسون التضليل عندما ينقلون أبحاث الاوروبين حولهم، على الكاتب والباحث الكردي قبل ان يسرح فى افكاره ويسرد علينا قصص تاريخهم الناقص أو المخفى، أو ينقب بين ثنايا التاريخ، عليه الاعتماد أولا وقبل كل شىء على الحدث، وجلب الوثائق من بطون الكتب التاريخية، أو شهادات الشهود، الأموات منهم والأحياء، لأنّ كل هذه الاشياء
=

كثيرين منهم هاجروا حديثاً إلى الأراضي العربية السورية قادمين من الشمال! وقد قامت (الحكومة السورية) عدة مرات بإعطاء الأكراد (الجنسية العربية السورية) ولكن دون جدوى، فهي لم تستطع حل المشكلة حلا نهائياً ولن تستطيع (كون البعض منهم إلى الآن غير حائز على الجنسية السورية خير دليلٍ على أنه أتٍ من الخارج أساساً)، هذا ويذكر أنه في الأربعينيات من القرن العشرين، وعندما تجمّع

الضرورية هى عماد الوقائع المطروحة على بساط البحث، وبدون وجود جرد وكشف للاحداث فى احشاء الكتب القديمة يصبح الاستشهاد بأحداث لاصحة لها، ومن وحى خيالهم، مجرد قصص واساطير وخزعبلات طريفة للتسلية والترويح عن النفس، أو الدفاع عن قوم ممن تهوى الانفس، وتعشق القلوب. وإن وقائع التاريخ والتلاعب فيه شيء يمكن كشفه بكل بساطة ويسر، لأننا لانستطيع المرور عليه مرور الكرام استنادا الى هوى هذا أو عشق ذاك. وسوف نغوص كثيرا فى تاريخ هذه العصابات العشائرية الكردية، ونكشف معالمها وأصولها وأساليبها الملتوية فى تزوير التاريخ لصالحها. لأنّ أكثر الباحثين الاوروبيين اختلفوا فى اصل الكرد، ومنهم من ذكر انهم ابناء (الميديين) الذين استوطنوا فى جبال زاكروس الواقعة فى ايران، قبل ٢٠٠٠ سنة. وعندما سمع بعض المثقفين (الكرد) بهذه المقولة نقلوا الكلام بصورة أخرى، إنّ الباحث يقصد ان الكرد سكنوا العراق قبل ٢٠٠٠ سنة. ومن مهازل هؤلاء الكتاب الاكراد الذين هم من هذا الطراز، فقد كتب أحدهم فى جريدة الإتحاد التابعة للحزب الوطنى الكردستانى مقالا عن تاريخ الكرد أنّ السومريين كانوا من الكرد. لقد كان السومريون والبابليون والاشوريون من الاقوام السامية، ومعلوم ان السومريين هم اقوام نزحت من شبه الجزيرة العربية واستوطنت جنوب العراق منذ حوالى ٦٠٠٠ سنة، وهذا يعنى ان هذه الاقوام جذورها عربى الاصل بينما الاكراد هم من العنصر الارى. اذن العراق عربى الموطن منذ حوالى 12 الف عاما. وبداية تكوين اول الاقوام الهندو – آرية التى ينتمى الكرد اليها فى ايران بحدود ٢٥٠٠ سنة. كما ذكر المستشرق كار بروكلمان فى كتابه تاريخ الشعوب .ومنهم من يدعى ان الكرد متواجدون فى العراق منذ زمن النبى ابراهيم عليه السلام اعتمادا على اقوال ذكرها المؤرخ الكبير الطبرى، عندما اوصى كردى منهم بحرق النبى ابراهيم فى النار. وماذكره الطبرى هو استنتاج لايمكن الاعتماد عليه والاخذ به بدون تقديم الدلائل والاثباتات على صدق هذه الواقعة. ومنهم من يعتقد ان ابراهيم هو بذاته كردى الاصل .

(الأكراد القادمون من تركيا) المهاجرون الجدد في ذلك الوقت؛ في ساحة المرجة بدمشق، أنّ محافظ دمشق في حينه قد أمر بتوجيههم إلى شرق جبل قاسيون شمال دمشق وسمح لهم بالبناء والسكن في أراضي الدولة (الجبل) وقد عرف ذلك الحي هناك (بحي الأكراد) وفي عصر الوحدة بين مصر وسوريا، أمر عبد الناصر بتغيير الأسم إلى (حي ركن الدين) ولكن تركيا في حينه كانت تستمر في الدفع بالأكراد عبر الحدود إلى الأراضي السورية وكانت هجرتهم سيل لاينقطع وهكذا استمر تسرب وتدفق المهاجرين من الأخوة الأكراد من تركيا إلى سورية ضمن خطة من الحكومة التركية ترمي للتخلص من مشكلتهم، وتصديرها إلى النقطة الأضعف في حينه الأمر الذي كان يربك الحكومة السورية على الدوام فهي (المشكلة المستمرة والتي ليس لها حل نهائي!).

مما حدا بالحكومة السورية، منتصف الستينيات من القرن الماضي العمل على إعطاء (الجنسية السورية) لكافة الأخوة الأكراد المتواجدين على الأراضي العربية السورية وعلى إقامة (الحزام العربي) أو ما بات يعرف (بالخط العاشر) أي الخط الحدودي، لوقف التدفق عبر الحدود، الأمر الذي ترافق في حينه مع قيام الثورة الزراعية والتفكير بإقامة السد على الفرات وتحديد مناطق الغمر! وكان المشروع بإدارة السيد (محمد طلب هلال) والسيد (عبد الله الأحمد) وكان يهدف للحؤول دون تدفق المزيد من الأخوة الأكراد الأتراك إلى الأراضي العربية السورية ويقضي بإدخال الأخوة (الأكراد) الذين قدموا من تركيا، أو كانت قد دفعت بهم السلطات التركية إلى الأراضي السورية، وقد انتشروا وتكدسوا هناك على طول الحدود السورية، الحسكة والقامشلي، فإن السلطات السورية في حينه وبدافع من القيادة (الحزبية العربية آنذاك) عملت على مشروع لإدخال الأكراد القادمين من تركيا إلى الأراضي السورية الداخلية؛ فأقامت لهم قرى أسمتها أسماء عربية مثل (القحطانية) (اليعربية) (العدنانية) (الجوادية) (الشدادة) (الغسانية)

(ربيعة)وغيرها وجلبت قبائل عربية من الداخل السوري (من الجزيرة والشامية) وخصوصاً من مناطق الغمر، التي غمرتها مياه سد الفرات ومن ضفاف نهر الفرات ومسكنة وغيرها، وعملت على توطينها على الحدود مع تركيا؛ في الأراضي التي كانت تعمل على استصلاحها؛؛ وأدخلت الأكراد إلى الداخل وسلمتهم الأراضي الزراعية المروية على ضفاف الفرات وسمي هذا المشروع في حينه (مشرع الحزام العربي أو الخط العاشر)، وطبعاً فشل المشروع فشلا ذريعاً وأدى إلى نتائج عكسية؛ وذلك لعدم رضى القبائل من العرب والأكراد على حدٍ سواء بالإنتقال من أمكنتهم، ولكن الأخوة من العرب الأكراد في سورية على كل حال مثلهم مثل العرب الأكراد في العراق، ومثلهم مثل جميع الناس الذين استوطنوا في بلاد العرب إن لم يكونوا في وضعٍ أفضل من العرب نسبيّاً فهم لم يضاموا وحدهم؛ بشكل استثنائي كما يتصور البعض، وإنما قد تعرضوا حقيقةً المحن والنكبات كما تعرض الآخرون من أبناء المنطقة، بل وكان الأخوة من الأكراد في جميع العهود قد وصلوا إلى أعلى المراكز وقد تبوؤوا الصف الأول من المراتب السياسية، ففي سورية كان الرئيس (حسني الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي ومستشاره نذير فنصة ١٩٤٩) ومن بعده الزعيم (سامي الحناوي) ومن بعده الرئيس (العقيد أديب الشيشكلي ١٩٤٩) و(خالد بكداش) النائب بالبرلمان السوري وأمين عام الحزب الشيوعي السوري، والأستاذ (محمود الأيوبي) الذي كان رئيس وزراء سوريا في السبعينيات وعضواً في القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي؛ و(محمد علي ظاظا) الذي كان وزير للداخلية في الثمانينيات..لقد كانوا جميعهم وغيرهم كثير من أصول كرديّة (إذا جاز التعبير) وهذا إن دلّ على شيء فعلى أنّ الأكراد في البلاد العربية كانوا على الدوام على حدٍ سواء مع العرب، وكانت الثغرة الثانية، التي تم منها الاختراق... هي التجزئة والإقليمية التي أقامها الاستعمار على أنقاض صيغة الخلافة الإسلامية العثمانية،

التي وحدت ديار الإسلام رغم تمايز الأقاليم والولايات، فلم تقم الحدود والسدود والجنسيات أمام أبناء الأمة الواحدة بشعوبها وأقاليمها المتعددة على كل حال وكان بإمكان المواطن في تلك الحقبة (العهد العثماني) امتطاء دابته والانطلاق بها إلى حيث يشاء، من (طنجة) في أقصى المغرب إلى حدود الصين، دون حدود ودون أية حواجز سياسية أو عقبات.

وفي حقبة الاستعمار الغربي وحقبة الاستقلال تجسّدت التجزئة الاستعمارية بكل أشكالها وأنواعها، وتكرست في (الدول القطرية) التي واصلت تقطيع أوصال الأمة وتفتيت دار العروبة والإسلام إلى كيانات رسمت بالمسطرة[١] وكان العرب الأكراد مثل غيرهم ضحية لهذه التجزئة إذ على الرغم من تواصل المنطقة التي تعيش فيها أغلبيتهم، جزأتهم هذه الإقليمية والقطرية، فألحقوا أو توزعوا على خمس من الدول القطرية، الأمر الذي أذكى المشاعر القومية المحليّة والخصوصية في صفوفهم اللهجة والفلكلور وفتح الباب للمفاهيم القومية الوافدة ذات الطابع العرقي والعنصري ومن هاتين الثغرتين اللتين

(١) في يونيو ٢٠٠٦م نشرت مجلة القوات المسلحة الأمريكية تقريراً كتبه "رالف بيترز" وهو كولونيل سابق في الجيش الأمريكي خدم في شعبة الاستخبارات العسكرية- تحدث فيه عن تقسيم الشرق الأوسط من جديد وإقامة دولة مركزية تقتطع أجزاء من العراق وإيران وتركيا وسوريا ودولة شيعية في جنوب العراق وإيران ومناطق أخرى من السعودية والإمارات والكويت والبحرين، ودولة مارونية درزية في جبل لبنان، وزيادة مساحة الأردن على حساب السعودية، أي المحصلة تفكيك الدول الكبيرة مثل تركيا وإيران والسعودية، ثم يأتي بعد ذلك الدور على مصر ليتم تفكيكها مع تفكيك السودان والمغرب... إلخ" وهذا التصور يتفق مع التصور الإسرائيلي، حيث قال الصحفي الإسرائيلي حابي بازور في صحيفة يديعوت احرنوت: "إن المنطقة بوضعها الحالي خطر على إسرائيل، ولا بد من خريطة جديدة للمنطقة بتقسيم سوريا والعراق وإيران ".

صنعتهما القوى المعادية لوحدة الأمة، تسللت هذه القوى لتواصل مخطط التفتيت والتفكيك![1].

---

(١) كان (الملا مصطفى البرزاني) في الشمال الشرقي من العراق (لم يكن في البداية ينادي بالانفصال الكلي عن العرب) بل كان يحدد أهدافه السياسية المباشرة على النحو التالي: تكوين مجلس مؤقت لكردستان، استعمال اللغة الكردية في اللوائح الرسمية المطبقة على المناطق الكردية تحت السيادة الأجنبية، حق الحكم الذاتي في الشؤون المحلية، تسمية موظفين أكراد حصراً في المناطق الكردية، إنشاء (ميزانية كردية) تجمع كافة الدخول المحصلة في مناطق كردستان وكان يطالب من جهة أخرى بالحكم الذاتي لهذه المناطق (مطالباً بالأسلوب اللامركزية بالحكم والإدارة وهذا شيء مشروع ومفهوم ومقبول ومطلوب دائما ولجميع الأقاليم العربية! المؤلف) متجنباً بعناية التنويه بذكر الاستقلال، وكان يسترجع جزئياً البرنامج المحدد من قبل أحد الزعماء القوميين الأوائل هو الشيخ عباس سلام برزاني شقيق (الملا مصطفى الأكبر). وتأسس الحزب الشيوعي الكردي كذلك في عام ١٩٤٥ وفي أثناء الوجود الوقتي لجمهورية ما هاباد، سبق أن اظهرت انشقاقات عديدة بين مختلف العناصر المجندة في الحركة القومية الكردية، كانت تروج تصوراتهم السياسية والاجتماعية من أعراضها حقيقة بدءاً من إقطاعية شيوخ القبائل إلى اشتراكية المفكرين المتطرفة، مروراً بالقومية الملونة بالاشتراكية الأكثر اعتدالا للأكراد المنخلعين من قبائلهم العائشين في المدن والأقاليم الكردية، وبعد سقوط ماهاباد انكفأ الحزب الديمقراطي الكردي p.d. k إلى العراق حيث كان عليه أن يقيم دائما ولكن في السرية. وراح يكرس شطراً كبيراً من طاقاته في بذل الجهد ليخلف المشايخ العشائريين في قيادة الحركة القومية مما أثار مجابهات بين الأكراد وخاصة في السليمانية عام ١٩٤٨ حيث وقعت صدامات بين رجال القبائل وزعماء سياسيين متحللين من القبائلية، ومنذئذٍ كبرت الهوة النفسية والاجتماعية بين أكراد الجبل وأكراد الوسط المدني المتحللين من القبائلية، التي ليس من المتوقع ردمها إلى المضاعفة بمرادفاتها بالتنافس على زعامة الحركة القومية، وعندما غدا من البديهي عام ١٩٤٥ أن الحركة السياسية الكردية المبكرة قد استنزفت، إثر القمع الذي أوقعه رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد (الكردي الأصل هو نفسه) بجميع أحزاب المعارضة، فإن حزباً موحداً ديمقراطياً لكردستان تكون انطلاقاً من بقايا الحزب الديمقراطي الكردستاني p.dk القديم. فالأعضاء الذين انضموا إلى هذا الحزب الجديد : الحزب الموحد الديمقراطي الكردستاني p.u.d.k (الذي سرعان ما عمد من جديد في الاستعمال الدارج الحزب الديمقراطي الكردستاني p.d.k) كانوا أساساً من أوساط المدنيين المتحللين من القبائلية ونما الحزب على نحو خاص في مدن بغداد والموصل وكركوك والبصرة =

التي كان سكانها غير متجانسين. ومع أن الحزب يجهر ببعض الأفكار الماركسية ـ اللينينية إلا أنه ركز جميع طاقاته في المشاكل الكردية محترساً مع ذلك بفطنة من أن لا يطالب في هذه المرحلة الأولى بالحكم الذاتي أو بالاستقلال لكردستان. وكان السكرتير العام لهذا الحزب ابراهيم أحمد، رجل قانون شيوعي من السليمانية سبق أن سمي من قبل عام ١٩٥٢ قبل تولي مصطفى البرزاني رئيساً، حتى من دون أن يكون قد استشير مسبقاً. وكان من الصعب، وقد أصبح رمزاً للقومية الكردية نفسها. وفي عام ١٩٧٥ صارت صيغة الحزب الماركسية متزايدة كثيراً وكانت الروابط بين الحزب الشيوعي العراقي p.c.iوالحزب الديمقراطي الكردستاني p.d.k دواما موصومة بغموض بالغ، تارة قائمة على التضامن وتارة أخرى على التنافس المحتدم على صعيد كردستان، بدأت الصلات بين قاسم (كردي من أمه) والأقلية الكردية في ظل أفضل التكهنات واستقبل أشد القوميين تطرفاً من الأكراد النظام الجديد بالإيجاب، وقد أشرك قاسم ممثلين عن الحزب الديموقراطي الكردي في الحكومة المشكلة غداة انقلاب ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ حيث استدعى من المنفى (المللا مصطفى البرزاني) وسمح للصحافة الكردية بالعودة إلى الصدور فأظهرت أملها في أن ترى أمانيها في الاستقلال الذاتي الإداري والثقافي واللغوي متحققة في كردستان. وكانت تطالب كذلك بخطة اقتصادية لكردستان توضع موضع التنفيذ، وتوزيع لأرباح البترول بنسبة السكان. وكان الأكراد، في السياسة الإقليمية، يرون بعين الرضى استبعاد قاسم لمشروع الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة الذي يطالب القوميين العرب بصوت مرتفع فقد كان التفاؤل الكردي على مقدار غموضات النظام الجديد. وجاء الدستور المؤقت في ٢٧ تموز/ يوليو يحدد أنه (على العرب والأكراد أن يعتبروا كشركاء في صميم وطن واحد وأن حقوقهم القومية في إطار السيادة العراقية معترف بها) دون المضي في الالتزام قدما. وراح اللواء قاسم، من جهته يشدد على فكرة أن كردستان تشكل جزءاً من الأمة العربية ويعارض كل طلب للاستقلال الذاتي لكردستان (الأول بتاريخ ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٥٨، صادر عن الحزب الديمقراطي الكردي). ص٣٥٣ وما بعدها (سياسة وأقليات في الشرق الأدنى) لورانت وآني شابري ص ٣٤٢مكتبة مدبولي ١٩٩١القاهرة.

شمال العراق وتفكيك الطائفية والقبليّة

إنّ الوطن العربي بأقطاره كافةً يجب أن يكون وحدة سياسية اقتصادية بين الأمم لا تتجزأ، ولذلك فإنه لايمكن لأي قطر من الأقطار العربية أن يستكمل شروط حياته منعزلا عن الآخر، وكذلك فإن الوطن العربي كأرض، مقدسٌ، وهو للعرب ولمن تعرّب وحدهم ولا ينبغي أن يغتصب ويهان ويذلّ أبداً، ولمن آمنوا بانتسابهم للعرب حق التصرف بشؤونه وثرواته وتوجيه مقدراته، وقد وفّرتْ الحروب الصليبية فرصة سانحة للأكراد (والأكراد مسألة عرقية قبلية مناطقية أساساً، وهم من وجهة نظر دينية ينقسمون إلى مسلمين سنة وأقلية شيعية ومسيحيين وعلويين وغيرهم، وممن تدرج في عداد الأكراد الفرقة اليزيدية وعددها ٧٠٠٠٠ نسمة وهي فرقة باطنية[1] وهناك أخويات دينية هامة تدخل بينهم، عرفت دائما بتطلعها إلى دور سياسي مثل أخوية القادرية التي تنسب إلى عبد القادر الجيلاني (١٠٧٨ـ١١٦٦) وهو كردي الأصل، والأخوية النقشبندية،

---

(١) نشأت عبادة الشيطان في بلاد فارس، و كانت (النار) أحد رموز هذه العبادة وهناك اتجاه قوي إلى أن زادرشت واضع فلسفة المجوسية كان من أصل كردي، والمجوسية الزدراشتية هي التي سادت في الدولة الفارسية، فإن كان الحكام من العنصر الفارسي فقد كان الكهنة من الأكراد، وبعد الفتح الإسلامي عاملهم عمر بن الخطاب، معاملة أهل الكتاب فوضع عليهم الجزية وقد ظل أهل هذه المنطقة على دينهم فترة غير قصيرة، وعندما بدأ ينتشر بينهم الإسلام تدريجياً اختاروا مخالفة الوسط المحيط بهم وهو من الشيعة، فاعتنقوا هم المذهب السني ولما كان يسود فيه في هذه المنطقة مذهب الحنفية، لذلك اتجهوا إلى المذهب الشافعي؛ والأمر لم يتوقف عند هذا الحد فعلى نطاق الأكراد السنة تدرج بهم بعض مشايخ الطريقة المسافرية الكردية، حتى وصلوا بهم إلى عبادة الشيطان وتقديس النار، والسجود للشمس وهم المعروفون اليوم باسم (اليزيدية) وعلى نطاق القلة التي اعتنقت المذهب الشيعي ابتدعوا مذهب أهل الحق، (علي الهي) وهو المذهب الذي يجعل من علي بن أبي طالب وهو (الله) وهم أيضاً يقدسون النار ويسجدون للشمس.

وهي فرقة صوفية، مؤسسها محمد بهاء الدين البخاري (١٣١٧ـ١٣٨٩) ويرجع أصله إلى منطقة بخارى (في الاتحاد السوفياتي سابقاً) وتنتشر في سوريا وتركيا وإيران والاتحاد السوفياتي السابق وحتى إلى الهند والصين والنوركولار وهم جماعة أخرى منشقة من النقشبندية وأخيراً أهل الحق أو(أهل الحقيقة) أو(العدل)، وهم يشكلون فرقة شيعية لها عقيدة وعبادة خاصتان بها تعترف بسبعة تجسيدات إلهية (احداها علي) يصاحبها في كل مرة أربعة ملائكة تمثل الصفات الإلهية، وقد حددت هذه التجسيدات دورات إيقاعية لتاريخ الفرقة،(١)

(١) أثناء الحصار الذي تم على العراق عام ٢٠٠٠ دخل إلى مكتبي في دمشق شخص وكان قادما من العراق، ويريد في اليوم نفسه الذهاب إلى إيطاليا، وكان على عجلة من أمره، لشراء أيّاً من الكتب التاريخية (التاريخ القديم والآثار لشمال العراق) وكان في غاية السرعة؛ يريد أن يلحق الطائرة في المطار، ولذلك فقد جمع مجموعة من الكتب (كما لاحظت أنا) بشكل عشوائي، فسألته على السريع أيضاً... إن كان عربياً، فقال لا أنا (يزيدي)! وليس لدي وقت رجاءاً وعليّ أن أذهب بسرعة إلى المطار)!.

فقلت له أنا باحث في الأقليات في الوطن العربي وهذه فرصة عظيمة لي ونادرة، لذلك باعتبارك مثقف ومن الأخوة (اليزيدية) أريد أن أسألك سؤالا أرجوك! فقال لا أنا دكتور في العلوم؛ تفضل وسأجيبك بصراحة، فقلت له : إنّ بعض الأقليات تحرم على نفسها أكل بعض الأطعمة مثل (الدروز) مثلا الذين لا يأكلون (الملوخية) وآخرون لا يأكلون (السمك الجري) أو لحم الجمل أو لحم الأرنب، وأنتم ماذا تحرمون على أنفسكم؟ فقال: نحن (اليزيدية) فئة من (الأكراد) بل نحن أساساً سادة الأكراد، ويمكنك أن تقول أننا قمة القمم بالنسبة للأكراد، ونحن نحرم على أنفسنا من النباتات (الخس) وحكى لي السبب، وهو أن نبات (الخس) كان قد تسبب في الزمن الماضي في إعاقة هروب زعيمهم من القلعة في الشمال العراقي أيام كان مسجوناً فيها ولذلك حرموه على أنفسهم، وأيضاً حرموا على أنفسهم لحم الجمل والأرنب والسمك بلا حراشف! واستطرد قائلاً: ونحن تعدادنا كذا وكذا ونتركز في جبل (سنجار) بين العراق وسوريا، والآن فإن الأوروبيين اتفقوا مع زعمائنا في العراق على أن نذهب نحن (الشباب اليزيدي) إلى أوربا ونحصل مباشرة على الجنسية الأوربية التي نريدها وأن يؤمِّنوا لنا (في أوربا) الأعمال المناسبة وأن نتزوج من هناك البنات الأوربيات، في مقابل أن يوافق شيوخنا في العراق =

الذين كانوا عروبيين في تلك المرحلة والذين أثبتوا خلالها حسن ظن الأتابكة (أولاد نساء السلاطين)[1] الذين استعانوا بهم كجند وفرسان محترفين ومخلصين على قاعدة النظام الإقطاعي الحربي الذي أرساه حكم السلاجقة في العديد من مناطق آسيا. وقيض للأكراد العرب في تلك المرحلة أن يضطلع أحد قوادهم بدور تاريخي بارز في مسار الحرب ضد الصليبيين، ألا وهو يوسف صلاح الدين الأيوبي الذي اعتمد بالإضافة للقبائل العربية على الأكراد القادمين من الإقليم نفسه في شمال العراق (إضافة للتركمان والأتراك) لإنشاء جيشه النظامي الذي دوّخ به الصليبين في بلاد الشام، نظراً لاعتياد عناصره عيشه التقشف والخشونة والقدرة على احتمال الأسفار والقتال ومما لاشك فيه أنّ صلاح الدين الأيوبي لم يكن، في تلك الآونة، يسمع أو يدري أو يعرف شيئاً عن ما يروج له ـ في العصر الحديث ـ من دعاوى الفرز العرقي أو الطائفي أو الإقليمي، وقطعاً لم يكن

على زواج البنات (اليزيديات) من الشباب المسيحيين العراقيين، وأن الدول الأوربية ستضمن في النهاية إقامة إمارة لليزيديين في المنطقة، وقال:

أنا الآن لديّ في صدري قطعة من الطين المشوي، وهي العلامة التي ستثبت أنني من (اليزيديين) بالإضافة إلى ما لديّ من معتقدات وقدرة على الإجابة على الأسئلة التي ستطرح عليّ في مطار روما، من قبل أحد القضاة المتخصصين لهذا الأمر، فعندما نصل إلى هناك، فإننا سنجد في (مطار روما) قاضي أوربي ينتظرنا؛ وسيتحقق من كوني (يزيدي) ليعيد فرزي إلى أي دولة أوربية أخرى، وأنا سأذهب إلى ألمانيا لأنني أحب أن أذهب إلى ألمانيا، وأنا لا يمكن لي ان أري قطعة الطين التي في صدري لأحد ولا يمكنني تسليمها لأي إنسانٍ على الإطلاق، لذلك فإن القاضي، الذي يعرف ذلك، عندما سيسألني عن قطعة الطين فإنني سأريه إياها وستبقى في يدي؛ ولكن لا يمكن أن أسلمها إليه؛ وهو بذلك سيعرف أنني (يزيدي) حقيقي! فشكرته كثيراً على الفائدة التي أفادني، ورأيت أن أذكر ما قاله لي حرفياً في هذا البحث.

(١) كان من عادة السلاطين والملوك الزنكيين والأيوبيين و الأتراك أن يتزوجوا أمهات قادة جندهم ورجالات حكمهم، وبهذه الحالة يدعى القائد (بالأيبك) وهي عادة قديمة؛ الغاية منها ضمان إخلاص القيادات للسلاطين وعدم الغدر بهم !

ليؤمن بها ولم يكن ليعمل من أجلها أبداً وإلا لما كان اسم صلاح الدين الأيوبي قد سطّره التاريخ على أنه قائد للعروبة والإسلام وباني لإحدى أشهر الممالك العربية الإسلامية في التاريخ، التي تمتد من وادي النيل إلى جبال طوروس.

ولا شك أن انتقال مركز نفوذ صلاح الدين إلى مصر بعيداً عن مواطن الأكراد وتمحور سياسته الخارجية حول الجهاد ضد الصليبين، قد فوت في تلك المرحلة فرصة استيعاب القبائل الكردية في القبائل العربية "قبائل التعريب" الذي شمل كافة العناصر المحاربة في ميادين الحروب الصليبية في تلك الفترة، فبقي الأكراد في أوطانهم على حالتهم الرعوية متأثرين بتوقف مد التعريب الذي انحسر عن الأراضي المحيطة بهم في بلاد الفرس العجم والأتراك الطورانيين منذ عهد الخلافة العباسية، وبعد انحسار غزوات المغول عن المناطق الآسيوية، أخذت الملامح القومية في دار الإسلام في التبلور، وإلى حد بعيد انتظمت هذه القوميات في مرحلة صياغتها النهائية في دول كبرى، خاصة الدولة الصفوية التي صارت رمزاً سياسياً للفرس والدولة العثمانية التي جمعت تحت لوائها شتات القبائل التركية المختلفة، (وبعيداً عن الاعتبارات التاريخيّة المختلفة التي دفعت بإمارة (عثمان) المقطّع من قبل أحد أمراء السلاجقة لتتحول إلى إمبراطورية وخلافة إسلاميّة ضمت تحت جناحها أرضاً لم تطأها أقدام أي سيطرة إسلاميّة قبل ظهور العثمانيين فإنه من المنطقي أن ترث الإمارة الإقطاعيّة المتضخمة الصفات الجينيّة لأسلافها وذلك بسبب:

١ـ نتيجة لتقادم التوقف والإهمال المزمن للتعريب ولاستقرار الثقافة الفارسيّة في شرق دار الإسلام، فإنّ الدولة العثمانيّة لم تسع بقوة الدفع الذاتي التاريخي لتبني أي سياسة مركزيّة للتعريب، أو بعبارة أدق، أنه لم يكن وارداً لديها السعي لاكتساب رعاياها (هويّة موحدة) وإضغامهم في مشروع حضاري جديد أو تجديدي، وإذا كان هناك انجاز عثماني في هذا المجال فهو ولا شك نجاحها في

اكتساب القبائل التركيّة صفة (القوميّة الطورانيّة) التي تدعّمت بالتخلي عن اللغة الفارسيّة كلغة ثقافيّة وإرساء أسس الأدب التركي واتخاذ التركيّة المكتوبة بالحرف العربي كلغة رسميّة وثقافيّة، ولا بأس من ذكر أنّ هذا النجاح قد أدى في مرحلة مبكّرة إلى احتدام الصراع مع الدولة الصفوية في إيران (الصراع التاريخي بين الفرس والطورانيين) ثمّ في مرحلة متأخرة إلى تبلور (القوميّة العربية) وباختصار ودون إخلال، بالحقائق النهائيّة، كانت الدولة العثمانيّة (لا عربية) ابتداءً، فارسيّة الثقافة انتقاليّاً، تركيّة انتهاءً)

٢ـ إقرار العثمانيين (للوضع القائم) في البلاد التي تخضع لسيادتها، بحيث لا يطرأ تغييرٌ كبيرٌ على فعاليات التسيير الإداري بها؛ اكتفاءً بولائها السياسي والمالي... للدولة العثمانيّة، وتسْتمدّ هذه الخاصيّة المشتركة بين دول الأتراك التي عرفتها بلاد فارس والتركستان أصولها التاريخيّة فيما يبدو من إقرار الفتح الإسلامي لأوضاع الحكّام الإقليميين في البلاد التركيّة المفتوحة، ومن حقيقة أنّ دول الأسرْ التركيّة (المقاتلة) حكمت رعاياها من الفرس دونما أن يكون لها رؤية (سياسيّة أو حضاريّة) لكيفيّة الحكم اللهم إلا إقرار حق السيادة لها باعتبارها طبقة من المحاربين، وبالتالي فقد أقرّت (الوضع القائم) طالما كان يحسن أو يضمن لهذه الأسر حقوق السيادة و (الجباية)[1].

---

(١) في هذا المنعطف التاريخي، لمع اسم الدولة العثمانيّة في سماء العالم الإسلامي منقذاً (إماما مهدياً) يملأ الأرض عدلا ونوراً من بعد أن ملآها ظلما وجوراً سلاطين وملوك وأمراء قلوبهم شتى ومشاربهم وأصولهم ومسمياتهم وألقابهم الطنانة أكثر من أن تحصى عداً، ولا يجمع بينهم إلا سوء القصد وفساد الذمة وتنافسهم في التنكيل بمعارضيهم واستصفاء أموال رعاياهم وترذيل العلم وأهله، وظن أهل هذا الزمان الذين طحنتهم حروب الأعداء، وأرهقتهم مظالم الحكام والأمراء، أنها ما ضاقت إلا لتفرج، بعدما ترامت إلى أسماعهم أنباء الانتصارات الساحقة لجيوش (محمد الفاتح) على (بيزنطة) ودخوله المظفر إلى حاضرتها (القسطنطينية) ليحقق للمسلمين حلما طال انتظاره أكثر من ثمانية قرون، لا سيما وقد رأوا بأعينهم اجتياح =

(الإنكشاريّة) لكل دول الأرض العربية تقريبا، مخضعة القسم الأكبر من العرب المسلمين لسلطة واحدة لأول مرة منذ قرون عدة، وكانت الآمال معقودة على دولة آل عثمان، التي نقلت إليها الخلافة؛ ليتوارثها سلاطينها عوضاً عن الخلفاء الصوريين من بني العباس صنائع المماليك في مصر، كانت هذا الأمر أكبر من أن تحتمله فلسفة الحكم التركي العثماني ونظمه في تلك الدولة! حقيقة قامت العسكريّة العثمانيّة بأدوار بطوليّة لصد الأخطار الأوربيّة، إلا أنّ إخفاقها في إيجاد صيغة (اجتماعيّة) تكفل انخراط رعاياها في صعيد (إحياء تجديدي لعلوم الدين والدنيا معاً) قد أدى ضمن تداعياته السلبيّة إلى تحلل القوة العسكرية وتخلفها المتسارع عن الجيوش الأوربية المتصارعة معها، وانخفاضٍ متزايد لمواطنيها عن السلطة المقدسة للخليفة العثماني ثم انهيارها انهياراً لا رجعة فيه على المستوى الاقتصادي والحركة الثقافيّة والعلميّة، حتى بات من المسلّم به ـ منذ بداية القرن السابع عشر ـ أنّ هذه الدولة تندفع إلى نهاية غير سعيدة، بل ومأساويّة فلقد كان المسلمون وقد أضنتهم المعارك المتصلة منذ القرن ١٢م في توقٍ لاستعادة وحدة بلادهم تحت راية واحدة تذهب بحكامهم المتصارعين بدداً، وما أكثرهم عدداً فإذا بالدولة العثمانيّة لا تكتفي بالاحتفاظ بغالبية الحكام السابقين المتناحرين، ولكنها أضافت لهم حكاما من الأتراك أيضاً ليزداد الطين بلة، وحتى اتسع الخرق على الراتق عند تداوك الأمر، ولكن إرجاع هذه الظاهرة العثمانيّة إلى بساطة فكرة الدولة عند العثمانيين، الذين اعتبروا أنفسهم قوة عسكريّة منوطٌ بها أمر الدفاع عن البلاد ضد أي غزو خارجي وحفظ الأمن الداخلي، وأنّ على الولايات (الإدارات المالية) فقط تحصيل الأموال الأميريّة أي الضرائب لضمان قيام هذه القوة بمهامها، غافلين عن أنّ جبهات الحرب لا تعتمد صلابة الجند وشجاعتهم وقوة عنادهم فقد، ولكنها تركن أيضاً إلى مدى صلابة كيان الدولة بشريّاً واقتصادياً واحتشاده، عبر وسائط عدّة خلف قواته المحاربة، لقد كانت الدولة العثمانية (دولة محاربة خارج الحدود) حتى إذا ضعفت شوكتها أمام تطور جيرانها في أوربا كشفت عن صفتها الرئيسية داخا ل الحدود (كدولة جابية للضرائب) لا عمل ولا هم لها سوى ضمان جباية الضرائب، والحق أنّ وظيفة (الجباية) كانت من أهم ما سعى له الحكم العثماني وإلى قصره على سلطته المركزيّة (إلحاقاً) بمهام الجيش، ولذا لقد عمد إلى تشكيل الهيئة الإداريّة في الولايات على النسق الذي يكفل قيام عدة جهات بتقدير الضرائب وتحصيلها وحماية المحصلين و (الالتزام) بجمعها وإرسالها ضمن (الخزنة الشريفة) إلى الأستانة.)) الأقليات التاريخية في الوطن العربي ص ٢٠، أحمد الصاوي، ١٩٨٩م مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر في الجيزة ــ القاهرة

=

ولا يختلف جوهر نظام الإقطاع الحربي الذي رسّخته دولة السلاجقة بين الذين عملوا في خدمتها من القبائل التركيّة التي كانت تجوب أواسط أسيا متصادمةً مح حدود وحاميات البيزنطيين خاصّة، لا يختلف جوهره في شيء عن هذا التصور (الاستاتيكي) الجامد الذي كرس الأمر الواقع (بصالحه وطوالحه).

٣ـ (مركزيّة) عسكريّة وماليّة تقابلها (لا مركزية) إ دارية إقليمية وذلك ولاشك من سمات الإقطاع الحربي السلجوقي الجد الأعلى للنظم التركية المختلفة منذ عهد (ملك شاه) السلجوقي.

فبينما اهتمت السلطات العثمانيّة بإبقاء (وحدات) الجيش العثماني (في جميع الولايات) خاضعاً (لاستانبول) مباشرة تكويناً وتدريباً وقيادةً، وبضمان ولاة الرعيّة للخليفة العثماني، وباستمرار الولايات في تأكيد هذا الولاء عن طريق إرسال الخزنة السلطانيّة بشكلٍ منظّم إلى(الأستانة).

فإنّ الخلافة كانت تأتي كل هذه الأفعال المركزية، لذلك نجد أنها كانت لا تسعى مطلقاً إلى تركيز السلطة في الولايات بأيدي الوالي العثماني (ممثل السلطان) أو بأيدي الفرق العسكريّة (ألأوجاقات) يدفعها إلى ذلك التراوّح بين المركزّية واللامركزيّة، وخبرتها التاريخيّة مع نظام الإقطاع الحربي السلجوقي الذي نتج عنه تناثر الولايات والدويلات الإقطاعية والمدينّية التي تشكلت على أشلاء دولة (آل سلجوق) المنهكة بالخلافات بين أفرد وجماعات البيت الحاكم، وقد تأكدت المخاوف العثمانيّة من استقلال الولاة عن سلطة (الباب العالي) من واقعة تمرّد والي مصر (أحمد باشا الكرجي) الذي ما إن تولى حكم مصر في ١٥٢٣م حتى جمع حوله بقايا المماليك الجراكسة وأعلن نفسه سلطاناً على مصر باسم (الملك المنصور السلطان أحمد) وأمر بأن تقرأ الخطبة باسمه ولولا خيانة

رفيقه (محمد بن القاضي وهو من رجال القوم) الذي قتله ١٥٢٨م لكان من الصعوبة بمكان إعادة فتح مصر بواسطة الجيش العثماني (في تلك الأيام) والقضاء على الرجل الذي عرف في التاريخ العثماني باسم (أحمد باشا الخائن)[١].

كانت حركة التتريك حركة غبيّة مارسها أو مارستها مجموعة (الطورانية)[٢] التركية وهي غير واعية على الإطلاق، و لم تمارس هذه الحركة إلا ضد العرب فقط! فهي لم تمارس ضد باقي الشعوب التي كانت خاضعةً لدولة العثمانية آنذاك؛ فهي لم تمارس بدايةً ضد الأرمن؛ أو ضد الأكراد[٣] أو الفرس

---

(١) الأقليات التاريخية في الوطن العربي ص ١٥، أحمد الصاوي، ١٩٨٩م مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر في الجيزة ـ القاهرة

(٢) الطورانية التركية مجموعة من اليهود في تركية دخلوها أيام بداية الدولة العثمانية عرفت بيهود (الدونما) أو يهود (السلونيك) نسبة إلى المدن أو الموانئ التركية التي وصل إليها اليهود أول ما وصلوا بداية القرن السادس عشر، فهي (الطورانية) بأساليب مختلفة سيطرت على القرار في الدولة العثمانية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وعاثت فساداً في جميع الإتجاهات وعلى كل المستويات حتى أصبحت الدولة العثمانية تدعى بالرجل المريض وذلك تمهيداً لتمزيق تلك الدولة والقضاء عليها، كان من أعلامها جمال باشا وطلعت باشا وكمال أتاتورك ! الذي سبق وأن أصدر قراراً بتحريم اللباس العربي وبتحريم اللغة العربية وبتحريم العوائد العربية والآن له قبر يزار يالقرب من أنقرة؛ على أنه: أبو الأتراك وباني أو مؤسس تركيا الحديثة!

(٣) ومما ساعد على احتفاظ المشكلة الكردية بسخونتها وحضورها أنّ العقلية الإيرانية والعثمانيّة حتى بعد توقيع معاهدة ١٦٣٩م ومعاهدة ١٧٤٦م، لم تشأ أن تعيِّن الحدود العراقيّة الإيرانية أو أن تحدِّد تبعية العشائر الكرديّة (الشاتية) في إيران (الصائفة) في العراق الإقليم الذي عرف بـ (كردستان)، وكانت المعاهدات قد شطرتهم بين إيران والدولة العثمانيّة، كما كانت هنالك في تلك المعاهدات ثغرات كبيرة سببت نزاعاً لا يفتر وجعلت المعاهدات وقتيّة وليس لها قيمة فعلية على مدى العصور اللاحقة أبداً، بينما معاهدة ١٦٣٩م هي التي أتخذت أساساً للمعاهدات التالية لها، حتى أنّ معاهدة سنة ١٨٤٧م خير مثالٍ على ذلك فقد تركت (سقر) و (زهاب) و (ودرنه) في هذه المعاهدة دون أن تحدد حدودها بدقة، كما كانت الهجرات تثير ارتباكاً شديداً في تحديد تبعيّة القبائل وهذا الأرتباك في التحديد كان فرصة لتقلب القبائل في ولائها بين الطرفين ، ص ١٢٦، المرجع =

أو الأفغان أو البلغار أو الأرناؤوط أو الألبان أو اليونان مثلاً، لكنها كانت فقط ضد العرب وموريست كحركة تتريك ضد العرب فقط، لكنّ هذا الأمر كان بداية القرن العشرين.

بينما الأتراك المسلمون يعودون في هذه الأيام لتعلم العربية من أجل التوصل إلى الإسلام الصحيح، لقد اكتشفوا لكن بعد مرور الوقت أنه لا إسلام بدون اللسان العربي المبين، فهل كان جمال باشا وطلعت باشا يهوديان، مهمتهم الأساسية كانت موجهة فقط لضرب العرب مع الأتراك.. وقد فعلوا!

والواقع أنه لما تولى (جمال باشا) أثناء حكمه لولاية دمشق الشام ١٩١٤م قام بمهمته بنجاح (والعرب كانوا في حالة نوم عميق ولا يزالون؛) في حالة غياب الوعي العربي عندما أعدم بتعسفٍ شديد بعد (محكمة عاليه الصورية) العشرات من أحرار العرب جندلهم على أعواد المشانق شهداء في بيروت ودمشق وحمص، بعد أن لفق لهم التهم وصنّع حولهم الأكاذيب؛ إنه فعل ذلك ضمن خطة وبرنامج واسع النطاق كان قد أعد للمنطقة لتمزيقها (كمرحلة) تتبعها مراحل وقد أثبتت الوثائق أن (جمال باشا) كانت له تابعية خارجية وكان بداية يتصل بالأرمن ليوصلوه بدورهم إلى دول المحور، ولكن لما قايضت دول المحور روسيا على قضية الأرمن ذاتها، فإن التحالف مع الأرمن بالنسبة لجمال باشا ما عاد مجدياً أو أنه أصبح خاسراً ! وقد انقلب عليهم أو انقلبوا عليه؛ نتيجة المصالح الروسية أو تنفيذاً لمصالح خارجية! ولكن في النهاية لما هرب إلى روسيا قتله الأرمن هناك غير مأسوفٍ عليه، لقد سبق العرب في دولتهم أيام الأمويين، وقد سبقتْ (الجنسية العربية الإسلاميّة) تاريخياً، وكانت قبل (الغرين كارت) الأمريكية، في منحها حق

السابق.

المواطنة والشخصية المدنيّة التامة، ودون تمييز لجميع القاطنين في ظل سلطة دولتهم، الفرس والروم واليونان والأمازيغ والأكراد والأرمن والشركس والأتراك والهنود، آسيويين وأفارقة وأوربيين، مسلمين ومسيحيين ويهو منحت لهم جميعاً الجنسية العربية واعتبروا في ظل الإسلام عرباً حينما كان ينظر إلى الأرض أنها لله تعالى، انه تعالى يؤتي الملك والرزق لمن يشاء وعلى درجة عالية وواحدة للجميع، من حيث الحماية والرعاية كانت الدولة الأموية (دولة مدنية) بحق وبامتياز وكانت سبّاقةً بكل معنى الكلمة (وفي تركيا عولجت المسألة الكردية منذ بداية الحرب العالمية الأولى بصورة جذرية من قبل السلطات، ففي الوقت نفسه، الذي كانت فيه فيالق تقاتل الروس إلى جانب الأتراك، أعْطِي الأمر، تحت غطاء التقهقر أمام التقدم الروسي، بتطبيق خطة تنْزِيــحٍ بشكلٍ مكثف للسكان الأكراد، من النوع الذي حل بالأرمن ولسوف يكون الأكراد، الذين سيمكِنهم النجاة من تلك الترحيلات في وسط معادي، مشتتين في جميع الأحوال، في جميع القرى التركية، منفصلين عن رؤسائهم التقليديين، (فاقدي الجنسية) إذا صح القول. ويقدر أنه من الـ ٧٠٠٠٠ شخص الذين كانوا معرضين لهذا الإجراء قد قضى نحبهم ستمائة ألف (مبالغة من المؤلفين). وخشية منهم، أمام صعود القومية الكردية من أن يحل بهم المصير نفسه الذي حل بالأرمن، أنشأ الأكراد عام ١٩٢٢، في أرضروم لجنة استقلال كردية)، وشاءت (الجغرافية) أن يقع تمركز الأكراد في إقليم عرف (كردستان) وهو إقليم عربي بكل أبعاده ذات الطبيعة الجبلية الوعرة وقد وقع بين مثلث القوميات الكبرى، الفارسية والتركية والعربية، وعند تخطيط الحدود السياسية الحديثة اقتسمت دول المثلث إيران وتركيا والعراق قبائل الكرد، مع اقتسامها للإقليم العربي، وكما حكم "كريم خان " الكردي الأصل (علمياً لا يوجد أصل كردي) بلاد فارس بصفته وصياً على العرش الصفوي لمدة اثنين وعشرين عاما (١٧٥٧-١٧٧٩م)، تولى رئاسة الوزارة التركية مؤخراً (تورجوت أوزال) المنتمي للأقلية الكردية (علمياً لا يوجد

أصل كردي) لأن الأكراد عرب.

فبينما (الأخوة الأكراد) عشائر عربية قديمة ويتحدثون لهجة عربية قديمة وهم حقيقة عرب أصلاء وذلك بغض النظر عما صنعه المستشرقون، لكنّ هذا الشعور المزمن بالتعصب قد تراكم في نفوسهم البعض منهم، مما أدى إلى نشوء تصورات خيالية عند بعضهم حول كمال عرقهم الارى، متأثرين بالتعاطف التوراتي المنحى من قبل الباحثين والكتاب الغربيين، معهم، ونشوء الفكرة القومية (العرقية والعشائرية) التي ابتدعها الفكر الغربي، مما جعل الكردي ان يبالغ فى وحدة أصله ولسانه وشعبه وتاريخه وأرضه، وهذا الإيحاء الغربي الذي انتشر فى عقلية الكتاب والمثقفين الأكراد ونمى على ان أرض الاجداد التاريخية التي احتلها الأتراك والفرس والعرب منذ القدم! وراحوا يؤسسون هذه الاوهام فى مخلية أطفالهم حول تاريخهم المنسى ووطنهم المسلوب وعندما ننتقد هذه الأفكار والتصورات الكردية المبالغ فيها يتهمنا البعض منهم بتهمة العنصرية والشوفينية، والحقد على الاكراد وقادتهم، وهذه الاتهامات تطلق من ابواق عملاء الاحتلال وبعض الاقلام الكردية الانتهازية واصحاب المواقع الالكترونية وهم يدعون ان الشعور القومى جمعهم منذ زمن بعيد، فى تحقيق حلمهم (الكردستانى)

الا ان الظروف لم تكن مواتية آنذاك لتحقيق حلمهم فى تأسيس دولتهم القومية بسبب وجود الاحتلال الفارسى والعثمانى على أراضيهم الكردية المغتصبة. الا ان التاريخ يدحض هذه الفرية، لان تاريخ هذه القبائل الكردية المتعددة بدأ يأخذ معناه القومى فى منتصف القرن التاسع عشر، لأنّ الظروف الاجتماعية والسياسية القاسية التى مرت بها هذه الأقوام الساكنة فى قمم الجبال والتى لم تجمعهم لغة واحدة وعنصر واحد تنصهر فى بوتقة واحدة، وتتخذ هوية الكرد كقومية لها رغم اختلافاتهم اللغوية والعرق والثقافة. وهذا مما حدى بالقيادات الكردية العشائرية ان تنزل من الجبال وتنتشر فى السهول لكى تمارس السياسة والصدام مع الأقوام الاخرى، بعد ان اصبح

لهذه المجموعات الجبلية شعورا موحدا اجتماعيا وسياسيا، وتجمعهم قومية اثنية وعرقية فى الاراضى التى سكنوا فيها.

والاستعمار الغربى بالغ كثيراً فى ترديد كلمة (الكرد) وعمموها على جميع القبائل الجبلية التى تتكلم لغات مختلفة، بعد ان كانت الكلمة تعنى: (المجموعات البشرية التى تعيش فى الجبال) وبمرور الزمن شعرت هذه المجموعات بأنّ الغبن وقع عليها، فراحت تكون لنفسها حسا نفسيا مشترك على اساس اجتماعى وسياسى، وشعور واحد متجانس، ومحاولة ايجاد كيانات سياسية لهم بكل الطرق والوسائل ضد الدول التى تعيش فى كنفها. ومعلوم ان القضية الكردية برزت على الصعيد الدولى فى اعقاب الحرب العالمية الاولى، وكانت وسيلة استعمارية لأْثارة النعرات الطائفية والقومية بين الشعوب الاسلامية. والشعور القومى الكردى الذى انتشر عند المثقفين الاكراد جعلهم يعتقدون ان الاقوام الاخرى التى تحيط بهم هم من اصول كردية، وخاصة اليزيدين فى شمال العراق ويجب ربطهم بالعشائر الجبلية واليزيديين عندهم اعتقاد على انهم جاءوا فى الاصل من البصرة، وسكنوا بعد الهجرة فى سوريا، وبعد ذلك نزحوا الى جبل سنجار.

ومازال الطابع العربى يطلق على ملابسهم وتقاليدهم، كما ذكر الباحث الانكليزى لايارد. واخذت القبائل الكردية القوية فى السيطرة على القبائل الاخرى الضعيفة، واحتوائها فى تكوين كيان كردى واحد، ويشير ماكدويل الى ان الغموض فى فهم التكوين العشائرى الكردى واضحة فى الاصطلاحات التى تستعمل من قبل الكرد، والمأخوذة من العربية والتركية والفارسية فى الاشارة الى المجاميع العشائرية، لان الكثيرين من الاشوريين والسريان الارثودوكس قد تحولوا الى الكرد فى بداية الفترة الاسلامية من خلال معايشة بعضها البعض، وحتى العشائر الكردية التى تنحدر من الاصل الارمنى فكثيرة فعشائر الجلاليين الكردية كانت ارمنية الاصل والتى تتكون من ثمانية عشائر كبيرة، اصبحوا أكراد بعد ان أسلموا فى القرن التاسع

عشر ويقول ماكدويل ان عشيرة ماماكانلى قد استكردت فى القرن السادس عشر بعد ان دخلت فى الدين الاسلامى وحتى ان الكثير من القبائل التركمانية الذين كانوا يسكنون المناطق الجبلية فى شمال العراق قد تحولوا الى الكردية (ماكدويل، وفان براونس، وريج) اما عشيرة الرواديد فأن ماكدويل يعتبرهم من احدى العشائر العربية الكثيرة التى استكردت مع مرور الزمن. وقد نزحت هذه العشيرة العربية الى المنطقة الكردية فى بدايات العصر العباسى ٧٥٠ ميلادية، والذين اصبحوا اكرادا فى خلال ٢٠٠ سنة، واسسوا امارة الرواديد ويعتبر ريج ان عشيرة زنكنة الكبيرة ليسوا اكراداً، وقد استمرت الدول الغربية فى دعمها المتواصل للاقوام والعشائر الجبلية، بعد ان اصبحت كلمة كرد تعنى القومية واللغة والشعور المشترك ظهرت بعض الاقلام لكتاب الانشاءات وراحوا يفرغون مابجعبتهم من رخيص الادعاءات والمغالطات البعيدة عن الموضوعية والاقرب الى التفاهة وتتكاثر اقلامهم واصواتهم الكردية، وتكثف حملتها هذه الايام بعد اعلان حكومتهم الكردية فى شمال العراق السليب فى ايجاد اسس ومواقع تاريخية لوجود الاكراد فى العراق، من خلال تزوير وقائع التاريخ وايجاد جذور قومية أو استيطانية فى شمال العراق.

وهم يعلمون ان التاريخ يجسد حقائق ثابتة لاغبار عليها ولايمكن التلاعب بنصوصها وهى مرة كالعلقم بالنسبة لوجودهم الحديث فى شمال العراق المحتل كان للصراع الصفوي العثماني لامتلاك العراق أثره على احتفاظ الأكراد باستقلال أو الانعزال النسبي ليس فقط لتبادل الفرس والأتراك السيطرة على كردستان، بل وأيضاً لاستخدام كل من الطرفين لهذه القوة المقاتلة بطبيعتها ضد الطرف الآخر نتيجة عدم وصول أية سلطة إلى الشمال الشرقي من الوطن العربي لفترة ليست أو لم تكن قليلة. وكنتيجة حتمية لما سبق لم تتبع أي قوة كبرى في المنطقة أي سياسة يكون من شأنها إدماج الأكراد حضارياً (أو قومياً) في إطار شعوبها، وإذا كان الأكراد الذين يعتنقون في معظمهم المذهب السني، قد استخدموا العربية كلغة ثقافية

واقتبسوا حروفها لكتابة لغتهم الكردية (اللغة الكردية لهجة عربية قديمة) فإن اللغة الأخيرة كانت لها السيادة كلغة بينيّة سريّة للتخاطب داخل إقليمهم الواسع.

الأكراد والدولة العثمانية

بعد استيلاء السلطان العثماني سليمان القانوني على بغداد عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م وطرد الصفويين من العراق اعترف السلطان العثماني، كما هو ديدن دولته بالعصبيات المحلية القائمة آنذاك بما في ذلك العشائر العربية التي اقتسمت السناجاق والمشيخات، وأبقى السلطان حكم كردستان في البيوتات الكردية الحاكمة، وستان بالتركي تعني الولاية، و(كردستان) و(عربستان) و(بلوشستان) تعني الولايات وكانت تنسب إلى العشائر القاطنة بها وجعل من الموصل إيالة قائمة بذاتها، يمتد نفوذها ليشمل بعض المناطق الشرقية من كردستان حتى"بانه" بينما تصل حدودها الجنوبية إلى تكريت إلى ما وراء جبل حمرين بقليل، وقد أدى تماس حدود الموصل من منطقة كردستان إلى عدم وضوح حدودها حتى النصف الثاني من القرن ١٦م عندما أصبحت كردستان إيالة تعرف باسم "شهر زور " التي كانت مجالا واسعاً للعمليات العسكرية من جانب إيران وبخاصة إمارة "أردلان" الإيرانية القومية التي كانت تدعي السيادة على (كردستان)

لقد وجدت حرب العصابات نفسها ضد القوات العراقية وقد استؤنفت في شكل مقنع منذ أيار / مايو ١٩٧٦، منتعشة انتعاشاً هائلا بإطالة الحرب العراقية ـ الإيرانية التي بدأت في أيلول/ سبتمبر١٩٨٠. كان مجهود بغداد العسكري يكرهها على إجراءات سحب الجيوش من كردستان؛ وتحت ستار النزاع وجد المقاومون الأكراد من العراق مساندات جديدة خارجية لدى سوريا وإيران، المتحالفين ضد العراق وأخيراً في كردستان نفسها، كانت المراقبة البوليسية والإدارية تجنح إلى التراخي، حيث كان بعض الموظفين يفضلون لأنفسهم مسبقاً مستقبلا على الصعيد المحلي في النطاق الذي كانت سلطة بغداد

تبدو فيه أقل ضمانة للبقاء، فإن بؤراً ثورية هامة، مستفيدة من نوع الفراغ الناشئ في جزء من المنطقة الحدودية العراقية ـ التركية أعادت تكوينها، متخذة مرامي لها قوى تركية وعراقية، وهو الذي كان يساعده منذ عام ١٩٨٠ كملجأ للأكراد الأتراك، وفي أيار / مايو ١٩٨٣، كحادث لا سابق له، أطلقت أنقرة بالاتفاق مع بغداد كوماندوس دركها المتخصصين في القمع الكردي (باز ـ بولو) للهجوم على تلك البؤر، الواقعة على بعد ثلاثين كيلومتراً داخل الأرض العراقية، وكانت عملية (التمشيط) هذه تسجل في إطار اتفاق للتعاون المناهض للأكراد الموقع عام ١٩٧٩بين الرئيس صدام حسين والجنرال ايغرين عندئذٍ رئيس هيئة الأركان العامة للجيوش التركية، وكانت معسكرات الأخوين برزاني هي المقصودة خاصة، وأعلنت بغداد اعتقال الأتراك لألفي مقاتل كردي.

وللحصول على توقف ما في كردستان طيلة مدة الحرب مع إيران، باشرت بغداد في كانون أول/ ديسمبر بمبادرة من السيد قاسملو، رئيس الحزب الديمقراطي الكردي P.D.K الإيراني الذي يساعده العراق، المفاوضة مع السيد جلال طالباني، بيد أن هذه المفاوضات المسبوقة بتوقف إطلاق النار في المنطقة التي يسيطر عليها الاتحاد الوطني الكردستاني L'U.P.K لم تكن أبداً قد أفضت في أيار ١٩٨٤، لتعثرها حول مسائل إدخال كركوك في منطقة الحكم الذاتي، إلى مغادرة القوات الحكومية وإلى إعادة تسليح البشميرغاس الحر.

وفي تركيا، حيث كانت كردستان، وقد أصبحت (منطقة عسكرية)، مغلقة على كل أجنبي حتى عام ١٩٦٥، طبقت الأحكام العرفية من جديد عم ١٩٧٨ على أثر المجابهات الدامية بين الاثنيات المختلفة، وامتدت إلى العام ١٩٧٩ للكفاح ضد (الدسائس الانفصالية)، ولم يكن من شأن مجيء العسكريين إلى السلطة في ١٢أيلول/ سبتمبر١٩٨٠، إلا أن تفاقمت الرقابة على تلك المناطق وجاءت تضاف إلى المعاقبات القضائية الرسمية التي قادت إلى أحكام بالموت على

أكراد ومناضلين من أقصى اليسار، التعذيب في السجن والمداهمات والغارات القاتلة التي يقوم بها الكوماندوس المنقولين بالحوامات، التي حافظت جميعها على مناخ من الرعب.

ولم تكن الحركة التقدمية الكردية فيها أقل انقساما منها في العراق: فإلى التشكيلين الهامين، الحزب الاشتراكي الكردي في تركيا (P.S.K.T.) وحزب العمال الكردستاني (P.K.K) ـ الذي تفجر هو نفسه إلى فرعين: (الأبوكولار) المتمحور حول الإرهاب والـ (دفرنيس ديموقراط) الأكثر(أيديولوجية) جاءت تضاف زمر صغيرة شديدة التعلق بحريتها في العمل مثل (المحررون القوميون لكردستان) K.U.K و(العلا ريز قاري) راية التحرر، والتكوزين، الكفاح والرزقاري، التحرر وقد أظهر القوميون، المدركون لعبثية هذا التفتت، منذ العملية التركية في العراق في أيار/ مايو ١٩٨٣، رغبتهم في أن يروا إقامة وصل بينها وبين مثيلاتها العراقية، ولكن التعاون لم يكن فعالا حتى الآن إلا من أجل عمليات محدودة بين المقاومة.

وفي إيران، أثارت الثورة الإسلامية لدى الأكراد أمالا كثيرة، فمنذ سقوط الشاه استلم الأكراد زمام الأمور في مناطقهم وبخاصة في سانناداج وماهاباد، بالنظر إلى أن زعماء الحزب الديمقراطي الكردي العراقي كانوا معتدلين نسبيا مثل عبد الرحمن قاسملو، وقد تجاوزتهم ظاهراً حركة ناشئة من قاعدتهم ولسوف يتم الاستيلاء على المدن بالقوة من الجيش، في حين راح (الباسداران) والبشميرغاس يحافظون على الأرياف، ودار السعي لحل تفاوضي قمين بالإفضاء إلى حكم ذاتي إداري وثقافي، في نطاق ضيق، إذ أن مشروع الدستور المحتفظ به من طهران يستبعد مبدأ الحكم الذاتي للأقليات العرقية ومن معارك متفرقة في عام ١٩٨٠ انتقلت فأصبحت في أربع سنوات معارك حرب حقيقية ذات ميزانية مرهفة (أكثر من ١٨٠٠٠ قتيل ـ وحصار اقتصادي حرم كردستان من المؤن

والأدوية) فإن إيران التي كان يظن لفترة ما مهيأة للانفجار لإتاحة المجال لميلاد كيانات مبنية على هوية عرقية (كردية، عربية..) إذا بها في الحقيقة غير ذلك.

ففي كافة البلدان المعنية (تركيا، إيران، العراق) جاء يضاف إلى مختلف أسباب الفشل الكردي تصفيح ثابت للنخبة الكردية مرده إلى اندماج وإلى استيعاب بالغين من بعض أفضل العناصر الكردية في القطاع غير الكردي (عروبة، إيرانية..إلخ) وهذه العناصر، عندما تصل إلى السلطة فإنها تأخذ بالدفاع لصالح الاندماج غالباً، وهذه المشكلة الأساسية في تحرر نخبة قومية ذات فكر حديث هي كذلك مرتبطة بوضع انكفاء الأكراد في منطقة جبلية حصينة، سهلت، بالتأكيد بقاءهم العرقي في حالة من التكيس، محفوظة لمدة طويلة، ولكنها كذلك أعاقت كثيراً، بثبات التشبث بالبنى وبالعقليات الماضية، تطورهم نحو الدولة والاستقلال، وقد دعت الحاجة السلطان العثماني إلى إنشاء إمارة "شهر زور" في كردستان لتكون السلطة العثمانية أكثر قدرة على رقابة الحدود العراقية ـ الإيرانية في تلك المنطقة المضطربة، خاصة وأن "الموصل" تقع على الحافة الجنوبية لجبال كردستان وبذلك لا تستطيع السيطرة التامة على إمارات كردستان على الحدودالإيرانية، ولما كان هم الدولة العثمانية وشغلها الشاغل هو ضمان قيام "الإيالات" بإرسال الأموال إلى الباب العالي (دولة الجباية) دون أن يزعجها الباشاوات بمشكلات خطيرة، فقد عهدت لوالي بغداد بحق عزل ونصب باشاوات كردستان وهو امتياز لم يحصل عليه أي باشا من حكام الإيلات العراقية الأخرى.

وبذا أصبح على ولاة بغداد أن ينظروا في أمور كردستان التي عانت من هجمات الإيرانيين المتكررة ومن الصراع المزمن بين أمراء الأكراد الذين كانوا يستغلون إلى أبعد مدى موقع بلادهم بين أملاك السلطان العثماني والشاه الصفوي ولما كانت قوات والي بغداد من القلة والضعف بالدرجة التي لا تمكنها من التغلب على تمرد باشوات الكرد أو منعهم من الاستعانة بالإيرانيين، فقد

عمل ولاة بغداد على تفتيت القوة الكردية بتأليب أمرائها على بعضهم البعض، ولم يشذ أحد من ولاة بغداد خلال الحكم العثماني عن هذه القاعدة التي أضحت أساساً من أسس السياسة العثمانية تجاه كردستان والتي تسببت في استفحال المشكلة الكردية - الإيرانية مما عرض العراق لأزمات حادة ومرهقة[1] ومن جهتها لم تتوان إيران عن استخدام العصبية الكردية الواقعة في مناطقها لإثارة الفوضى في إمارة "شهر زور"، وكان موقف حكومة إيران غالباً هو موقف المهاجم المبادر في كردستان فكانت تمرح هناك حتى يضطر والي بغداد لطردهم.

بيد أن المتاعب التي سببتها "كردستان " لوالي بغداد، كانت تعادلها في بعض الأحيان ميزة استخدامه القوة الكردية ليضرب بها العرب المتمردين أو خصومه من المطالبين بباشوية بغداد، وان عد ذلك من أسباب ضعف سيطرة بغداد على كردستان، أنه طيلة مدة الثورة الكردية المسلحة تقريباً التي بدأت عام ١٩٦١ كان أكراد العراق يستفيدون من توريدات العتاد العسكري من إيران ومن اللجوء إلى أرضها، وهو لجوء كثيراً ما كان حيوياً إبان انكفاءات البشميرغاس أمام اندفاع الجيش العراقي، وكان موقف طهران يقوم على تسهيل ملاحقة هذا النزاع في العراق وهو نزاع كان الطرفان يتورطان فيه ويستنفذان قواهما، مع احتراس

---

(١) ويلخص الدكتور حامد محمود عيسى في كتابه (القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي) المسألة بقوله: إنه لا شاه إيران ولا رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية كان يرغب في انتصار الكرد بل كان يرغب في استمرار الثورة الكردية متأججة بالقدر الذي يسمح باستخدامها في المعادلات الإقليمية، لقد استخدمت الولايات المتحدة الورقة الكردية خاصة بعد عام ١٩٩١م، وحققت للأكراد منطقة آمنة، ومنعت العراقيين في عهد صدام من اجتثاث الحركة الكردية، والأمر نفسه بصورة أقل بالنسبة للشيعية منذ عام ١٩٩١م. وفي تقرير للجنة شكلها الكونجرس عام ١٩٧٥م والمعروفة بلجنة pike (لقد كانت سياستنا غير أخلاقية تجاه الكرد، فلا نحن ساعدناهم ولا نحن تركناهم يحلون مشاكلهم بالمفاوضات مع الحكومة العراقية، لقد حرضناهم ثم تخلينا عنهم).

طهران من ألا تمكن عدوى القومية الكردي P.D.K من جهة أخرى، يحرص دائما على تطمين طهران لا يسعى التحالف مع مثيله الحزب الديموقراطي الكردي الإيراني إلا من أجل ما يتعلق بحسن سير عملياته الخاصة في الأرض العراقية، وفي غضون صيف ١٩٦٥ خاصة شن الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني ثورة مسلحة في كردستان الإيراني فأدت المجابهات مع الجيش إلى مئات عديدة من الضحايا وبعد فشل الثائرين الأكراد في ثورتهم فإن الحزب الديمقراطي الكردي العراقي سلمهم إلى السلطات الإيرانية رافضاً قبولهم في حماة مثل سليمان موعيني، سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني، بدلا من أن يعرض مستقبل ثورته الخاصة للخطر بإفساد علاقته مع إيران، وهكذا فإننا نمسّ التكيف المفروض على الحركة القومية الكردية سواء بانقسام كردستان وإعادة توزيعه على عدة دول أم بفقدان الدعم الراسخ والدائم من قوة خارجية مؤيدة للأكراد، لقد استفاد هؤلاء على التوالي من عون الاتحاد السوفياتي سابقاً، ومن عهد الملكية ونظام الأخوين عارف ومن الولايات المتحدة ومن إسرائيل دون أن يكون أبداً لهذا العون من هدف تأمين انتصاراتهم ولكن ليطيل نزاعاً كان يضعف بغداد فكان من الصعب جداً على مقدور أجزاء الحركة القومية الكردية المختلفة المحتواة على هذا النحو في دول المنطقة المحكومة عليها بدرجة معينة من العزلة، إعداد استراتيجية إجمالية متسمة بشيء من التلاحم وذات طابع دائم وللدفاع عن مصالحهم الخاصة على الصعيد المحلي، كان يلزمها على الأقل، جزئياً القيام بلعبة أولئك الذين فيما وراء أحد الحدود كانوا أسوأ أعداء للأكراد وضع مأساوي ولامعقولية على الصعيد القومي.

في السادس من آذار/ مارس ١٩٧٥، في مؤتمر الـ O.P.E.P في الجزائر، إبان لقاء شاه إيران ونائب رئيس مجلس الثورة العراقي صدام حسين، المنظم بإيعاز من الرئيس بومدين، حصلت مصالحة بين البلدين، فقد التزم الشاه

بسحب دعمه للأكراد في العراق الذين استفادوا على مدى الشهور السابقة من مساندة المدفعية الإيرانية في العمليات في حين كان العراق الذي راح يمد أكراد بالعون، يؤكد بأنه سيطبق على حدوده كذلك مراقبة من أدق ما تكون، وبالنظر إلى أن مواصلة الحرب في الكردستان العراقي قد جعلت غير ممكنة منذ آذار / مارس ١٩٧٤ إلا بالمعونة العسكرية والسوفييت التي تمد بها طهران الأكراد، فإن الثورة المسلحة كانت تبدو تماما أنها تدخل في عام ١٩٧٥مرحلتها الأخيرة وقد علم فيما بعد أن الولايات المتحدة كانت وراء سحب المساعدة الإيرانية كما كانت من قبل وراء منحها، وفي الثامن من آذار من العام نفسه كان مجلس قيادة الثورة يعلن عفواً شاملا عن جميع الثوار الأكراد وكان عليهم الاختيار بين الإقامة النهائية على الأرض الإيرانية أو القبول بالعفو الصادر من بغداد. واختار ملا مصطفى، من جهته الحل الأول وكف عن القتال وكان عليه فيما بعد اللجوء إلى الولايات المتحدة حيث وافته المنية في آذار / مارس ١٩٧٩، نادباً حظه للتخلي الأمريكي عنه، فطبقت بغداد قانون الحكم الذاتي وزودت المنطقة بمؤسساتها التمثيلية وبشرطتها الخاصة وسمح باللغة الكردية في المدارس وافتتحت جامعة في السليمانية، وخصص لها نصيب من اعتمادات التنمية ومن جهة أخرى، وتحت ذريعة البطالة، بوشر بنقل٠٠٠ , ٣٠٠ كردي إلى جنوب العراق وبإسكان عناصر عربية في الشمال(وفي سورية أيضاً حصل الشيء نفسه في ستينيات القرن العشرين تحت شعار الحزام العربي)، وجعل بناء الـ(قرى المحصنة) المراقبة من الجيش والقمع البوليسي الوضع عسيراً على المقاومين أو من تسول له نفسه بذلك وفي حين كانت آفاق مستقبل الثورة قاتمة إلى أبعد حد عام ١٩٧٥، أنشأ جلال الطالباني الاتحاد الوطني لكردستان، وكان قد تخلّ نهائياً عن تولي إدارة الحزب الديمقراطي الكردي P.D.K على خط البرزانيين الذي فرض على هذا الحزب زعامته وبصمته وهو يحافظ في نفس الوقت على الواجهة

الأيدولوجية لئلا يفقد تعاطف الشبيبة المثقفة التقدمية في المدن، وكان الطالباني يحدث هكذا في الخفاء تنظيما منافٍ للحزب الديمقراطي الكردي P.D.K كان يريده بمصداقية صحيحة (من اليسار)، وبالتالي موالياً للشيوعية وأفضل تنظيما من تشكيل البرزاني الذي كان استمرار طابع الروح القبلية فيه كثيراً ما يخلق الفوضى، وفي نهاية ربيع ١٩٧٨ نشبت عند التخوم العراقية الإيرانية بين الـD.P.- P.D.k. (القيادة المؤقتة للحزب الديمقراطي الكردي)، وهي مسخ جديد للحزب الديمقراطي الكردي P.D.K، يقوده من الآن فصاعداً الإخوان ولدا ملا مصطفى إدريس ومسعود البرزاني، والاتحاد الوطني الكردستاني L.U.P.K.، مني فيها الاتحاد الوطني الكردي هذا خسائر فادحة في الرجال وسجل ارتداد أتباع علي الأشعري (المتوفى في اشتباك مع القيادة المؤقتة للحزب الديمقراطي الكردي (D.P.-P.D.K.) ومنذئذٍ راح حزب آخر هو الـ D.C.-P.D.K (القيادة العامة للحزب الكردي ومن الاتحاد المؤقت الكردستاني (أتباع المرحوم علي أشعري المجتمعين في (حركة اشتراكية كردية)، وأعضاء مجموعة تطلق على نفسها (لجنة تحضيرية) للحزب الديمقراطي الكردي P.D.K بقيادة محمود عثمان، وأخيراً عناصر (حزب اشتراكي كردي) أنشئ قبيل ذلك الزمن، أمام هذا الانقسام في أقصى حركة حرب عصابات نشأ (حزب الحرية والتقدم الكردستاني)، في نيسان/ أبريل ١٩٧٩، دعى كذلك باسم (الاتحاد)، (يكبون)، بهدف وضع حد للانقسام وتقديم إطار للذين يريدون العمل في توافق وانسجام، وقد أعاد تأكيده، في أول مؤتمر له، المنعقد في تموز/ يوليو ١٩٧٩، محدداً خطه على أنه (تقدمي اشتراكي)، بأن مهمته هي إحياء الاتحاد وأن هدفه الأهم هو التحديد الذاتي للشعب الكردي.

وفي عهد "كريم خان" شن الإيرانيون هجماتهم على كردستان ومالت العصبية الكردية في شهر زور إليه لكونه كردياً، ووجد كريم خان فرصته

للتدخل عبر النزاع الأسري العنيف الذي كان لاينقطع بين البيوتات الكردية الحاكمة، ولم تستطع الدولة العثمانية أن تفعل شيئاً حيال الغزو الإيراني لانشغالها في الحرب مع روسيا القيصرية في عهد كاترين الثانية، كما لم تستطع قوات والي بغداد (عمر باشا) حولا وطولا بعد أنْ أرهِق الشعب العراقي من جراء وباء الطاعون الذي اجتاح البلاد وقد ساعدت سياسة الدولة العثمانية على قيام أسر حاكمة متعددة متجاورة، كانت من أشهرها الأسرة البابانية التي أسستها شخصية كردية حفظتها لنا الأساطير وهي شخصية "فقية أحمد الذي ينسب إليه تأسيس "وجاق بابان" وقد لعبت سنجقية بابان دوراً هاما في تاريخ كردستان، حيث كان يستعين باشا بغداد بجيشها الكبير وخيالته المدربة على المعارك لإخضاع العشائر العربية المتمردة، بينما استغل البابانيون موقعهم بين دولتين متعاديتين فتردد ولاؤهم بينهما، وهو ما عرّض إمارتهم لانقسامات ومؤامرات خطيرة، فكان أفراد الأسرة البابانية يعملون على كسب ثقة كرمنشاه أو بغداد التي عجّت بالمتنافسين منهم على الحكم، وكان المعزول منهم يفر إلى إيران ليعود بجيش إيراني كردي يستعيد به السيطرة على الإمارة.

وأدت السياسة العثمانية للإستعانة بالكرد على العرب إلى وجود تراث من العداء بينهما فقد استعان والي بغداد سليمان باشا الكبير بقوات الأكراد للقضاء على تمرد شيخ الخزاعل"حمد الحمود" ثم واجه ثورة سليمان بك الشاوي زعيم العبيد بالأكراد أيضاً، إلا أن الشاوي نجح في إحراز بعض الانتصارات وتمكن من أسر أمية باباني إلا أنه ولحكمة واضحة أعاده معززاً إلى وطنه، إذ كان يأمل في الاستعانة بالأكراد على الوالي، ولعل سليمان الشاوي أراد بتلك الخطوة أن يرسي أساس وفاق كردي عربي، خاصة بعد أن بات قاب قوسين أو أدنى من إسقاط باشا بغداد، ولكن سياسة " فرق تسد العثمانية أفضت إلى هزيمة الشاوي على أيدي عرب العقيل والأكراد مما اضطره إلى اللجوء لشيخ "المنتفق ثويني"

ولكنهما هزما أمام جيوش والي بغداد في أخر سنوات القرن ٢١ هـ. وقد دفعت كراهية الشاوي لزعماء الأكراد الذين كانوا السبب الرئيسي لهزيمته إلى أن يفضح خطة متسلم البصرة الكردي وباشات السلمانية (الكردية) وشيخ عشائر المنتفق التي أرادت وضع والي بغداد بين شقى الرحى، ومما ساعد على احتفاظ المشكلة الكردية بسخونتها وحضورها أن العقلية الإيرانية والعثمانية حتى بعد توقيع معاهدة ١٦٣٩م ومعاهدة ١٧٤٦م، لم تشأ أن تعين الحدود العراقية ـ الإيرانية أو أن تحدد تبعية العشائر الكردية (الشاتية) في إيران (الصائفة) في كردستان، وكانت المعاهدات قد شطرت الأكراد بينهما، كما كانت هناك ثغرات كبيرة تسبب نزاعاً لا يفتر وتجعل المعاهدات وقتية وغير ذات قيمة فعلية، ومعاهدة عام ١٦٣٩م هي التي اتخذت أساساً للمعاهدات التالية لها حتى معاهدة سنة ١٨٤٧م خير مثال على ذلك فقد تركت (سقر) "وزهاب" ودرنه" في هذه المعاهدة دون أن تحدد حدودها بدقة، كما كانت الهجرات تثير ارتباكاً شديداً في تحديد تبعية القبائل وهذا الارتباك في التحديد كان فرصة مواتية لتقلب القبائل في ولائها بين الطرفين.

وفي معاهدة أرضروم الثانية تخلى العثمانيون لإيران عن منطقة (عربستان)[1] مقابل تنازل الإيرانيين عن أطماعهم في بعض نواحي السليمانية، ولتتفرغ الدولة

(١) لقد ذهب هذا الإقليم العربي ضحية لسياسة الدولة العثمانية في الاعتماد على "العصبيات المتناحرة " في إدارتها لشؤون ولايتها وعلى رأسها العراق، فعندما دخل العثمانيون العراق كان إقليم عربستان والحويزه تحت سيطرة أمارة المشعشعين العربية التي تأسست سنة ٨٣٠ / ١٤٣٧م، وقد تبدلت سياستهم تجاه هذه الإمارة العربية بين مساندتها ضد الأخطار والهجمات الصفويه وبين مهاجمتها وتأليب القبائل العربية ضدها حتى ضعفت سلطة الأمراء المشعشعين وسقطت دولتهم في أيدي قبيلة كعب العربية وقد دافعت إمارة كعب العربية ببسالة ضد الغزو الفارسي لأراضيها، ونجحت في صد الحملة التي قادها كريم خان بنفسه واضطرته إلى الانسحاب عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م وحاولت الدولتان العثمانية والفارسية اللتان خشيتا من المد =

العربي لهذه الإمارة إضعاف الكعبيين الذين أضحوا قوة عسكرية لا يستهان بها في القرن ١٢هـ/ ١٨م. فأخذت كل منهما في بادئ الأمر تمارس ضغطاً سياسياً عليها إذ طالبت أميرها بدفع الجزية اعترافا منه بسيادتهم عليه وادعت كل منهما. أنه يخضع لسيادتها إلا أن شيخ كعب "سلمان" وقد أراد إفهام الدولتين بأن إمارته تتمتع بالاستقلال ضرب بإدعاءاتهما عرض الحائط ورفض دفع الأتاوه ومارس سيادته على المنطقة بشكل كامل.

وكان لنجاح إمارة كعب في استغلال الطبيعة الخاصة للأهوار لفرض سيطرتهم على الملاحة في شط العرب أثره في جعل القوى الفارسية والعثمانية والإنجليزية (بحكم مصالحها التجارية) تنسق العمل بينهما من أجل ضرب هذه الإمارة بحجه حماية مصالحهم في المنطقة، ففي ستينيات القرن ١٨م كان على كعب أن يواجه عدواناً عثمانياً ـ انجليزياً مشتركاً (١٧٦١م) ثم عدواناً فارسياً (١٧٦٥).وبالرغم من العمليات الحربية المشتركة (الإنجليزية العثمانية) ضد إمارة بني كعب التي دارت خلال أشهر صيف سنة ١١٨هـ / ١٧٦٦م، إلا أنها باءت بالفشل وتمكن بنو كعب من أن يحرقوا تسع سفن حربية عثمانية من بينها سفينة القيادة وقتلوا الرجال الذين كانوا عليها كما أحرقوا سفينتين بريطانيتين كان قد سبق لهما الاستيلاء عليهما مما دفع الانجليز إلى شن هجوم عنيف لاقتحام استحكامات بني كعب في خور موسى وبلغ بالدولة العثمانية الحرص على القضاء على سلطة بني كعب المستقلة حد التفكير في التعاون مع عدوها الفارسي كريم خان، فوعدته بأن تشن معه هجوما مشتركاً على الإمارة العربية في عام ١٧٦٥م إلا أن تباطؤ متسلم البصرة "سليمان أغا "انتظارا لرجال وسفن أكثر من بغداد أدى إلى تخلي كريم خان عن فكرته بعد أن وصلت قواته إلى "الفلاحية " بانتظار تحرك القوات العثمانية من البصرة وعلى الرغم من نجاح "على رضا باشا" والي بغداد في الاستيلاء على المحمرة عام ١٨٣٧م وتركها في يد رؤساء عشيرة كعب العربية، إلا أن الدولة العثمانية اعترفت للدولة الفارسية بالسيادة عليها وعلى عربستان بمقتضى معاهدة "أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧م التي وقعت بوساطة من روسيا وانجلترا لقاء تخلي فارس عن جميع مطالبها في السليمانية وكردستان، ومنذ توقيع تلك المعاهدة خاضت الحكومة الإيرانية صراعاً عنيفاً ضد العرب في هذه المنطقة وحاولت شحنها بالإيرانيين لتغليبهم على العنصر العربي، ومما له مغزاه التاريخي أنه بعد ٣٩سنة من التنازل العثماني عن عربستان وفي سنة ١٩١٣ م كانت مدينة المحمرة أحدى مدنها تشهد مؤتمراً قومياً عربياً يحضر للثورة العربية على الأتراك وهو المؤتمر الذي طلب قادته من الملك عبد العزيز آل سعود أن يقود العرب في ثورة قومية فأيدهم "أدبياً" وأعلن عن عجزه عن القيام بهذا الدور الكبير ولقد ظل لبني كعب نفوذهم في عربستان حتى اعتقلت إيران زعيمهم الشيخ خزعل سنة ١٩٢٤، وبقي =

العثمانية للقضاء النهائي على العصبيات المحلية الحاكمة في كردستان والتي كان وجودها سبباً في المشاكل المعقدة بينها وبين الدولة الفارسية وبالفعل نجح العثمانيون في القضاء على الأسر (البهدينانية) و(البوتانية) و(الصورانية) ولم يبق من العصبيات الكردية الحاكمة سوى الأسر البابا نية في السليمانية، وقد حاول أميرها(أحمد بابان) الاستعانة بالقنصل الانجليزي في بغداد (المستر هنري رولنسون) الذي أخذ يحث حكومته والحكومة العثمانية على الإبقاء على "أحمد بابان "حاكما على السليمانية إلا أن الدولة العثمانية صممت على المضي قدما في سياستها، فزحفت بقوتها بالتعاون مع (عبد الله بابان) أخي أحمد صوب السليمانية التي وفر منها أحمد بحكم العادة إلى إيران وتولى أخوه عبد الله الحكم ونجح في صد هجوم أحمد الذي حاول استرداد ملكه المسلوب، وبعد ذلك بوقت قصير استدعى (عبدي باشا) والي بغداد من السليمانية حاكمها (عبد الله بابان) واحتفظ به في بغداد ثم نفاه إلى الآستانة عام ١٨٠١م لينهى بذلك حكم الأسرة البابا نية غير أن هذه الخطوات العثمانية المتأخرة، لا تعفى الخلافة العثمانية من مسؤولياتها التاريخية في تمديد وتضخيم حجم المشكلة الكردية بسبب سياستها التقليدية في الحفاظ على العصبيات المحلية، وهي المشكلة التي امتدت عبر الحدود تثير نزاعات مريرة مع الإيرانيين انعكست على علاقة الأكراد ببقية سكان العراق وخاصة من العرب، كما أدت سياسة الملل العثمانية (الأساس التاريخي لتقاسم الاستعمار رعاية الطوائف المسيحية) إلى نشوب نزاعات دامية لتقاسم الاستعمار رعاية الطوائف المسيحية) وإلى نشوب نزاعات دامية بين الأكراد والنساطرة في شمال (الواجة) عام

النفوذ المشعشعي في الحويزه حتى سنة ١٩٢٨ حتى احتلها الشاه راضا بهلوي عسكرياً وأزال المعالم العربية للأقاليم و أبدل أسماء المدن والقرى وجميع التضاريس العربية بأسماء فارسية في محاولة لطمس عروبة المنطقة وإلغاء هويتها العربية.

١٨٤٢ حيث وقعت مذبحة للنساطرة كان لها دوى كبير في دوائر الدولة العثمانية والدول الاستعمارية، نتيجة لذلك أصبح النساطرة على استعداد للتعاون مع الدول الأوربية المعادية للدولة العثمانية خاصة وأن انجلترا وروسيا تدخلتا لصالح (النساطرة) خلال تلك المذابح من بطن وفخذ العرب وفي الخاصر العربية ظلت المشكلة الكردية تؤرق حكومات العراق في العصر الحديث[1] إذ حافظالمتمردون الأكراد على صلاتهم القديمة بإيران وتركيا، لضمان الحصول على الإمدادات

(١) كذلك امتد اخطبوط العلاقات الصهيونية إلى أكراد العراق في محاولة لفصلهم عن نسيج توحدهم الثقافي والحضاري مع العروبة وقد أشارت دراسة يعقوب شمشوني إلى وجود علاقات بين إسرائيل والحركة السياسية الكردية منذ نهاية الثلاثينيات عن طريق (رؤبين شيلواح) الذي كان يدرس في المدرسة اليهودية في بغداد ومن اللافت للانتباه تزامن التمرد الكردي في مناطق شمال العراق عام ١٩٤٣ بقيادة الملا مصطفى البرزاني مع أول علاقة بين الوكالة اليهودية وأجهزة الاستيطان الصهيونية وبين الحركة الكردية. وقد شارك في نسج هذه العلاقة من الجانب الصهيوني : رؤبين شيلوخ، تسيون كوهين، يوناكوهين، مردخاي بيبي. وتطورت تلك العلاقات في أواخر الأربعينيات عندما قام قادة أكراد بمساعدة يهود العراق على الهجرة عبر العراق المؤدية إلى تركيا وفي الفترة الواقعة ما بين بداية الستينيات وعام ١٩٧٠، قدمت إسرائيل الدعم المادي والمعنوي للأكراد عبر تركيا وايران (الشاه) حيث تولى الإشراف على المساعدات أحد قادة الموساد المدعو (نمرود يوهو) حالياً رجل أعمل مشهور وارديه أيليان ومردخاي بن فورت وأوضح هذه الحقيقة عبد الله البرزاني النجل الأكبر للملا مصطفى البرزاني، والذي تخلى عن والده عام ٩٧١، وشغل فيما بعد منصب وزيراً في الحكومة العراقية، وذلك في مقابلة مع صحيفة الأهرام عام ٩٧١، قال فيها: إن الضباط الإسرائيليين العاملين في كردستان، كانوا على اتصال لاسلكي دائم مع إسرائيل وبات من المعروف لقاء شيمون بيريز عام ١٩٦٢، أثناء مؤتمر الاشتراكية الدولية في جنيف بالعديد من الزعماء الأكراد الذين أعربوا له عن رغبتهم الاستعانة بإسرائيل في حربهم ضد العراق كما أجرى بيريز لقاء مع قمران بدرخان، أحد زعماء الحركة الكردية والمعروف بتردده الدائم على السفارة الإسرائيلية، حيث جرى في هذا اللقاء تناول المصير المشترك للأكراد واليهود وقامت إسرائيل بتدريب ضباط أكراد حيث أنجزت أول دورة تدريبية تحت اسم كردي هو (البساط) في آب ٩٦٥، واستغرقت مدة ثلاثة شهور، عبد الله الحسن، (الأقليات في الواقع العربي ص ٥٣وما بعدها)

الحربية والغذائية ولم تتورع دول حلف بغداد (الحلف المركزي) عن مساعدة ثورات الأكراد بعد خروج بغداد عن الحلف على أثر سقوط الحكم الملكي في ١٩٥٨.

وكما كان الحال في الماضي، مد شاه إيران السابق يد العون والمساعدة ليدعم صمود قوات"الحزب القومي الكردي" أمام هجمات الجيش العراقي حتى اضطر حزب البعث الحاكم في العراق عام ١٩٧٥، إلى توقيع اتفاقية الجزائر مع إيران لحل مشاكل الحدود بين البلدين، وتشبه هذه المعاهدة سابقتها (أرضروم) الثانية في اعترافها بسيادة إيران على عربستان وتخلي الإيرانيين عن دعم الأكراد المتمردين في إقليم كردستان العراقي، وعلى غرار اتفاق أديس أبابا الذي تناول مشكلة جنوب السودان[1] ومع مراعاة الفوارق، اعترف العراق بوجود " قومية

(١) ولاشك أن الحكومة السودانية يقع على عاتقها عبء كبير مما آلت إليه الأوضاع، وكذلك الحكومات العربية التي لم تعبأ بما يجري، ولم تسع إلى فرض ظروف تساعد الحكومة السودانية على الثبات في وجه الدول الغربية الضاغطة، بل يشارك في تحمل جزء مما وقع لكثير من المسلمين (سودانيين وغير سودانيين) الذين لم يعن لهم انفصال الجنوب شيئاً حتى الآن، فظلوا ساكتين! بل ربما رأى بعضهم جنوب السودان بكل سذاجة عبئاً على كاهل السودان أزيح! وهؤلاء لم يفقهوا رسالة الأمة ولم يدركوا واجبها، ولم يحققوا النظر كذلك في مآلات إليه الأوضاع، ولم يفهموا بعد ما يريده الغربي الرامي بثقله في المنطقة، لقد أخطأ من ظن أن هدف الغرب إقامة دولة كريمة للأفارقة ينعمون فيها برغد العيش! ويستثمرون نفطهم المغتصب من الشمال، لتعيش بعدها الدولة الجديدة في سلم وأمان مع دول الجوار! فالغرب ليسوا كرماء ولا بسطاء لهذه الدرجة! فأطماعهم تتجاوز مجموعة من آبار النفط، بل يريدون سيطرة على منطقة استراتيجية لها أثرها على مصر، وعلى منطقة البحيرات، ولئن كانت لهم في ذلك مصالح اقتصادية كبيرة مائية ونفطية وزراعية وحيوانية لا تخفى فإن إغفال البعد الأيديولوجي الرامي لتعزيز مكانة اليهود في المنطقة لا يجوز أن يغيب عن ذهن المسلمين اليوم وهذا هو الأهم، فقد أثبتت الأيام أن الغرب مستعد لأن يخسر الكثير في سبيل استقرار وحماية دولة اليهود في فلسطين، وإذا كان الأمر كذلك فلتتفطن حكومات وشعوب دول مصب نهر النيل هذه المرة إلى =

كردية " من خلال (قانون الحكم الذاتي لمنطقة كردستان) الذي صدر في١١مارس بالقرار ٢٤٧ بتعديل الدستور المؤقت بحيث أضيفت إلى المادة الثامنة فقرة جديدة (تتمتع المنطقة التي غالبية سكانها من الأكراد بالحكم الذاتي وفقاً لما يحدده القانون)[(١)].

وقد أعطت المادة الثانية من هذا القانون للأكراد الحق في استخدام اللغة الكردية كلغة رسمية إلى جانب اللغة العربية في منطقة الحكم الذاتي (الآن حرمت وحرِبت اللغة العربية نهائياً) كما ميّزت بين مدارس الأكراد التي تستخدم اللغة

أنها مهددة بقيام دولة جديدة في مواردها الاقتصادية، ومهددة كذلك في عقيدتها التي تجعل من اليهود المغتصبين ألد أعدائها فلتعد من أسباب القوة المادية والعقدية ما تستطيع لمجابهة الأطماع الدولية والأيديولوجية الصهيونية

(١) وقد رأى البعض في إقدام الكاتب المصري الكبير محمد حسنين هيكل على مهاجمة عقد "مؤتمر حقوق الأقليات في الوطن العربي" تعبيراً عن قلق هيكل، لما يرتب ضد الوطن العربي فهو أول من نقل إلى القراء العرب التقرير الأميركي الشهير "تقرير لجنة بايك" والذي تضمن مناقشة مجلس الأمن القومي الأمريكي (قضية الأكراد) بعد أن تسرب إلى مجلة (فويس) حيث شنت أجهزة المخابرات الأمريكية عملية مطاردة في محاولة لمصادرة كافة النسخ دون أن تفلح في ذلك فوفقاً لتقرير لجنة بايك" تم الاتصال بين الإدارة الأميركية والملا مصطفى البر زاني، بواسطة من شاه إيران، في ذروة الصراع بين بغداد وطهران (الشاه) ودعت الإدارة الأميركية الأكراد بمساعدتهم على الظفر بدولة مستقلة، وقدمت الدعم لهم بالمال والسلاح، شاركت فيه إسرائيل.

وقد بلغت قيمة المساعدات الأميركية النهائية للأكراد في حينه ١٦ مليون دولار. وتصاعدت وتيرة العلاقات بين إسرائيل والحركة الكردية ووصلت ذروتها بعد حرب الخليج الثانية، وقد ارتكز هذا الواقع الجديد للعلاقات الإسرائيلية مع مجموعة شديدة التعاطف مع إسرائيل، لتؤمن الغطاء اللازم للعاملين في بعض "منظمات الإغاثة غير الحكومية" لتأمين حضور إسرائيلي بارز في شمال العراق. وهناك حقيقة يجب ألا نغفل عنها هي أن معظم منظمات الإغاثة غير الحكومية أنشئت بقرار من أجهزة المخابرات الغربية وخصوصاً (C.I.A) للعمل السياسي تحت قناع إنساني، لذلك ليس سراً أن هذا الباب اخترقته الدوائر الصهيونية في أكثر من موقع في كردستان العراق...عبد الله الحسن، (الأقليات في الواقع العربي ص ٥٣وما بعدها)

الكردية كلغة تعليمية وتدرس بها العربية إلزاميا في جميع مراحل التعليم ومرافقة وبين المدارس العربية التي تدرس بها مادة (اللغة الكردية) الزامياً.

ويلاحظ على هذا القانون، رغم سلبيات مواد التعليم فيه حرصه على تأكيد مركزية الحكم فيما يتصل بإدارة مناحي الحياة في إقليم كردستان وتوفير فرص مشاركة العرب في المجالس النيابية وجميع هيئات الحكم الذاتي بنسبة عددهم إلى سكان المنطقة حتى لا تؤدي الأغلبية التي يتمتع بها الأكراد إلى حجب العرب عن أداء أي دور في الحياة العامة، إلا أن هذا القانون لم يحل دون عودة الأكراد للتعاون مع إيران بعد سقوط الشاهنشاهية وقيام الثورة الإسلامية في طهران، حيث عادت طهران إلى تأليب الأكراد لاضعاف الموقف العسكري للعراق على طول خط المواجهة وخاصة في النواحي الشمالية[(١)].

---

(١) لاحظ أساساً كيف نشأ المشروع (الكردي) جمهورية (ماهاباد الكردية المستقلة) ١٩٤٦ إبان الحرب العالمية الثانية فبعد توقيع المعاهدة الثلاثية السوفيتيّة البريطانية الإيرانية، احتل الروس المنطقة الشمالية على أن ينتهي الاحتلال بعد ستة أشهر من انتهاء الحرب، حيث أقام الإتحاد السوفيتي حركة كردية شبه مستقلة موالية للشيوعيين ولم تكن مهمة عملاء السوفييت سهلة في محاولتهم لمذهبة الأكراد بخلاف ما كان يجري في أذربيجان، كان زعماء القبائل الكردية يحذرون كل ما هو غريب عن الكردية فما بالك إذا لم يكن مسلماً، وكان يجسد النزعة الشيوعية الكافرة في أيار/ مايو ١٩٤٣، بعد هجوم جماعة من الأكراد على مركز البوليس الإيراني في مدينة ماها باد إلى الجنوب من بحيرة ريزايه، اختفت منها السلطة الإيرانية تماما وكان الزعيم السياسي والديني المسيطر في ماها باد وهي مدينة تعد ١٥٠٠٠ نسمة هو قاض محمد، وكان يستفيد من دعم عدة تنظيمات كردية موجودة الـ (كومولا) اختصار لـ (كومولا إزهيان إكوردستان) أي لجنة الحياة في كردستان) والـ (رازقاري كورد) أي الخلاص الكردي.

وفي عام ١٩٤٥ أكرِه الملا مصطفى البرزاني بعد أن قاتل طيلة العام بأتباعه وحلفائه البالغ عددهم تسعة آلاف أجبرته القوى المسلحة العراقية على الانكفاء بجيوشه إلى (ماها باد) حيث استقبله بما لا يخلو من شيء من الحذر قاضي محمد والحقيقة أنه كان يرتاب في أمره من ناحية أنه أراد الإفراط باللعب في الورقة البريطانية للاستقلال الكردي ومن جهة ثانية أنه قليل القابلية =

للتسامح في منافسة زعيم آخر وبصورة سريعة انتقلت السلطات في ماها باد من اختيار الحكم الذاتي إلى اختيار الاستقلال، وعلى الرغم من دعوات الاتحاد السوفيتي اللبقة إلى الحذر والتروي فإن قاضي محمد نادى بالاستقلال الكردي في ٢٢ كانون الثاني / يناير ٩٦٤، مرتدياً بزة سوفياتية ومعتمراً عمرة دينية كردية في مدينة ماها باد وفي ١١ شباط/ فبراير من العام نفسه سمي قاضي محمد رئيساً لـ(جمهورية ماها باد) وكانت سيادة الجمهورية الجديدة تمارس على أرض تشع إلى مدى ثمانين كيلو متراً تقريباً حول ماها باد وشاءت الحكومة الجديدة أن تكون ممثلة للأكراد في جميع البلدان وحاولت أن تجتذب إلى ماها باد ممثلين من تركيا ومن العراق، ولكن بدون كبير من نجاح ومع أن عدداً من الـ(منافسين) أدخلوا على هذا الشكل في الحكومة، فإن تأليفها لم يكن حقيقة على مستوى طموحاتها لتمثيل كردستان الكبرى فإن منازعات حدودية دفعتها إلى مناداة الدولة الأذربيجانية المتكونة هي الثانية حديثاً والتي كانت تنشد الهيمنة على الجمهورية الكردية التي شجعها الاتحاد السوفيتي الذي يرى اقتراب اللحظة التي لابد له فيها، وفقاً للميثاق الثلاثي من سحب جيوشه من إيران وقام بذلك في ٩ أيار ١٩٦٤ تاركاً الجمهوريتين تواجهان مصيرهما وكانت وسائل الدفاع الوحيدة لدى جمهورية ماها باد تتكون من جماعات من المشايعين المسلحين لمختلف مشايخ القبائل الذين أظهروا ولاءهم للجمهورية الجديدة ولكن بالنظر إلى أن هؤلاء الأنصار لم يكونوا موثقين جداً فإن الحكومة ركزت جميع جهودها في خلق جيش نظامي غير واف بالغرض إلى حد بعيد ذلك أنه إذا كان تلقى من الاتحاد السوفيتي أسلحة وعتاداً حربياً وقنابل مولوتوف فما من شيء بالمقابل كان يشير إلى العمل على توفير دبابات له أو تزويده بمدفعية ثقيلة وأقل من ذلك أيضاً مساعدة مالية سوفيتية وعلى الرغم من رغبتها المؤكدة حق التأكيد في تكوين دولة بالمعنى الحديث للعبارة فإنه لم يكن أمام الجمهورية الصغيرة اختيار آخر غير أن تتسامح بأرفع درجة من الإقطاع الداخلي وكثيراً ما كان المستشارون السوفييت في ماهاباد يظهرون تشككهم الشديد في إخلاص شيوخ القبائل للجمهورية.

كانوا على صواب، ذلك أنه ما إن اجتاحت الجيوش الإيرانية المستقدمة على عجل من حكومة طهران، جمهورية أذربيجان المجاورة (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٦) حتى تخلت أكثرية القبائل الكردية عن الجمهورية، ببساطة، لضعف المبرر لها أو لخيبة أملها بفقدان احتمالات الربح، عن الجمهورية. وبقي البارازانيون في ماهاباد وحاولوا الصمود بالمدينة في وجه المهاجم الإيراني إلا أن الملا مصطفى البرزاني قرر أمام طبيعة الحالة الكردية الميؤوس منها إلى حد ما، الاعتصام بمنطقة ناقاداه، على مقربة من الحدود العراقية. ولدى تعرضهم لهجوم الطيران الإيراني المكثف =

اضطر البرازانيون إلى مغادرة منطقة ناقاداه في شباط / فبراير ١٩٤٧. وبانكفائهم إلى العراق اعتقل الزعماء منهم ووضعت القبيلة بأكملها تحت المراقبة. وتمكن الملا مصطفى من الإفلات وفي أيار / مايو ١٩٤٧ نظم انسحاب أنصاره نحو الأراضي السوفياتية، فقد آثر وفقاً لأقواله على دعوة الحكومة البريطانية للإقامة في بريطانية العظمى الحمى السوفياتي بسبب قربه الشديد من الأراضي الكردية وكان عليه أن يبقى في هذا الحمى مدة إحد عشر عاماً. في العقد الذي تلا عام ١٩٤٧ عززت السلطات الإيرانية والعراقية قبضتها على المناطق الكردية الداخلة في أراضي كل من البلدين. أما وقد كانت تفتقد لزعامات قوية فإن القومية الكردية خمدت جذوتها ولم يذكر لها سوى اضطرابات طفيفة. إلا أنه كان من شأنها في نهاية العصر أن أظهرت من جديد نزعة في العراق وفي تركيا، إلا أنه كان يبقي تحديد المضمون ولم يكن إعلان الاتحاد بين سوريا والعراق يسهل الانفراج بين السلطة والزعماء والأكراد، ذلك أن هؤلاء الأكراد، الحريصين على المحافظة على وزن الأكراد النسبي في الدولة ما كانوا ليرغبوا في أن يروا أنفسهم وقد غرقوا في لجم عربي موسع، كان موقفاً مختلفاً جداً عن موقف الأكراد المتماثلين المندمجين بالعروبة، الذين كانوا شأن علي صالح السعدي سكرتير البعث العام نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، يظهرون تعلقهم الشديد بالوحدة العربية.

الطائفية وأهدافها الإستعمارية
الطائفية موضوع آخر

إن جميع الدول الصليبية المهودة في العالم، جميع الدول الأوربية وأمريكا وكندا واستراليا تستقبل في كل عام ومنذ زمن عدداً من المهاجرين الجدد، عشرات الآلاف من كافة أنحاء العالم النخب من أصحاب العقول المفكرة والهمم والطاقات العالية ومن الأيدي العاملة والدماء الجديدة المجددة للشباب لا سيما من البلاد العربية والإسلامية والحكومات في تلك الدول الغربية لديها دائما خطط ومخططات وبرامج خاصة تمارسها وتتبعها في السياسة الداخلية وتعمل على إنجازها على الدوام وبشكلٍ صارم وهي تهدف في سياستها الداخلية باستمرار إلى إزالة الثقافة الأساسية للوافدين إليها والعمل على إذابتهم وصهرهم في بوتقة حضارتها الحديثة وتبذل من أجل تحقيق هذا الهدف كل ما بوسعها وهي بذلك تنجح نجاحاً مطّرِداً، فمن أجل تحقيق هذا الهدف صار لديهم خطط وأساليب خفيِّة وشيطانيِّة، بحيث يكون الجيل الثاني من المهاجرين على أبعد تقدير قد تخلى نهائياً عن ثقافة الآباء وحمل ثقافة الحداثة بملء رغبته مقبلا عليها بكامل وعيه بحيث لا يستطيع أحدٌ من المهاجرين إلى أوربة أو أمريكا أو كندا أو أستراليا من العرب المسلمين أن يضمن بقاء أولاده بل أحفاده على العهد عرباً ومسلمين اللهم إِلا من رحم ربي وقد صادفت وسمعت عن الكثيرين من الذين خسروا أعمارهم في الغربة هناك، ثم كان أولادهم الذكور والإناث لا يتحدثون العربية ولا يعرفون عن الإسلام إِلا القليل ينتمون إلى تلك الدول الأجنبية بالكلية، ثقافتها وأديانها كان الآباء يتحدثون بمرارة.

لذلك لم يكن غريباً أن تسمع عن شخص مثل (فيليب حبيب) المبعوث الأمريكي أثناء الحرب اللبنانية، العربي الأصل؛ الأمريكي الجنسية، بأنه كان من

أشد الناس عداوة وحقداً على العرب، كذلك الجنرال (جون أبي زيد) قائد قوات التحالف في العراق، والذي قيل وأشيع بأن أصله عربي! [1]، فكيف يحوِّلون العربي في الغرب وخلال فترة قياسية وجيزة، إلى كاثوليكي حاقد حقداً لئيما على العرب والإسلام أو بروتستانتي متشدد وظالم ضد العرب والإسلام؟ كيف يفعلون ذلك؟ ما هي الخطط المتبعة؟وهل صارت هذه الخطط التي كانت تطبق على المهاجرين من العرب إلى دول الغرب، هل انتقلت هذه الخطط لتطبق وتتّبع، ولتمارس ضمن فئات وطوائف عرقية ودينية، موجودة وتعيش على الأرض العربية، بحيث صارت هذه الفئات تبدي تنكرها ورفضها وكراهيتها وحقدها العلني للعرب والإسلام؟ على أرض العرب والإسلام! أما في الدول العربية، فإن الحبل كان دائما متروكاً على الغارب، العرب المتسامحون إلى أقصى الحدود، الطيبون زيادة عن اللزوم، لم يلتفتوا إلى هذه المسألة المهمة والحساسة والضرورية والسيادية، والتي كان من الواجب على أصحاب القرار في الدول العربية، وعلى العرب عامة، في كل زمان وفي كل مكان، التنبه لهذا الأمر والتصدي له، ومواجهته على أرضهم بكل حزم.

قبل سنتين تقريباً، كنت جالساً في إحدى الأمسيات الصيفية، في مكتبي أتحدث مع صديقي السيد عاطف، الشيوعي السابق؛ فدخل إلينا شخص لا أعرفه، كانت ملامحه عربية من يراه يشعر أنه قريب من القلب فهو أسمر، بشوش الطلعة، نظيف، لبق ومؤدب، حّيانا وبادرني بالسؤال عمّ إذا كان عندي أي كتاب يتحدث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم؛؟ ناولته على الفور ثلاثة كتب مختلفة، لثلاثة مؤلفين، كلها

---

(١) ومن قبله الجنرال (عمر برادلي) رئيس أركان الجيش الأمريكي، والمخطط الفعلي للمعارك (عندما كان إيزنهاور وزير الدفاع) في الحرب العالمية الثانية، وقائد قوات الحلفاء، وهناك دبابة أمريكية باسمه، أو سيارة (هومر!) كان (عمر البراد لي) أصله من دمشق، من منطقة ركن الدين، فهل كان (البراد لي) حفيداً لصلاح الدين الأيوبي.

بعنوان (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم) وكتاب رابع كان بعنوان (الناسخ والمنسوخ في الحديث النبوي) لكنني لاحظت أنه فوجئ بوجود أكثر من كتاب مختلف عن (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم) وفوجئ أيضاً بوجود كتاب عن (الناسخ والمنسوخ في الحديث)! أخذ يقلب صفحات تلك الكتب وينظر فيها؛ ثم قال لي: الحقيقة أنني ماكنت أتوقع وجود عدد من الكتب المختلفة عن الناسخ والمنسوخ في القرآن، وأنه يوجد أيضاً كتاب عن النسخ في الأحاديث ومع ذلك فإنّ هذه الكتب ليس فيها الكتاب الذي أبحث عنه! فأنا أبحث عن كتاب للناسخ والمنسوخ، فيه آية واحدة، تنسف أربعمائة وعشرين آية من القرآن!، وأنا لا أجد هذه الآية في هذه الكتب!؟. فقلت له مندهشاً: وهل تعتقد ياصديقي، أنه يمكن أن تكون في القرآن الكريم كلمة واحدة منسوخة؟ فالقرآن الكريم كلام رب العالمين وبالتالي فلا يجوز أن ينسخ منه حرف واحد، فإذا نسخ منه حرف واحد فهو إذاً ليس بكلام الله تعالى، وأستغفر الله سبحانه وتعالى أن يكون القرآن الكريم كذلك، فقال: نعم؛ أنا أعرف أنّ هناك آية واحدة في القرآن أسمها (آية السيف) هذه الآية تنسف أكثر من أربعمائة وعشرين آية! فقلت له: هذا كلام غير صحيح طبعا! فقال لا لا أنا أعرف أنّ في القرآن آيات منسوخة، وأنّ هناك أنواعاً من النسخ ومنها ما هو منسوخ لفظاً وموجود كتابةً؛ وهناك آيات قد نسخت لفظاً وكتابةً! وأردف قائلا محاولا التأكيد وبإصرار: ثمّ ألا ترى أن هذه الكتب كلها التي أمامك تؤكد على موضوع النسخ! فالنسخ أكيد؛ وهو موجود ولا يستطيع أحدٌ نفيه أبداً، فقلت له: بل هذا وهمٌ توهمه البعض، في الفترة العباسية أيام سيطر الفرس على الدين والدنيا، ولم يكن أيام الرسول ﷺ ولا في صدر الإسلام ولا في أيام الأمويين، والنسخ في القرآن الكريم غير صحيح أصلاً، وغير منطقي إطلاقاً، ولا يجوز أبداً، وهو يتناقض مع كون الدين من عند الله سبحانه وتعالى. ولا يجوز أبداً أن يقول الله سبحانه وتعالى لنا كلاماً، ثم ينسخه في اليوم التالي! فإذا صح ما تقوله فيكون الكلام في القرآن الكريم، كلام بشر وليس كلام الله،

وأستغفر الله تعالى، فمعنى قولك هذا هو أن هذا القرآن الكريم من عند محمد؛ وأنه ليس رسولاً مبعوثاً من الله سبحانه وتعالى، وأنه كان يبدل ويقدم ويؤخر بحسب المناسبة؛ قال نعم! ولكن في القرآن ذاته آيات تدل على النسخ، مثل قوله (وما ننسخ ومن آية أو ننسها نأتي بخيرٍ منها). لقد جرى كل هذا الحوار بيني وبينه، وهو واقف، فلما لاحظت تعمّده إبراز الخلل والتشكيك.. قلت له: إذا كان الأمر كذلك فأرجوا أن تتفضل وتجلس على كرسي الاعتراف؛ وأشرت إلى كرسي أحمر اللون، وقلت له مداعباً: إن هذا الكرسي مريح جداً للجلوس عليه، ومن خصائصه أنّ الجالس عليه يصبح صادقاً وينطق بالصراحة، فأحب الفكرة وتجاوب مع اقتراحي، وجلس على الكرسي الاعتراف، وكان نبيهاً وذكياً، فقلت له: يا سيدي مشكلتنا مع كتاب الله العظيم، هي أننا إلى الآن لم نفهم آياته الفهم الصحيح، ونحن إلى الآن لانزال أبعد ما نكون عن إدراك المعاني الحقيقية لألفاظه، لذلك فإنّ الآية التي أشرت إليها لا تعني نسخ كلام الله سبحانه وتعالى، الذي قي القرآن الكريم، وحاشا وكلا أن تعني ذلك، ولكن بعض المتفيقهين من الذين حاولوا وضع ما سميّ خطأً بالتفاسير؛ وكان أصلهم، أكثرهم، من غير العرب؛ كانت لهم مشكلة في فهمهم للقرآن الكريم، فعملوا على وضع التفاسير! كانت التفاسير أساساً قد وضعت للمسلمين من غير العرب، ولا يجوز أن تكون للعرب! فقال: إذاً ماذا تعني الآية التي تقول بشكلٍ صريحٍ وواضح ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾** ﴾ البقرة ؟ فقلت له: هل تعرف الفن التشكيلي؟ فقال: أنا فنان تشكيلي! فقلت له: عظيم جداً، فإذا أتينا بلوحة فنية كبيرة ووضعناها على هذا الجدار، وقمنا بتغليفها فأخفيناها كلها، ثمّ كشفنا لك عن مقطع صغير من زاويتها، وقلنا لك ما هو رأيك بهذه اللوحة، هل بإمكانك أن تبدي لنا رأياً صحيحاً وكاملا عن هذه اللوحة؟ فقال: لا طبعاً. فقلت: وكذلك القرآن الكريم، كتاب الله العظيم، كلامه سبحانه وتعالى، فإن السورة في القرآن الكريم عبارة عن لوحة متكاملة لا يمكن فهم الآية

الواحدة إذا تمّ اجتزاؤها من السورة؛ بل يجب أولا قراءة السورة بالكامل، ويجب أيضاً العمل على فهم السورة من القرآن الكريم بالكامل ثمّ نعمل على دراسة الآية في موقعها وهذا هو السبيل الوحيد لفهم الآية من القرآن الكريم، وليس هناك أي طريق آخر.

بل ويجب والأساس طبعاً، أن يقرأ القرآن بأكمله، لفهم السورة، ثمّ قراءة السورة للوصول إلى حقيقة المعنى للآية واللفظة الواحدة؛ أما أن نقوم بفهم القرآن عن طريق تفسير المفردات، من القواميس والمعاجم التي وضعها البشر وكانوا قد استنبطوها من القرآن أساسا؛ فهذا الأمر لا طائل منه أبداً! وهو غير مفيد إطلاقاً، ولا يجعلنا نفهم الآيات، ولا يوصلنا إلى المعاني الحقيقية، التي في كتاب الله تعالى، أبداً بل على العكس تماماً، فهذه الطريقة هي التي تأخذ، وقد أخذت العرب والمسلمين في الاتجاه الخاطئ! طوال القرون الماضية. القرآن الكريم كتاب الله العظيم، كلامه سبحانه وتعالى، كتاب الكون، وهو موجّهٌ للعالمين، وهو معينه لا ينضب أبداً، ولاتنقضي عجائبه، القرآن الكريم ليس كتاباً مكتوب بلغة إنكليزية أو فرنسية أو صينية، تقوم بترجمة المقطع منه، أو الجملة الواحدة أو اللفظة الواحدة فتفهمها، فقال: فإذاً؛ ماذا تعني الآية التي تقول: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿١٠٦﴾ ﴾ البقرة؟

فقلت: الواقع أننا لو عدنا إلى سورة البقرة، وقرأنا السورة من أولها، لوجدنا السورة تتحدث عن الأقوام السابقة من بني إسرائيل، من أهل الكتاب، من الذين هادوا (وهؤلاء ليسوا اليهود طبعاً) ومن النصارى ومن الصابئة وغيرهم، في مواقعهم المختلفة وفي أزمانٍ مختلفة ومتنوعة وعن الشرائع والرسالات العديدة التي قد نزلت على تلك الأقوام من بني إسرائيل، وصولا إلى عهد الرسول العربي محمد ﷺ والقبائل العربية وغير العربية التي كانت في عصر الرسول ﷺ، وكانت بطبيعة الحال هذه الشعوب وهذه القبائل، امتداداً لقبائل بني إسرائيل البائدين، المنحلين والذين تشكلوا

في قبائل جديدة مثل قريش وثقيف والأوس والخزرج. هؤلاء كلهم كانوا بني إسرائيل وكانوا يعرفون ذلك وقد خاطبهم القرآن الكريم على هذا الأساس، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء] وعلماء بني إسرائيل في هذه الآية هم رهبان النصارى، ويعدد رب العزة الآيات الكثيرة، والبراهين العديدة والكثيرة، التي كانت للأنبياء السابقين مع أقوامهم؛ وأممهم، ثم يقول رب العالمين أن الله سبحانه وتعالى قد ينسخ هذه الآيات وهذه الشرائع، ليبدلها بخيرٍ منها، ما يتناسب مع العصر الجديد! عصر الرسول العربي محمد ﷺ، فقد نسخ الله سبحانه وتعالى المعجزات التي كانت مع الأنبياء السابقين على اعتبارها أساليب قديمة كانت لازمة أو مطلوبة قبل التعقل الإنساني.

وقد نسخ الرسالات السابقة وكتبها المنزلة، التوراة، والإنجيل، والزبر، والصحف جميعها قد نسخها رب العالمين، وشمّلها القرآن الكريم، وضمّنها إلى القرآن الكريم، فلم يعد هنالك توراة؛ التوراة الحقيقية موجودة في القرآن الكريم، ولم يعد هنالك إنجيل، الإنجيل الحقيقي، كما نزل، موجود في القرآن الكريم. ففتح ثغره وقال: ها! القرآن نسخ الإنجيل؟ فقلت هذا هو مدلول الآية التي أشرت إليها يا صديقي! فقال: ليلة أنيسة! في هذه اللحظة رن (الموبايل) في جيبه فأخرجه وتحدث فيه، وكان على ما بدى سعيداً ويطمئنها عن أنه سعيد للغاية في هذه الليلة! وقال لها تحديداً أنا الآن أقضي ليلة أنيسة ثم أنهى المكالمة، وقال هذه زوجتي تتحدث معي من روما، من حضرة الفاتيكان، فأنا مقيمٌ الآن في روما وأنا أدرس اللاهوت وأدرسه! فأنا الأصل من لبنان، ومقيم في روما، وجئت إلى سورية في زيارة قصيرة وسأسافر بعد غد، ولكنني الآن سعيد جداً في هذه السهرة! ما كنت أتوقع أن تصادفني مثل هذه المصادفة كم أنا محظوظ! ثم ذهب وكانت الساعة الثالثة صباحاً! لكننا أنا وصديقي أصبنا بالذهول وانتابتنا مشاعر وأحاسيس مختلفة، لم نكن نصدق أن هكذا لقاء يحدث بين الأرواح صدفة! قال لي صديقي

عاطف: رب صدفة.

ولماذا أغفل العرب المسلمون منذ خمسة عشر قرناً ولم يطبقوا ولم يتبعوا، منذ ذلك التاريخ، مثل هذه الخطط والمخططات؛ لإذابة الاختلاف وتذويب العناصر المخالفة للعقيدة السمحة بطرق حضارية وإنسانية رائعة وعظيمة؟وهل فعلا أن العربي هو من كانت لغته عربية، وعاش في الأرض العربية أو تطلع إلى الحياة فيها، وآمن بانتسابه للأمة العربية؟ كذلك أكد القرآن الكريم على عروبة القرآن؛ واللسان والحكم، بمنهج رسول الله ﷺ الذي أوصى بالاعتماد على المؤمنين العرب في نشر الدعوة لإمكانيتهم على فهم الوحي وتلقيه؛ ومركزيتهم وقربهم معاشاً وحياتاً من مهابط الوحي الرباني ولبيانهم الأصح والأدق للإسلام العربي المبين؛ ولحفظهم حياتياً للميثاق الرباني في أعرافهم وعاداتهم وقيمهم ومبادئهم الفطرية الحنيفة المتوارثة لقد كان الأعراب في جزيرتهم سدنة للبيت وحماتاً له كانت قريش رأس العرب وتنوب عنهم في سدانة البت ورعايته؛ وكان العرب قبل البعثة الشريفة كانوا يدينون لقريش ويؤدون إليهاً حقوقاً مادية ومعنوية وكانوا يرسلون الهدايا للبيت العتيق بيت الله الحرام البيت الذي بناه جدهم إبراهيم عليه السلام، فالأعراب دائما كانوا هم الأقرب إلى الله سبحانه وتعالى[1]، على الرغم من مما قد شاب حياتهم من تأثير خارجي؛ والقرآن الكريم كان كتاباً وخطابا للعالمين وليس كما يحلوا لبعض المفسرين المتقولين قولهم ! (فعندما يجدون في القرآن آية فيها ذم أو تقريع لبعض للناس يسارعون في تأويلها

(١) قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ الشورى، وتعبير (القربى) هنا في هذه الآية الكريمة واسع وشامل.

أنّ المقصود فيها كان حصراً (العرب)، مثل الآية التي تنهى عن وأد البنات أو قتل الأولاد أو شرب الخمر أو الزنا أو الربا والآيات التي تتحدث عن جهنم و العذاب وبئس المصير وغيرها فإن هذه الآيات في رأيهم أنها كانت خاصة بالعرب! بينما الآيات التي تعد بالحكم والملك والنور والحكمة والنصر على الأعداء والثواب والجنة كانت في رأيهم آيات عامة أو خاصة بغير الأعراب فالأعراب في رأيهم ﴿ **ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾** ﴾التوبة، وطبعاً هذه آية كريمة ولكنه يوظفون آيات الله سبحانه وتعالى يوظفونه لتخدم أغراضهم الدنيئة، ولإبراز حقدهم اللئيم على العرب وعلى الإسلام الصحيح، فالقضية لم تكن تعصباً كما فهمها الجاهلون أبداً بل العروبة بالتعرّب والتعريب باللسان وهي العروبة مفتوحة للجميع، إلا على من كان غير مؤمن بالله الخالق رب السماوات والأرض رب الجميع وكان كافراً ومشركاً وكان غير موحد لله تعالى وكان يحقد على العرب أساساً، فهذا عدواً لله وعدواً للعرب، طبعاً هذا الكائن يجب العمل في كل حين على إقصائه عن ولاية شؤون المسلمين العِراب، لذلك فقد ألهم الله سبحانه وتعالى، سيدنا عثمان η ألهمه حفظ القرآن المجيد، والحِفاظ عليه؛ وألهمه جمعه وألهمه حمْـل المسلمين جميعهم على مصحفٍ إمام واحد.

فالقضية (قضية مقتل سيدنا عثمان η) قضية صراع على المنهج؛ وقضية صراع بين المناهج؛ بين منهج الحق العربي الرباني وبين منهج الباطل اليهودي الشعوبي؛ وكانت للباطل جولة! وليست القضية قضية أشخاص أو قضية صراع دنيوي بين أشخاص على سقط المتاع أبداً؛ كما تحاول اليهود والشعوبية من الأبالسة المارقين ترتيب أذهان المسلمين عليه، عندما حاولوا ضرب الحق بالحق فصوروا القضية على أنها صراعٌ على السلطة بين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبين سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين،

وحاشا وكلا أن تكون الأمور في صدر الإسلام العظيم أن تكون قد جرت وفق فرضيتهم الخاطئة والمختلقة من أساسها والتي لم تحدث أبداً اليهود والشعوبية الذين كتبوا التاريخ على طريقتهم! بالشكل الذي يناسب إنحرافهم ويناسب خروجهم عن الحق، كتبوه ودونوه إبان العصر العباسي وأيام البويهيين والفاطميين ونسخوه واستنسخوه وحاربوا الحق وعملوا على محوه واشاعوا الباطل وعمموه بحد السيف بالفوة خصوصاً أيام الصفويين! فعملوا على التشويه والافتراء والطعن والإساءة إلى هذه الشخصية العربية المسلمة النبيلة والفذّة والمثال سيدنا عثمان η، الذي كان من المفروض على العرب والمسلمين جميعاً أن يكون عثمان بن عفان مثالهم الذي سيحتذى، لقد كان سيدنا عثمان η شهيداً، سيد الشهداء، دفع ماله وحياته مضحّياً مستبسلا في سبيل الله ﷻ، ثمناً لقضية التزامه جمع القرآن الكريم في نسخة واحدة، كان قد كتب فيها القرآن التوقيفي(١) كما نزل على الرسول الأعظم ﷺ، وحمل الجميع على المصحف العربي المبين كمصحفٍ إمام، وقد استبعد كل المحاولات الآثمة التي حاولها اليهود والشعوبيون وجابهها منذ وقتٍ مبكر، لحرفهم (اليهود والشعوبيون وبعض العرب المهودون) حرفهم للتنزيل العربي المبين عن مساره الحقيقي والصحيح،

(١) فالقرآن الكريم، هو كلام الله ﷻ وهو قديم باقٍ حيٌ لا يموت وبالتالي فهو ليس مخلوق! لأن المخلوق لابد أن يموت! ولكن..هناك قضايا أخرى أثيرت في حينه، و دخلت على بعض المدافعين عن الإسلام والقرآن، منها فتنة وقضية تعدد المصاحف؛ وهذه حسمتْ! وقد انتصرت الحقيقة، وهي أن رسول الله ﷺ لم يترك هذه الدنيا، إلا وقد ترك للمسلمين، من بعده، مصحفاً واحدا محفوظاً مسطوراً في الصدور، صدور الصحابة الكرام، ومسطورٌ ومكتوبٌ في صحائفهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر، ولم يلتحق الرسول الأعظم، بالرفيق الأعلى، إلا وقد ترك المصحف الشريف في أمثل حال، بحيث كانت كل لفظة منه، وكل حركة وسكون، وسيظل توقيفياً، ألفاظاً وآيات وسوراً، ثابتة، شكلا ومعنى، وإلى الأبد.راجع كتاب المسلمون الآعراب من القمة إلى أدنى مستوى للمؤلف

عندما أمر η بتحريق كل المصاحف المخالفة المفتراة، هذه القضية المفصلية الهامة جداً جداً في حياة العرب والمسلمين، والتي كان لها الأثر البالغ في بقاء المصحف الشريف دون تحريف وبلا زيادة ولا نقصان؛ مستمراً متواتراً إلى يوم الدين، كان ذلك بوحيٍ وتقديرٍ وتكليفٍ من الله ﷻ ألهمه شرفاً عظيما لسيدنا عثمان بن عفان η وأرضاه.

وعبر التاريخ توارث اليهود والشعوبية ومن تهود من العرب ممن ارتبط مع اليهود والشعوبية بمصالح ! فإنهم جميعهم قد توارثوا أدوار الخسة والمؤامرة على شخصية سيدنا عثمان العظيمة الشهيدة، المشعل المضيء، توارثوا الحقد عليها والإساءة إليها والطعن عليها وعلى العرب، وفيما بعد اختلاق الأكاذيب واختراع المفتريات، ولم يدعوا سلبية إلا الصقوها بشخصيته النبيلة والرائعة ومن خلاله بالعرب، كما عملوا على تجريد شخصيته η وأرضاه من كل الفضائل وكل المزايا الحميدة التي كان يتميز بها هذا الصحابي الجليل رضوان الله عليه، والذي كان قد حمى الإسلام والمسلمين ووقاه بصدره وقلبه ويده وبذل دمه دفاعاً عن المنهج العربي المبين، وهكذا صار الشعوبيون أجيال وراء أجيال يكيلون الحقد الأسود على شخصية سيدنا عثمان η وعلى العرب،[1] بهدف ضرب منهجه

(١) كذلك استمر هجوم الشعوبية واليهود وأعوانهم على العرب إلى الآن وذلك بمختلف الأساليب وبطرق متعددة فأحياناً عن طريق الدين وباسم الدين ورجالات الدين الغير عرب والغير واعين والحاقدين على العرب فإنهم يعملون في أحاديثهم وفي خطبهم وفي مقولاتهم وفي كتبهم يعملون على النيل من العرب والإساءة إليهم والحط من شأنهم بحجة الإشادة بدين الإسلام وليعطوا الدور للدين في نهضة العرب على طريقتهم الخاصة!ويبرهنون على ذلك بقولهم أنّ العرب كانوا قبل الإسلام أمة منحطة ثم جاء الدين ليرفع من مستوى العرب ليصبحوا بمستوى الروم والفرس وتصبح لهم دولة وكأن الإسلام جاء فقط للعرب وليجعل منهم أمة مثل باقي الأمم والسؤال هنا هل كان الإسلام فغط للعرب ألم تكن الأمم أيضاً بحاجة الإسلام ويستمر الحقد على العرب عبر العصور، وهكذا فإنهم في الماضي قد ألفوا الكتب الكبيرة، وإلى هذا الزمن
=

القويم الهدف الذي استشهد لأجله η وهو توحيد المسلمين على المصحف العربي المبين بعد أن ظهرت محاولات الشعوبية اللئيمة لتعديد المصاحف كخطوة أولى لضربهم الإسلام وتفتيته من الداخل. كذلك تورط بعض العرب ممن يدعون الفهم، تورطوا في الخوض أو في التجريح على هذه الشخصية العربية المثال العظيمة، وهم لا يدرون أنّ الهدف من الطعن على شخصية سيدنا عثمان η ودوره الرائع في تلك المرحلة؛ إنما كان بهدف الإساءة لمنهجه العربي القويم الصحيح الذي من المفروض أن يكون هو النبراس لكل عربي مسلم مؤمن إيمان حقيقي بالله عز وجل إنما كان تعويلهم في فهمهم للدين الإسلامي(١) وأحداث التاريخ العربي الإسلامي كان على المصادر المشبوهة(٢) والتي أصبحت تسود

لا يزالون يؤلفون الكتب وينحلون لها الأسماء العربية والإسلامية ثم يدسون فيها السموم، وأصبحت هذه الكتب الآن تطبع وتنشر في المدن العربية وبأيد عربية وتباع في المكتبات العربية؛ والعرب يقرؤنها ببلاهة شديدة وهم لا يدرون أنهم بذلك ينتحرون انتحاراً ذاتياً وجماعياً، يقتلون أنفسهم دون أن يدرون إنهم يقدمون لأعدائهم خدمة ما بعدها خدمة.

(١) المعروف أن الدول الإسلامية غير العربية الشيعية والسنية التي قامت عبر التاريخ منذ العصر العباسي الثاني إلى الدولة العثمانية الصوفية، جميعهم قد كرسوا نشر المذاهب الأربعة المعروفة والعمل بها وخصوصاً المذهب الشافعي والمذهب الحنفي، الذي ساد في ما وراء النهر إلى الهند وفي الأناضول؛ والشافعي الذي ساد في بلاد الشام على حساب المذهب الأوزاعي، والحجاز ومصر وشمال إفريقية مستبعدين أو مهملين أو كانوا لا يشجعون باقي المذاهب والآراء الفقهية الإسلامية الكثيرة والتي كانت منتشرة في جنيات الأمة الإسلامية مثل المذهب الأوزاعي وغيره والسبب في ذلك أنّ الأوزاعي رحمه الله تعالى كان ينص في مذهبه على أن الخليفة يجب أن يكون عربياً من قريش ! بينما في المذهب الحنفي لم يشترط هذا الشرط!

(٢) للأسف الشديد فإن معظم ما لدينا من معلومات تعشش في رؤوس العرب والمسلمين، دينية وتاريخية السائدة على السطح الآن، هي منقولة عن الشعوبية، بدأ من سيرة ابن هشام التي عملها ابن اسحاق للعباسي أبي جعفر المنصور في الأنبا ر إلى الفتوحات للواقدي إلى طبقات ابن سعد والذي كان كاتباً للواقدي؛ إلى الطبري الفارسي المتشيع والذي صاغ ولأول مرة التاريخ للعربي؛ وفسر للمسلمين العرب القرآن العربي، وابن خلدون البربري الأصل والذي كثيراً ما شتم العرب =

أو أنها سوّدتْ الباطل؛ في مراحل تاريخية لم تكن قليلة؛ لاسيما المرحلة العباسية والبويهية والفاطمية ثم تلقفتها العهود اللاحقة، من أيوبية ومماليك وعثمانية وغيرها من الدول؛ شيعيِّة وصوفية وسلفيّة ومما كان يدور في فلكها؛ أو مما كان ردّ فعلٍ عليها؛ فقد تلقفت كل تلك التركة الغثة ذات التركيب الشعوبي الهدام، تلقفتها وتناقلتها بطريقة ببغائية تقليدية دون فحصٍ ودون مراجعة ودون تمحيص ودون محاكمة ودون مطابقة مع المنهج القرآني الحق الأساس الذي لا يحيد، والذي كان من المفروض الرجوع إليه والقياس عليه لا على غيره من المصادر حتى عمّ الخطأ وأنتصر الكذب وشاعت الفوضى وضاع المنطق وتوارى الحق وكان النقل الرديء؛ للدين الرباني الدين العظيم والذي كان في صدر الإسلام ديناً حنيفاً عربياً مبيناً وللتاريخ الذي كان في صدر الإسلام والذي كان تاريخ بطولات وتاريخ انتصارات وتاريخ نشرٍ للدين العظيم ومبادئه السماوية كل ذلك تحول إلى مجرد قصص تروى على طريقة عنترة وأبو زيد الهلالي وألف ليلة وليلة والزير سالم يرويها الرواة للمتعة ولضياع الوقت وتبديد الأعمار أو أنهم يروونها لجلد العرب وذمهم! كان الرواة حاقدين على العرب وعلى الإسلام معاً، ثم أخذ الباحثون العرب أنفسهم بمحاكاة تلك الروايات وتقليدها وهم بذلك لا يدرون أنهم كعرب وكإسلام، إنما يطعنون أنفسهم بأيديهم وينتحرون انتحارا جماعياً مجنوناً، وهكذا فإن بعض الباحثين العرب من أبناء العرب يقدمون

ووصفهم بالتوحش في مقدمته المشهورة على الرغم من أهميتها العلمية! إلى البلاذري والذي كان كاتباً عند ابن خلدون وكان فاطمي الهوى..، يعد نفسه من أهل البيت وبالتالي فهو صاحب الحق المضيّع، فكان لا يخفي حقده على الأمويين والعباسيين مبرزاً حقده على العرب جميعاً حقداً ليس له حدود، وفي كتاب (حلم معاوية) لابن أبي الدنيا تحقيق إبراهيم صالح، كلام ملفق ما أنزل الله به من سلطان، فالكتاب لم يدع سلبية من السلبيات إلا وألصقها بسيدنا معاوية رضيّ الله عنه، ولكن من هو مؤلف الكتاب الحقيقي؟! ومن هو محققه الحقيقي؟ لا نعرف ؛ ومع ذلك يطبع ينشر ويوزع الكتاب في دمشق عاصمة الأمويين وقلب العروبة النابض.

الخدمات لليهود وللشعوبية المهودة وهي فرصة نادرة لأولئك الشياطين الذين لن يتخلوا عنها بسهولة

هل كان العرب المسلمون على حق في نشر دعوة الإسلام؟ إذا كانوا على حق فما مبرر بقاء واستمرار نقيض الحق، على الرغم من مرور كل هذا الزمن ومثلا كيف استمرت بعض القرى العربية النصرانية على نصرانيتها؟ وسط بحرٍ من العرب المسلمين؟ وكيف بقي البعض يرطنون بلغاتهم السرية الخاصة؛ دون أن ينتبه الأوائل من أجدادنا العرب إلى خطورة هذه المخالفات وخطرها على الاستراتيجية العربية الإسلامية التي أكد على أمر صيانتها ومتابعتها القرآن الكريم في آياته البينات، والسنة النبوية الشريفة في عريض ما نصت عليه، وأنه واجبٌ، كان فرض عين على كل مسلم ومسلمة، فأهملت هذه الأمور عند انهيار الدولة الأموية، حتى تفاقمت ووصلت إلى أدنى مستوى في العصر الحديث؛ ووصلت إلى ما هي عليه من التعقيد، وكان السبب فيها تهاون العرب المسلمين في الماضي، وعدم إدراكهم للمسؤولية الجليلة العظيمة التي أنيطتْ بهم؛ وذلك بهدرها وتبديدها وتسامحهم في تلك العصور في التسيّب غير المبرر فتفلّتت زمام الأمور، وأدّت إلى الانخلاع، انخلاع العرب المسلمين المهد الأساسي للإسلام ومركزه، ما أدى إلى ضياع المسلمين عامة لأنه كان بالإمكان وخلال العصور السابقة، بذل الجهود، ومتابعة الحوار مع الجميع للوصول إلى الحق!

حاورني رجل دين لاهوتي محترم من لبنان، كان لا ينْكِر عروبته على الرغم من اعتزازه بكونه فينيقياً أولا وبالقومية السوريّة ثانياً؛ فطرح عليّ مجموعة من المقولات التي يحفظها عادةً كل مسيحي عربي، كما يحفظ اسمه واسم أبيه وأمه وذلك لما يغرس فيه من الأفكار لإعداده ليكون في مواجهة كل مسلم عربي! وهذه المقولات هي المقولات التي تشكل الصورة المقلوبة للحقائق التاريخية، والتي عادة ما يتم تلقينها لكل مسيحي عربي من قبل بعض الجهات، في كل

الطوائف المسيحية العربية ليسمعها كل طفل مسيحي عربي، في سنيه الأولى، قبل دخوله المدرسة بشكل مشوه وذلك لدى كل الطوائف المسيحية العربية، مع احترامنا وتقديرنا للجميع الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت والسريان والأشوريين، والموارنة والأقباط والإنجيليين وذلك فتلاً، وقلباً للحقيقة رأساً على عقب وتشويهاً للدين الحنيف وتعريضاً بالعرب المسلمين وتشويهاً لدورهم العظيم وطمساً لصورتهم الرائعة.

في حين تتطلب الروح الوطنية العربية أن تقدّم صورة العربي المسلم للطفل العربي المسيحي في أروع مثال وأبهى حلة وأرقى مستوى، كما تقدم الآن صورة المسيحي للطفل العربي المسلم على أنها حضارية ومثالية فهل يطّلع العربي المسيحي في حياته كلها على الثقافة العربية الإسلامية؟ لماذا ينظر العربي المسيحي إلى الثقافة العربية الإسلامية على أنها غريبة عنه هل يعتبرها ثقافة وطنية له هل يعتز بها لماذا لا يعتز بها على أنها جزءٌ من تاريخه الوطني؟ لماذا يتم تحميله مبادئ الثقافة والحضارة الغربية وليتم ربطه بها دون الثقافة العربية التي يتعمدون قطع علاقته بها تماما فلماذا؟ على كل حال فإن صديقي اللبناني المحترم، قد قام حيالي بمهمته الطبيعية فذكّرني وأعاد على مسامعي مقولة أن بلاد الشام كانت في يومٍ من الأيام أكثرها من النصارى وكذلك العراق ومصر وهو يتحسر وقال أنّ آثار الكنائس لاتزال موجودة في عمق الجزيرة العربية إلى الآن! ثمّ ذكر لي (ورقة بن نوفل) بطريقة استفهامية لا تخلو من ذكاء وبأسلوب السؤال، فقال هل كان ورقة بن نوفل نصرانياً؟ هل كان خال خديجة أم عمها؟ وقال لي: لماذا لم يسلم؟ ثمّ ذكر موضوع (الجزية) وموضوع إخلاء عمر بن الخطاب لجزيرة العرب من النصارى لاسيما من نجران؛ ثم بدأ يحدثني عن العهدة العمرية، وشروطها القاسية مما أدى برأيه إلى انحسار المسيحية إلى أضيق الحدود في بعض القرى والمناطق بينما انتشر الإسلام؛ فقلت له ياأخي العربي من الواضح أن لديك قدرة خاصة على الفهم

والاستيعاب، وأريد أن أطرح عليك سؤالاً: هل أنت على استعداد لتجيبني من عقلك لا من ذاكرتك؟ فقال نعم أنا أفضِّل الحديث بطريقة عقلانية وعلمية بحتة فقلت له عظيم جداً اتفقنا إذاً، والسؤال هو أنك أنت بالذات، لو أنّ أحد أجدادك العظماء السابقين، الذين بقوا نصارى لو أن أحدهم كان قد دخل الإسلام مع من دخلوه من النصارى الذين دخلوا الإسلام في عصره الزاهي قبل مئات السنين أو عشرات السنين لو أن أحد أجدادك العظماء كان قد أسلم، فكيف سيكون وضعك الآن وفي أي صفٍ كنت ستكون وعن أي دين وعن أي عقيدةٍ كنت ستدافع؟ فقال بالتأكيد كنت سأكون مسلما وكنت سأدافع عن الإسلام، فقلت له: بل وربما كنت صرت ملتزما ومتشدداً أكثر مني أنا بكثير يا صديقي هناك خطأ تاريخي لدى الأخوة من المسيحيين العرب، في نظرتهم للقرآن الكريم لأنهم لايعلمون أنّ القرآن الكريم أصلا هو كتاب سماوي موجهٌ أساساً، كان وبداية إلى النصارى من العرب، أهل الكتاب؛ ولم يكن موجهاً للمسلمين!

لأنه أساساً، لم يكن الإسلام عندما نزل القرآن الكريم على الرسول العربي محمد ﷺ وبالتالي لم يكن الإسلام قد انتشر في العالم في ذلك الوقت ولم يكن المسلمون منتشرين قبل بعثة الرسول محمد ﷺ، بل كانت النصرانية وغيرها، كانت هي السائدة طبعاً، والقرآن الكريم واضحٌ، في أنّه كان في خطابه لبني إسرائيل، وهم العرب عامةً، أولا الذين هادوا منهم، ومعنى الذين هادوا، أي الذين حادوا عن الطريق الصحيح، ونكسوا في الميثاق (وهؤلاء غير اليهود؛) وكان الخطاب ثانياً للنصارى، وهم الذين قالوا لسيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام (نحن أنصار الله) عندما سألهم (من أنصاري إلى الله) فسماهم القرآن الكريم (النصارى) وليس الأمر كما يشيعون في بعض الأوساط من أنّ لفظ النصارى أطلق في عصر الرومان على فئة منشقة عن المسيحيّة الرومانية كما يدعون، والمقصود بها أتباع المجاهد (آريوس) الذي بقي يناضل وينادي بالتوحيد ووقف في وجه الوثنية

الرومانية التي اخترقت الدين السماوي التوحيدي الحقيقي وحوّرتْه والصابئون أيضاً كانوا مستهدفين في القرآن الكريم.

وكانت المهمة الأساسية للقرآن الكريم وللرسول العربي الأمين هي تحويلهم جميعاً، من أوضاعهم المنحرفة إلى الإسلام إلى الإيمان الحقيقي وقد خاطبهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على أنهم (نصارى) في ١٤آية وعلى أنهم (آل كتاب) في ٣٢ آية، وخوطبوا مباشرة على أنهم (آل الإنجيل) مرة واحدة، وعلى أنهم من (بني إسرائيل) ٤١ مرة وذكر القرآن الكريم سيدنا عيسى بن مريم ٢٥ مرة، وسماه المسيح ١١ مرة، وذكر أمه السيدة مريم ٣٤ مرة، والحواريون ٥ مرات والأحبار ٤ مرات، ومرات كثيرة قال عنهم (الذين آمنوا) ثم استطردت قائلا له: فيا صديقي إن القرآن الكريم، ككتاب عربي نزل من السماء، كان لكل العرب، ولكل العجم! على اعتبار أنهم عرب أيضاً ولكن غير مبينين وأنهم على عِوج، ولكن طلِب منهم أن يعودوا فيستقيموا فالجميع بالنسبة للقرآن الكريم هم أعراب سكان المدن وسكان البادية والروم والفرس وقريش وكل الآخرين كانوا بالنسبة للقرآن الكريم أعراباً، ونصارى وآل كتاب فالنصارى كانوا المعنيين به أساساً ويجب عليهم الآن أن يكونوا معنيين به وفي جميع الحالات النصارى العرب يجب أن يكونوا معنيين بفهمه وبدراسته هذه هي الحقيقة يا صديقي.

والواقع أنه على كل عربي أصيل أياً كان انتماؤه! أن ينظر إلى القرآن الكريم بحبٍ، على أنه كتابه الخاص موجهاً له بالذات؛ ثمّ ما الذي يمنعك أو يمنع كل مسيحي عربي من قراءته ودراسته وفهمه، لماذا أنت تنكب على دراسة الفلسفة اليونانية والأدب الأوربي الحديث والتاريخ العالمي، وتفهم اللغة الإنكليزية، وتتحدث الفرنسية بطلاقة، وتعلمت الكمبيوتر، وتدرس اللاهوت في الفاتيكان، ولم تقرأ القرآن إلى الآن ولم تطلع على شيء من السيرة النبوية الصحيحة، ولا الآحاديث الشريفة ولا حتى الشعر العربي ولا الحكمة العربية وتقول أنك

عربي وتعتز بكونك عربياً! وأنت منقطع عن أي رابط يربطك بالعروبة (وهذا الوضع، وهذا الحال، ينطبق تماما على كل الفئات والنحل والطوائف، والفرق التي تعيش على بطاح الأرض العربية، وتسمي نفسها بأنها عربية، وأحياناً إسلامية وتنضوي أو تتصف بأنها عربية من حيث الشكل بينما أكثرها في الواقع؛ تسلك سلوكاً مختلفاً، وربما كان حياتياً مناقضاً للعروبة وللإسلام معاً! وهم يعيشون على الأرض العربية ولكنه من المؤكد أنّ هذا الوضع في جميع الحالات كان قد نتج عن خطأ تاريخي ومرحلة تاريخية قد مضتْ والآن يجب وتقتضي المصلحة الوطنية لمن يفهم؛ أن يصحِّح هذا الخطأ فوراً) وهكذا فإنه في المدارس العربية في جميع البلاد العربية، يتم إخراج التلاميذ غير المسلمين من حصص دراسة الديانة الإسلامية، فلماذا لا يترك الطلاب العرب، غير المسلمين، في درس الديانة الإسلامية على الأقل ليأخذوا فكرة صحيحة عن الإسلام؟ بدل أن يستمروا كلّ حياتهم ينظرون إلى الإسلام بجهالة وعدائية ليس لها مبرر إِلا مصالح فئوية ضيِّقة، أبعد ما تكون عن الروح الوطنية الحقة! ياصديقي وهنا قاطعني هذا الصديق المحترم قائلاً: لكني سبق وأن قرأت القرآن من زمان وأعرف منه بعض الآيات؛ فقلت له: نعم أنت عندما قرأت بعض آياته قرأتها بهدف محدد من باب الفضول وأنت كنت تتوقع أنه مليء بالأخطاء... أنت لم تقرأه على أنه الكتاب العربي العظيم الذي يجب عليك كعربي أن تحبه وتحترمه، وتعتزّ به، تحت جميع الظروف لذلك لا يمكن لك أن تفهمه أبداً، القرآن الكريم بالذات لا يمكن فهمه إِلا إذا قرِئ بحب! فمثلا لو كان لك صديق سافر إلى بلادٍ بعيدة وأرسل لك رسالة، لك بالذات، فإذا أخذت أنا الرسالة وقرأتها إنني بالتأكيد لن أفهم منها شيئاً أبداً وهذا شيء طبيعي فهي لا تعنيني وليست موجهة لِيّ، بينما هي بالنسبة لك، تدغْدِغ مشاعرك؛ لأنها تحمل ذكريات ومشاعر، قد مرت بك في مراحل الطفولة والشباب، وهذه الرسالة هي لك خاصة بك،

مشتركة بينك وبين صديقك، فأنا لم أكن موجوداً بينك وبينه في تلك الأيام الخالية، وهو قد يرمز لك رموزاً وقد يلمح لك تلميحات عن حوادث، وعن أسرار، أنت الوحيد القادر على فهمها!

فقال: نعم بالتأكيد وفعلا أنا لي صديق قديم في أمريكا لاتزال بيني وبينه مراسلات،حتى زوجتي عندما تقرأها فهي لا تفهم منها شيئاً، علما أنني أجدها مليئة بالمشاعر وهي تعني لي الكثير فقلت عظيم جداً وكذلك القرآن الكريم لن يستطيع أحدٌ فهمه، إلا إذا قرأه بحب، وإنك أيضاً لن تستطيع فهمه، إلا إذا قرأته أنت بحب؛ على أنه رسالة موجهة إليك بالذات، لا إلى غيرك! حاول أن تفعل ذلك وسترى كيف يفتح لك الكون خزائن أسراره، في كل اتجاه وهنا لا حظت أن الدهشة قد علتْ وجه هذا الصديق وكأنه فوجئ بهذا الكلام فقلت له جرِّب ولن تخسر شيئاً إن لم تربح كل شيء ثم إنك أنت كعربي أقدر من غير العربي، على فهم القرآن وكشف أسراره، أقدر من المسلم غير العربي الذي يؤمن بالقرآن والإسلام ولكنه لا يقرأ العربية ولا يفهم العربية فهو لن يكون أكثر منك فهما لهذا الكتاب وأنت العربي وابن البيئة العربية وسلالة النجب من العرب فقال: بالتأكيد فقلت له: يا صديقي قيل لي أنه في بعض الدول الإسلامية غير العربية، هناك يجلس أحد الأئمة من غير العرب، لتفسير القرآن وهو لايعرف شيئاً عن اللغة العربية، لا قراءة العربية ولا كتابة العربية وعمره أكثر من ثمانين سنة ويجلس في أحد أكبر الحسينيات هناك، وله مريدون بالآلاف يستمعون إلى دروسه ويأخذون عنه الدين والشريعة الإسلامية وهو لا يعرف إلى الآن أن يتحدث أو أن يفهم اللسان العربي المبين، بل يفتح القرآن الكريم ليقوم بتهجئة بعض الآيات من القرآن بلسان أعجمي غير مبين، ثم يبدأ الشرح بلغته غير المبينة! فما يدرينا ما يقول هذا الشيخ الإمام للناس هناك هل يقول لهم أشياء صحيحة عن الإسلام وعن العرب هل يتحدث عن إسلام صحيح، هل يمكن له ذلك وهو لا يعرف العربية كما قيل؛ فإنه في حياته

اليومية هناك لا يتحدث العربية؛ فهل يتمثل بحق الإسلام العربي أو هل يفهمه فينقله بأمانة وصدق! إننا لا ندري بماذا يحشي عقول مريديه وآذان سامعيه إنك ياصديقي كونك عربياً فأنت أقدر من ذلك الشيخ على قراءة القرآن الكريم وفهمه لأنّ هذا الشيخ القابع هناك، قد صار عمره أكثر من ثمانين سنة، وهو لا يزال يأنف من التحدث بالعربية، فماذا تتوقع أنه يعرف عن القرآن، لذلك فشيء طبيعي أن تراهم هناك يمارسون شعائر وعادات وثنية تماما وتحت اسم الإسلام فقال صحيح أنا لاحظت ذلك في جنوب شرق آسيا عندما كنت هناك فقلت له بل أكثر من ذلك لأن بعض هذه العادات والمعتقدات الغريبة عن جوهر الإسلام قد عادت ووردت إلينا إلى هنا، وقد تجد بعض المسلمين يمارسونها على أنها إسلامية وهي غير ذلك.

الوطن يستعد

عندما يتجاسر العدو على هتك حرمة الوطن والاعتداء عليه فعلى الجميع أن يبادروا إلى الدفاع، وإلى نجدة الأهل في الوطن حميةً، والمعاواة والهرهرة عن الأهل والديار وللدفاع عن وطنهم[1] وهذا الجهاد لا يقتصر على المعنى الحربي المباشر أو على مقاومة أعداء الخارج المتربصين الدوائر بالمسلمين العرب فحسب وإنما أيضاً الجهاد يشتمل على نضالٍ لا ينتهي ضد الأعداء في الداخل... بكل أشكالهم وكل صفاتهم وكل مستوياتهم الذين يعتبرون أعداء الوطن في الداخل؛ والذين يعملون على تقويض نظام الحرية والعدل والقيم الرفيعة التي هي العامل الأساسي في نهوض الحياة ورقيها في الداخل؛ لذلك يعمل أعداء الوطن باستمرار على تشويه الحياة الداخلية وتلويثها وتخريبها، يعتدون والله سبحانه وتعالى ينْصر من ينصره ويرحمكم الله سبحانه وتعالى لنصرته ونصرة دينه الحنيف، إن وطنكم هو مركز الدين وبيضته فلا تسلموه ولتكن دونه الأرواح والمهج.

الجهاد في القرآن الكريم بالمفهوم العربي المبين كان من مستلزمات الشخصية الربانية المؤمنة لا ينفصم عنها أبداً والجهاد ركنٌ أساسيٌ من أركان الإيمان متلازم معه؛ وهو واجبٌ أداؤه مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج إن لم يكن فوقها فهو قبلها! وقد يستمر جهاد المؤمن العربي إلى ما بعد الموت! لأنّ المجاهد يلقى ربه في

---

(١) هكذا كان الأوائل عندما كان المسلمون العرب في المقدمة، وقد أدى سحب هذا الجانب من شخصية المسلم العربي، أو تخلي العرب المسلمون عن هذه النخوة، وعن هذه الحمية التي أضاعوها بجهالتهم، مما أدى إلى هذا التراجع المميت (وصار الأمر كأنه انتحار جماعي للعرب المسلمين!) لقد دلّت الأحداث والحوادث الخطيرة التي مرت على العرب عبر الزمان والمكان، دلّت على أن أس الأسس والقوة كل القوة تكمن في الروح الوطنية والدافع الوطني، الذي يجب أن يكون ملازما للإيمان بالله سبحانه وتعالى كنتيجة واجبة من نتائج الإيمان الصحيح، فإذا ما كانت هذه الروح مفقودة عند أمة من الأمم، أفرادها، فلا حياة لهذه الأمة، وركبتها الأمم.

مستشهداً، ماثلٌ في طرفه طيف الحمى وهو أي الشهيد في الفردوس الأعلى يبكي الوطن، خلّف كلّ نعيما وداعي الثأر أن ينتقم يحنو عليه العرش، وأداء وإبداء الجهاد واجبٌ وحالة ملازمة للإنسان العربي المؤمن لا يسقط بأي حال أبداً، بل يجب أن يستمر هذا الواجب استمراريةً مستدامة لا تتوقف؛ ولا يسقط هذا الواجب تحت أيٍ من الظروف إطلاقاً، والجهاد والنضال جزءٌ من شخصية المؤمن المسلم العربي يدخل فيها، في تكوينها، فالمؤمن بطبيعة الحال مجاهدٌ ومناضلٌ لا يشقّ له غبار، والجهاد ملمحٌ بارزٌ من ملامح الكيان العربي المؤمن، تحققه فيه أمرٌ صميم، نابعٌ من تكوينه الرباني المميز الحنيف، والجهاد فرض عين لا يتعطل ولايتوقف ولا ينتهي أبداً (على عكس ما هو شائعٌ لدى السلفية والصوفية والشيعة) وهو جانبٌ مهم في حياة العربي المؤمن لا بد من تفعيله وتفعّلِهِ، لذلك كان حضّ الإسلام على الرباط والمرابطة في الثغور وعلى شواطئ البحار وعلى التلال والآكام وفي القلاع والمعسكرات وعلى الجبهات لمواجهة الأعداء في سبيل الله سبحانه وتعالى حمية عن الأوطان يرى أو لا يرى...

كان من الأمور الأساسية للدفاع عن الديار وعن الأهل والعرض والكرامة والشرف والأرض حمية لله تعالى، هذا الأمر الذي أصبح مضّيعاً الآن؛ إنّ النضال في المفهوم العربي من أركان الإيمان الأساسية؛ والتي من الواجب على كل مؤمن قادر أداءها وهذا النضال يجب تقديمه في الحياة في حالتي السلم والحرب لمناهضة العدو وصدِّه ومجابهته ومقاومته، في الدفاع والهجوم، والاستبسال في الدفاع والهجوم عن العرض والأهل، وذلك عندما ينادي المنادي، دائما منطلقٌ لا يبالي لهباً أو عسكرا يرتدي ثوب الردى لكنّ الجهاد بالأساس هو حالةٌ من الجاهزية العالية والاستعداد والاستحضار والتنكّب والتوتر المستمر والثورة والوعي والانتباه واليقظة لحراسة الأهل في الأوطان والحرمات والمقدسات وكل شبر من أرض الإسلام أساساً هو من الحرمات العربية وهو من المقدسات العربية، وهذه

الحالة أن لا تفارق المؤمن العربي المسلم أبداً على مدى حياته وفي جميع المجالات وعلى كافة الصعد، وهي من ملامح المجاهد العربي، و(سماهم في وجوههم). إن المؤمن أساساً هو المجاهد الذي يجب أن يكون، فالقرآن الكريم كتاب السماء، وهو كتاب الحرية، وفيه قضية وفيه موقف، بالإضافة إلى كونه كتاب عبادة وكتاب شرعٍ رباني، إن الجهاد من خصائص الإنسان العربي المؤمن الراقي السامي ويجب أن تكون روح الجهاد من خصائصه وملازمةً له في مطلق الأحوال كالشهيق والزفير إذا لم يعملا مات من فوره فإذا تخلى العربي المسلم عن الجهاد فإنه يفتقد إلى أهم خصائصه!

إنّ تباطؤ العرب وعدم اكتراثهم، في الماضي وتهاونهم في تعاملهم مع هذه القضية الأساسية، وعدم إتباعهم السياسة الصحيحة، والملائمة حيال الوافدين إلى البلاد العربية أفراداً وجماعات، بكافة أشكالهم وأنماطهم وثقافاتهم وعقائدهم قد أورث الواقع العربي، والمستقبل العربي، مشكلات جساما استفحلت واتسعت وأصبحت دولية! واكتسبت صفة الديمومة، وصار لا قبل للحكومات العربية الحالية؛ على حلها أو التغلب عليها.

فهل كان من الواجب أن يعمل العرب بالقانون الطبيعي لأن يجلى عن الوطن العربي كل من دعا أو انضم إلى تكتل عنصري ضد العرب، وكل من هاجر إلى الوطن العربي لغاية استعمارية.

إنّ سياسة تجميل الخطأ أو تبرير المخالفة؛ في التفسير والتاريخ التي كانت متبعة في الماضي منذ بدأ العصر الشعوبي العباسي الهدّام، عندما أمسكت الشعوبية بزمام الدين والدنيا، من خلال سيطرتها على الخلافة فسيطرت، في ظروفٍ قاهرة على الحياة العربية والإسلام معاً وخلال العصور اللاحقة، توالت واستمرت إلى الآن حيث لا تزال هذه السياسة الشعوبية هي المتبعة حالياً في الكثير من مجالات الحياة والفكر العربي الإسلامي حتى الآن، تقيِّد وتسوق العقول والأفهام وحتى

الأذواق في التربية والثقافة والعلوم، لاسيما في مجال التاريخ والتفسير أي في المجال الذي يؤدي إلى فهم الدين الصحيح العربي المبين فهما خاطئاً.

هذه المجالات التي سمِّمتْ وعطِّلتْ وحطمتْ وأعيد تركيبها من جديد محمّلة بالأخطاء لقد أدّتْ الأخطاء التي حمِلتْ بها وعليها منذ وقتٍ مبكر إلى اغتيال العقل العربي والفكر العربي والقلب العربي حتى اختلط في حياة العرب المسلمين الحابل بالنابل إنّ هذه السياسة التوفيقيّة التي توفِّق عادةً بين الصح والخطأ وبين الخير والشر وبين الحق والباطل وبين النور والظلام وبين العلم والجهل وبين المستقيم والمعوج وبين العروبة والعجمة؛ تلك السياسة التي فِرضتْ على العرب المسلمين في ظروفٍ استثنائيّة، إنها عملٌ غير مجدٍ على الإطلاق، وهي سياسة فيها تكريسٌ للخطأ ومبررٌ لاستمرار الفساد والضعف في حياتنا، إنها سياسةٌ كنّا في الماضي ندافع فيها عن الخطأ إلى درجة أننا صرنا نقدس فيها أخطائنا ونعتبرها حرمات وهي ليست كذلك وفي الكثير من الأحيان كنّا نقاتل من أجلها ودفاعاً عنها لأننا كنا نجهل الصواب ونتجاهل الحق.

إننا بذلك ودون وعيٍّ منا كنّا نحمي الخطأ ونحتفظ بهذا الخطأ ونعتبره ونضمه إلى كنوزنا الغالية حتى أصبح من ضمن معتقداتنا، وصار هذا الخطأ دون أن ندري يعشش قي عقولنا ومن ضمن مقدساتنا وربما بذلنا دونه أموالنا وأنفسنا فمتى يعي العرب المسلمون في العالم هذه الحقيقة ويبادرون إلى الإتحاد؛ ويتخذون حيالها الإجراء المناسب والموقف المناسب؟ لأنه لا يمكن للعرب المسلمين في هذا العصر عملياً أن يفكروا في النهوض، وأن يفكروا في مواجهة أعدائهم من الخارج وأعدائهم الذين في الداخل(١)؛ قبل أن يعملوا على تفحّص

---

(١) مرة أيام الشباب، كنت متواجداً في أحد المعسكرات مع مجموعة من الأشخاص الأقوياء! واحتجنا آنذاك لإزالة صخرة كبيرة كانت قد برزت لنا أثناء الحفر وتناوبنا جميعا على ضربها =

ماهيّتهم وكينونتهم وتنقيتها أو تطهيرها مما علق بها من الأخطاء، خلال الماضي، منذ الانقلاب الشعوبي العباسي الهدّم ومروراً بتلك الحقب غير العربية التي تعاقبت على حكم العرب والمسلمين وإلى الآن؛ وذلك في جميع المجالات الدينيّة والدنيوية.

لقد آن الأوان ليقوم العرب المسلمون أنفسهم بالاشتغال والعمل على فهم كتاب الله عز وجل فهما صحيحاً بعيداً عن الأفهام (العجماء) غير العربية نصاً وروحاً والتي رانت وتلبدت على الفكر والعقل والقلب العربي المسلم وأعجزته

بالمعاول والمطارق الثقيلة لتكسيرها ولتحطيمها ولتفتيتها وبقينا لفترة نبذل قصارى جهدنا ولكن دون أي جدوى؛ وكنّا نعتقد أننا أقوياء! إلى أن جاء شخصٌ كانت مهنته السابقة هي تقطيع الحجارة، وكان شكله هزيلا وضعيفاً؛ لا ينمّ عن قدرة أو قوة، فطلب منّا الابتعاد عن طريقه! وقال ألا تعلمون أن لكل صخرة مفتاح وأنّ لهذه الصخرة مفتاح أيضاً وأنكم مهما بقيتم تحاولون فلن تستطيعون تكسيرها أبداً إلا إذا استطعتم الكشف عن مفتاحها أولا لأن لكل صخرة مهما كانت كبيرة ومهما كانت قاسيّة فإن لها مفتاح فإذا أكتشف مفتاحها عندها ستفتح بكل بساطة! الواقع قد أذهلنا كلامه، تلك الصخرة التي كانت كبيرة وقاسية، لكنه ما لبث أن أقبل عليها وركّز وضعها ثم أخذ المطرقة ورفعها إلى فوق وضرب تلك الصخرة الضربة الأولى والثانية وإذا بالصخرة وقد تحولت إلى فتات! فهل كانت هذه الصخرة تشبه إلى حدٍ بعيد واقع العرب المسلمين، وأن العرب المسلمين إنما يحتاجون أولا إلى أن يتعرفوا إلى حقيقتهم، وأن يكتشفوا ذاتهم، وأنّ هذا الأمر هو السهل الممتنع، وأنّ عليهم (لكل عربي مسلم) المحاولة والمبادرة والمباشرة والشروع في العمل الجاد لتحقيق وتقديم الأفضل والأحسن والأجود لأمته بعد الثقة بنصر الله تعالى قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ آل عمران، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ التوبة.

عن القيام طِوال تلك الحقب منذ الإنقلاب الشعوبي الهدام الذي أدى إلى تمزيق الدولة الأموية إلى الآن بإعادة كتابة تاريخهم من منطلق الحق والصدق والأمانة، كتابة صحيحة، وموضوعية ومنطقية لصالح العروبة، التي هي حاملة الإسلام، لقد آن الأوان ليقوم العرب الأصلاء انتماءً، ليقوموا بتنقية تاريخهم وإزالة التناقضات غير الصحيحة وغير المنطقية والتي لاأساس لها، العالقة به والغريبة عن نسيجه الحقيقي.

لأنّ التاريخ يخّلق الأجيال يصنعها يعلِّمها، فإما أن تكون الأجيال، أبطال وعظماء وعلماء أو أن تكون الأجيال كتلا من المتخلفين المستهلكين، الذين لايلوون على شيء، لقد آن الأوان لأن يفيق العرب ويعملوا على إعادة كتابة تاريخهم من خلال المصلحة العليا للعرب والإسلام تاريخاً مجيداً مشرقاً راقياً عالياً، تاريخ نجومٍ متلألئة منيرة مضيئة في السماء تشد الأنظار والأبصار أنظار وأبصار الأجيال إلى العلا وليس العكس كما فعل المفسرون حيث أنزلوا النجوم العالية إلى أسفل سافلين، فهل علم العرب المسلمون ما هم مقبلون عليه من مخططات عالمية تدار من قبل اليهود وتنفذ الآن من قبل الطائفية الشعوبية على اختلاف أشكالها غير العربية والمهودة. إن تشويه الشخصيات العربية في نظر الأجيال العربية المسلمة شيء خطير جداً جداً جداً وعلى العرب المسلمين واجب التصدي له والرد عليه بكل وسيلة متاحة؛ إنها حربٌ ضروسٌ ومستعرة تشن ضد العرب المسلمين، وهذه الحرب الضروس كانت قد بدأت عندما تمّ اغتيال سيدنا عمر بن الخطاب، ثم عندما تمّ اغتيال سيدنا عثمان بن عفان، ثم عندما تمّ اغتيال سيدنا على بن أبي طالب كرّم الله وجهه ثمّ عندما قتل الحسين رضي الله عنه، مع التأكيد أنّ اغتيالهم جميعاً نفذته جهة واحدة شعوبية ويهودية حاقدة، ومنذ ذلك الحين لا تزال هذه الحرب تتسع ولا تزال تطحن العرب المسلمين فإلى متى يبقى

العرب المسلمون تستغرقهم الغفلة وإلى متى يبقى الرماد يذر في عيونهم؟ وإلى متى ستبقى الأخطاء تعشش في عقولهم؟

يجب أن يتلقى العرب المسلمون دروساً في أصول المخاصمة، وفي أصول التخاصم، إن الحرب عندما تشن على الأمة فإنها تقتضي إحدى حالتين، إما حالة دفاع أو حالة هجوم، وبالتالي فالحرب إذاً دفاع وهجوم، والهجوم خير وسيلة للدفاع؛ أما حالة اللاحرب التي تمّ تطبيع العرب المسلمين عليها حتى الآن، هي حالة سكون وعطالة؛ فإذا تعرضت الأمة للإعتداء فإنّ الوجب يقتضي المواجهة وعندها يجب أن تكون المواجهة من قبل الأمة كل الأمة؛ وعلى كل صعيد وكل المستويات وفي كل المجالات والأبعاد فلا يوجد استثناء أبداً! وكل إنسان في هذه الأمة، كل كائن ينبض بالحياة، وكل إنسان ينتمي إلى هذه الأمة، من المفروض أن يواجه المعتدين وأن يشارك في التصدي للمعتدين وفي الزود عن حياض الوطن؟

إن الاعتداء والهجوم الشامل الذي يتعرض له المسلمون العرب والإسلام العربي لا يمكن حصره في جبهة واحدة محددة أو في اتجاه معين ثابت إنها حربٌ واسعة النطاق تدار على المسلمين العرب بحيث أصبحت حرباً شاملة شعواء لاتبقي ولاتذر فعلى العرب الوعي لهذه الحقيقة المضوعية العامة على كل عربي مؤمن واجب في هذا الزمن المعاصر عليه واجب المشاركة في التفكير والتخطيط للتصدي لهذا الهجوم المعادي فعلى الرغم من تفاهة المرحلة وعلى الرغم من ميوعة الأهداف والمثل وعلى الرغم من كل الخراب والتخريب الحاصل، فإن الهروب إلى الأمام سلوك غير حضاري وهو بالنسبة للعربي المؤمن غير مجدي ولايفيد.

المصـــادر

(١) القرآن الكريم
(٢) كتب الصحاح
(٣) تاريخ الطبري
(٤) مقدمة ابن خلدون
(٥) الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية في مصياف ٥٣٥\٦٧٠ ميشيل لباد، مطبعة الإتحاد ١٩٦٣.
(٦) الأقليات التاريخيّة في الوطن العربي، أحمد الصاوي، مركز الحضارة العربية، الجيزة جمهورية مصر العربية ١٩٨٩.
(٧) الأقليات الدينية والقوميّة تنوع ووحدة...أم تفتيت واختراق؟؟ د. محمد عمارة، نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٨.
(٨) سياسة وأقليات في الشرق الأدنى لورانت وآني شابري، ت: د.ذوقان قرقوط، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩١.
(٩) الأمازيغيّة والسياسة اللغويّة والثقافيّة بالمغرب أحمد بوكس، مركز طارق بن زياد، الرباط ٢٠٠٣.
(١٠) الفونولوجيا المقطعيّة، نحو نظريّة توليديّة للمقطع جورج ن كليمندس، ت: مبارك حنون وأحمد العلوي، سليكي أخوان، طنجة ٢٠٠٣.
(١١) المسلمون الأعراب من القمة إلى أدنى مستوى، خالد محمد حمد، دار يعرب ٢٠٠٧،
(١٢) الحرب على العرب من اليمين إلى اليسار، خالد محمد حمد ط٤ دار يعرب ٢٠٠٥.
(١٣) الاستشراق، المعرفة السلطة الإنشاء إدوارد سعيد، ت: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربيّة ١٩٩٥.
(١٤) العروبة حاضرنا ومستقبلنا بشارة منسي، رياض الريس للكتب، بيروت ٢٠٠٦.
(١٥) بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني د.صلاح الخالدي، دار العلوم للنشر، عمان ٢٠٠٣.
(١٦) الأقليات في الواقع العربي، الإندماج والتجزئة عبد الله الحسن، شرق غرب دمشق ١٩٩٥.
(١٧) اشكاليّة النهضة بين الفكر القومي العربي والصحوة الإسلاميّة غازي التوبة، بيروت ٢٠٠٣.
(١٨) نحو ثقافة تأصيليّة (البيان التأصيلي) محمد محمود شاويش، الدار العربيّة للعلوم، بيروت ٢٠٠٧.
(١٩) أوراق في المشروع العربي د. أحمد محمد الأصبحي، دار البشير ومؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٦.
(٢٠) الأقليات والسياسة العثمانيّة في الخبرة الإسلاميّة د، كمال حبيب، مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠٠٢.
(٢١) (المغرب العربي رؤيا سياسية) ماجد الخطيب، دار الوحدة بيروت ١٩٨٥.
(٢٢) صناعة الأوهام القوميّة، محي الدين صبحي، الريس للكتب بيروت ٢٠٠١

(٢٣) (الكلمات المفاتيح) ريموند وليمز ـ: نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي بيروت ٢٠٠٧.
(٢٤) أسرار العقل الصهيوني د.عبد الوهاب المسيري، دار الحسام القاهرة بدون تاريخ
(٢٥) أمريكا والإسلام،د. عبد الحسين شعبان،دار صبرا دمشق ١٩٨٧.
(٢٦) إدارة الصراعات الدولية د. السيد عليوة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.
(٢٧) إيثار الحق على الخلق، في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد اليماني العلمية بيروت١٩٩٣.
(٢٨) الإستشراق، المعرفة السلطة الإنشاء، إدوارد سعيد، ت. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ط٣، ١٩٩٥
(٢٩) لتاريخ من شتى جوانبه، مطالعات في تاريخ الغرب، ت: نور الدين محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.
(٣٠) التاريخ وكيف يفسرونه، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٩٦
(٣١) لتراث الشفوي في الشرق الأدنى ومنهجية حمايته، د. نبيل سلامة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦
(٣٢) لتشريعات البابلية، عبد الحكيم الذنون، دار علاء الدين، دمشق،١٩٩٢.
(٣٣) الحملات الصليبية من كليمونت إلى أورشليم ت: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤.
(٣٤) الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. أميمة الجلاهمة،مكتبة زهراء الشرق القاهرة ١٩٧٠
(٣٥) السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، عبد المتعال الجبري، وهبة القاهرة ١٩٨٨.
(٣٦) الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين، صبحي عبد المنعم، العربي للنشر ١٩٧٧ القاهرة.
(٣٧) لطرق الحكمية في السياسة الشرعية،ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت عن نسخة ط ١٩٥٣.
(٣٨) العبادات في الأديان السماوية،عبد الرزاق رحيم صلال الموجي الأوائل دمشق ٢٠٠١.
(٣٩) تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية بيروت – ١٩٨٦.
(٤٠) العدوان الصليبي على بلاد الشام د. جوزيف يوسف مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٤.
(٤١) لعرب والعربية بهما صلاح الأمة الإسلامية، عبد الحق حقي الأعظمي المكتبة العربية.
(٤٢) العروبة دراسة وحدة الشخصية، إسماعيل الملحم، اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٨٧.
(٤٣) العروة الوثقى، السيد جمال الدين الأفغاني و الشيخ محمد عبدو، دار الكتاب العربي بيروت
(٤٤) الغجر ورحلة الضياع، سليمان المدني، المنارة، بيروت ٢٠٠١.
(٤٥) الفتوحات الإسلامية، د. محمود السيد مؤسسة شباب الجامعة ٢٠٠٤ الاسكندرية.
(٤٦) الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر بيروت

(٤٧) الفكر التاريخي في الإسلام، عبد اللطيف شرارة، دار الأندلس بيروت ١٩٨٣.
(٤٨) لفكر التوراتي والحرب النووي، المبشرون الإنجيليون على طريق القيامة الذرية ت. عبد الهادي عبلة، الكندي، حمص، ١٩٨٨.
(٤٩) القبيلة الثالثة عشر ويهود العالم،آرثر ليستر،ت. أحمد نجيب هاشم،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤
(٥٠) القضية الكردية إسماعيل العرفي ١٩٧٠ إصدار خاص.
(٥١) القوش، دراسة انثر بيولوجية، المهندس البحري حبيب تومي، بغداد ٢٠٠١.
(٥٢) القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين، د. خير الدين عبد الرحمٰن، دار إشراق، عمان ١٩٩٦.
(٥٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير - دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٩٦.
(٥٤) المأثورات الشفاهية، ترجمة الدكتور أحمد مرسي، دار الثقافة القاهرة ١٩٨١.
(٥٥) المدخل إلى التاريخ العربي، إسماعيل العرفي، دار الفكر دمشق ١٩٨٢.
(٥٦) المدخل إلى علم التاريخ د.عبد الرحمن عبد الله الشيخ، دار الريح،الرياض ٢٠٠٢.
(٥٧) المستشرقون والقرآن الكريم ع ١٠٤، د. إسماعيل عبد العال، رابطة العالم الإسلامي.
(٥٨) المسيحيون واليهود في تاريخ الإسلام العربي والتركي ت. بشير السباعي سينا للنشر القاهرة.
(٥٩) موسوعة تاريخ الصهيونية د.عبد الوهاب المسيري، دار الحسام القاهرة ١٩٨٨.
(٦٠) المفسدون في الأرض، بقلم س. ناجي، العربي للإعلان والنشر، دمشق ١٩٩٤.
(٦١) الملل والنحل في الدين اليهودي د.إسماعيل الفاروقي، مكتبة وهبة،القاهرة ١٩٨٩.
(٦٢) الملل والنحل للإمام الشهرستاني، تحقيق، أ.د. أحمد فهمي محمد دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.
(٦٣) ايبلا، عبلاء الصخرة البيضاء، دراسات أثرية ولغوية تاريخية، ت. قاسم طوير، إصدار خاص دمشق ١٩٨٤.
(٦٤) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد الزبيدي، الإعلام، الكويت ١٩٩٠.
(٦٥) تاريخ أوربا في العصور الوسطى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ت: عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.
(٦٦) تاريخ الأمة الواحدة، د. جمال عبد الهادي مسعود، دار الوفاء، المنصورة مصر العربية ١٩٩١.
(٦٧) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن - دار إحياء التراث العربي.
(٦٨) تاريخ الترك في آسيا الوسطى ت. أحمد سليمان الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٩٦.
(٦٩) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، منشورات الحياة بيروت بدون تاريخ.
(٧٠) تاريخ الدولة الأموية، د. محمود السيد، شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٢.
(٧١) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، حمزة بن حسن الأصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت

بلا تاريخ.
(٧٢) تاريخ فاتح العالم، عطا الجويني، ت.د. محمد التوتنجي، دار الملاح دمشق ١٩٨٥.
(٧٣) تاريخ دمشق خلال الحكم الفاطمي، د. محمد محاسنة، الأوائل دمشق ٢٠٠١.
(٧٤) تحرير العقل من النقل، سامر اسلمبولي، دار الأوائل دمشق ٢٠٠٠.
(٧٥) تحفة ذوي الألباب، صلاح الدين أيبك، ت. إحسان خلوصي، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣.
(٧٦) تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى، أ.د.أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩.
(٧٧) تهافت الفلاسفة، الإمام الغزالي، ت. د.سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢
(٧٨) حمورابي البابلي أعصره، تعريب محمد خياطة، دار المنارة اللاذقية ١٩٩٠.
(٧٩) خلاصة تاريخ الأندلس شكيب أرسلان دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ.
(٨٠) دولة الرسول في المدينة، د. محمد العربي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨
(٨١) رحلة إلى بابل القديمة، د. كلنكل،ت.د.زهدي الداوودي، دار الجليل،دمشق ١٩٨٤
(٨٢) رحلة بايرون إلى مصر والحجاز، ت. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
(٨٣) رمسيس الثاني، ت. د. أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٧.
(٨٤) سوريا الحضارة ماذا أعطت للغرب، د.عفيف بهنسي، خاص، دمشق ١٩٨٨.
(٨٥) شبهات حول التغريب، أنور الجندي، المكتب الإسلامي دمشق ١٩٧٨.
(٨٦) صبح الأعشى في صناعة الانشى، أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ج ١٤، وزارة الثقافة
(٨٧) طبائع الاستبداد، عبد الرحمن الكواكبي، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٩٣.
(٨٨) من هم التتار؟ ت. د. رشيدة رحيم العبروتي الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤.
(٨٩) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة،أبي الحسن بن هذيل، دار الكتب العلمية،
(٩٠) فتوح البلدان، البلاذري، ت:رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩١.
(٩١) في التاريخ العباسي والفاطمي، أ.د.أحمد مختار العبادي، شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٣.
(٩٢) في الشعوبية، إسماعيل العرفي، منشورات خاصة، دمشق ١٩٧٩.
(٩٣) قصة الحضارة ج، ول ديورانت، ت. محمد بدران، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية،
(٩٤) قصة الديانات، سليمان مظهر – الوطن العربي، بيروت ١٩٨٤.
(٩٥) قيام الدولة العثمانية ت. أحمد السيد سليمان الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣.
(٩٦) كتاب النزاع والتخاصم في ما بين بني أمية وبني هاشم، تأليف تقي الدين المقريزي، ت.د.
(٩٧) حياة على المتراس(أرتين مادونيان) تقيم جورج حاوي، الفارابي بيروت ١٩٨٩.
(٩٨) لسان العرب، الطبعة الثالثة، ت. أمين محمد عبد الوهاب – دار إحياء التراث العربي بيروت.
(٩٩) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، الأمير شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت
(١٠٠) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١/ ٨، د. علي الوردي، دار كوفان للنشر.

(١٠١) مجمع الزوائد، باب ما جاء في فضل العرب - للحافظ الهيثمي، تحقيق الدرويش، دار الفكر
(١٠٢) مشكلات الحزب الشيوعي السوري، سلامة كيلة، دمشق ٢٠٠٤
(١٠٣) مختصر تفسير الطبري، للتيجيبي، محمد حسن العزم الزيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(١٠٤) مختصر دراسة التاريخ١/ ٤، تونبي، ت: فؤاد شبل،جامعة الدول العربية،١٩٦٠.
(١٠٥) معجم الأساطير، ت: حنا عبود، دار الكندي دمشق ١٩٨٩.
(١٠٦) ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية نصر شمالي ١٩٨٥، إصدار خاص دمشق.
(١٠٧) من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية، د. جابر محمد دياب، مكتبة الزهراء القاهرة

كتب صدرت للمؤلف

١- أناشيد لها تاريخ مجموعة الأناشيد الوطنية والقومية العربية والعالمية بما فيها الأهازيج الفلسطينية

٢- الحرب على اللسان العربي ـ طبعة أولى دار الرقيم بغداد ٢٠٠٥.

٣- الحرب على اللسان العربي ـ طبعة ثانية دار الرقيم بغداد ٢٠٠٦.

٤- الحرب على العرب ـ طبعة ثالثة دار يعرب بدمشق ٢٠٠٥.

٥- الحرب على العرب ـ طبعة رابعة دار يعرب بدمشق ٢٠٠٧.

٦- الحرب على العرب واللسان العربي ط خامسة عالم الكتاب الحديث، اربد الأردن ٢٠٠٦.

٧- الحرب على العرب واللسان العربي ط سادسة د. محمد بلعيدوني، تلمسان الجزائر ٢٠٠٨.

٨- الحرب على العرب اللسان العربي دار العراب بدمشق ٢٠١٦

٩- المسلمون الأعراب من القمة إلى أدنى مستوى دار العراب بدمشق ٢٠١٦

١٠- المسلمون الأعراب من القمة إلى أدنى، مستوى ط١ دار يعرب بدمشق ٢٠٠٨.

١١- المسلمون الأعراب من القمة إلى أدنى، مستوى ط٢ دار يعرب بدمشق ٢٠١٠.

١٢- معاني ودلالات الحروف الأبجديّة العربيّة، دار العرّاب بدمشق،٢٠١٦.

١٣- الفكر ما هيّته در العرّاب بدمشق ٢٠١٦

١٤- الوقت العربي أو بلسان عربي مبين، دار نينوى بدمشق، ٢٠١٥ نافذ

١٥- تثير الأقلية تقليل الأكثرية في الوطن العربي ٢٠١٥ دار نينوى بدمشق، نافذ